

جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لطوارق كال أهقار

1861م-1962م

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالب:

أ.د. خالد صابر شريف

إبراهيم بتقة

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. شاوش حباسي
مقررا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. خالد صابر شريف
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. أحمد رضوان شرف الدين
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. محمد حسن زغيدي
عضوا مناقشا	جامعة خميس مليانة	الأستاذ: د. نور الدين شعباني
عضوا مناقشا	جامعة الشلف	الأستاذ: د. العربي بن عزوز

السنة الجامعية: 2018-2019م

جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لطوارق كال أهقار

1861م-1962م

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالب:

أ.د. خالد صابر شريف

إبراهيم بتقة

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. شاوش حباسي
مقررا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. خالد صابر شريف
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. أحمد رضوان شرف الدين
عضوا مناقشا	جامعة الجزائر 02	الأستاذ: أ.د. محمد حسن زغيدي
عضوا مناقشا	جامعة خميس مليانة	الأستاذ: د. نور الدين شعباني
عضوا مناقشا	جامعة الشلف	الأستاذ: د. العربي بن عزوز

السنة الجامعية: 2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى والديّ العزيزين الكريمين، حفظهما الله ورعاهما وأطال في عمرهما.

كلمة شكر

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ

أتقدم بخالص الشكر والامتنان للأستاذ المشرف الدكتور "خالد صابر شريف"، الذي لم يدخر جهدا في متابعة هذا العمل منذ بداياته، مسديا لي كل النصائح والتوجيهات حتى يكون هذا البحث في المستوى المطلوب فله مني كل الشكر والعرفان، والشكر موصول أيضا للمشرف الثاني الدكتور "شاشوة كمال"، الذي سهل لنا مهمة البحث أثناء التبرص الذي أجريناه في فرنسا بغرض الاط ع على وثائق الأرشيف الفرنسي بمدينة مرسيليا، أو رصيد مكتبة جامعة "إكس-مارساي Aix-Marseille" ومكتبة معهد البحوث والدراسات في العالم العربي والإسه مي (IREMAM)، فله كل التحية والتقدير والشكر، ومن ورائه كل عمال هذه المكتبات والمراكز، كما أتقدم بالشكر لكل عمال المكتبات الجامعية والوطنية داخل الوطن، ولكل من ساعدني من قريب أو من بعيد وأعانني في إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيبة. دون أن أنسى فضل المعلم الأول في هذا التخصص (الدراسات الإفريقية) الدكتور "عبد القادر زبادية"، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

Liste des abréviations utilisées :

قائمة المختصرات:

AAN : Annuaire de l'Afrique du Nord

ANOM : Archives National d'Outre-mer (Aix-en-Provence)

AOF : Afrique-Occidentale française

BCAF : Bulletin du comité de l'Afrique Française.

BLS : Bulletin de Liaison Saharienne.

CEA : Cahiers d'Etudes Africaines.

CEHS : Centre d'études sur l'histoire du Sahara

CERM : Centre d'études et de recherche Marxistes.

CHEAM : Centre des hautes études sur l'Afrique et l'Asie modernes.

CIHEAM : Centre International de Hautes Etudes Agronomiques Méditerranéennes

CIRSS : Centre International de recherches sahariennes et sahéliennes.

CNRPAH : Centre National de recherches préhistoriques anthropologiques, et Historiques

CRAPE : Centre de recherches anthropologiques, préhistoriques et ethnographiques.

IBLA : Institut des belles lettres arabes.

IFAN : Institut Français d'Afrique noire. (Institut Fondamental d'Afrique noire en 1966)

INALCO : Institut national des langues et civilisations orientales.

IREMAM : Institut de recherches et d'études sur le monde arabe et musulman.

IRSH : Institut de recherches en Sciences Humaines

OCRS: Organisation Commune des Régions Sahariennes

ORSTOM : Office de la Recherche Scientifique et Technique Outre-Mer.

REMMM : Revue du monde musulman et de la Méditerranée

ROMM : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée.

SHAT : Service Historique de l'Armée de Terre (château de Vincennes)

TIRS : Travaux de l'Institut de recherches sahariennes.

المقدمة

يعتبر موضوع قبائل الطوارق من المواضيع النادرة أو الغائبة في الأبحاث الأكاديمية، حيث أنه لم يحظ بالاهتمام والدراسة في الأبحاث العربية عامة والجزائرية خاصة، وذلك على الرغم من أهميته سواء على المستوى المعرفي أو السياسي أو الاستراتيجي، وهذا على عكس الأبحاث الغربية التي اهتمت بمثل هذه المواضيع مبكرا، وخاصة منذ الفترة الاستعمارية وبداياتها الأولى في خضم مواصلة التوسع في عمق الصحراء، ثم تواصلت بأبحاث أكثر عمقا في الفترة ما بعد الاستعمارية، ويعود مرد هذا الاهتمام لأسباب أملت ظروف سياسية في المرحلة الأولى من أجل إخضاع الشعوب والقبائل، من خلال تجسيد مبدأ "فرق تسد" الذي يحتاج تنفيذه فهم نظام القبيلة أكثر، ثم لأغراض إيديولوجية في مرحلته الثانية.

هذا النقص في تناول موضوع قبائل الطوارق في البحوث والدراسات في الجزائر، الذي يعود ربما لأسباب لها مبرراتها السياسية في أول الأمر، أمام حداثة الاستقلال والتركيز على جوانب أخرى تخدم الأجندة السياسية حينها، لم يعد له مبررا في الوقت الحالي، وأصبح من الضروري إعطاء أكثر أهمية لمثل هذه المواضيع، التي أخذت أبعادا كثيرة سواء في أبحاث الغربيين أو سياسة دولهم في المنطقة، الذين أصبحوا الأقرب في فهم وحل الأزمات أو حتى "صناعة الأزمة" في هذا الشأن، وذلك من خلال عديد الدراسات المكثفة حولها في عديد التخصصات، التي تهتم كثيرا بمثل هذه المواضيع وتخصص أقساما لها لتدرس وتفكك هذا المجتمع أو هذه القبيلة، ويظهر هذا خاصة في الدراسات الأنثروبولوجية والإثنولوجية واللسانيات، ناهيك عن التاريخ، والتي قدمت جميعها دراسات عديدة في هذا الشأن.

يعود اهتمامي بموضوع قبائل الطوارق لما قمت بتحضير رسالة الماجستير حول "مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر"، وفق تخصص الدراسات الإفريقية كأول تخصص بالجزائر في سنة 2006م، وشد انتباهي حينها فقر المكتبة بهذا الموضوع خاصة المكتوب باللغة العربية، أمام الكم الهائل من الكتابات الغربية لباحثين

ينتمون لعديد المراكز المتخصصة في بلدانهم نقلوا كل شاردة وواردة عن هذه القبائل بمختلف أماكنها، أمكننا الاطلاع على جزء منه مما أتاحتها لنا شبكة الأنترنت وبعض الزيارات خارج الوطن، لذلك سيكون هذا البحث محاولة منا لدعم وجلب الاهتمام أكثر لمثل هذه المواضيع مثل ما كان عليه سابقه.

كما أن الرهانات والتحديات التي أصبحت تعيشها هذه القبائل خاصة في دول الساحل والصحراء، أصبحت تؤثر على كامل المنطقة وتستدعي الدراسة وزيادة البحث أكثر، خاصة لتلك العلاقات المتعددة القديمة والحديثة بين مجموعات الطوارق التي تتوزع اليوم على أربعة دول، والتي منها الجزائر التي تضم فرعين كبيرين، عرفا في دراسات القرن 19م بطوارق الشمال تميزا لها عن طوارق الجنوب في بلاد السودان، ويتعلق الأمر بطوارق "كال أزجر" التي تمثل مدينة جانت وغات الليبية مناصفة عاصمتي الإقليم. وطوارق "كال أهقار" التي تمثل مدينة تمنراست عاصمة الإقليم اليوم.

تتناول هذه الدراسة الموسومة بـ "الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لطوارق كال أهقار 1861م-1962م"، تقديم نظرة عن الحياة التي كانت تعيشها هذه القبائل، والمعتبرة أهم قبائل الطوارق تواجدا في عمق الصحراء الإفريقية إن لم تكن وحدها من بين القبائل الأخرى. وذلك خلال مرحلتين متميزتين؛ أي قبل القرن العشرين لما كانت مستقلة بذاتها، ثم بعد القرن العشرين أين ستخضع هذه القبائل للسلطة الاستعمارية الفرنسية التي ستعمل على تغيير نمط حياتها. وفيما يخص تحديد المجال المكاني لهذه القبائل محل الدراسة فإن أراضي سلطنة كال أهقار أو "كونفيدرالية كال أهقار" كما تسمى في الكتابات الغربية، كانت تمتد من منطقة الأدغاغ إيفوغاس (شمال مالي) وإقليم توات غربا، حتى حدود المنطقة المتاخمة لطوارق كال أجز شرقا (واد تافاسست)، ومن منطقة التديكلت شمالا حتى إقليم التامسنة (شمال النيجر) جنوبا، لتكون أكبر قبائل الطوارق مساحة، وكانت كل القبائل

سواء البربرية أو العربية التي في إقليمها تدفع لها ضريبة الخضوع لأكثر من قرنين من الزمن.

في حين يمتد المجال الزمني للدراسة من تاريخ 1861م، وهي السنة التي عرفت حدثا هاما بوصول الأمنوكال "الحاج أحمد" على رأس كال أهقار، حيث عرف عهده عدة تغيرات وتحولات، إذ يعتبر أجنيا عن الطوارق أولا ثم لمبادراته في تنويع مصادر إقتصاد كال أهقار ثانيا، ولتحول نقل السلطة من النسب الأبوي إلى النسب الأمومي في عهده أيضا، ثم لقيامه بحرب طويلة ضد طوارق كال آجر، كل هذه الأحداث جعلت هذا التاريخ محطة مهمة وحاسمة في تاريخ كال أهقار، كما أنها تزامنت مع ظهور مصدر مكتوب مهم أيضا للرحالة الفرنسي "هنري ديفاييري *Duveyrier H.*" كما سيأتي ذكره.

ويمتد زمن الدراسة حتى زوال التواجد الاستعماري الفرنسي في المنطقة؛ أي حتى استرجاع معظم الدول الإفريقية للسيادة الوطنية مطلع الستينات من القرن الماضي، ضمت الجزائر بعدها أكبر حيز جغرافي لحدود أراضي قبائل كال أهقار، وذلك أن منطقة الأهقار ظلت حتى آخر لحظة في مخططات الإستراتيجية الاستعمارية الفرنسية للبقاء في الجزائر عن طريق فصل الصحراء، وللمشاريع الكبرى التي أطلقتها فيها؛ النووية، المنجمية، التنقيب عن المحروقات... إلخ. بغرض دعم مخطط "المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية *OCRS*" ذات البعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

تتناول إشكالية الموضوع وتهتم بدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لطوارق "كال أهقار"، وذلك خلال الفترة الممتدة من سنة 1861م إلى غاية سنة 1962م، في محاولة لرصد مختلف التغيرات التي عرفها مجتمع كال أهقار، الذي كان يعيش حياة بسيطة وفق النمط التقليدي وطور النظام القبلي، أو ما يعرف بحياة البداوة والترحال، إلى إرهاصات تحوله إلى حياة شبه حضرية تدعو للاستقرار أكثر، نتيجة تأثير ممارسات الإدارة

الفرنسية وضغطها على هذه القبائل، ومن ثمة فهم الآثار التي ترتبت على ذلك، ويمكن أن نلخص فكرة هذه الإشكالية في التساؤل التالي: "ما هي أبرز التحولات التي طرأت على البنية الاقتصادية والاجتماعية التقليدية لطوارق كال أهقار خلال الفترة الاستعمارية؟".

اعتمدنا في تحليل هذه الإشكالية على المنهج التاريخي الذي يقوم على دراسة الوثائق وتمحيصها، ومقارنة معلومات المصادر بعضها ببعض لتقديم تحليل يقربنا أكثر للحقيقة التاريخية، ويتعلق الأمر بوثائق الأرشيف الفرنسي ومختلف المصادر التي تناولت الموضوع، مع مقارنتها بالواقع المعاش الذي سجلته شهادات الرواية الشفوية لسكان المنطقة. وتم تقسيم عناصر الموضوع على خطة مكونة من مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة أبواب وخاتمة.

تناول الباب الأول تقديم الإطار العام للموضوع من خلال إبراز تعريفات عن طوارق كال أهقار وخصائص الإقليم الذي تعيش فيه، وأهم القبائل التي تتعامل معها، مع تقديم نبذة عن محاولات تحديد أصول طوارق كال أهقار وعلاقتها بمختلف القبائل البربرية، التي عرفت هجرات عديدة عبر مختلف القرون وتفاعلاتها في المنطقة، وذلك بغرض إنشاء صورة عامة عن الموضوع تعتبر كمدخل للدراسة مقسمة وفق ثلاثة فصول. فبحكم أن الموضوع غير معروف كثيرا حتى لدى الأكاديميين، كان لزاما علينا تقديم مثل هذه التعريفات حول هذه القبائل وإقليمها، وتحديد أصولها وسبب تواجدها في هذه الفيافي من الصحراء.

أما الباب الثاني فيتناول الأوضاع الاجتماعية التي عرفها مجتمع كال أهقار، من خلال إظهار وإبراز خصائص البنية الاجتماعية التي كان يتشكل منها قبل الغزو الفرنسي للمنطقة، وذلك لمعرفة البنية التقليدية التي كانت تكون هذا المجتمع قبل أن تتأثر بضغط الأوضاع السياسية التي ستعرفها المنطقة سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، مثل البنية الطبقية التي كان يعتمد عليها وخصائص كل طبقة ووظيفتها في المجتمع سواء السياسية أو الاقتصادية، مع تحديد ميكانيزمات الانتماء لكل طبقة والتي تتدخل فيها علاقات القرابة

والزواج بشكل مباشر، مع تقديم إشارة لمنصب الأمنوكال وعلاقات الروابط الاجتماعية التي تحدد شغل هذا المنصب أيضا. ثم رصد تطور محاولات توطين هذه القبائل منذ تأسيس مدينة تمنراست في عشرينات القرن العشرين، لتكون نواة استقطاب لفئات ناقمة عن هذه البنية الاجتماعية، من خلال ضرب هذا النظام التقليدي أو العمل على قلبه في بعض المرات، أو من خلال دعم الاستيطان بفئات من خارج الأهقار أيضا.

في حين تناول الباب الثالث تاريخ كال أهقار السياسي في المنطقة، ويتعلق الأمر بنظام الحكم وأهم العوامل التي تؤثر في تحديده، وعلاقات كال أهقار بجيرانهم والتي تتداخل فيها عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية، وتم تأخيرها ربما بعد الأوضاع الاجتماعية وهذا راجع أن فهم طبيعة هذه الأوضاع أولا هي التي يتوقف عليها معظم التاريخ السياسي وعلاقات الحكم، فمن أجل الحصول على السلطة الممثلة في الأمنوكال تلجأ بعض القبائل إلى تحالفات خارجية، أو إثارة حروب خارجية، أو حتى بين مرشحين من نفس القبيلة قد يؤدي الصراع بينهما إلى حد جلب الاستعمار الفرنسي مثل ما حدث في معركة "تيت"، وبالتالي وجب فهم الأوضاع الاجتماعية أولا وطبيعة العلاقات فيما بينها حتى يسهل فهم مسار التاريخ السياسي والعلاقات الخارجية لكال أهقار.

أما الباب الرابع فيرصد تحولات البنية الاقتصادية التي عرفها مجتمع كال أهقار من النظام الاقتصادي التقليدي، الذي كان يقوم فقط على تربية المواشي وتحصيل بعض إتاوات مرور القوافل العابرة للصحراء إلى نظام أكثر تنظيما، وبروز نواة لبنية إقتصادية يعتمد عليها في دفع عجلة الاقتصاد متمثلة في تنظيم قوافل خاصة بالتجارة واستغلال موارد جديدة كسلع في هذه التجارة، ثم محاولات بعث النشاط الزراعي وتطوره في الزمن، وكل هذه التطورات كان السبب فيها تلك التحولات السياسية التي عرفتها المنطقة المتمثلة أساسا في السيطرة

الاستعمارية للفرنسيين على الصحراء الوسطى الإفريقية، التي سعت هي الأخرى أن تستفيد وتحتكر التجارة العابرة للصحراء لقيمة عائداتها المالية الضخمة.

ثم تم حوصلة الموضوع بخاتمة تضمنت تقديم إجابات عن الأسئلة التي تدور في فلك الإشكالية المطروحة.

ومن أهم المصادر التي اعتمدنا عليها في معالجة هذه الخطة ودراسة الموضوع، تظهر في الأول وثائق الأرشيف الفرنسي المتمثلة في مختلف التقارير السياسية بين الضباط والإدارات الفرنسية الخاصة بأقاليم الجنوب منذ منتصف القرن 19م إلى ستينات القرن 20م الموجود خاصة بمركز "إكس أون بروفانس *Aix-en-Provence*" بمدينة مرسيليا (*A.N.O.M.*) والتي أهمها سلسلة التقارير المندرجة والخاصة بـ"الحكومة العامة للجزائر *G.G.A.*" أو التقارير الخاصة بـ"إقليم الجنوب *T.S.*" والموزعة تحت عديد العلب وخاصة *22H, OA, 1H,* وغيرها من العلب، وكذلك أرشيف المركز العسكري "شاتو فانسان *Château Vincennes*" بالعاصمة الفرنسية باريس (*S.H.A.T.*)، رغم قلتها مقارنة بالأول، لكن يجب القول أنه لولا هذه التقارير المسجلة لما أمكننا استيفاء الموضوع بشكل جيد خاصة فيما تعلق بالجانب الاقتصادي الذي لم نجد به كتابات كثيرة من طرف الفرنسيين في عديد مصادرههم إلا من بعض الإشارات، لذا تعتبر جل مادة هذا الباب من محتويات هذا الأرشيف، حيث تمكنا من الاطلاع على أزيد من 3000 وثيقة.

وزيادة على مادة الأرشيف المهمة هناك عديد المصادر الأجنبية التي تناولت الموضوع خلال القرن 19م والعشرين، سواء من رحالة أو مغامرين أو ضباط عسكريين سجلوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم عن قبائل الطوارق بشكل عام أو عن كمال أهقار بشكل خاص، وذلك في خضم خدمة المشروع الاستعماري من أجل استكشاف الأرض وأخذ فكرة مسبقة عن المحيط، والتضاريس، والمسالك، وأهم القبائل الموجودة، والقوافل التجارية، وأماكن

تواجد المياه... إلخ، حتى يكون فعل مباشرة الاستعمار سهلا. وربما يكون أقدمها كتاب رحلة الضابط الفرنسي العقيد "أوجان دوما *Eugène Daumas*" (رئيس فرقة الصبايحية) رفقة الكاتب "أوزون دو شانسال *Ausone de Chancel*" (مؤلف كتاب الصحراء الجزائرية) اللذان نزلا مع قافلة غرداية (متليلي) إلى بلاد الهاوسا (كاتسينة) في سنة 1848م، وقدا إشارات عن قبائل الأهقار التي كانت تسيطر وتؤمن سير القوافل المارة بأراضيها ثم عن سلع المبادلات بين المنطقتين وقيمتها في منتصف القرن 19م.

ثم يأتي بعده كتاب "طوارق الشمال *Les Touareg du nord*" لصاحبه المستكشف "هنري ديفايري *Duveyrier H.*"، لما قام برحلته إلى طوارق الأزجر في سنة 1861م ومكث معهم لمدة سنتين، والذي يعتبر أهم مصدر معاصر تكلم عن طوارق منطقة الأزجر التي عايشها، ونقل معلومات مهمة عن طوارق الأهقار التي لم يستطع زيارتها لأسباب تتعلق بأمنه، مقدما معظم قبائلهم وأسلوب عيشتهم وروايات شفوية عن أصولهم وتاريخهم في المنطقة وعلاقتهم بجيرانهم، والصراع الذي ينشب بين الطرفين... إلخ، وهو المصدر الأول الذي استقى منه كل الباحثين الغربيين المهتمين بطوارق الشمال وينطلقون منه في كتاباتهم وأبحاثهم للتفصيلات التي قدمها في تلك الفترة.

ثم يأتي بعده الكتاب الموسوم بـ "سنة أشهر عند طوارق الأهقار *Six mois chez les Touareg du Ahaggar*" لصاحبه الضابط-المترجم "موريس بنهازيرة *Benhazera M.*" (ماي-أكتوبر 1905م)، والصادر في سنة 1908م، الذي كان قد كلف بمهمة من طرف المقدم "لابيرين *Laperrine*" القائد العسكري لإقليم الواحات الصحراوية برئاسة النقيب "دينو *Dinaux*"، لجمع أكبر قدر من المعلومات عن طوارق كونفدرالية الأهقار، تكلم فيه عن أهم القبائل المشكلة لكال أهقار، وتاريخ هذه القبائل وتاريخ استيطانها الأهقار عبر عديد الروايات الشفوية التي نقلها، والتي تجعل من قبيلة "كال غَلا" تسود هذه القبائل. ويعرف

كتاب "بهازيرة" في الأدبيات الغربية والفرنسية خصوصا على أنه مؤسس "الأنثروبولوجيا الاجتماعية لطوارق كال أهقار"، للمعلومات التي قدمها عن الحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد لهذه القبائل، والروابط الاجتماعية التي تتحكم في طبقات هذا المجتمع، ولمختلف الروايات الشفوية عن تاريخ هذه القبائل واستيطانها لإقليم الأهقار، ساعده في ذلك تمكنه من اللغة العربية ودراساته السابقة في اللهجات البربرية، في أن يتصل مع الطوارق بسهولة.

يأتي بعده المصنف الضخم الذي ألفه القس "شارل دو فوكو *Charles de Foucauld*" على شكل قاموس (*Dictionnaire Touareg-Français*) شرح معاني كلمات لهجة طوارق الأهقار (تاماهق) إلى اللغة الفرنسية في أربعة مجلدات صدرت في سنة 1951-1952م (كما هي مخطوطة بخط يده)، وذلك لما جاء به المقدم "لابيرين" ليستقر في الأهقار ليكون مخبره العسكري فيها وفي كامل الصحراء، منذ سنة 1905م إلى غاية تاريخ مقتله في ديسمبر 1916م، قدم فيه الكثير من المعلومات عن أصول كال أهقار وتاريخهم في المنطقة وعاداتهم وتقاليدهم وأهم القبائل المشكلة لكال أهقار، ملمحا في الكثير من المرات على ضرورة إنهاء سيطرة القبائل النبيلة على القبائل الأخرى التابعة أو المستعبدة. مع الإشارة أنه ساعده في تأليف هذا المصنف السيد "با حمو الأنصاري بن عبد السلام" الذي كان خوجة (سكرتير) الأموكال "موسى أغ أمستان".

كما توجد الكثير من كتابات الضباط العاملين في الميدان مثل كتابات؛ لابيرين *Laperrine*، لوهيرو *Lehuraux*، كوفي *Cauvet*، ميتوا *Métois*، هنري لوت *Lhote*، *H.*،... إلخ، الذين كانت لهم علاقة مباشرة بـ "كال أهقار" سواء في مرحلة خضوعهم أو في المراكز والحصون التي أقاموها بالقرب منهم، كما نجد كتابات "مارسو غاست *Gast M.*" الذي زودنا بمعلومات هامة عن إقتصاد كال أهقار لما كان يحضر في نفس الوقت أطروحته

للدكتوراه في الإثنولوجيا حول غذاء كمال أهقار في فترة الستينات قبيل الاستقلال، وكان قبلها يشتغل مدرسا بتمنراست في فترة الخمسينات، والتي تعد من المراجع المهمة أيضا.

أما فيما يخص الدراسات السابقة حول الموضوع فتكاد تكون نادرة باللغة العربية خاصة في ميدان التاريخ، إذ أمكنني الاطلاع فقط على رسالة ماجستير بعنوان "الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر"، من إعداد الطالبة "آمال هاشمي" المنتمة لقسم الحضارة الإسلامية بجامعة وهران، (موسم 2007-2008م، 164ص.)، حاولت أن تقدم في فصلين نظرة الأوربيين لما سجلوه عن الحياة الاجتماعية والفكرية لطوارق الأهقار.

مع أن البحث لم يتناول إشكالية واضحة وإنما أسئلة فرعية في حدود 8 أسئلة حول الأصول، إهتمامات الفرنسيين بهم، موقع الهقار، موقفهم من الاحتلال، علاقاتهم فيما بينهم وفيما بين جيرانهم، دور الأسرة، نمط الحياة، لتكون نتائج البحث استنتاجات عامة عن كل هذه الجوانب. واتسم البحث بالسطحية والتعريفات في كثير من المرات، كما وقعت في كثير من الأخطاء المعرفية، وعلى الرغم من أنها قامت بتعريف كثير من قبائل الطوارق في الأهقار لكنها لم تستعن بأول مصدر تناولهم بالتفصيل وهو "موريس بن هزيرة *Benhazera M.*"، ومع ذلك البحث فيه معلومات جيدة عن الحياة الفكرية للطوارق ورصد لعديد المصادر والمراجع الأجنبية.

كما توجد بعض الدراسات في علم الاجتماع التي قام بها الباحث "حسن مرموري" حول الطوارق (كال أجر) بين السلطة التقليدية والإدارة الاستعمارية لتحضير شهادة الماجستير ثم الدكتوراه أيضا، أو دراسة الباحث "محمد السويدي" حول "بدو الطوارق بين الثبات والتغير" لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع والتغير الاجتماعي. أما الدراسات الأجنبية فهي كثيرة لعديد الكتاب المهتمين بمجتمع الطوارق والتي تختص بعلمي الأنثروبولوجيا

والإثنولوجيا ومنهم "أندريه بورجو *Bourgeot A.* وبول باندولفي *Pandolfi P.* ودومينيك كازاجيس *Casajus D.* وهيلين كلودو *Claudot H.* وبيار بوايي *Boyer P.* وفوزية بلهاشمي... إلخ"، كلها تهتم بالعلاقات الاجتماعية وعلاقات القرابة ووسائل العيش لدى عديد قبائل الطوارق في مختلف المناطق.

يعد الأمر غاية في الصعوبة لما يريد الباحث أن يتناول دراسة تاريخ التحولات الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع ما، خاصة لما يتعلق الأمر بضبط خطة الموضوع التي عادة ما يلجأ إليها الباحث خلالها إلى فصل كل محور على حدة سواء لجانب التاريخ السياسي، أو الجانب الاجتماعي أو الجانب الاقتصادي، والتي يمكن أن يفرد لكل محور دراسة لوحده، لكن أن يجمع ثلاث مواضيع أو أكثر في موضوع واحد فهو صعب جدا، لأنه لا يمكن فهم تطور مجتمع ما بفك هذه المحاور عن بعضها والتي تتشارك وتؤثر فيما بينها آليا، فالحدث التاريخي (السياسي) يؤثر مباشرة على الجانب الاقتصادي الذي بدوره يؤثر على سلوكيات الناس في التجاوب مع هذين الحدثين.

لذا فالمحاور الثلاث تسير جنبا إلى جنب في نفس الزمن وتتأثر ببعضها بصورة مباشرة، وبالتالي يقع الباحث في معضلة فك هذه المحاور التي تقتضيها الضرورة المنهجية، كما لا يمكنه في نفس الوقت تقديم الكل في سياق واحد متسلسل زمنيا، لأنه سيضطر لتقديم استطرادات كثيرة ومتكررة في عدة مواضع، والتي ستؤثر بدورها على سياق الموضوع إذا كانت في المتن، وبالتالي تشوش على القارئ فهم وحدة الموضوع، أو ستثقل كثيرا الهامش إذا لجأ إليه. كما أنه لا يمكن للباحث أن يقدم مزيجا من هذه المواضيع المتشابكة في سياق واحد متسلسل زمنيا، من خلال تقديم الموضوع بسطحية في شكل مسح عام، لأنه لا محالة سيرتك وراءه الكثير من علامات الاستفهام والغموض في عديد الأحداث، تصدم القارئ الأكاديمي المتخصص قبل غيره من القراء العاديين.

في الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ المشرف البروفيسور "صابر شريف خالد"، الذي أجهده معي في بناء هذا الموضوع وإخراجه بهذه الصورة من خلال عديد النصائح والتوجيهات المنهجية، أو لإرشاداته وإحالاته لي لبعض الكتب والدراسات المتخصصة في بعض الجوانب، دون إغفال عناية القراءة المتكررة لفصول هذه الرسالة، فله مني كل الشكر والامتنان، والحال نفسه كان مع الأستاذ د. "شاشوة كمال" الذي أشرف على البحث في فترة التبرص بفرنسا فله كل الشكر والامتنان. كما أتقدم بخالص الشكر وجزيل الامتنان لأعضاء لجنة المناقشة التي تكلمت بقبول قراءة هذا العمل، من أجل تقديم ملاحظاتها وتصويباتها عليه حتى يتم تدارك النقص الذي شابته، ويظهر هذا العمل بحلة مقبولة، سائلا الله أن يحفظ جميع أساتذتنا بموفور الصحة وطول العمر وحسن العمل، وراجيا من الله أن يتقبل هذا العمل بقبول حسن.

الفصل التمهيدى

الدراسات الغربية حول مجتمع الطوارق بين المعرفة والإيديولوجيا

- إهتمامات الباحثين الغربيين بمجتمعات قبائل الطوارق
- تزايد كثافة الكتاب الغربيين لمجتمعات قبائل الطوارق
- علم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا في حقل الطوارق الخصب
- المنطلقات والتوجهات الإيديولوجية في دراسات الطوارق
- الاتجاهات الفكرية في دراسة موضوع الطوارق
- الباحثون الأفارقة في صلب موضوع الطوارق

الفصل التمهيدي: الدراسات الغربية حول مجتمع الطوارق بين المعرفة والإيديولوجيا.

1- إهتمامات الباحثين الغربيين بمجتمعات قبائل الطوارق.

لقد نتج عن الحركة الاستعمارية الأوروبية في إفريقيا وما خلفته من إبادة واستغلال للشعوب، واستنزاف للثروات بشكل هائل، ظهور كتابات وأبحاث عديدة ومتنوعة تتناول دراسة تلك الشعوب المستعمرة في أدق تفاصيلها، سواء في أصولها وتاريخها، وهجراتها، ومواطن إقامتها، ونمط عيشها وعاداتها وتقاليدها... إلخ، وكان وراء مثل هذه الكتابات والأبحاث أول الأمر الضباط العسكريون، الذين يباشرون فعلهم الاستعماري على الأرض، في محاولة منهم ربما لفهم هذه الشعوب أو القبائل التي هي تحت قبضتهم، ثم من طرف رحالة مغامرون أو باحثون متخصصون رافقوا جنود الحاميات الاستعمارية في خضم توغلاتها وتوسعاتها نحو مناطق الداخل أكثر، لينقلوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم عن المجتمعات الإفريقية وتنوعها واختلافاتها وأماكن تواجدها.

وكان من بين هذه المجتمعات التي استقطبت إليها أنظار هؤلاء الكتاب والمغامرين والباحثين هي مجتمعات قبائل الطوارق، التي تنتشر على مساحات كبيرة في عمق الصحراء الشاسعة، لما تمتاز به من خصوصية المكان ونمط العيش زيادة على عاداتها وتقاليدها المتميزة عن باقي المجتمعات التي تجاورها، والتي كانوا قد قرؤوا عنها في كتب الرحالة والجغرافيين العرب والعجم من قبل، وأغرثهم في التعرف عليها عن قرب وتوفير معلومات أكثر مع تعدد الأغراض في ذلك، سواء الاستعمارية أو الاستكشافية أو لمشاريع بحثية وفق العلوم الحديثة التي ظهرت نهاية القرن 19م كعلم الأنثروبولوجيا بمختلف اختصاصاته أو علم الإثنولوجيا، أو اللسانيات... إلخ.

2-تزايد كثافة الكتاب الغربيين لمجتمعات قبائل الطوارق:

لقد حظيت مجتمعات الطوارق بدراسات عديدة ومتنوعة في الدراسات الغربية، التي أشارت وتناولت مختلف تفاصيلها، سواء من قبل الرحالة والمغامرين المستكشفين لإفريقيا خاصة خلال القرن 19م، أو من المبشرين أو من الإداريين والأطباء الاستعماريين خلال القرن 20م، والتي بقيت مستمرة إلى اليوم من طرف الأخصائيين الأنثروبولوجيين والإثنولوجيين، وقدمت كل هذه الدراسات بعض تاريخ هذه القبائل كما أنها أسهبت كثيرا في نقل عاداتهم وتقاليدهم.

ومن بين أوائل هؤلاء الكتاب قدما نجد؛ التاجر الجنوبي "أنتونيو مالفنت (ت 1450م) *Antonio Malfante* الذي قام برحلات في الصحراء ووصل إلى تمبكتو رفقة الطوارق في سنة 1447م، ثم الطبيب الأسكتلندي "مونجو بارك *Mungo Park*" الذي حاول الوصول لمدينة "تمبكتو" وتوفي دون تحقيق ذلك في سنة 1805م، ثم مواطنه الرحالة "جورج فرانسيس ليون *G. F. Lyon*" الذي ذكر في أخبار رحلاته في الشمال الإفريقي في سنة 1821م، أن طوارق جنوب منطقة تمبكتو لا يتبعون لا المسيحية ولا الإسلام، ثم رحلة العسكري الإنجليزي "ديكسون دنهام *Denham D.*" 1826م، الذي قدم أولى الصيغ لأحرف التيفناغ الـ 19 (الذي كان الدكتور "أودني *Oudney*" قد جمعها في سنة 1822م، رفيقهم في الرحلة مع "كلابرتون *Clapperton*" لكنه قضى في هذه الرحلة)، ثم رحلة الرائد الإنجليزي "ألكسندر غوردن لانغ *le major Laing*" والذي يعتبر أول أوربي دخل مدينة تمبكتو في سنة 1826م لكنه قتل من طرف قبائل البرابيش في نفس السنة.

ثم ولج الفرنسيون عالم المغامرة لداخل إفريقيا وتمكن المغامر "روني كايي *René Caillé*" من الوصول إلى تمبكتو أيضا عام 1828م، والذي هذب من رؤية الفرنسيين حول قبائل الطوارق التي كانت في مخيالهم خلال القرن 19م على أنهم يرهبون الشعوب السوداء، ثم توالى باحثون آخرون قاموا برحلات طويلة داخل إفريقيا وكتبوا عن قبائلها أمثال؛

"دافيدسون Davidson" (1835-1836م) و"ريتشاردسون Richardson" الذي سهل مهمة الدكتور "هنري بارث Heinrich Barth" (1849-1855م) عبر ليبيا (1845م)، والجنرال دوماس Daumas (1853م)، ثم قام الجنرال المهتم باللهجات البربرية "أدولف هانوتو Hanoteau A." بنشر قاموسه في محاولة لضبط قواعد لغة الطوارق "التاماشق" في سنة 1860م، (كما صدر في سنة 1862م بلندن قاموس لهجة "التماق" لصاحبه "ستانوب فريمان Stanhope Freeman" حاكم "لاغوس Lagos" والذي شغل سابقا نائب القنصل البريطاني في غدامس). ثم جاء المستكشف "هنري ديفاييري" (1864م) صاحب كتاب طوارق الشمال (كال أهقار وكال آجر) والذي يعتبر أهم مصدر عن الطوارق في منتصف القرن 19م وأول من كتب باستفاضة عن مجتمع قبائل الطوارق وتاريخهم مستندا على الروايات الشفوية التي حصلها، ثم الجيولوجي الألماني "أوسكار لانز Oskar Lenz" (1886م).

هذه الرحلات التي كان أهم روادها في الأول من الإنجليز ثم الألمان ثم لحق بهم الفرنسيون، كانت في خضم البحث عن الأسواق التجارية لتوريد بضائع دولهم الصناعية، ثم للمنافسة الاستعمارية ثانية، حيث توالى كتابات الضباط الفرنسيين أمثال النقيب "هنري بيسال H. Bissuel" الذي كتب عن طوارق الغرب (1888م)، وفي سنة 1893م ظهر قاموس الباحث "إيميل ماسكوري E. Masqueray" لشرح مفردات لهجة طوارق "التايطوق Taitoq" للفرنسية¹، ثم قاموس "Cid Kaoui" (1894م)، ثم كتابات العقيد "إدغار دو ترونينيان E. de Trentinian" (1896م)، ثم الملازم هورست le lieutenant de vaisseau Hourst (1898)، ثم كتاب "موريس بنهازييرة Maurice Benhazera" عن

¹ استعان كل من "ماسكوري" (مدير مدرسة الآداب حينها) والنقيب "بيسال" (قائد المكتب العربي) في إصدار مؤلفيهما، على 7 مساجين من الطوارق لما تم القبض عليهم على إثر غزوتهم الفاشلة على قبائل الشعابنة في سنة 1887م، ثم نقلتهم السلطات الفرنسية لسجن الجزائر، وتعتبر المرة الأولى التي يستعان فيها على مساجين في ظهور أعمال أدبية، كما أن خارطة بيسال حول منطقة الأهننت Ahnet، صححها له السجين "تاشا أق سرادا Tachcha ag Ser-ada" وهي الخارطة التي ستكون المرجع في كل رسم الخرائط بعدها، كما تجدر الإشارة أن أحد هؤلاء المساجين هو من قضى على المستكشف "كرامبل Crampel" لما أراد الاستعانة به كمرشد ودليل في الصحراء. أنظر للمزيد: E. F. Gautier : «Le

طوارق الأهقار (1908م) والذي يعتبر ثاني مصدر مهم معاصر عن كمال أهقار بعد كتاب "ديفايري"، ثم كتابات الملازم "كامي-شارل جون *Jean C.*" حول طوارق الجنوب الشرقي للأبير (1909م)، والنقيب "موريس كورتيري *Maurice Cortier*" (1908م)، ثم النقيب "أيمار *Aymard*" (1911م)، ثم كتابات الإداري الاستعماري "موريس دلافوس *Maurice Delafosse*" وأهمها هنا كتابه "أعالي السنغال والنيجر 3 ج." (1912م).

كما نجد الكتابات المهمة حول طوارق ثنية تمبكتو للعقيد "مونجو *Mangeot*" و"بول مارتي *Paul Marty*" □ (1918م)، ثم كتابات بول مارتي المهمة عن الإسلام عند القبائل السودانية وطوارق كمال أنصار (1920م)، ثم كتابات المستشرق الفرنسي "موتيلانسكي *Adolphe de Calassanti Motylinski*" الذي صاحب الراهب دوفوكو في تماراست، وقام بترجمة العديد من أشعار الطوارق للفرنسية ظهرت في سنة 1922م بعد أن توفي هو في سنة 1907م، هذا دون أن ننسى القاموس الكبير في أربعة أجزاء الذي قام به القس "شارل دو فوكو *Charles de Foucauld*" لترجمة مفردات ومعاني لهجة الطوارق إلى الفرنسية والتي ظهرت سنة 1951-1952م بعد أن قتل هو في سنة 1916م من طرف الطوارق في تماراست.

ثم جاءت كتابات الطبيب الدكتور "آنج ريشر *A. Richer*" (1924م)، وكتاب "جون ستيفانيني *Jean Stéfanini*" عن الطوارق في كتابه "في بلاد أنتينيا" (1926م)، ثم رحلة الجنرال البريطاني للصحراء "فرانسيس رود *Francis Rodd*" وكتابه عن الطوارق "أهل اللثام" (1926م)، ثم كتاب "إيميل ستينلبر أوبرلان *E. Steinilber-Oberlin*" عن طوارق الأهقار في سنة (1934م)، وكتابات "فارفيال *M. Vervialle*" عن طوارق الأزجر (1952م)... إلى غيرها من كتابات الضباط العسكريين والمدنيين خلال الحقبة الاستعمارية.

زيادة لهذه الكتابات حول الطوارق تجب الإشارة لمئات تقارير المهمات التي حررها إداريون إستعماريون من أمثال؛ "سولي *Soulié*" (1942م)، "جون لوكوانتر *Lecointre J.*

حول طوارق الهقار (1953م)، "شابال *Chapelle J.*" (1957م)، "فالي *Vallet M.*" (1961م)، و"جون بوتتي *Jeanne-René Pottier*" (1946م)، وكتابات "مورال *M. H. Morel*" حول طوارق الأهقار (1947م) ... إلخ. ثم تأتي بعدها الكتابات التي ظهرت في منتصف القرن العشرين والتي كان أصحابها مستكشفين ومختصين قاموا بدراسات أكثر عمقا وفي مقدمتهم "هنري لوت *Henri Lhote*" المختص فيما قبل التاريخ، كما نجد الكتابات العديدة لعالم الجغرافيا والإثنولوجيا "إيميل فليكس غوتيي *E. F. Gautier*" (1928م)، وكذلك كتابات "فرانسيس نيكولا *F. Nicolas*" حول طوارق الإيوليمدن (1950م)، وكتابات الملازم "غاردا *G. Gardel*" حول طوارق الأجر (1961م)، بالإضافة لأبحاث "نيكوليزن *J. Nicolaisen*" (1961م) ساهمت جميعها في كتابة تاريخ وثقافة الطوارق في مختلف الأماكن.

3- علم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا في حقل الطوارق الخصب:

كان ينطلق علم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا خاصة من أن الشعوب المستعمرة هي شعوب ومجتمعات بدائية ولا تاريخ لها، وأن ثقافتها تعتبر في مرحلة الطفولة أو أدنى من ذلك بالنظر للتطور الذي عرفته الإنسانية، وبالتالي يجب مرافقة هذه الثقافة والعمل على الارتقاء بها. ظهر علم الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) وعلم الإثنولوجيا (علم الأعراق) خلال القرن التاسع عشر تزامنا والحركة الاستعمارية الامبريالية¹، وعرفا تطورا أكثر مع نهاية هذا القرن لما فتحت أقسام خاصة لهما بالجامعات الإنجليزية والفرنسية خاصة، وتعددت الاختصاصات فيهما التي تهتم بكل جوانب قيم الإنسان ومكتسباته، سواء الأصول، الثقافات، المعتقدات، اللغات... إلخ، لفهم سلوك المجتمعات في الماضي والحاضر، وربما

¹ إذا كان علم الجغرافيا يستخدم بغرض صنع الحروب، والتاريخ يخدم السلطة، فالأنثروبولوجيا هي بنت الأمبريالية، (...) وأصبحت الأنثروبولوجيا عاملا مهما في صراع قوى الاستعمار الجديد. أنظر للمزيد: Jean-Loup Amselle: «L'anthropologie, ça sert à qui ?». C.E.A., Vol. 17, N° 68, 1977. pp. 633-637

كان لرواج هذين العلمين نهاية القرن 19م، هو ما حفز ظهور الكتابات والأبحاث المهمة بمجتمعات الطوارق في مختلف جوانبها وأدق تفاصيلها.

لقد كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية اختصاص بريطاني-أمريكي أهم روادها هم (رادكلايف براون *Radcliffe-Brown*، فيرث *Firth*، إيفانس بريتشارد *Evans-Pritchard*، ميردوك *Murdock*... إلخ)، لكن يعود الفضل للباحث الدانماركي "جون نيكوليزن *Nicolaisen J.*" الذي يعتبر أول من اعتمد على إسهامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية-الأمريكية في كتابه "بيئة وثقافة الطوارق الرحل *Ecology and culture of the pastoral Tuareg* (1963م)" حينما أخرج دراسات الطوارق من البحوث الوصفية إلى دراسة مقارنة المقارنة (بين طوارق الأهقار والأبيير)، ويعتبر أول من اعتمد على هذه المقاربة "المقارنة" التي سيعتمدها الباحثون لاحقاً، ولو أنها بدأت في الكتابات الأنجلوفونية منذ 1960م لما اعتمد عليها الباحث الأمريكي "بريغس *Briggs L.*" في حوصلته المقارنة للشعوب الصحراوية "*Tribes of the Sahara* (1960م)"¹.

كانت تتخلل هذه الأبحاث مجموعة من الدراسات المتخصصة، ومنها المهمة بالشؤون الطبية، فمنذ سنة 1906م كان يقوم بعض الأطباء الضباط الذين يتقلون مع الحملات العسكرية ومراكز إقامة الجنود في الجنوب الجزائري بتسجيل ملاحظاتهم حول الحياة الصحية للأهالي، وبدأت أولى كتاباتهم تظهر منذ سنة 1923م في دورية أرشيف معهد باستور الجزائري *A.I.P.A.* في شكل مقالات تتحدث عن الطب التقليدي للأهالي، والتي منها عند الطوارق بالخصوص، ومن بين هؤلاء الأطباء نجد؛ "فرمال *P. Vermale*" (1926م)، و"فولاي *H. Foley*" (1930م)، و"هيمن *J. Humann*" (1933م)، الذين

¹ Chaker S. et Gast M. : «Les études Touarègue : les grandes tendances de la recherche» In «**Études Touarègues**, bilan des recherches en sciences sociales». Travaux et documents de l'IREMAM, N° 5, Aix-en-Provence, 1988, p. 15

اهتموا بتوصيف وتفسير الأمراض المختلفة عند الأهالي وتقاليد الطب التقليدي عندهم ونظرتهم هم في معالجة هذه الأمراض وفق نظرة أنثروبولوجية غربية متحيزة¹.

إلى جانب هذه الانثروبولوجية الطبية هناك دراسات في الانثروبولوجية البيولوجية (علم الأحياء)، الجسدية أو العرقية انطلقت من أوساط طبية كولونيلية منذ مطلع القرن 20م في أقاليم الطوارق، واهتمت هذه الأنثروبولوجيا بالأساس حول تحديد نسب الشعوب، وإيجاد آثار طريق هجرتها الأولى حتى تصل إلى موطن نشأتها الأول، ومن أهم الكتاب في هذا الشأن نجد؛ "زنتر *Fr. de Zeltner*" (1915م)، و"فرنو *R. Verneau*" (1916م)، الذين أكدوا أن الطوارق لا يشكلون وحدة إثنية متجانسة، ووجب دراسة طبقة الأشراف التي تتحصن بشدة وراء زواج الأقارب، لإيجاد الصفات المميزة لهذه المجموعة النموذجية، من خلال قياس مؤشرات وخصائص البنية الجسدية للرؤساء النبلاء، رغم الاعتراف بوجود درجات من الاختلاط والهجانة بين الطبقات، ولكن درجة نقاوة كل مجموعة هي التي تحدد درجة النبل بين القبائل وبالتالي رتبها في السلم الاجتماعي، وتابع مثل هذه الدراسة الأنثروبولوجية كل من "كابو بريغس *L. Cabot-Briggs*" (1955م)، ثم جاء بعده "لوبلان *M. E. Leblanc*"، و"بارجرو *J. Bergerot*"، و"هنري لوت *H. Lhote*"، و"كوسوفيتش *N. Cossovitch*"... الخ²، لكن هذه الدراسات الأنثروبولوجية التصنيفية (النمطية) تم إهمالها فيما بعد لظهور معطيات جديدة في الأنثروبولوجيا البيولوجية (الأحيائية) باكتشاف علم الجينات الوراثية، لتظهر ما تعرف بالأنثروبولوجيا الوراثية³.

¹ Jacques Hureiki : *Essai sur les origines des Touaregs*. Karthala, Paris, 2003, p. 36

² Hureiki J. : Op. Cit., p. 37

³ منذ الفترة الاستعمارية كان مركز البحث في أمراض الدم (Hémotypologie) التابع لـ CNRS يجري أبحاثه في المناطق الصحراوية، وقام بزيارة عدة مناطق ومرتفعات في الصحراء الوسطى منها (الأبيير 1959م، الهقار 1964م، الهقار/الأجر 1965م، الأبيير 1969م، مالي 1971م) وتمت معالجة أزيد من 1000 عينة دم لبدو الطوارق. أنظر للمزيد: Philippe Lefèvre-Witier, Jacques Ruffié: «Notes sur l'hétérogénéité biologique des touaregs».

ROMM, N°11, 1972, pp. 99-105

لقد ظهرت هناك أعمال أصيلة في "الأنثروبولوجيا البيولوجية وبنية الجسم *Anthropologie physique et biologique*" وفق البرنامج "الفرانكو-جزائري" منذ سنة 1976م، يهتم ببيولوجيا سكان الصحراء¹، تحت إشراف (د. بنعباجي *Benabadji* وفليب لوفافر *Lefevre-Witier*) مع أبحاث "شافونترى *Chaventré*"². ورغم تطورات الأنثروبولوجيا العلمية ظل السؤال القديم مطروحا لمعرفة ما هي درجة التماثل أو التشابه بين الشعوب المعاصرة والتي كانت قديما؟، كما أن دراسات العزل للطوارق التي بدأها المختص في الديموغرافيا "أندري شافونترى *A. Chaventré*" عند طوارق "كال كيمر *Kel Kummer*" بمالي منذ سنة 1971م وتحت إشراف "ألبار جاكارد *Albert Jacquard*"، وتواصلت مع الباحث "ديالو *M. Diallo*" في سنة 1976م على قبائل طوارق "التتغيرغيف *Tinguéréguif*" ببنية نهر النيجر لصالح مركز الجينات الوراثية *I.N.E.D.* وتحت إشراف "ألبار جاكارد" دائما، ووصلت لذروتها في الكتاب الذي ظهر في سنة 1996م لصاحبه الطبيب البروفيسور "فيليب لوفافر-ويتيري *Philippe Lefèvre-Witier*"، حول بيولوجيا مجتمع "إدلس *Idelès*" بالهقار³.

لقد استفادت هذه الدراسات بتطور الأبحاث العلمية في علم الجينات الوراثية أو ما يعرف بالخريطة الوراثية لـ *ADN*، هذه العقلانية العلمية المهمة والتحقيقات الجينية المتتابة للمساهمة في تجزئة الشعوب دائما كان هدفها هو إيجاد أو تأكيد بان التراث الجيني لعينة مستخلصة من نبلاء الطوارق، لها انعكاسها في أصول الأجداد القدامى. فلقد استفادت هذه الأنثروبولوجيا الوراثية من الفراغ الذي خلفه عدم وجود دراسات تاريخية حول ثقافة الطوارق،

¹ Philippe Lefèvre-Witier : «Quelques aspects de l'anthropobiologie au Sahara». **ROMM**, N°12, 1972, pp. 63-68

² Chaker S. et Gast M. : Op. Cit., p. 16

³ كانت أبحاثه ضمن مشروع تحضير شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجية البيولوجية التي ناقشها في سنة 1982م في جامعة تولوز، وبدأ أخذ عينات أمصال الدم من طوارق منطقة إدلس منذ سنة 1971م في عديد المرات إضافة لمقابلات واستجابات حول التركيبة السكانية للعائلات، بغرض الوصول لتحديد العرق والنوع الإنساني. أنظر للمزيد: Philippe Lefèvre-Witier : **Idelès du Hoggar, Biologie et écologie d'une communauté saharienne**. Ed. CNRS., Paris, 1996, 272p.

لكن ولعدم وجود علامات جينية مميزة لهؤلاء الطوارق بالنسبة لعرق محدد سلفا وضع حدا لهذه الأنثروبولوجيا، لتفسح المجال للأنثروبولوجيا الثقافية في أن تعوضها بشكل أحسن والتي لها علاقة بالتاريخ والبحث في أصول ثقافة الطوارق الحالية.

أما فيما يخص الإثنولوجيون¹ (علم الأعراق البشرية) المعاصرون، فنجد كتابات "مارسو غاست *Marceau Gast*" منذ سنة 1960م لما كان يحضر أطروحته للدكتوراه حول غذاء الطوارق، كما أشار للتأثير العربي الاسلامي على طوارق الأهقار بعدها، وعديد كتابات "توريس *H. T. Norris*" (1975م) حول الإرث الإسلامي للطوارق ونشره في الساحل وتعريب ثقافة الصحراء، وكذلك أعمال الجغرافي "إيمون برنيس *Edmond Bernus*" سنوات الستينات حول طوارق النيجر، ووصفا لمختلف الأمراض والعلاجات ومختلف مواطن القبائل، وكتابات "كينان *J. Keenan*" (1977م)، الذي قدم خلاصة تاريخية عن مجموع ما كتب في موضوع اللثام ووظيفته لدى الطوارق، ثم كتابات "جيانين *Jeannine Drouin*" (1979م) التي حاولت تلخيص مختلف الروايات الخارقة للعادة (ما وراء الطبيعة يعني؛ العين، الحسد، السحر...) الممثلة لمجتمع الطوارق.

ثم نجد كتابات "أندري بورجو *André Bourgeot*" منذ ستينات القرن 20م، والذي اهتم بالتنظيم الطبقي عند الطوارق، وظاهرة اللثام، والمعتقدات التي لها علاقة بكسوف الشمس وخاصة بطوارق مالي، ثم نجد كتابات الباحثة "هيلين كلودو *Hélène Claudot-Hawad*" منذ فترة الثمانينات والمهتمة بتحديد قيم الهوية للطوارق المنفيين، واللاجئين، الذين سلبت ثقافتهم، وتنشيط المقاومة الثقافية الخاصة بهم ضد التحديات الجديدة للعولمة،

¹ في الدراسات الأولى لم يكن علم الإثنولوجيا فرعا من فروع المعرفة القائمة بذاتها في كامل أوربا، لكن بحلول الثلاثينات من القرن العشرين بدأت الاهتمام بهذا العلم خاصة بعد فتح متحف الإنسان بباريس في سنة 1937م، وللدراسات التي أقامها الباحث "هنري لوت *Lhote H.*" ونشاطه بدأ يظهر جيل من الباحثين أكثر جدية وانضباطا في هذا المجال، ونتج عنها إنشاء مراكز متخصصة وأقطاب علمية مثل؛ "المعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء *IFAN*" بداكار، و"معهد البحوث الصحراوية *IRS*" بالجزائر، ساهمت في بعث هذه الأبحاث أكثر. ومراكز نشطت أكثر في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية مثل؛ "المركز الوطني للبحث العلمي *CNRS*" (1939)، و"ديوان البحث العلمي والتقني لما وراء البحار *ORSTOM*" (1944م) الذي خلف "ديوان البحث العلمي الكولونيالي *ORSC*" (1943م) الذين قدموا إهتماما كبيرا لدراسات مجتمعات الطوارق. أنظر للمزيد: Chaker S. et Gast M. : Op. Cit., p. 15

ثم كتابات "دومينيك كازاجيس *Dominique Casajus*" منذ الثمانينات حول عديد طقوس الحياة اليومية، وأسهب على أهمية موضوع الجن في حياة الطوارق، وكذلك كتابات "راسموسن *S. Rasmussen*" حول مختلف المواد الإثنوغرافية، وكتابات "بيار بونتي *Bonté P.*" منذ السبعينات حول طوارق النيجر.

ثم كتابات الطبيب العقلي والنفسي "جاك هيريكي *Jacque Hureiki*" منذ سنة 2000م، الذي يستند في أبحاثه العرقية النفسية على التألف الثقافي من أجل فهم مسارات الهويات المؤلمة، عمل خاصة على طوارق منطقة تمبكتو، كتب عن الطب التقليدي للطوارق ونال الدكتوراه في الإثنولوجيا في سنة 2002م عن أصول قبائل الطوارق منطقة تمبكتو (الثقافة التفسيرية أو التأويلية) رجع خلالها لتحليل مختلف المصادر العربية التي تكلمت عن هجرة القبائل واستيطانها لشمال إفريقيا ومقارنتها بالروايات الشفوية¹.

وعالج "هيريكي *Hureiki J.*" في إشكالية بحثه: "التجانس الظاهري لثقافة الطوارق تخفي عدم التجانس في داخلها والتي تمس عديد الجوانب، كالأصول الجغرافية، عادات اللباس، المعتقدات الدينية، الصناعات التقليدية، وضعية المرأة، اللهجات، تقييم أحرف التيفيناغ أو لا... إلخ. والتي يمكن تقسيمها لثلاث مركبات من شعوب الطوارق وليس طبقات إجتماعية. بحسب الأصل عبر الروايات الشفوية وبحسب الملامح الثقافية، وهذه الثلاث مركبات هي؛ الفرسان المحاربون (الإيموشار)، وكال إنصار، والأشراف، تشكل كلها هوية مختلفة عن الأخرى لعل أهم عنصر يجمعها هي لغة التاماشاغ المختلفة اللهجات هي الأخرى بحسب المناطق، كما يلاحظ ضعف روابط الاتحاد فيما بينها، ويعتبر أن الفرسان المحاربون هم وحدهم من يحق تسميتهم الطوارق فقط².

¹ Hureiki J. : Op. cit., 766 p.

² Ibid., p. 28

4- المنطلقات والتوجهات الأيديولوجية في دراسات الطوارق:

لقد كانت نظرة الغربيين وخاصة الفرنسيين منهم للطوارق نظرة دونية محتقرة ظهرت في عديد كتاباتهم الأولى عنهم، والتي تناقلوها فيما بينهم خاصة لما يُعرفونهم فهم يكادون يشتركون بهذا التعريف: "الطوارق المعروفون بهذا الإسم نسبة للتسمية التي أطلقها عليهم العرب، ويسمون أنفسهم هم؛ الإيموشار، أو الإيموهار، أو الإيموهاك بحسب لهجات وأماكن تواجدهم،... أما طوارق الأزجر والأهقار فيدعون بـ الإيموهار *Imohar* من الفعل "أوهار *ohar*" (أي سلب وغزى)، وهذا الإسم يعني "الصوص أو الغازون"، لكنهم لم يستطيعوا تغيير تسميتهم القديمة لهم"، هذا المصطلح "الصوص" ورد ذكره في كتابات كل من "هانوتو *Hanoteau*" و"ديفايري *Duveyrier*" و"ماسكُري *Masqueray*" وحتى "دوفوكو *Foucauld Ch. de*" ثم نقله عنهم معظم الكتاب العسكريون في أوائل القرن العشرين ولحقهم آخرون.

كما يلاحظ أنهم دائما ما يشيرون لعداوتهم مع جيرانهم خاصة العرب منهم، سواء من الشعامبة و"أولاد باجودة" أو "باحمو" في التديكلت ومعظم القبائل التي تتضوي تحتهم، أو مع قبائل الكنتة في توات أيضا، فدائما ما يشير مثلا "لابيرين *Laperrine*" للعدواة بين الطوارق والعرب واصفا إياهم "بأن العرب هم الأعداء اللدودون للطوارق، وهؤلاء دائما ما يصرحون بأنهم يسمحون بأن يخضعوا للفرنسيين شرط أن لا يكون العرب وسطاء (أو قادة) بينهم وبين الفرنسيين"¹، في محاولة لتكريس هذا العداء والإبقاء عليه خدمة لمصالحهم الخاصة في تثبيت الاستعمار في المنطقة أولا ثم لأهداف التفرقة ثانيا. ولو أن الطوارق يقصدون بهذا الحديث مناوئهم من الشعامبة خاصة، لكن "لابيرين" أطلقها على عمومها

¹ SHAT., Carton 1H1036, Rapport du Chef d'Escadron Laperrine Commandant Militaire des Oasis Sahariennes sur sa tournée dans le sud de l'annexe du Tidikelt du 14 mars au 3 juillet 1904, Adrar, le 23 juillet 1904, 43 p.

لحاجة في نفسه، حيث نقل عنهم في تقريره قولهم بأفواههم مع كثيرين: "إن هؤلاء الناس (الفرنسيين) أقرب إلينا من العرب ويمكننا استيعابهم بسهولة"¹.

كما أن هناك عديد الدراسات التي اهتمت بأصول قبائل الطوارق منطلقاً من أصول عادات وتقاليد هذه القبائل الموغلة في عمق الصحراء، ومقارنتها بعادات وتقاليد الشعوب التي تماثلها في القديم أو الحديث، لأسباب قد تكون ربما سياسية أو دينية أو عرقية، وظهرت عدة أطروحات لنسبة أصولهم بحسب الغرض الإيديولوجي أو الديني أو العرقي، مثل ما هي عليه كتابات جمعيات قدماء المحاربين (الذين يحنون دوماً للعودة للصحراء والحياة بها خاصة عندما كانوا يقودون عشرات ومئات جنود فرق المهاري، ويجوبون كامل الصحراء في سيادة تامة) منطلقين من الميزات والخصائص الجسدية والسلوكية وكذا الصناعات التقليدية المشتركة لدى الطوارق، حريصون في البحث عن الجد المشترك الذي هاجر من منطقة القوقاز قبل الميلاد إلى شمال إفريقيا ربما.

لنتطور أفكارهم وأوهامهم للبحث عن آثار الصليبيين المفقودين في الصحراء، أو من خلال إيجاد عوامل مشتركة من معتقدات الطوارق وطوائف المعابد السرية التي انتشرت في الغرب وعاداتها غير الطبيعية، التي قد يحتفظ الطوارق ببعضها ربما من خلال ظاهرة اللثام وبعض صناعاتهم التقليدية (صليب أغداس)، أو من خلال انعزالهم في العالم الإفريقي الأسود، أو وضعيتهم الدينية والثقافية الخاصة في العالم الإسلامي، فهم يتوهمون أنه ربما يكون هؤلاء الطوارق، من تبقى من معتنقي دين قديم مشترك كان موجوداً على هامش الديانات الموحدة الثلاث الأخرى، فاللباس، وسيوف الطوارق ومعرفتهم بالنجوم ما يدل على بقاء معتقدات قديمة والموجودة حتى الآن عند طوائف سرية من خلال عبادة الكواكب،

¹ SHAT., Carton 1H1036, Op. Cit., 43p.

فارتداء العباءة وحمل السيف يجتمعان في معبد نجمي أو كوكبي (معبد شمسي أو قمري) حسب تفسيراتهم الغامضة الخاصة¹.

كما يمكن ملاحظة الغرض السياسي-الثقافي أيضا الذي له دور في أبحاث أصول الطوارق، خاصة فيما تعلق بجمع شتات اليهود عبر العالم، كما كان مع قبائل الفلاشة في إثيوبيا ذوي الأصول اليهودية، وتم مباشرة عديد الأبحاث الوراثية من طرف عديد مخابر البحث الأوروبية منذ سنة 1970م، فعديد الأبحاث الأنثروبولوجية في مرفولوجية البدن هي أبحاث وراثية خفية وسرية جدا قام بها الطبيب الباحث "فيليب لوفافر وبيتي Lefèvre-Witier Ph." في منطقة إدلس بالهقار حول قبائل "الإيسقمارن Issakamaren"، والباحث "أندري شافونترى A. Chaventré" حول قبائل كال كيمر Kel Kummer في مالي².

فقد حاول "الكيان الصهيوني" عقب مقاطعته من طرف الدول الإفريقية إيجاد مدخل آخر لدعم قضيته، من خلال البحث عن أعراق اليهود في مختلف القبائل الإفريقية عبر عديد البحوث الأنثروبولوجية الوراثية، لكن أفادت مختلف عينات أمصال الدم المأخوذة من عديد قبائل الطوارق (كال كيمر في مالي)، (الإيسقمارن في الجزائر)، (كال نان في النيجر) عن عدم وجود أي علاقة أو رابطة لهؤلاء مع يهود اليمن المرشحين لإسرائيل، ومع هذا بقيت هذه الأبحاث المدعمة جدا متواصلة على أمل إيجاد فرع أو قبيلة تعود في أصولها لإحدى

¹ منذ سنة 1947م تأسست في باريس جمعية "تاكوبا Takouba" (إسم السيف الطارقي) كإحدى جمعيات صحراءية بباريس، التي تزامن ظهورها مع جمعية "الراحلة" في الجزائر، برئاسة "روبير ديسو Robert Desseaux" (صاحب ضابط في حامية الهقار)، لوسيان شوفيار Lucien Chevillard كأمين عام لها، جون إيفي لوقران Jean Huvey-Legrand، التي قد ضمت الكثير من الضباط من الضباط الإداريين، نشرت العديد من المقالات في مجلة "صليب الجنوب Croix du Sud" تدعم هذا الطرح. انظر للمزيد: Appel aux Sahariens, Le Saharien, N° 41, 1966, pp. 3-5 ; Hureiki J. : Op. cit., pp. 24-25 ; Nabal A. : «

² Philippe Lefèvre-Witier : Idelès du Hoggar, Biologie et écologie d'une communauté saharienne, Ed. CNRS, Paris, 1996, 272p.

قبائل لليهود¹. كما أجرى باحثون ميدانيون يدينون سواء بالديانة اليهودية أو غيرها، أبحاثا في مقارنة عادات وتقاليد الطوارق مع أولئك المذكورين في العهد القديم².

5-الاتجاهات الفكرية في دراسة موضوع الطوارق:

تظهر عديد الدراسات المتخصصة -لأكاديميين الفرنسيين خصوصا- حول موضوع قبائل الطوارق، اختلاف وجهات النظر الموجودة بين الباحثين في طريقة تناوله وتعاطيه سياسيا، والتي ستبقى كثيفة في معرفة الشعب الطارقي، خاصة في العقود الأخيرة التي كانت قد ساهمت في تكوين على الأقل ثلاثة اتجاهات مختلفة، عبرت في البداية عن آراء بعض كاتبها فقط، لتجد من يتبنى هذا الرأي من عديد المهتمين بالموضوع بعدها.

الاتجاه الأول: الطوارق وأنصار الصحراء الفرنسية:

يمثل أنصار هذا الاتجاه ما يعرف بـ "الصحراويين القدماء *Les anciens Sahariens*" من فئة قدماء ضباط الجيش والإداريين الاستعماريين والمستكشفين، الذين عملوا في منطقة إفريقيا الغربية الفرنسية *A.O.F.* أو في المنظمة المشتركة للأقاليم

¹ كما عمل على دعم الحركات الانقلابية والانفصالية في الدول الإفريقية المستقلة حديثا لكسب مؤيدين له، وهو حال القائد الحالي للحركة الانفصالية في نيجيريا "نامدي كانو Nnamdi Kanu"، -وحركة "شعوب بيافرا الأصلية IPOB" التي كانت قد أدخلت الجيش النيجيري في عدة مواجهات دامية مع أتباع هذه الحركة في الفترة بين سنتي 1967-1970م، والتي أودت بمليون قتيل حتى استسلم جيش بيافرا في سنة 1970م-، الذي ظهر مؤخرا في دولة الكيان (في القدس) بتاريخ الجمعة 19-10-2018م بعد غياب عن الأنظار لمدة سنة كاملة، بلباس يهودي قرب حائط المكي (ملحفة الصلاة البيضاء وقبعة رأس وهو يؤدي الصلاة في شريط فيديو مصور)، وكانت السلطات النيجيرية قد اعتقلته في أكتوبر 2015م متهمة إياه بالخيانة العظمى، وخرج بكفالة في شهر أبريل 2017م ولكنه لم يمثل أمام المحكمة، ليختفي عن الأنظار منذ سبتمبر 2017م. مع العلم أن "نامدي كانو" كان تاجرا بالعقارات في لندن ببريطانيا، وكانت هذه الحركة ولا تزال تطالب بإنشاء دولة مستقلة لقبائل "الإيغبو Igbo" في جنوب شرق نيجيريا، الإقليم الأكثر ثراء في نيجيريا خاصة من المواد الطاقوية، هذا وكان "نامدي كانو" قد صرح سابقا أن قبائل "الإيغبو Igbo" تنحدر أصولها من قبيلة إسرائيلية مفقودة، وأن مهمته بأن يعود بهم إلى أرض "بيافرا الموعودة؟". أنظر للمزيد: Seun Opejobi : «Biafra : Nnamdi Kanu resurfaces, video/photos», Journal of **Daily Post**, published on October 19 2018, http://dailypost.ng/2018/10/19/biafra-nnamdi-kanu-resurfaces-video-photos/?fbclid=IwAR0-L21y_OsRJ0KqfPW3MLKp5rvkWcdJqldZviVpB6-d_9mnnUOUjppjGc30 consulted on October 20 2018; Abisola Olasupo: «IPOB leader Nnamdi Kanu spotted in Jerusalem», Journal of **The Guardian**, published on October 19 2018, <https://guardian.ng/news/ipob-leader-nnamdi-kanu-spotted-in-jerusalem/>, consulted on October 20 2018.

² Marceau Gast : «Les sandales du «cousin croisé» chez la mariée Touarègue et la loi rabbinique », 1982, pp. 69-79 Citant «Communautés Juives des marges sahariennes du Maghreb», Ed. Michel Abitbol, Institut Ben-Zvi, Jérusalem, 1982, 501p

الصحراوية O.C.R.S. (التي تم إنشاؤها في سنة 1957م)، والذين كانوا ينشطون وفق جمعية "أصدقاء الصحراء Amis du Sahara"¹، هؤلاء الذين بقيت وجدانهم تحن إلى هذه المناطق الصحراوية والقبائل الطارقية على الرغم من مرور عقود من الزمن من خروجهم منها بنيل تلك الدول لاستقلالها. ولسان حال هذا الاتجاه حاليا تمثله على الخصوص جمعية "الراحلة RAHLA" بعد اندماجهما²، (ينتمي إليها معظم الباحثين الجامعيين المهتمين بشؤون الصحراء)³ والتي تصدر مجلة دورية تحت إسم "الصحراوي Le Saharien"⁴،

¹ تأسست جمعية "أصدقاء الصحراء Amis du Sahara" بالجزائر منذ أبريل 1927م، بدعم من الوالي العام للجزائر "موريس فيولات Viollette M. وزوجته، وبرئاسة مدير ديوانه الجنرال "أوكتاف ماينيي Meynier O.، افتتحت رالي السيارات البحر المتوسط-النيجر منذ سنة 1930م عبر الأهقار وصحراء التنزروفت بعدد 60 سيارة، بهدف التعريف بالصحراء، وكانت تصدر نشريتها الدورية باسم مجلة "أورافريك EurAfrique" مجلة فصلية، صدر عددها الأول في أبريل 1951م لدعم السياحة في إفريقيا عن طريق المساهمة في تنفيذ مشروع "رالي السيارات من البحر الأبيض المتوسط إلى منطقة الكاب Rallye auto Méditerranée-le Cap" رفقة الجمعية الدولية لنوادي السيارات المعترف بها (A.I.A.C.R.)، تجسيدا لقرارات المؤتمرات الإفريقية لـ "التحالف الدولي للسياحة A.I.T." (الأول بالكونغو البلجيكي 1938م، والثاني بالجزائر 1947م، والثالث بنينرويبي 1949م)، وذلك من خلال "تجميع ونشر كل المعلومات المهمة لتنفيذ السفر في الصحراء والعبور للصحراء"، وساهمت في إنجاح 5 راليات من الجزائر إلى الرأس منذ سنة 1951م، والتي كانت تنظم كل سنتين بعدها، لتتوقف سنة 1961م للأحداث التي عرفتها بعض الدول خاصة في الكونغو-ليوبولد فيل. أنظر للمزيد: Meynier O. (Général): «Manifeste pour la Revue générale d'action Africaine EURAFRIQUE», EurAfrique, N°1, avril 1951, pp. 6-12 ; Nabal N. : «Rappel», EurAfrique, N°32, avril 1963, pp. 3-8 ; Nabal A. : "L'Association des Amis du Sahara", Le Saharien, N° 37, 1964, pp. 1-3

² تأسست جمعية الراحلة في 20 مارس 1946م في الجزائر من طرف القائد "ليون لوهورو Léon Lehuraux" مدير أقاليم الجنوب، وعديد العسكريين أمثال؛ الملازم الأول "بوشي فيرات Bouchet-Virette"، والقائد "بارج Berge"، وسكوتو Scotto وإداريين أمثال؛ "بول كورت Paul Cortes، ميشال كوشي Michel Cochet، إيمي بالداسي Aimé Baldacci... إلخ" لتندمج مع جمعية "أصدقاء الصحراء Amis du Sahara" بتاريخ 22 نوفمبر 1963م في جمعية "الراحلة La Rahla" (ودادية الصحراويين Amicale des Sahariens) مقرها باريس Paris، ضم مجلس إدارتها ضباط وإداريين استعماريين ودكاترة باحثين، وذلك بعد أن تعذر عليهم العمل كجمعيات فرنسية داخل التراب الجزائري ورفض تحويلها لجمعيات جزائرية تخضع للقوانين الجزائرية. وفي سنة 1966م انضمت إليها جمعية "تاكوبا Takouba" أيضا. أنظر للمزيد: Nabal A. : «La Nouvelle Rahla, situation et projets», Le Saharien, N° 39, 1965, p. 1-2 ; Nabal A. : «Appel aux Sahariens», Le Saharien, N° 41, 1966, pp. 3-5

³ Hélène Claudot-Hawad : «Anthropologie Sociale». A.A.N., 1995, T. 34 p. 858

⁴ بعد اندماج الجمعيتين تم تغيير اسم المجلة من "أورافريك EurAfrique" (الذي بقي لمدة 14 سنة) إلى مجلة "الصحراوي Le Saharien" مع بقائها فصلية، ونقلت مقرها من الجزائر العاصمة إلى باريس، ومنذ وفاة رئيسها الجنرال "ماينيي Meynier" في سنة 1961م خلفه النقيب "ألبار نابار Albert Nabar"، مع بقاء اهتماماتها بالسياحة والرياضة والاقتصاد والثقافة. أنظر للمزيد: Nabal A. : «à propos de l'EURAFRIQUE», Le Saharien, N° 38, 1965, pp. 1-3

تتحدث مقالاتها في معظمها عن الطوارق والصحراء على العموم¹، واتجاههم في هذا هو أن فرنسا لم تستطع أن تكمل رسالتها الحضارية جراء استقلال هذه الدول الإفريقية وبالتالي لم تتوصل لأهدافها²، وهو ما يحتم على فرنسا أن تبقى قريبة من هذه الشعوب، لاستكمال وإنجاح مشروعها الاندماجي نو المدخل الاقتصادي هذه المرة، الذي كان يحمله مشروع "المنظمة المشتركة للأقاليم الصحراوية OCRS".

ومن أهم أنصار هذا الاتجاه نجد مثلا الضابط "جون كلوزال J. Clauzel" الذي عبر عن موقفه هذا في مداخلته المعنونة بـ "إداري فرنسا ما وراء البحار بين الماضي والمستقبل"³، وهي مداخلة تلخص كتابه الذي أصدره سابقا في سنة 1989م الذي يتناول يومياته كمحافظ (رئيس دائرة) في أثناء خدمته العسكرية الممتدة من سنة 1946م إلى 1959م في مستعمرة النيجر (ثنية نهر النيجر)، عاملا في جميع دوائرها (غوندام، كيدال، تمبكتو...) أين كان يرتحل كثيرا على ظهر الجمل لمراقبة رعاياه من أهالي البدو الرحل بغرض إحصائهم وإحصاء مواشيهم من أجل الضريبة، ثم لتشجيعهم على الدفع بأبنائهم للالتحاق بالمدارس (مدارس الرحل)، والعمل على تحسين حياتهم الاجتماعية بمد الطرق، وحفر الآبار، وإنشاء سدود صغيرة لدعم الفلاحة وإنشاء بعض الواحات الصغيرة... إلخ. حتى أنه تعلم لغات الأهالي لفهمهم أكثر، وأقام عديد الليالي معهم تحت خيامهم متقاسما معهم شرب الشاي، لذلك هو يرى أن هؤلاء ناكرون للجميل لما استقلوا عن فرنسا حتى أنه يعبر أحيانا عن عبث هذه الإنجازات التي أقيمت لهم، في نوع من الحسرة لَمَّا أضع شبابه كله في تعمير هذه الصحاري، لذلك هو من أشد المتحمسين لتمجيد الفعل الاستعماري⁴.

¹ Salem Chaker et Janon N. : «Les études Touarègues en France» In «Etudes Touarègues, Op. Cit., p. 23

² حسن مرموري: التوارق، بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين. منشورات المجلس، الجزائر، 2010، ص ص 74-75

³ Clauzel J. : «Un administrateur de la France d'Outre-Mer entre passé et avenir», In Goutalier (RéGINE) éd. : *Mémoires de la colonisation. Relations colonisateurs-colonisés*. Colloque des 3 et 4 décembre 1993, Aix-en-Provence, Paris, L'Harmattan, 1994, 231 p. pp. 217-221

⁴ Clauzel (Jean) : *Administrateur de la France d'Outre-Mer*. Ed. Jeanne Laffitte et Avignon, Marseille, 1989, 224p.

الاتجاه الثاني: الطوارق إثنية ضمن نسيج شعوب الدول الحديثة:

ظهر هذا أنصار هذا الاتجاه بشكل جلي في العقد الأخير من القرن 20م، لما بدأت تطفو مشاكل متمردى الطوارق في دول الساحل، ومفاده أن الطوارق لم يشكلوا على الإطلاق مجتمعا متجانسا، بل لا يمكن حتى استعمال مصطلح "مجتمع"، والصواب أن نتحدث عن "مجتمعات" بالجمع، في إشارة إلى أن قبائل الطوارق تعيش في عدة تجمعات كبرى تختلف عن بعضها بل وتتصارع فيما بينها، وهي بالتالي تتمتع ببنية غير متساوية ولا تسمح بتكوين "أمة" بآتم معنى الكلمة، ويعتبر "أندري بورجو *Bourgeot A.*" من خلال عديد كتاباته الأكثر بروزا لهذا الاتجاه¹.

كما عبر عنه على الخصوص في مدخل كتابه الموسوم بـ"المجتمعات الطارقية"²، الذي يتكون من جمع مقالاته السابقة وخبرته في مجال الدراسات الطارقية، وهو بهذا الطرح ينفي وجود مجتمع طارقي واحد وإنما توجد مجتمعات مختلفة عديدة متباينة، وبالتالي ينفي وجود هوية مشتركة للطوارق، والتحق به بعض الباحثين مثل "دومينيك كازاجيس *Casajus D.*" الذي يظهر موقفه المساند أيضا من خلال مقالة: "الأصدقاء الفرنسيون من أجل القضية الطارقية" على أن: "مجموعات الطوارق لا تشكل وحدة متجانسة، وعلى اختلاف تسمياتها وأماكنها تمثل مجتمعات لغوية وثقافية واعية بذاتها وتتوزع في وحدات سياسية مستقلة عن بعضها البعض، نسميها الكونفدراليات، والتي حافظت على تسمياتها وهويتها إلى غاية اليوم...لم يسجل التاريخ على أن هذه المجموعات -المتصارعة دائما فيما بينها- توحدت يوما لمجابهة عدو خارجي من غير الطوارق وحتى في الفترة الاستعمارية"³.

الاتجاه الثالث: الطوارق أمة مجزأة يجب أن تكون دولة:

على عكس سابقه، يرى أصحاب هذا الاتجاه أن قبائل الطوارق المشتتة في دول الساحل والصحراء، لها ما يبرر مطالبها السياسية الحديثة كأمة واحدة في تكوين دولة،

¹ André Bourgeot :. «L'Enjeu politique de l'histoire: vision idéologique des événements Touaregs 1990-1992 », **Politique africaine**, 1992, N° 48, 129-135.

² André Bourgeot: **Les sociétés Touarègues. Nomadisme, identité, résistances**. Ed. Karthala, Paris, 1995, pp. 14-20

³ Dominique Casajus: « Les Amis Français de la cause Touarègs », **C.E.A.**, Vol.35, N°137, pp.237-250.

فالتنظيمات السياسية لدى الطوارق، التي وجدها الفرنسيون في الكونفدراليات المستقلة عن بعضها البعض خلال الفترة الاستعمارية، لا يخفي وحدة الثقافة التي تجمع الطوارق ككل؛ من لغة، ونمط الحكم، والتنظيم الاجتماعي... إلخ، ويمثل هذا الاتجاه حاليا الباحثة "هيلين كلودو *H. Claudot-Hawad*" خاصة في عديد مقالاتها منذ ثمانينات القرن 20م، والتي جمعت في كتاب يحمل عنوان (الطوارق، الصورة المجزئة)¹.

فهي تناصر فكرة: "أن الشعب الطارقي سلب وحُرم من إرادته الحرة وجرّد من أرضه من طرف الإدارة الاستعمارية أولا ثم من قبل الدول الإفريقية الناشئة بعدها"²، وتستمد هذه الباحثة قوة أطروحتها الأساسية عن الدولة الأمة للطوارق بالاستناد على الدلالة اللغوية من خلال مصطلح "تامورت *tamurt*" الذي تقصد به "مجموع الأشخاص الذين يشتركون في نفس الثقافة واللغة أو حتى الأسطورة المؤسسة لهم"³، وأيضا من مفهوم "تموست *Tamust*" الذي يعني بحسب كلودو-هاواد: "الهيكل الاجتماعي الذي ينتسب وينتمي إليه الأفراد المرتبطين بنفس الهوية الثقافية والسياسية"، ثم أضافت له مصطلح "إيماجغن *imajeghen*" لتشكل عبارة "تاموست ن-إيماجغن *temust-n-imajeghen*" التي حسبها تميز المجتمع الطارقي "كمجموع واحد مقسم على عديد كونفدراليات القبائل"⁴، وقد ساعدها إزدواجية تخصصها بين الإثنولوجيا واللسانيات في هذا الأمر أكثر.

هذا ويستعمل الطوارق مصطلح "تموست" أو "توماست" تقليديا في مجتمعاتهم للدلالة على الانتماء في دوائر مركزية مختلفة، أو للنسبة لأحد الفروع القبلية أو الانتماء لعرش قبلي معين، كالانتماء إلى الكونفيدرالية مثل: "تموست-ن-أهقار" وقد يدخل في دائرة أخرى أكثر اتساعا تجمع كل "الأمة" الطارقية مثل: "تموست-ن-أو تماهق" التي هي هوية أكثر اتساعا تميزها عن باقي الأمم⁵. وبرز مصطلح "توماست" أكثر مع حركات التمرد لبعض قبائل الطوارق في السنوات الأخيرة المطالبة بالانفصال وفق هويتها المستقلة كما تزعم.

¹ Hélène Claudot-Hawad : *Les Touaregs, Portrait en fragments*. Edisud, Aix-en-Provence, 1993, 204 p.

² Hélène Claudot-Hawad : «Anthropologie Sociale». *A.A.N.*, 1997, T. 36, p. 432

³ Claudot-Hawad H. : *Les Touaregs*, Op. Cit., p. 177

⁴ Ibid., p. 09 et p. 172

⁵ حسن مرموري، مرجع سابق، ص 76.

كان من الطبيعي أن يتصادم هذين الاتجاهين الأخيرين بحكم تناقض الطرح، كما سبق في عديد مقالاتهما السابقة¹، وجمعت مجلة "كراسات الدراسات الإفريقية" متزعمي الاتجاهين في مناظرة فكرية، يستعرض فيها كل من "بورجو Bourgeot" و"هيلين كلودو H. Claudot"، مقاربتيهما المتعارضتين حول المجتمع الطارقي. الذي تزامن مع ظهور كتاب "هيلين كلودو" سابق الذكر الصادر في سنة 1993م، أين انتقد "بورجو" جميع المفاهيم والمصطلحات التي تركز عليها "هيلين كلودو" في بناء طرحها²، في حين ردت عليه هي بأنه عديم الخبرة بدلالة لسان الطوارق رغم خبرته ودراساته الميدانية الطويلة معهم³.

كما عاد "بورجو" لتناول الموضوع مجددا في تقديم كتابه "المجتمعات الطارقية" الصادر سنة 1995م الذي جمع مجموع مقالاته السابقة أيضا بالقول: "على عكس طرح هواد، وهيلين كلودو-هاواد على وجود الأمة الطارقية قبل الاستعمار المنطلق من مصطلحين؛ "تامورت Tamurt" الذي يعني ويقصد به كل من تتاسل من النبي نوح، والمصطلح الآخر "تموست Temust" الذي يعني هوية الفرد لانتمائه لجماعة معينة، وأخذ ليعمم على هوية الطوارق الأشرف "تموست نايماجيغن temust-n-Imajeghen" وليس ليعمم إلى الأمة الطارقية "la nation Touareg"، كما أن مصطلح "تموست temust" مستقى من نفس فرع "تامورت tamurt" ويكشف أيضا الطرح الإثني لأمة تبني على الفرد⁴.

¹ Claudot-Hawad, H.: «Des États-nations contre un peuple: le cas des Touaregs», **ROMM.**, N° 44, 1987, pp. 48-63; André Bourgeot, Henri Guillaume : «Identité touarègue: de l'aristocratie à la révolution», **Études rurales**, N°120, 1990, pp. 129-162

² يقول عن مصطلح "تامورت tamurt" حسب المختصين في مجال علم اللسانيات البربرية أن هذا المصطلح لا يوجد في لغة التامشاغ وإنما هو مستعمل في لغة الشماليين، وهو ما يحتم على الأقل الإشارة لمصدره الأصلي الشمالي، وأقرب مصطلح قريب له هو الذي أشار إليه "دوفوكو" في معجمه في كلمة "تامتي (tametti pl. temettiwin)"، القريب في معناه لمصطلح "تامورت tamurt"، هذا الأخير الذي يعني الأرض، البلد، الإقليم، وهو ما يشار إليه بلغة الطوارق بـ"أكال akal"، وحسب كلودو-هاواد: "يمكن إطلاق مصطلح "تامورت" على المجموع المشكل لمجتمعات الطوارق والبربر الآخرين في مقابل مجتمعات العرب أو مجتمعات الغرب أيضا". كما أن مصطلح "تاموست temust" يعرف بلغة طوارق الأهقار التاماهق بـ"تومست tumast" الذي يقصد به "الهوية الفردية للشخص (جوهره أو ذاته)"، في حين مصطلح "إيماجيغن imajeghen" هو مصطلح يختص به الطوارق الأرقا تفرطين المحاربين فقط. أنظر للمزيد: André Bourgeot : «Le corps touareg désarticulé ou l'impensé politique». **C.E.A.**, Vol. 34, N°136, 1994. pp. 659-671.

³ Hélène Claudot-Hawad : «L'évolutionnisme bien-pensant ou l'ethnologie à sens unique». **C.E.A.**, Vol. 34, N° 136, 1994. pp. 673-685.

⁴ Bourgeot A. : Les sociétés, Op. Cit., pp. 14-15

للإشارة فقط فإن مصطلح "تاموست" ظهر وبدأ توظيفه سياسيا لما كانت أحداث تمرد طوارق النيجر ومالي في سنة 1990م، والعنف الذي قابلتهم به السلطة المركزية بمجازر مروعة، إذ تم تأسيس جمعية "بقاء طوارق تموست *Survie Touarègue-Temoust*" في جانفي 1991م، برئاسة "عبد الله الطيب" (من النيجر ويقيم بليون بفرنسا) بباريس، والتي لا تنادي بإنشاء وطن مستقل للطوارق، وإنما باستقلالية التسيير والحق في المحافظة على ثقافة الطوارق وعاداتهم، وقامت الجمعية وفق الأهداف التالية¹:

- الدفاع وتعزيز الهوية والحقوق الأساسية لشعب الطوارق.
- تشجيع الدراسات والبحوث حول مجتمع الطوارق.
- تقديم المساعدة لشعوب الطوارق من خلال دعم قضاياها في الهيئات الدولية.
- إنشاء ودعم الروابط مع كل جماعة أو جمعية تصب في نفس اتجاه قضيتهم.
- مساعدة وتنظيم الأعمال الإنسانية الموجودة أو في المستقبل.
- تحسيس الرأي العام الدولي بخصوص الأزمة التي يمر بها شعب الطوارق حاليا، وحول تهديدات الإبادة التي يتعرض لها.
- منذ تأسيسها نظمت "جمعية بقاء طوارق تموست" عدة نشاطات في فرنسا أو خارجها؛ ندوات، محاضرات، أشرطة، مناقشات، معارض حول ثقافة وفن الطوارق.
- اتخذت إجراءات لدى هيئة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي مدعمة بشهادات وكتابات ومداخلات، للتوعية على الوضعية الكارثية التي يتعرض لها شعب الطوارق.
- قدمت إجراءات مماثلة لدى هيئة البرلمان الأوروبي الذي صوت لصالح قرارين حول قضية الطوارق.

ومع تزايد الأزمة واشتعال الصراع طور أنصار مصطلح "تموست" مصطلحا جديدا هو "تاموست إماجغن *temust emmajeghen*" الذي ظهر ليعبر عن اتجاه سياسي-فلسفي لقضية طوارق النيجر اللاجئين في ليبيا، الذين هم في حرب وتمرد ضد السلطة وخاصة في أوساط الشباب المعروفين بلقب "الإيشومار *ishumar*" المطالبين بتحسين وضعهم من البطالة والتهميش، لذلك أصبح يستعمل هذا المصطلح كوسيلة في الصراع الإيديولوجي.

¹ *Survie Touarègue-Temoust: Touaregs, un peuple menacé.* Ed. Temoust, Lyon, 1994, pp. 34-35

وتجدر الإشارة هنا أن أحد أجنحة التمرد الأربعة في طوارق النيجر كانت تحمل إسم "جبهة تحرير تموست *F.L.T.*" منذ جويلية 1993م¹.

كان من أنصار هذه الجمعية الشاعر والرسام "محمودان هواد *M. Hawad*" الذي ينحدر من مدينة "أغداس" بالنيجر، والذي ربما هو من يكون وراء تبني فكرة الباحثة "هيلين كلودو" لمفهوم "الأمة الطارقية" المنطلق من مصطلح "تموست *Temoust*"، وخاصة وأنه سيصبح زوجها ويقترن إسمها باسمه من حينها "هيلين كلودو-هاواد *Hélène Claudot-Hawad*"، والتي تكون ربما قد تعاطفت لقضيتهم ولمشروعهم كما يتهمها "بورجو" وأنصاره على أن طرحها هذا ومعظم كتاباتها حوله تنطلق من العاطفة وغير مؤسسة على أمور علمية². في حين تتهمه هي على أنه عميل للسلطة في دول الساحل (مالي والنيجر) التي تدعم أبحاثه ماليا من أجل دحض مشروع متمردي الطوارق في المناداة بالاستقلال (أو الحكم الذاتي)، ودعوتهم للإنسجام مع نسيج المجتمع في الدولة الوطنية القائمة كما هو لسان حال الباحثين الوطنيين في هذه الدول³.

لقد ظهرت عدة أبحاث تصب في أحد الإتجاهين المذكورين في أطروحات الباحثين تحت إشراف أحد الطرفين المذكورين في فرنسا، كلها تحاول جمع أكبر قدر من الدلائل والإثباتات على توجهها والتي يبدو أن الغلبة كانت لأنصار طرح "أندري بورجو"، ولعله من بين أحدث الأبحاث أطروحة الباحث "جاك هيريكي *Hureiki J.*" سنة 2000م الذي يعلن موقفه من الاتجاه الثاني: "أنه بالنظر للاختلافات الكثيرة في أصول قبائل الطوارق، التي أوردها بالخصوص المؤرخون العرب منذ القديم في نسبة بعضهم إلى العرب أو البربر أو اليمن أو قحطان أو حوران أو فلسطين، على حمق من ينادي بمفهوم الأمة الطارقية وفق مصطلح "تاموست *Tamust*"، فتاريخ هذه القبائل يظهر الحروب الدامية فيما بينها في

¹ Bourgeot A. : «Le corps, Op. Cit, p. 662

² Ibid., p. 663

³ Claudot-Hawad H. : «L'évolutionnisme, Op. Cit., pp. 675-682

فترات طويلة، وعدم وحدتهم في أزمنة طويلة أيضا، حتى اللثام الذي يظهر أنه يجمعهم يختلف من قبيلة لأخرى في وظيفته والغرض من وضعه، لذلك يجب وضع حد للعرقية الإيديولوجية الكولونيالية الغربية لصالح الطوارق في تعدد هوياتهم أو الهوية المجزأة¹.

6- الباحثون الأفارقة في صلب موضوع الطوارق:

بروز هذه الاتجاهات واحتدام النقاش حولها سيؤثر على توجيه الأبحاث مستقبلا عن الطوارق أكثر، ومحاولة الباحثين تدعيم كل اتجاه خاصة وأن الأمر لم يقتصر على الباحثين الأوروبيين فقط، بل وجد طريقه إلى الباحثين الوطنيين كذلك لتبني أحد هذه الاتجاهات، وبحكم أن هؤلاء الباحثين لا يمكن أن يخرجوا عن توجه السلطة في دولهم عادة، ما لم يكن طرفا، فإن تناولهم لموضوع الطوارق يكون دائما موجها من الأول على أساس دعم الوحدة الوطنية وتنوعها الإثني والتاريخ والمصير المشترك.

أ- في مالي والنيجر: كما سبقت الإشارة يستند مؤيدوا مفهوم "تموست" ويدعمون حججهم من المعرفة العميقة للميكانيزمات التي تحرك المجتمع الطارقي: طبيعة الحكم، التنظيم الاجتماعي، العادات والتقاليد... إلخ²، لكن معظم الباحثين الأفارقة التحقوا بطرح "بورجو" Bourgeot وتبنوا فكرته، خاصة الذين لهم روابط مع السلطات المركزية، كون هؤلاء الباحثين مساهمين مباشرة في صياغة سياسات معينة نحو مواطنيهم الطوارق في هذه الدول، ومن بينهم الباحث النيجيري "أندري ساليفو A. Salifo" الذي عبر عن موقفه في كتابه الموسوم: "مسألة الطوارق في النيجر"³، والذي اعتبر في الأوساط الأكاديمية على أنه كتاب لرجل سياسي، وليس لباحث جامعي له باع طويل في كتابة تاريخ النيجر وبطولات المجتمع الطارقي خاصة في فترة الاحتلال وثورة "كاوسن"، وهذا لكونه قد انخرط في السياسة وترأس عام 1991م الندوة الوطنية التي ستهيئ أرضية الديمقراطية في النيجر (القوى الحية للأمة

¹ Hureiki J. : Op. Cit., p. 355

² حسن مرموري: المرجع السابق، ص 76.

³ André Salifo : La Question Touaregs au Niger. Ed. Karthala, Paris, 1993, 203p.

النيجيرية)، ثم ترأس المجلس الأعلى للجمهورية في الوقت الذي تجري فيه (أحداث الشمال) بين السكان الطوارق في شمال النيجر وكتيبة "شين تبراضين"¹.

وفي الواقع فإن كتابه السابق جاء ردا على عرض الطارقي النيجيري "مانو داياك *Mano Dayak*" حول تلك الأحداث² في كتابه الموسوم بـ: "مأساة الطوارق"³. كما نجد الباحث النيجيري "جيبو مالام هاماني *Hamani D. M.*" هو الآخر يلتحق بأطروحة "بورجو" فحسبه: "أنه لم يسبق أن وجد على الإطلاق "مجتمع للطوارق" في شكله الموحد لا سياسيا ولا إقتصاديا، والحدود الحالية بين النيجر والجزائر ما هي إلا الحدود القديمة بين سلطان الأيبر وأمنوكال الأهقار، والحدود الفاصلة بين دائرة تاوة *Tawa* (النيجر) والمالي توافق الحدود التي كانت بين أمنوكال "كال نان *Kel Nan*" ونظيره أمنوكال الإيولمدن "كال أتارام *Kel Ataram*"⁴.

لم يكن لهؤلاء الباحثين الأفارقة أن يقفوا أو يدعموا فكرة انفصال جزء مهم من أجزاء دولهم الوطنية، التي ورثت قنابل موقوتة من الفترة الاستعمارية كانت عاملا مباشرا للتخلف أو سببا من أسباب مشاكل البناء الوطني في كثير من الدول الإفريقية، لذلك كانت ترى هذه الدول المستقلة حديثا أن وجود "أمة طارقية" يتعارض مع تكوين "الدولة الأمة" حسب النمط الأوربي، كما سعت للمحافظة على الحدود الموروثة عن الاستعمار والتمسك بها كما هي.

¹ Mamoudou Djibo : «Rébellion Touarègue et question saharienne au Niger». **Autrepart**, N° 23, 2002, pp. 135-156.

² ولد "مانو دياك" في سنة 1950م في وادي "تيدان *Tidène*" الواقع 80 كم شمال أغداس بالنيجر، وينتمي لقبيلة "كال إيفوغاس *Kel Ifoghas*"، بعد تحصيل شهادة الثانوية بأغداس وصل لتمنراست على متن شاحنة وهو في عمر 20 سنة، أين اهتم به الصحفي الفرنسي "François Siegel" الذي اصطحبه معه حتى الجزائر ثم وهران ثم أليكانت، ثم مدريد حتى باريس، أين التقى أصدقائه الباحثين الفرنسيين ومنهم "Jean-Marc Durou و Edmond Bernus"، ليسافر بعدها لأمريكا ويواصل دراسته في "نيو يورك" و"أنديانابوليس *Indianapolis*"، ثم عاد لباريس في سنة 1973م ليسجل بالمدرسة التطبيقية العليا للدراسات الأنثروبولوجية الثقافية والاجتماعية لمجتمعات البربر (*EPHE*)، أغلق وكالته السياحية في أغداس بعد أحداث مقتل طوارق في ليلة 6-7 ماي 1990م في المكان "شين تبراضين *Tchin Tabaraden*" ليكون أحد قادة التمرد في النيجر، وعمل على جلب مساندة السياسيين في النيجر وإفريقيا وفرنسا لقضية الطوارق عن طريق جمعية "تيلالت *Tilalt*" التي أسسها لهذا الغرض في باريس، كما أسس مع بعض أصدقائه حزبا سياسيا في أغداس (UDPS) في سنة 1990م، ترأس تنسيق المقاومة المسلحة (CRA)، في ماي 1993م انسحب من "جبهة تحرير الأيبر والأزواد" (FLAA) وأنشأ "جبهة تحرير تموست *Tamoust*" (FLT)، لكنه توفي رفقة عدد من أصحابه في تحطم طائرة يوم 15 ديسمبر 1995م لما كان ذاهبا لإمضاء اتفاق السلم مع الرئيس "مهامان عثمان *Mahamane Ousmane*" أنظر للمزيد: Thierry Tillet: "Mano Dayak 1950-1995", **Le Saharien**, N° 213, 2015, pp. 11-13 ; Hélène Claudot-Hawad : «Anthropologie Sociale», **A.A.N.**, 1992, T. 31, pp. 1163-1167

³ Mano Dayak: **Touaregs : La Tragédie**. Lattès, Paris, 1992. 221p.

⁴ Claudot-Hawad H. : «L'évolutionnisme, Op. Cit., p. 675 Citant Djibou H. : «Une gigantesque falsification de l'histoire», **Niyva**, N° 4, avril 1994, Niamey, pp. 5-8

لكن مع زيادة الظلم والتهميش ونقص التنمية في أوساط قبائل الطوارق لعقود من الزمن بعد استقلال هذه الدول، كان من الطبيعي أن تستغله بعض الحركات السياسية العسكرية وتستثمر فيه، ليكون الصدام عنيفا بنزعة أفكار ما قبل الفترة الاستعمارية¹.

ب- في ليبيا والجزائر: تضم هاتين الدولتين ما يعرف بـ "طوارق الشمال" بمرتفعات الأجر والأهقار، ولأن الدولتين غنيتين أمكنهما أن تحققا تنمية مقبولة على مستوى كافة مناطق الوطن، لم يكن هناك داع لمواطنيها الطوارق أن يختلقوا أزمة أو يتبنوا فكرة طوارق الجنوب، لذلك جاءت معظم الكتابات في هذين البلدين رغم قلتها مقارنة مع مالي والنيجر عن قبائل الطوارق، لتدعم الوحدة الوطنية وتزيد في تماسك النسيج الوطني لأفراده، ففي ليبيا يبرز "محمد سعيد القشاط" في كتابه الذي يحكم فيه من خلاله أن "التوارق عرب الصحراء الكبرى"²، لينسجم والاتجاه السياسي الذي كان يسود المجتمع الليبي في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات لتحقيق حلم وحدة الوطن العربي الكبير، فكانت مهمته إثبات الهوية العربية للطوارق، وبالتالي الانتماء إلى الوطن العربي الكبير، كما ينفي أي وحدة سياسية عرفتها سلطنات الطوارق على مدى التاريخ³.

أما في الجزائر التي كان معهد البحث في الصحراء (IRS)⁴، ومركز البحث في الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنولوجيا (CRAPE) هو من ينتسب له معظم الباحثين

¹ لم يعد أصحاب هذا الطرح يقبلون نفي هويتهم وتعتمد إخفائها وراء مفهوم جامع يتمثل في "الأمة Nation"، المعنى الغربي للمصطلح كصمام يحدد الاختلاف الثقافي (المقبول أو لا) لدولة عن أخرى، هذا المفهوم الذي يختلف معناه بين دول الشمال (المغرب) ودول الجنوب (الساحل والصحراء)، حيث محددات الأمة في بلاد المغرب تنطلق من "الوطن، اللغة، الدين"، والتي تتضمن في داخلها المحدد الأساسي والحصري "العربي-الإسلامي" كعامل تعريفي ثابت يضمن الوحدة الوطنية، وبالتالي عدم قبول أي تعريف آخر ورفض المطالب اللغوي، في حين تُعرّف الدولة في دول الساحل والصحراء على أنها "متعددة الإثنيات" وبالتالي تقبل الاختلاف اللغوي في نصوصها، ولا تشكل اللغة قضية ورهان للكفاح الأساسي رغم عدم تساوي لغة الإدارة من بين اللغات المسماة وطنية، ويتم التركيز هنا على عامل "الوحدة الترابية (الإقليم)، ومؤسسات الدولة" كمحدد لضمان "الوحدة الوطنية" ومعيّار وحدة الأمة. لذلك كانت مطالب الطوارق فيها (الإيماجاغن) سياسية وإقليمية (إنفصالية) وبالتالي اعتبرت غير وطنية. أنظر للمزيد: Dahbia Abrous, Hélène Claudot-A.A.N., 1999, T. 38, p.109 pp. 92-113

² محمد سعيد القشاط: التوارق عرب الصحراء الكبرى. مطابع أدبتار، سردينيا، ط2، 1989م. ويضيف في موضع آخر: "وإن رجالا اجتمعتهم من متقفي العرب لم يعرفوا أن قبائل التوارق، والفلان هم عرب وساهموا مساهمة فعالة في إثراء اللغة العربية ونشر الدين الإسلامي." أنظر للمزيد: محمد سعيد القشاط: أعلام من الصحراء. دار الملتقى، بيروت، 1997م، ص 7.

³ القشاط: التوارق، المرجع السابق، ص 57

⁴ لقد كان الباحث "روبار كياو راي Robert Capot-Rey" هو من يشغل مدير مركز البحث في الصحراء (Institut de Recherches Sahariennes)، والذي خلفه بعد الاستقلال "غابريال كامبس Gabriel Camps"، هذا الأخير الذي عاد للجزائر في سبتمبر 1962م رفقة زوجته "أونريات Henriette" (ثم لحقهم غاست شهر أكتوبر) كان أستاذا في جامعة

الفرنسيين حول موضوع الطوارق في فترة الاحتلال تراجع عددهم بعد الاستقلال¹، رغم الاستعانة في الأول بخبرة الباحث "غابريال كامبس *Gabriel Camps*"، فنجد دراسة السويدي "بدو التوارق بين الثبات والتغير"² في دراسة تطبيقية تقوم على جمع بعض الاحصائيات لتمجيد سياسة التخطيط والمخططات على مدينة تمنراست، كما نجد كتابات الباحث في علم الاجتماع "رشيد بليل" عن مجتمع القرارة وكتاب مشترك مع الباحث "بادي ديدة" عن هجرة قبائل الطوارق من مالي إلى الجزائر غداة الاستقلال، مع تسجيل عدة مقالات وأبحاث لبادي ديدة في عديد المجالات حول موضوع طوارق كمال أهقار والآجر والأداغ في مالي. ونجد أيضا الباحث في علم الاجتماع "حسن مرموري" الذي أنجز رسالة الماجستير والدكتوراه حول طوارق آجر بجانت حول السلطة التقليدية وعلاقتها بالاستعمار الفرنسي. والتي جميعها تتبنى فكرة أن هذه القبائل تتدرج ضمن تنوع النسيج الاجتماعي في الجزائر. بإبراز تاريخها النضالي أو ثقافتها وتراثها أو دراسة النمو والتطور الاقتصادي والاجتماعي لجهة معينة من الوطن.

ج-تزايد عدد الباحثين الأفارقة: لقد ظهر عدد من الباحثين الأفارقة في أقل من عقد من الزمن بعد استقلال بلدانهم، اهتموا بموضوع الطوارق الذي كان محتكرا من طرف الباحثين الغربيين عامة والفرنسيين بشكل خاص، ولو أن تكوين جل هؤلاء الباحثين الأفارقة كان في

الجزائر، ومدير متحف البارود، ومدير مركز البحث في ما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا (*CRAPE*)، ومدير مجلة "ليبيا *Libyca*"، هذا الجمع بين المناصب لم يكن بسبب طموح شخصي وإنما لنقص الإطارات في هيكل الدولة المستقلة الجديدة. مع أن "كامبس" كان عضوا في اللجنة الوطنية لمركز البحث (*CNRS*) (في الأنثروبولوجيا، وما قبل التاريخ، والإثنولوجيا) في باريس، وعضوا بحكم المنصب في لجنة التنسيق والتعاون العلمي التي تقيم كل سنة أعمال مركز (*CRAPE*)، لأن هذا المركز يشكل أحد أربعة مراكز البحث (مركز البحوث في علم المحيطات، مركز البحوث في السرطان، ومركز البحوث النووية)، والتي حسب اتفاقيات إيفيان يجب أن تبقى تسير من طرف لجنة التعاون الفرنسية لمدة أربع سنوات، ثم تكون مشتركة بعدها جزائرية-فرنسية، إلى أن تصبح جزائرية خالصة، تتمتع هذه اللجنة بالاستقلالية المالية وبإمكانها تقديم مهمات العمل في كامل الجزائر، استطاع "كامبس" طيلة فترة إدارته لسبع سنوات من نشر أكثر من 20 كتابا وأطروحة، مئات المقالات، 10 مجلدات للمجلة العلمية، دون حساب عديد المشاركات في الملتقيات الدولية والمحاضرات، والمعارض في متحف البارود، لكن بشهر ماي 1968م أصبحت السلطات الجزائرية شديدة المعارضة للعلوم الإنسانية (التاريخ، علم الآثار، والإثنولوجيا بالأخص) وتم قطع كل روابط التعاون مع الفرنسيين في هذا الشأن.

أنظر للمزيد: Marceau Gast : **Tikatoutin**. Ed. La Boussole, France, 2004, pp.193-194

¹ منذ سنة 1976م التحق بمركز البحث في الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنولوجيا (*CRAPE*) كل من الباحثين: رشيد بليل: باحث في علم الاجتماع مهتم بالتحويلات الاجتماعية في الأهقار. ونادية مشري سعدة: باحثة في الموسيقى على خطى Augier P.، استغلت الأرشيف السمعي للمركز وأثرته، ناقشت دكتوراه (درجة ثالثة) حول موسيقى الأهقار في جامعة باريس 10 سنة 1987م. إضافة لمولود معمري وشاكر سالم (في إيكس). أنظر للمزيد: Salem Chaker et

Janon N. : «Les études Touarègues en Algérie» In «**Etudes Touarègues**, Op. Cit., pp. 41-43

² محمد السويدي: **بدو التوارق بين الثبات والتغير**. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

الجامعات الفرنسية بفرنسا أول الأمر، ولكن مع ذلك اختلفت وتمايزت طريقة تناولهم لموضوع يخص وطنهم ومواطنيهم عما كتبه الفرنسيون الأجانب، لأن هذه الأبحاث ستفيد بشكل كبير في إعطاء تصور ورؤية من داخل هذه المجتمعات نفسها، قد لا تتوافق ومقاربات الباحثين الغربيين وأجنداتهم ربما.

فقد ظهر جيل جديد من الباحثين (في النيجر ومالي) يهتمون أكثر بالرواية الشفوية، بالموازاة مع عديد الباحثين الفرنسيين من مركزي *CNRS* و *ORSTOM*، كما ظهر باحثون بريطانيون وأمريكيون ومن عديد الجنسيات الأوروبية أيضا¹. ومن أهم الباحثين النيجريين نجد؛ "محمد أق أغالي زكارا *Mahamed ag Aghali-Zakara*"، و"فاطمة أق أغالي زكارا *fatimane Aghali-Zakara*"، و"يوسف أحمد *Issouf Ahmed*"، و"التانين أق أرياس *Altanine ag Arias*"، و"سايدو آكو *Seydou Alcho*"، و"محمد أق فيما *Mohamed ag Fima*"، و"محمودان هواد *Mahmoudan Hawad*"، والمؤرخ الكبير "جيبو مالام هاماني *Djibo Mallam Hamani*"، يشتغلون ضمن المراكز التالية (*CELTHO, IRSH, INDRAP, CFCA, CAN, ... etc.*)².

أما فيما يخص أهم الباحثين الماليين حول موضوع الطوارق فنجد؛ "محمد أق الصادق *Mohamedoun ag Assadeck*"، و"الحسن أق باي *Alhassane ag Baille*"، و"محمد جاك أق دايا *Med. Jacques ag Daya Daya*"، و"محمد أق إرلاف *Med. Ag Erlaf*"، و"محمد أق إرلاس *Med. Ag Erlass*"، و"اغليزي أق فوني *Eglézé ag Foni*"، و"عبد العزيز أق هبة الله *Abdoul-Aziz ag Haiballah*"، و"حرتاتة أق المالك *Hartata ag*

¹ من أهم الباحثين في بريطانيا نجد؛ "اللورد رينال رود *Lord Rennel of Rodd*" و"جيريمي كينان *Jeremy Keenan*" و"كلار أوكسبي *Clare Oxby*"، كما برز من دولة الدنمارك ثلاث باحثين مهتمين بمجتمعات الطوارق خلال القرن 20م؛ "أول أوليفسن *Ole Olufsen*" (1865-1929م، جغرافي قام برحلة إلى الصحراء في سنة 1922-1923م، وزار الأهقار)، و"آرن يوهان نيكوليزن *Arne Johannes Nicolaisen*" (1921-1980م الإثنولوجي والأنثروبولوجي، وهو مؤسس الإثنولوجيا الدنمركية الحديثة والذي عرفهم على حضارة الطوارق، خاصة كال أهقار التي رآها قد فرت بعيدا عن التأثير الأوربي في رسالته للدكتوراه التي اشتهر بها حول "بيئة وثقافة الطوارق الرحل 1963م")، و"كارل براس *Carl-G Prasse*" المختص في اللسانيات والذي أصدر فيما بعد قاموسه في قواعد لهجة طوارق الأهقار بثلاث مجلدات في سنوات، كما نجد الباحث "جون غابوس *Gabus J.*" السويسري 1972-1974. أنظر للمزيد:

Chaker S. : Les études. Op. Cit., pp. 55-67

² M. Aghali Zakara et autre : «Les études Touarègues en Afrique de l'ouest (Niger-Mali) In *«Etudes Touarègues, Op. Cit., pp. 47-51*

"Elmelik"، و"الشريف أقر محمد *Acherif ag Med.*"... إلخ، يشتغلون بمراكز مالي التالية؛
(*DNFLA, ISH, ENS, ... etc.*) بالإضافة لمركز أحمد بابا بتمبكتو (*CEDRAB*)¹.

لقد تزايد عدد الباحثين الأفارقة المهتمين بمجتمعات الطوارق في العقدين الأخيرين، وخاصة عند أولئك المنتمين لدول الساحل والصحراء، والتي قد تكون الأحداث الدامية التي عرفت مناطقهم الشمالية سببا في توجيههم إلى هذه المواضيع البحثية ربما، في حين يبقى الباحثون المنتمون للجزائر وليبيا يعدون بأصابع اليد رغم فتح جامعات ومعاهد في أقصى الجنوب الكبير، التي يؤمل منها بروز باحثين يقدمون إضافات معتبرة في هذا الميدان، أو حتى دعم التاريخ المحلي على الأقل من خلال الاعتماد على رصيد الرواية الشفوية إذا ما غابت الوثائق.

جاء هذا المدخل ليقدم نظرة عامة عن الدراسات التي اهتمت بمجتمعات قبائل الطوارق، التي ظهر أنه احتكرها الكتاب الغربيون بشكل عام والكتاب والباحثون الفرنسيون بشكل خاص، كانت قد تزامنت والحركة الاستعمارية على إفريقيا منذ القرن 19م، وظلت مستمرة بعدها لفترة ما بعد الاستعمار، إختلفت اختصاصاتها وتتنوع مجالات البحث فيها، وعلى الرغم من كونها كانت تخدم في معظمها سياسة منتهجة أول الأمر، أو تستهدف مخططا وأجندة مسطرة في ثانيها، إلا أن هذه الكتابات قدمت مادة علمية مهمة عن قبائل الطوارق التي كانت بعيدة عن تناول الكتابات العربية، وفي غياب الكتابات المحلية أيضا، لذلك سيلاحظ القارئ لهذه الدراسة التاريخية أنها تستند وتستمد جل مادتها المصدرية من هذه الكتابات الغربية، وهذا حتى لا يفهم أنه تجاوز للمنهج الذي تتبعه الدراسات المسماة "ما بعد كولونيالية *postcolonialism*" الذي يسعى أن لا تتجاوز المادة الأجنبية في البحث عن الثلث 3/1، وهذا ما لا يتوافق والمنهج التاريخي الذي يستند أساسا إلى الوثيقة.

¹ Aghali Zakara : Op. Cit., pp. 47-51

الباب الأول

مدخل عام عن إقليم الأهقار (الموقع والسكان)

الفصل الأول: خصائص السطح في إقليم الأهقار

الفصل الثاني: نظرة عامة عن طوارق الأهقار

الفصل الثالث: تاريخ وأصول طوارق كال أهقار

الباب الأول: مدخل عام عن إقليم الأهقار (الموقع والسكان):

الفصل الأول: خصائص السطح في إقليم الأهقار.

تعتبر قبائل الطوارق المتوزعة في منطقة أقصى الجنوب الجزائري التي تعرف بإقليم الأهقار، من أكبر القبائل التي تأثرت سلبا بموقعها الجغرافي ذو الطبيعة القاسية، سواء من حيث المناخ غير متفاوت الحرارة والتساقط على طول السنة تقريبا (حار وجاف)، أو من حيث الغطاء النباتي الذي يكاد يكون نادرا وسط بيئة صحراوية تمتاز بمساحات شاسعة من الحمادات الحصوية الجرداء (رق)، والعروق الرملية الكثيفة، والهضاب الصخرية والمرتفعات السامقة الشديدة الانحدار، هذه الطبيعة القاسية ستؤثر لا محالة على نمط عيش ساكنيها وعلى سلوكياتهم وطبائعهم، مقارنة بقبائل وشعوب مجاورة لهم تختلف بيئة إقامتهم مع هذه البيئة. سنحاول في هذا الفصل تقديم لمحة بسيطة عن موطن إقامة طوارق كمال أهقار التي استقرت به لقرون طويلة في الزمن لفهم ظروفها الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها.

1-1 الموقع الجغرافي والفلكي:

تشغل منطقة الأهقار حيزا جغرافيا كبيرا في الجنوب الجزائري، وهي تتموضع فلكيا بين دائرتي عرض 20° و 25° شمال خط الاستواء، وبين خطي طول 3° و 7° شرق خط غرينتش، بمساحة كبيرة تكاد تقارب دولة فرنسا¹ بـ 500.000 كم²، وتعتبر مدينة تمنراست العاصمة الإدارية لهذا الإقليم، والتي توجد على بعد 2000 كم جنوب العاصمة الجزائر (مسافة الطريق)، ويقطع مدار السرطان المنطقة في المسافة 85 كم شمال تمنراست². هذا وتجدر الإشارة هنا أن مساحة أراضي كمال أهقار خلال فترة الدراسة تتجاوز هذا الرقم، وذلك

¹ تقدر مساحة الأهقار حسب "غـت" بحوالي 480.000 كم²، أنظر للمزيد: Gast Marceau : **Alimentation des populations de l'Ahaggar**. Mémoire du CRAPE., VIII, AMG, Paris, 1968, p. 15 ; Paul Pandolfi : **Les Touaregs de l'Ahaggar**. Ed. Karthala, Paris, 1998, p. 29

² ينتمي إقليم الأهقار اليوم كليا إلى ولاية تمنراست (في الوقت)، هذه الأخيرة وحسب أرقا³ مية تقدر مساحتها بـ 557.906,25 كم²، موضعها الفلكي بين خطي طول 0,15° و 10,15° شرق خط غرينتش، وبين دائرتي عرض 18,43° و 29,03° شمال خط الاستواء، يمر بها مدار السرطان جنوب بلدية "عين أمقل"، بها 7 دوائر إدارية و 10 بلديات، بتعداد⁴ كاني بلغ 231.107 نسمة (في 2016-12-31). أنظر للمزيد: Direction de la planification et des Statistiques (W. de Tamanrasset) : *l'Annuaire statistique de la Wilaya de Tamanghasset, Année 2016*, pp. 1-10

بحساب المناطق التي كانت تابعة لهذه القبائل في جهة توات وجزء في شمال النيجر ومالي (إقليم التامسنة وشرق الأداغ)، والتي يمكن أن تقدر فلكيا بين خطي طول 0° و 7° شرقا، ودائرتي عرض 18,5° و 26° شمالا.

يحد الأهقار شمالا منطقة التديكلت وتوات (تبعد عين صالح بمسافة 700 كم عن تمنراست)، ويحده من الشرق منطقة التاسيلي ناجر (تبعد جانت بمسافة 700 كم عن تمنراست)، ويحده من الجنوب الشرقي مرتفعات الآبير لدولة النيجر (تبعد أغداس بمسافة 900 كم عن تمنراست)، ويحده من الجنوب الغربي مرتفعات الأداغ لدولة مالي (تبعد كيدال بمسافة 840 كم عن تمنراست)، كما تحد صحراء التانزروفت *Tanezrouft* الأهقار من جهة الغرب¹، وتحده صحراء التتيري *Ténéré* من الجنوب الشرقي، وتبعد الحدود الجزائرية-النيجيرية بمسافة 430 كم جنوب تمنراست في "عين قزام *In Guezzam*"، والجزائرية-المالية بمسافة 450 كم جنوب غرب تمنراست في "تين زاواتين *Tin Zaouatin*"².

يعرف إقليم الأهقار 21 ناحية مقسمة تقليديا وفق حدود طبيعية من جهة وحسب تواجد السكان بها من جهة أخرى، ويتشكل وسط الأهقار من مرتفعات بلورية تعرف بالأتاكور بلغة التماشاغ والكدية بالعربية تمتد على مساحة قدرها 3200 كم²، والتي بها أعلى قمم الجبال المتشكلة من رواسب الحمم البركانية تشكلت منذ العهد الكمبري الثالث والرابع، مثل قمة "التاهات *Tahat*" بارتفاع يصل إلى 2918م، ثم تليها قمة "الإمان *Ilaman*" بارتفاع يصل إلى 2760م، اللتان دائما ما تجلب أنظار الرحالة والمسافرين إليهما، وقد كانت في نفس الوقت الملجأ الحصين من أي عدو خارجي في الزمن السابق، كما ترتفع

¹ يسمى الطوارق صحراء التنزروفت (غرب الأهننت) "التابهاوت *Tabahaout*" أي البيضاء لأن لونها ضارب إلى البياض يتعب العين وهذا لأنها ممتدة لمساحات كبيرة. أنظر للمزيد: E. F. Gautier : Op. Cit., p. 98

² Rognon P. : « Ahaggar », Encyclopédie Berbère, Ed. Edisud, France, III, 1997 (2nd Ed.), pp. 269-270 ; Pandolfi P. : Op. Cit., p. 29

هضبة "الأسكرام *Assekrem*" بـ 2728م¹، لذلك دائما ما تكون هاته المرتفعات الشامخة للأتاكور، وسلسلة تضاريسه الصلبة والثابتة مصدرا للمياه الساقطة بسرعة لتشكل مجاري وديان (واد إغرغر، واد تمنراست، واد تين تارابين،... إلخ)، أو بعضا من البرك التي تمنح جزءا من إحتياطي المياه وفي نفس الوقت بعض المراعي من حين لآخر عكس السهول المحيطة الأخرى².

ولقد كانت هذه الناحية منذ وقت طويل تجلب السكان إليها وإلى ضواحيها (حوالي 25000 كم²)، على عكس السهول مثل الأمدغور *Amadrour* في جهة الشرق، والأمغيد *Amguid* شمالا، وحتى بعض السهول الجنوبية كلها تقريبا ظلت شبه فارغة.

1-2 خصائص المناخ:

رغم مساحته الشاسعة وتضاريسه العالية جدا، إلا أن مناخ الأهقار يتميز بضعف تساقط الأمطار وعدم انتظامها وأحيانا لندرته، فقد ذكر "ديفايري" (1864م) أنه أحيانا لا يتساقط المطر لمدة 12³ نة³، لذلك يسود به المناخ القاري الذي يتميز بتباين قوي جدا ليلا ونهارا من جهة، صيفا وشتاء من جهة أخرى، فالإحصائيات السنوية للتساقط في الأهقار وعلى مدار 30 سنة (من سنة 1932م إلى 1962م) مختلفة جدا وتتراوح ما بين 5مم و155 مم، وفي الفترة الممتدة من سنة 1925م إلى 1960م سجلت محطة قياس التساقط ومراقبة المناخ التي تعمل بانتظام في أعالي هضبة الأسكرام على ارتفاع 2728م، معدل تساقط سنوي يقدر بـ 51مم فقط⁴، كما تراوحت نسبة التساقط السنوية ما بين 40مم و257مم من سنة 1955م إلى سنة 1964م، أي بمعدل تساقط سنوي يقدر بـ 136,6مم،

¹ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 16

² Pandolfi P. : Op. Cit., p. 29

³ -Duveyrier Henri: **Les Touareg du Nord**. Ed. Challamel, Paris, 1864, p. 373

⁴ Jean Dubief : «Notes préliminaire sur la pluviosité dans l'Atakor ou n Ahaggar». **B.L.S.**, T. 13, N° 46, Juin-1962, p. 177

وتم تسجيل في نفس الفترة نسبة التساقط في مدينة تمنراست (على ارتفاع 1376م) تراوحت ما بين 5مم و109مم، أي بمعدل تساقط يقدر بحوالي 41,7مم في السنة¹.

وفي عشرية الثمانينات من القرن 20م سجل باندولفي أن المناطق المرتفعة منها هي الأكثر حضا من حيث كمية التساقط بمعدل سنوي يصل إلى 56مم في تمنراست و164مم في الأسكرام أما المناطق المنخفضة أين الجفاف فلا يتجاوز أعلى معدل التساقط بـ 22مم في السنة².

يسبب حجم هذا التساقط الضعيف ندرة في الغطاء النباتي وتوفر المياه، ولكن حتى لو سقطت أمطار معتبرة فإنها ليست كفيلة بتقديم مراعي جيدة لحيواناتهم، فبمجرد أن تظهر هذه النباتات على السطح حتى تضمر وتموت بعد أسابيع قليلة بسبب الحرارة القاسية التي تجفف الأرض، كما تتساقط أمطار موسمية شهري ماي وجوان لتمنح بعض المنتجات الاستوائية³، لكن البدو يهتمون أكثر بتساقط أمطار الخريف لأنها هي من تضمن وتوفر أحسن المراعي للشتاء وتمكنهم كذلك من تحاشي الجوع خلال الأشهر الباردة جدا، هذه الأمطار ليست بالضرورة من مناخ البحر الأبيض المتوسط، ولكن قد تعود لمناطق ضغط من الساحل الموريطاني، وعلى الرغم من أن البرد قليل ولكنه يتلف البساتين والواحات إذا وجد، مع أن الثلوج توجد في قمم الجبال فقط.

وتتفاوت درجات الحرارة داخل المأوى بين $4,6^{\circ}$ و 39° أما في الخارج فتتراوح بين $3,5^{\circ}$ و $59,5^{\circ}$ وحسب إحصائيات 32 سنة (1932-1964م) تبلغ الحرارة أقصاها في

¹ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p.17 Renseignement fournis par M. Figeac, assistant physicien à l'Institut de Météorologie et de Physique du Globe de la Faculté d'Alger ; Jean Dubief : Le climat du Sahara. Institut de Recherche Sahariennes, T. 1, Alger, 1959, pp. 19-35

² Pandolfi P. : Op. Cit., pp. 29-30

³ لا يمكن أن نجد فصلا ماطرا تضمن به النباتات كمية مياه معتبرة مستمرة خلاله، فكمية الأمطار في تمنراست مثلا نادرة تنزوع على طول السنة بكميات تصل نسبتها إلى 43% من الأمطار خلال شهري أوت-سبتمبر، و24% في شهري ماي-جوان، و12% في ديسمبر-جانفي، وهو معدل السنوات المحصورة بين سنتي (1925-1955م). أنظر لمزيد: Rognon

P.: Op. Cit., pp. 273-274

شهري جوان وجويلية، أما درجة الحرارة الدنيا فتكون شهر جانفي أو فيفري، لذلك قساوة المناخ يؤثر بشكل سلبي على الغطاء النباتي والحيوانات وهو ما يسبب في كثير من الأحيان الجفاف والقحط لمدة سنوات، والتي تكون سبب ظهور المجاعة في كثير من دول الساحل والصحراء¹. فحسب دراسات (ديبياف *Dubief*) فإنه من بين 10 سنوات توجد 4 سنوات جافة لا تتفع معها الأمطار الساقطة².

1-3 خصائص الغطاء النباتي والحيواني في الأهقار:

على الرغم من شساعة إقليم الأهقار ومرتفعاته، إلا أن الغطاء النباتي به يكاد يكون فقيرا جدا وقليل التنوع، لاحتوائه سوى ما يقرب عن 300 نوع نبات فقط تقريبا، رغم أن هذه النباتات تظهر للرأي وكأنها بقايا نباتات أجديتها قساوة المناخ، وتعتبر مرتفعات الصحراء الوسطى بالنظر لموقعها همزة الوصل بين الصحراء الشمالية ذات المناخ شبه المتوسطي، وبين الصحراء الجنوبية (السودانية) ذات المناخ المداري أو شبه الاستوائي، وهو ما أعطى للصحراء الوسطى والأهقار صفة المزوجة بين نباتات المنطقتين السابقتين، متوسطة واستوائية³.

ربما يكون الضابط "فرناند فورو *F. Foureau*" أول من تناول الغطاء النباتي في الجزائر بشيء من التفصيل، وذلك من خلال مصنفة للنباتات والأشجار في الصحراء وشمال الجزائر الصادر في سنة 1896م⁴، حاول من خلاله أن يقدم مخطط للنباتات والأشجار التي تصادفه في دورياته الاستكشافية باسمها اللاربي ثم البربري (أو التامشاغ)، ثم يقدم إسمها

¹Johannes Nicolaisen : **Structures politiques et sociales des Touaregs de l'Air et de l'Ahaggar**. Tr. S. Bernus, Etudes Nigériennes N° 7, Ed. IRSH, Niamey, 1982, p. 12 ; Pandolfi P. : Op. Cit., p. 30

² Dubief J. : Op. Cit., pp. 7-23

³ Pierre Quézel : **Contribution à l'étude de la flore et de la végétation du Hoggar**. IRS., Alger, 1954, p. 49

⁴ F. Foureau : **Essai de catalogue des noms arabes et berbères de quelques plantes, arbustes et arbres Algériens et sahariens**. Chalamel, Paris, 1896.

والعائلة النباتية التي تنتمي إليها (المعروفة لديهم)، وذلك في حدود 50 صفحة بمعدل 30 إسماء في كل منها، وقام بترتيبها أبجدياً دون تمييز مناطق تواجدتها بين الصحراء ومنطقة الشمال، مما صعب تحديد تصنيف الصحراوية منها إلا من خلال ربما الإشارة لإسمها الطارقي بالحرف (T)، والذي يبقى الأمر غير دقيق أيضاً على أنها تتواجد في جنوب الصحراء.

ثم جاء بعده الباحث (الجغرافي والإثنولوجي) "إيميل فليكس غوتيي *E.F.Gautier*" المهتم بالصحراء، ليقدم معلومات إضافية عن الحياة البرية في الصحراء وموطن الطوارق، في عديد كتاباته منذ مطلع القرن 20م، وذكر بأنه توجد النباتات "الكلاسيكية" المعروفة بـ؛ الهد *had*، الدمران *dhamrane*، البلبل *le belbel*، (الثلاثة من نوع *Salsolacées*)، ويضاف إليهم كذلك أعشاب "البوريكوبا *Bou-rékouba*"، و"الدرين *drinn*"، أما الأشجار فنجد أهمها "الطلحة *la talha*" من نوع شجر "الأكاسيا المطاط" (شجر السنط الصمغي) ثم نجد "التبوراك *le teboraq*"، كما نجد شجر "الأثل" أو الطرفاء التي هي أحد أنواع شجر "التماريكس *tamarix*"، وتعتبر أشجار الآكاسيا الوحيدة التي يستعملها الطوارق في مصنوعاتهم (خشب النجارة) كصنع "راحلة المهري" مثلاً، وتعتبر أشجار التماريكس غير الشوكية مفضلة نوعاً ما لما تمنحه من بعض الظل أيضاً¹.

أما الأشجار الصغيرة فنجد "الرتم"، والعنّاب الشوكي أو "السدر *le jujubier*" و"الكورنكا *le koronka*" التي يصل أقصى ارتفاع لها 1,5 متر وتنتج بعض الثمار الخضراء الفارغة بحجم بيض النعام، لكنها مهمة في الاقتصاد اليومي للطوارق لما يستخدم مادة عصارتها الحليبية في علاج بعض أمراض جرب الجمال (قطران نباتي) رغم أنه سام وقاتل خاصة إذا أصاب العين، كما أن خشبها يقدم الفحم المناسب للطهي².

¹ E. F. Gautier : Op. Cit., p. 85

² Ibid, p. 86.

إلا أنه نظرا لعوامل المناخ القاسية فإنه لا يمكن إيجاد نباتات دائمة على طول السنة، حتى في الأماكن التي تتوفر على المياه ونسبة احتوائها على الملح الموافقة للنمو، لذلك قسم الباحث "مارسو غاست" *M. Gast* النباتات إلى مجموعتين حيويتين كبيرتين:

المجموعة الأولى التي يتوقف نموها وازدهارها على تساقط الأمطار، والتي تكون وراء ظهور المراعي، أو العشب (أكاسا *Akassa*) بمختلف أنواعه، مثل فصل الربيع في الشمال، لكن لا يمكن أن نسميها موسمية، لأن الأمطار لا تعرف الانتظام على حسب موسمها.

المجموعة الثانية هي النباتات الدائمة التي تنمو في الأوساط الرطبة من التربة، ولكن هذه النباتات مهددة دائما بانخفاض المياه الجوفية تحت الأرض وربما اختفائها من جهة، ومن جهة ثانية إذا أمكنها أن تسلم من الحيوانات واحتياجات الإنسان كذلك.

فالقطعان الصغيرة لا تترك أي شيء في ساحتها، وتسافر لمسافات بعيدة من أجل كلاً قليل، كما أن حاجة الإنسان إلى الخشب من أجل الطبخ أو التدفئة متزايدة وبسبب نقصانه فهو غالي السعر، والمشكل أنه يقطع الأشجار الخضراء (الصغيرة) لندرة الخشب الجاف¹، فالعديد من مخيمات القبائل التي تقطن بالقرب من الوديان ولسنوات طوال لا تستعمل حاجتها من الخشب في الطبخ والتدفئة إلا من الأشجار الخضراء (الطرفاء مثلاً)، وهو ما يزيد في تدهور وتراجع الغطاء النباتي بشكل كبير. كما يتم اللجوء في فترات الجفاف إلى البحث عن الجذور الطويلة للأشجار والنباتات (مثل التاسا *Tassa* والبندر *Bender*) تحت الأرض التي كانت تشد التربة من الانزلاقات خاصة في المنحدرات الصخرية، وهو ما يزيد في تدمير الغطاء النباتي². وأهم الأشجار الكبيرة في الوديان نجد تماريني *Tamarinier* والأكاسيا *Acacia* المهمتين جدا في السنوات الجافة، فالأكاسيا الشوكية

¹ ذكر "غاست" أن سكان تمنراست كانوا يشترون الخشب بثمن غالي، فحمل جمل من الخشب النازل من الأتاكور كان يباع في سنة 1964م ما بين 10دج و20دج. في حين كان صاحب المخبزة المحلية يتزود من خشب (لطرفة *tamaris*) من الواد الكبير، بقطع مسافة 60 إلى 80 كم كل شهر، أنظر للمزيد: Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 18

² Idem

ستصبح طعام الإبل والماعز في حين أوراق هذه الأشجار تأكلها الأبقار والغنم بصعوبة كبيرة¹.

أما فيما يخص الحياة البرية وعالم الحيوانات فهي بلا شك تتأثر بتنوع الغطاء النباتي وتوفره، فقد كتب "Gautier E.F. غوتيي" في مطلع القرن 20م أنه لا يمكن أن تجد أكثر حجما من الثعالب والفنك وابن آوى، فهم على الأقل يجدون ما يأكلون، لأن الطريدة مفقودة نوعا ما، أما الزرافة والنعام فلا يوجد لهم أثر، كما يغيب الطبي الذي يستعمل الطوارق من جلده في صناعة الدروع، أما الغزال فكثير المشاهدة، إضافة للأرانب البرية، كما ذكر وجود الحمير البرية الوحشية في بعض المناطق، والكثير من قطعان الماعز والخراف دون صوف (الدمان)، وتعتبر قطعان الجمال من أهم قطعان الماشية².

وعلى العموم فالبيئة الصحراوية لا توفر الشروط الضرورية حتى يكون هناك تنوع في الحيوانات سواء الأليفة منها أو المتوحشة، فموارد عيشها وغذائها تكاد تكون منعدمة لذلك فهي متناقصة بشكل مستمر إذ يمكن عد فقط 11 صنف من الحيوانات اللاحمة، و6 أصناف من الحيوانات المجترة، و6 أصناف من الحيوانات القارضة، و5 أصناف أخرى متنوعة³، وهذا زيادة عن الحيوانات الأليفة، التي تعتبر أهم مورد لحياة سكان الصحراء.

وكإشارة أخيرة للمواد المعدنية التي يستعملها الطوارق من محيطهم والتي يستفيدون منها فهي مادة "الناترون" التي يسمونها "التوميل" *thomela* (كبريتات الحديد)، ومادة "الشب" *l'alun*، اللذان يستعملان في صناعة الألوان وتثبيتها، أو في المحافظة على نظارة الجلود. وهما متواجدان بكثرة في السهوب الجبلية الكربونية⁴. غير هذا لا يعرف الطوارق استعمال مواد أخرى قد تكون متواجدة في الطبيعة.

¹ Nicolaisen J. : Op. Cit., p.9 ; Rognon P. : Op. Cit., p. 275

² E. F. Gautier : Op. Cit., pp. 86-87

³ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 18

⁴ E. F. Gautier : Op. Cit., p. 89

هذه الظروف الطبيعية والمناخية هي التي كانت وراء انتهاج حياة البداوة والترحال من طرف سكان منطقة الأهقار وضواحيها منذ زمن طويل، ولا يعود لأسباب عرقية كما أراد بعض الكتاب الفرنسيون المتعصبون الأوائل نسبتها إليها أول الأمر، حتى أن دراساتهم اللاحقة بعدها فندت هذه الأطروحات¹، ونكرت أنه إذا كانت أسباب البداوة في شمال إفريقيا جغرافية وتاريخية، ففي الجنوب الجزائري تعود للمناخ بصفة رئيسية².

1-4 فصول السنة ودورة المواسم عند كمال أهقار:

يعتمد كمال أهقار رزنامة توقيت مشابهة لتلك التي تستعمل عند باقي الشعوب، فنجد التقويم الميلادي (اليولياني³ Julien) المهم لمعرفة فصول السنة خاصة عند الفلاحين، والتقويم الهجري (القمرى) الضروري في معرفة المناسبات الدينية⁴، وتنقسم فصول السنة إلى أربعة فصول لكل فصل ثلاث أشهر⁵، لكن يختلف توقيتها لما هو معروف في الشمال إذ نجد حسب "غاست" ما يلي:

¹ يعتبر سكان التديكلت كلهم يتكلمون لغة الطوارق بوجود بعض الاختلافات بين الواحات ففي توات والقرارة يتكلمون لهجة بربر قبائل زناتة وتعرف بالزناتية، ولهجة التديكلت تقريبا هي نفسها في جهة المويدير والأهنت والأهقار، لذلك كيف يمكن أن نجد أناس من نفس العرق تقريبا يختلفون في طريقة العيش إذا كان العرق هو من وراء حياة البداوة والترحال، يبدو أنه لا يجب أن نُجزم هذا العامل لأن الأمر يتعلق بالأرض وظروفها. أنظر للمزيد: E. F. Gautier : Op. Cit., p. 89

² Bernard Augustin, Lacroix N. : «L'Evolution du Nomadisme en Algérie». **B.S.G.A.**, 1^{er} Tri., 1907, pp. 244-253

³ أي يسمون الأشهر وفق الأسماء التي وضعها "جول سيزار Jules César" في سنة 46 قبل الميلاد، في عهد الإمبراطورية الرومانية التي عدل فيها عدد أيام الأشهر لتصبح 365 يوم (+1)، وبقي العمل بها حتى عوضت نهاية القرن 16م (1582م) برزنامة غريغوري (الأب غريغوار الثالث Le pape Grégoire III) المعمول بها حاليا، مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني بين الرزنامتين، فرزنامة "غريغوري" متقدمة بـ13 يوما عن رزنامة "جوليان"، أما أسماء الأشهر التي يستعملها الطوارق فهي معروفة عند البربر والعرب كذلك، وهي مرتبة من جانفي حتى ديسمبر كما يلي (بربري/عربي): إنَّار/ناير، فورار/سُبراير، مارس، إبري، مايو/ماي، يونيو، يوليو، روشَّت/أوت، شتَّانبر/شتامبر، توبر،

وانبر/وامبر، بجامبر/دوج. أنظر للمزيد: Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 108

⁴ يذكر "بارر Barrere" أن هناك الساعة المتكلمة أي "كل خميس ينادي المهدي بن خرز، او ماما كوار بالقرب من المسجد بأن هذا المساء ستكون ليلة الجمعة (إهود نلزمت Ehod N Elzemet)" دلالة على بداية أسبوع جديد، واندش وتعبج أنه سمع بهذا التوقيت أول مرة بعد مكوثه لثمانى سنوات كاملة في الأهقار، لذلك يعتبر أنه يوجد ثلاث تواقبت فقط يحتاجها الطوارق لمعرفة الزمن، الأول هو دورة الأيام (النافعة والضارة) لتثبيت السحر والشعوذة، ودورة الشمس لمعرفة الفصول التي يحتاجها الفلاحون وأصحاب القوافل، ودورة القمر لتطبيق الشرائع الدينية. أنظر للمزيد: Gast M.

Alimentation. : Op. Cit., p. 47

⁵ حسب الباحث "نيكولزن" يقسم فصل الربيع "تافسيت Tafssit" إلى 3 أشهر (فيفري، مارس، أفريل)، في حين يأخذ شهر الصيف "أولن Aouelen" 4 أشهر (ماي، جوان، جويلية، أوت)، ونجد شهر الخريف "أموان Ameouan" شهرين فقط (سبتمبر، وأكتوبر)، أما فصل الشتاء "تاغريست Tagrest" فله 4 أشهر (نوفمبر، ديسمبر، جانفي، فيفري). أنظر

للمزيد: Johannes Nicolaisen : Op. Cit., p. 14

01- فصل الربيع (تافسيت *Tafsit*): هو فصل تفتح الأزهار وفيه يتم حصاد منتج القمح والشعير، ويبدأ من 15 فورار إلى 15 مايو (من 28 فيفري إلى 27 ماي)، في حين يمتد فصل الربيع في العادة من 20 مارس إلى 20 جوان.

02- فصل الصيف (إيولن *Eouilène*): فصل شديد الحرارة قد يؤدي بحياة الناس إذا كانوا يمشون في الصحراء، يبدأ من 15 مايو إلى 15 "روشت *Rouchchet*" (من 28 ماي إلى 27 أوت)، في حين يمتد الصيف في العادة من 21 جوان إلى 22 سبتمبر.

03- فصل الخريف (أموان *Ameouane*): هو فصل جني التمور، وحصاد منتج "الدخن *Mil*" والذرة البيضاء (السرغوم *Sorgho*)، وكذلك هو موسم زرع بذور القمح والشعير، ويبدأ من 15 روشت إلى 15 "ومبر *Ouamber*" أي (من 28 أوت إلى 27 نوفمبر)، مع أن فصل الخريف يمتد في العادة من 23 سبتمبر إلى 21 ديسمبر.

04- فصل الشتاء (تأقرست *Tagrest*): هو فصل شديد البرودة، يمتد من 15 ومبر إلى 14 فورار (أي من 28 نوفمبر إلى 27 فيفري)، في حين يمتد الشتاء في الشمال من 22 ديسمبر إلى 19 مارس، ويقسم فصل الشتاء إلى عدة مراحل وفترات مرة تكون قاسية على النباتات والحيوانات، ومرة مفيدة لهما وهي كالاتي:

أ- الشتاء الأسود (أرهد ستفت *Erhed Settefet*): أو "الشتا الكحلة" هي فترة 25 يوم الأولى من الشتاء (من 28 نوفمبر إلى 22 ديسمبر)، التي تضر النبات كثيرا حيث يجف ويسود، وهي ممطرة وباردة جدا، تعود فيها الوديان للجريان، ويظهر فيها الجليد على الأرض الذي يسمى "إليهي *Eléhé*" أو "ناز *Nèze*".

ب- الليلي السوداني (الليالي الكحلة): هي فترة 20 يوم (23 ديسمبر حتى 13 جانفي) أخرى تكون فيها حياة الحيوانات الأليفة مهددة بالموت، خاصة من الماعز أو الخرفان والجدبان،

وهذه الفترة تقريبا لها نفس خصائص الشتاء الأسود، لذلك يعدها الكثير مع الشتاء الأسود لفترة 45 يوم مع بعض.

ج-الليالي البيضاء: هي فترة 20 يوم التي تبدأ منذ أن يظهر فيها نجم ساطع (الشعري *Sirius*) عند شفق الشمس في المساء، وتمتد من (14 جانفي إلى 02 فيفري)، يبقى فيها الجو باردا كأيام الليالي السوداء، ويلقى بعض الناس الموت في هذه الفترة، ففيها تبدأ الرياح والأمطار، وإذا تم زرع بعض البذور في خلال 13 يوما الأولى من شهر يناير (جانفي) التي توافق منزلة القمر "البولار *el boular*"، فإنها تأتي بمحصول جيد، ثم تليها منزلة للقمر أخرى تسمى بـ"سعد السعود" وهي الفترة المناسبة لغرس الخضروات والأشجار.

د- الشتاء الأبيض (أرهد ملن *Erhed Mellen*): هي فترة من 25 يوم (من 3 فيفري إلى 27 فيفري)، هناك من يضمها مع الليالي البيضاء كفترة واحدة من 45 يوم، تكون فيها الأرض مجمعة للبرد (إدام *Eddam* أو السرد) تمنع نمو البذور تحت الأرض لفترة قد تصل لأربعين يوما، كما هي فترة إزهار بعض الأشجار المثمرة كالخوخ التي تتلفها الرياح والبرد.

ه- الأيام السبعة: تعرف بالأيام الضارة أو السيئة الحظ¹، هي فترة تهب فيها رياح شديدة، تكون نهاية فصل الشتاء (نهاية شهر فورار-فيفري)، وهي منقسمة بين شهر فيفري ومارس، حيث تأخذ الأربعة أيام الأخيرة من شهر فورار (25-28 فورار أو "سبراير *Sobrair*")، وثلاثة أيام الأولى من شهر مارس، لذلك هي توافق من 10 إلى 16 مارس، ويعرف مزارعي

¹ هذه الأيام السبعة معروفة لدى كل سكان البلاد المغربية وتسمى سواء "الحسوم" (العقاب في القرآن) التي تمتد من (26فيفري إلى 3 مارس)، أو "الليالي الهيان *haian*"، أو "الليالي الرعيان" (جمع راعي) لأنهم يمشون بالبيت هذه الأيام ولا يخرجون بقطعاتهم للمراعي لشدة البرد وهي (من 24فيفري إلى 4 مارس)، وتسمى في بلاد القبائل بـ"تيمرارين *Timr'arin*" التي تبدأ في يوم 28 فيفري وتستمر لسبعة أيام، وهي جيدة لغراسة القرع (الكوسا). أنظر للمزيد: Henri Lhote : **Les Touregs du Hoggar**, Ed. Armand Colin, Paris, 1984, p. 139 ; Gast M. : Op. Cit., pp. 50-51

واحة "إدلس" *Tdelès* بداية الأيام السبعة حينما يسمعون هديل الحمام لأول مرة في صبيحة يوم 25 فورار (سبرايير)، ثم تليها بداية إخضرار أشجار التين والخوخ¹.

يزرع الفلاحون الذين لهم سر مع الفلاحة والتقاليد، في نهاية الأيام السبعة بعض أحواض الحبوب باسم عجائز القرية في السر، ونمو هذه الحبوب بشكل جيد أو سيء يكون بحسب الحظ الذي تمنحه هذه العجائز، كما أن نساء الحراطين (السوداوات) المنحدرين من جهة توات، ولغرض أن يزدن في وزنه يأكلن لحم القطط² مُتَبَل بحبوب "البورزيغ" *Bourzig* (تسمى البرش أو الجوز مائل وهي حبوب نبات شوكي *Datura Stramonium*)، ويسمى اليوم الأول من مارس الموافق لليوم الخامس من الأيام السبعة (14 مارس) بالسيء الحظ، حيث لا يجب عمل أي شيء فيه، لا يجب لمس لا مجرفة ولا منجل، ولا يجب تشغيل أي دابة لأنها ستلقى الموت، وإذا كان معروف عن امرأة أنها دائما ما تقعد مواليدها الجدد، وصادف أن وضعت حملها هذا اليوم، فيجب أن تسمى المولود باسم حيوان، وإذا كانت بنت يجب أن تسمى باسم ولد والعكس وهذا حتى تُخدع الروح الشريرة ويعيش المولود³.

¹ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 50

² ذكر النقيب "ليزور" *Lesourd* أن نساء عين صالح يحتفظن برواية أن إحداهن أقامت عرسها في الليلة الأولى من الأيام السبعة، لكن توفى عنها زوجها في اليوم السابع فجأة، وتم تخليد هذه الحادثة بالقول: "دخلت عروسة خرجت رابطة" لذلك فهن يتخذن من هذه الأيام السبعة مناسبة وعيدا للزوجات وذلك لإبعاد الشرور والحظ السيئ عنهن، لذلك يجتهدن في إظهار جمالهن لأقاربهن، وبحكم أن الوزن الزائد يعتبره رمزا للثراء والتميز أيضا، فإنه لا يوجد أحسن من لحم القطط (حسبهم) لكسب وزن زائد، فهو غذاء مقوي، زيادة على أنه يعالج أمراض الروماتيزم والأمراض الصدرية حسبهم، كما يفضل لحم القط عن لحم القطة... كما يوجد من يأكل لحم الكلاب أيضا على أنه يحمي من الحمى والزكام التي عادة ما تكون وراء وفاة الكثيرين... وتجدر الإشارة أن الإدريسي في القرن 12م ذكر أن: "أهل سجلماسة يأكلون الكلاب والحيوان المسمى الحردون ويسمونه بلسان البربر "أقريم" ونساؤهم يستعملنه في السمن وخصب البدن، وكذلك هن في نهاية السمن وكثرة اللحم...". أنظر للمزيد: الشريف الإدريسي: *كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق*، مجلدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج. 1، ص 226؛ *B.L.S.* T. 5, N° 17-juin، «Mangeuses de chat à In Salah». *B.L.S.* T. 5, N° 16, Mars-1954, pp. 85-86؛ Thiriet R. (Col.) : «La cynophagie à Ouargla». *B.L.S.* T. 5, N° 16, Mars-1954, pp. 11-14؛ Roger Bureau (Lieut.) : «Manger du chien !... et du chat ?». *B.L.S.* T. 5, N° 16, Mars-1954, pp. 15-16

³ Gast M. : Op. Cit., p. 50

هذه الخرافات والممارسات ليست حكرا على ثقافة وعادات الطوارق فقط، لأنها كانت منتشرة في كامل البلاد المغاربية في الشمال المعتبرة الأكثر تدينا وفهما للإسلام، مقارنة بالطوارق البعيدين جغرافيا عن مراكز الحضارة والثقافة، لذلك هي ثقافة مشتركة ربما زاد عليها الطوارق شيئا لاحتكاكهم بأهل السودان، أين تنتشر المجتمعات الوثنية والعبادات الطوطمية.

تعتبر فصول السنة السالفة الذكر، التوقيت الحاسم الذي تتوقف عليه حياة سكان الأهقار، سواء كانوا بدوا أم فلاحين مستقرين، فكل فصل خصائصه البيئية التي يجب مراعاتها، ومقدراته الإنتاجية المحدودة، التي لا يجب عدم تقديرها أو إهمالها، لأنها قد تكون سبب النجاة أو الهلاك، ويعتبر فصل الشتاء هو أكثر الفصول قساوة على كال أهقار، الذين يصابون فيه أحيانا بمجاعة إذا لم يتم ادخار ما يكفي من قبل، أو كانت عائدات الإنتاج في تلك السنة ضعيفة، ولم توفر تجارة القوافل الكثير، أو توقفت بسبب الحروب، لذا فاقصاد كال أهقار مرتبط بشكل كبير بمواعيد فصول السنة.

1-5 تأثير خصائص السطح على غذاء كال أهقار:

يتناول أفراد الخيمة وجبتين في اليوم فقط، وجبة الصباح التي تكون عند الفجر، وتسمى "تيجيمجيمت *Tegimgimt*" التي تكون خفيفة في الغالب مثل حساء طحين القمح أو الشعير أو الدخن ("دشيشة" تارويت *Taraouait*)، يتبع بكأس من الشاي، ووجبة في المساء في حدود الساعة الثامنة إلى التاسعة ليلا، وتسمى "أزوزغ *Azouzeg*" (أو آمنسي *Amensi*، أمنسو *Amensou*، أماجين *Amagin*) التي تكون أكثر غنا (كسكس، أو "إيسينك *Esink*" عصيدة طحين القمح أو الشعير أو الدخن، يضاف إليها اللبن الرائب الذي

يحضر منذ الصباح)¹، وإذا كانت الموارد قليلة والغذاء شحيحاً، فإنهم يكتفون بوجبة واحدة فقط في المساء، وكانت هذه العادة جارية خاصة قبل سنة 1900م بكثرة².

وإذا كان بارث وديفاريي ذكروا أنه لم يكن للطوارق طبق رئيسي³، فإنه يمكن القول أن كمال أهقار منذ سنة 1900م أصبح طبق "عصيدة الدخن" الأكثر شهرة وتناولاً حسب دوفوكو⁴، وفي مطلع القرن 20م ذكر بنهازيرة الذي جال في معظم قبائل كمال أهقار لمدة 6 أشهر (3 ماي-29 أكتوبر 1905م) ونقل طريقة عيشهم⁵، أن الطبق الرئيسي للطوارق يكون في منتصف النهار ويسمى "تاروت *Tarout*"، أما مساءً فيكتفون ببعض الحليب الطازج لما تعود قطعان مواشيهم (نوق، ماعز، نعاج) من المراعي، وأهم مكونات غذائهم نجد الدخن (البشنة) والتمر والحليب، كما يحبون الجبن المجفف القاسي "تيكامارين *Tikamarin*"، الذي يضيفونه لطعامهم بعد دقه، أما اللحم فنادر ما يأكلونه باستثناء لحوم الطرائد التي يصطادونها (غزال، ظبي، أروي، أرانب...) ومع ذلك هناك من يقوم بتدخين

¹ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 55 ; Lhote H. : Op. Cit., p. 115

² الطوارق يصبرون جداً على الجوع والعطش مثل ما هو عليه الأمر عند حيواناتهم، حيث يستطيع الرجل الطارقي السفر لعدة أيام دون أن يأكل أو يشرب، ولتحمل الجوع أكثر يحكمون القبض على بطونهم بحزام، وأحسنهم حالاً عند السفر يتناول مرة واحدة فقط عند نهايته وتوقفه وتدعى هذه الوجبة "أزبري *azhebri*"، وفي حالة استقرارهم فليدهم وجبتان، هي

الفطور ويدعى "أمكلي *amekli*" والعشاء "أمجين *amedjin*". أنظر للمزيد: Duveyrier H. : Op. Cit., p. 408

³ يذكر ديفاريي أن طبقة النبلاء في الأهقار رغم فقرها مقارنة بالقبائل المجاورة لها لكن لديها خصوصية في طعامها، فهم لا يقبلون في وجباتهم سوى لحوم الإبل أو الخراف أو الماعز، ويرفضون أي وجبة بها السمك أو نوعاً من أنواع الطيور أو حتى بيضها كذلك، وهم لا يعرفون سبب ذلك وإنما ورثوها عادة من قبل آبائهم وأجدادهم. كما يذكر بنهازيرة أنه لا يمكن أن تجد الدجاج عند كمال أهقار إلا عند بعض الفلاحين الحراطين، والأمر نفسه ذكره القشاط. أنظر للمزيد: Duveyrier H.

Op. Cit., p. 401 ; Maurice Benhazera : **Six mois chez les Touaregs du Ahaggar**. Ed. Jordan, Alger, 1908., p. 61

⁴ Charle de Foucauld : **Dictionnaire Touareg-français**. Dialecte de l'Ahaggar, 4vol, Imprimerie nationale, Paris, 1951, T. 3, p. 1530 ; Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 74

⁵ مورييس بنهازيرة ضابط فرنسي مكلف بالترجمة كونه يتقن العربية جيداً إضافة لبعض اللهجات البربرية، اشتغل مع المقدم "لابيرين *Laperrine*" (القائد العسكري لأقاليم الواحات الصحراوية) والنقيب "دينو *Dinaux*" (قائد الفرقة العسكرية الصحراوية للتديكلت-عين صالح) في عديد دورياتهم في مناطق الطوارق وتم تكليفه بكتابة تقرير في سنة 1905م وجمع أكبر قدر من المعلومات عن طوارق كمال أهقار المتوزعة في مناطق شاسعة في الأهقار بحسب مناطق رعيها التي ظهرت في كتابه. أنظر للمزيد: Maurice Benhazera : Op. Cit. 275p.

لحومها (مقدد) بغرض بيعها في أسواق التديكلت بالنسبة للفقراء والطبقات الضعيفة¹. كما أن الطوارق لا يذبحون إبّهم إلا لما تقترب من الموت الطبيعي².

ورغم أن النبلاء منهم يملكون بعض البساتين والحقول التي يزرعون فيها القمح والشعير والبشنة، لكنهم مع ذلك يقومون ببيع القمح والشعير لأهالي التديكلت ويكتفون بزيادة التمون بالبشنة (*inelli*) التي يحبونها كثيرا³.

لذلك يبدو أن معرفتهم للقمح (*Ered*) قديمة دون شك، قد تعود لما كان كال أهقار وكال آجر تحت سلطة واحدة، وكان يصل القمح من المنطقة الطرابلسية الليبية أو من مصر عن طريق حركة القوافل، ولكن مع انفصال هذين الفرعين والظروف السياسية التي كان يعيشها الأهقار حينها دون سلطة سياسية، زيادة على العزلة الجغرافية والبعد عن الحركة التجارية المارة بجهة الشرق أو الغرب، ترك كال أهقار بعيدين عن تناول حبوب القمح والشعير (*Timzin*)، حتى تاريخ سنة 1861م تقريبا لما بدأ فلاحو توات والتديكلت بزراعته عندما استقروا في الأهقار، ومع كونه نادرا في البداية إلا أنه سيعرف ازدهارا في منتصف القرن 20م، ففي تقرير النقيب "فلوريمون *Florimond*" سنة 1938م وصل إنتاج القمح إلى 200 طن (و 50 طن من الشعير)، ثم إلى 423 طن (و 71 طن من الشعير) في سنة 1946م حسب تقرير "مورالس *Moralès*"، ثم إلى 450 طن (و 120 طن من الشعير) في سنة 1960م حسب وثائق دائرة تمناست والتي ربما تراجع إنتاجها لهجرة الفلاحين الأرض إلى ورشات العمل التي فتحت حينها في المنطقة⁴.

¹ Benhazera M. : Op. Cit., pp. 28-29

² **Voyage au pays des Senoussia**, à travers la Tripolitaine et les pays touareg, par le cheikh Mohammed ben Otsmane El-Hachaichi, Tr. Serres V. et Lasram, Ed. Challamel A., Paris, 1903, p. 204

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 29

⁴ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 78 ; Niccollaisen J. : Op. Cit., p.15

كان سعر القمح مطلع القرن 20م حسب دوفوكو (1910-1915م) يقدر بـ 1,25 فرنك للتزيوة *Tazioua*، ليكون حمل جمل (30 أمترال *Ametral*) بـ 75 فرنك¹، لقد كان يوصي ملاك الأرض (الإيموهار) فلاحهم بزراعة الحبوب من الدخن والقمح، التي تمثل غذائهم الرئيسي في معظم أطباقهم، ولم يكونو مهتمين بزراعة الخضر والفواكه التي لا علم لهم بأكلها من قبل، لذلك دائما ما يستأثرون من فلاحهم عندا يرونهم يغرسون بعض المساحات الصغيرة لهم، على أن سقيها يجب أن يكون على حسابهم، وكذلك عدم توفير البذور التي عادة ما تكون غالية، وهي معدودة جدا كالجزر، الثوم، البصل، اللفت، التي يستعملونها في طعامهم كمرق أو حساء، والتي لم يتذوقها الطوارق (الإيموهار) بعد. وكان يقدر حجم المساحات القابلة للزراعة (الحبوب) بحوالي 188 هكتار في سنة 1909م لترتفع إلى حوالي 555 هكتار في سنة 1940م، ولكن إنتاج هذه المساحات من المحاصيل يتوقف على طبيعة التساقط وإمكانيات السقي أحيانا، وإذا كان كال أهقار يعلمون أنه بإمكانهم استيفاء حاجتهم من بلاد السودان (النيجر) فإنهم لا يغامرون أساسا بزراعة الحبوب².

كما تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء الفلاحين لا يقومون بزراعة الفلفل والتبغ في أراضي الأهقار، وهذا لاتفاق قبلي من رؤساء قبائل أهل عزي والحراطين في توات مع الطوارق الإيموهار (منذ عهد الأمنوكال الحاج أحمد الذي طلب خدماتهم الفلاحية)، حتى لا ينافسوهم في تجارة هذين المنتجين المحتكرين لهما، وبقي الطوارق على هذا العهد، وحتى لو غرسوا بعض الفلفل يكون للاستهلاك فقط وليس للتجارة، أما التبغ فلم يجربوا زراعته مطلقا، ومع مرور الوقت زادت معرفة الفلاحين لمناخ الأهقار وكيفية تأقلم بعض الخضروات معه ضد الصقيع أو الرياح أو بعض الأمراض التي كانت تفتك بالمنتجات، واتسعت فلاحتها تقريبا مع مطلع القرن العشرين، فالعديد من الفلاحين يؤكدون أن منتوج الطماطم مثلا، وصل إلى

¹ Foucauld Ch. De et Cllassanti-Motyliniski A. de : **Textes Touareg en prose**, Ed. Carbonel, Alger, N° 154, 1922, pp. 119-120,

² Lhote H. : Op. Cit., p. 140

واحة "تاظروك" في سنة 1902م لما ترك جنود الملازم الأول "كوتتي *Cottenest*" في مخيمهم بقايا الطماطم المجففة، فتم نقلها وزرعها، كما وزع الأب دوفوكو بعض بذور الخضر ومنها الطماطم والبصل على مزارعي واحة "تغهاوهاوت" وتمنراست في سنة 1908م، ومنها عرفت الازدهار¹.

كما زرع فلاحو الأهقار بذور الفاصولياء التي جلبوها من الفزان أو من بلاد السودان ويسمونها "تانزانت *Tanzant* وتادلانك *Tadellak*" التي تزرع شهري مارس وأفريل وحتى ماي، وتحصد من شهر سبتمبر إلى ديسمبر²، وإذا كانت أشجار النخيل والكروم والتين موجودة في الأهقار قبل حضور فلاحي توات والتديكلت، فإنها في أقل من قرن تضاعفت كثيرا.

كما جاء في تقرير النقيب "فلوريمون *Florimond*" حاكم مركز تمنراست (1938-1944م)، أن السلطات الفرنسية شجعت الزراعة وتتويجها منذ سنة 1929م، من خلال توفير بعض بذور المشمش، التفاح، البرتقال، البرقوق، الزيتون، الحمضيات، الكمثري (الإجاص)، البرسيمون، السفرجل، وفي الفترة من 1938م إلى 1943م تم توزيع حوالي 45000 ألف فسيلة شجرة، لكنها ضاعت وأهملت ولم ينجح منها إلا القليل في بعض المراكز الفلاحية، كما عمم "فلوريمون" شجر الحور (الصفصاف) التي تساهم جذوعها الطويلة في بناء أسقف البيوت، ووزع حوالي 100 ألف فسيلة، وبدعم من "جون ديبيايف *Jean Dubief*" (مسير مرصد تمنراست) تم انشاء حديقة نباتات تجريبية ومشتلة نباتات³،

بالنسبة لأشجار النخيل فإنها لم تكن متوفرة مطلع القرن 20م، وحتى واحة أبالسة المهمة اليوم لم تكن تتوفر ولا على نخلة واحدة بها حسب ما ذكره النقيب "بيسال *Bissuel*"

¹ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p.111

² Foucauld Ch. de : Dictionnaire. T. 1, Op. Cit., p. 197

³ ANOM., Carton 1H58, Rapport du Capitaine Florimond au Commandant militaire du territoire des oasis.

عن قبائل التايطوق سنة 1888م، كما ذكر الأب "دوفوكو" أنه لما زار أبالسة في رحلته الأولى مع الجنرال لابييرين سنة 1904م وجد بها حوالي 40 نخلة فقط، ونفس العدد قدمه الضابط "بوركات Bourcart" في سنة 1922م مع وجود أيضا 12 شجرة تين، وفي سنة 1938م قدم الأب "غوري Gorée" عدد 117 نخلة (من مجموع 271 نخلة التي قدمت) وصل إنتاجها إلى 6000 كغ من التمر، وفي سنة 1950م كان يزيد عدد أشجار النخيل في واحة أبالسة عن 300 نخلة¹.

¹ Lhote H. : Op. Cit., p. 138 ; Nicolaisen J.: Op. Cit., p 50

الفصل الثاني: نظرة عامة عن طوارق الأهقار:

2-1 نسب كمال أهقار بين الكتابات العربية والرواية الشفوية:

يقطن الطوارق بمجموعاتهم الكبيرة في الصحراء الوسطى لإفريقيا في المنطقة المحصورة بين خطي عرض 14° و 30° شمالاً، وبين خطي طول 5° غرباً و 10° شرقاً، ويشكلون ثماني مجموعات كبرى أو وحدات سياسية¹، تعرف في الكتابات الغربية بالكونفدراليات ويعرفون أنفسهم بطبل المجموعة²، ويقدر مجموع سكان طوارق الجنوب بين 250 إلى 300 ألف نسمة، في حين يقدر طوارق الشمال (الآزر والهقار) بحدود 10.000 نسمة أي بمعدل 3% فقط من مجموع الطوارق وهذا حتى منتصف القرن العشرين، كما يعتبر أن طوارق الأهقار والآزر هم من يقطنون الصحراء حقيقة بالمقارنة مع طوارق الجنوب في النيجر ومالي وبوركينا فاسو³.

ينحدر طوارق الأهقار من قبائل الهوارة البربرية⁴، نسبة لهوار بن أوريج ابن برنس أي لبربر البرانس وليس البتر، على اختلاف الروايات في ذلك، وكان موطن هؤلاء الهوارة

¹ هناك اختلاف بين المؤرخين في تقسيم مجموعات الطوارق، فمثلاً يرى "أندري بورجو" أنها توجد 7 كيانات سياسية مختلفة للطوارق مقسمة حسب موقعها الجغرافي من مرتفعا □ الجبال؛ (كال أهقار، كال آجر، كال آبير، كال أداغ) وفي السهول؛ الإيولمدن، كال غرس، كال أودالن (ثنية نهر النيجر)، وكل فرد من هذه المجموعات ولاءه للطبل الخاص والمستقل لكل سلطة. في حين يرى "محمد سعيد القشاط" أن منطقة التوارق تنقسم إلى سبع سلطنات هي؛ الأزقر، الهقار، والليمدن كل أطرام، تفريريت، آبير، تمزقدا، كل أقرس. أنظر للمزيد: Bourgeot A. : Les sociétés, Op. Cit., p. 13؛ القشاط: التوارق، مرجع سابق، ص ص، 39-47

² كل الكتاب (الغربيون) يستعملون مصطلح السياسي الغربي "الكونفدرالية *Confédération*" لترجمة مصطلح "الطبل" الذي يستعمله الطوارق للدلالة على وحدة سياسية خاصة (سلطنة) بالنسبة لمجموع الوحدات السياسية لنفس المجتمع الثقافي المسمى "كال تماشاغ" دلالة على اللغة التي يتكلمها الطوارق. أنظر للمزيد: Bourgeot A. : «Le corps, Op. Cit., p. 660

³ Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 7 ; Edmond Bernus : **Quelques aspects de l'évolution des Touaregs de l'ouest de la république du Niger**. Etudes Nigériennes N° 9, IRSH, Niamey, 1982, p. 3

⁴ تم تناول هذه الجزئية في أصل قبائل الطوارق من هوارة وصنهاجة في دراستنا السابقة (رسالة الماجستير) بشيء من التفصيل في أكثر من 20 صفحة بالعودة للمصادر العربية الأولى وتسلسلها زمنياً، ومدعمة كذلك بأبحاث باحثين غربيين حول الموضوع. أنظر للمزيد: إبراهيم بتقة: مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2010م، ص ص 8-30 ؛ عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. 8 أجزاء، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ط. 1، ج6، ص ص 182-190 ؛ Jacque Hureiki : Op. Cit., 766p.

منطقة برقة خلال القرن 7م¹، في وسط المنطقة الطرابلسية، وكذلك الفزان²، ثم نزلوا حتى منطقة الجريد، ومكث الهوارة في المنطقة الطرابلسية وبرقة حتى القرن 11م وشغلوا بهما أكبر حيز³، لكنهم أمام زحف عرب بني هلال في المنطقة في هذا العهد، وحروبهم السابقة الكثيرة مع الخوارج الإباضية وانهزامهم دائما تركوا مناطقهم وتوغلوا جنوبا أكثر مثل باقي القبائل الأخرى كملجأ لهم منذ القرن 12م⁴. وتثبتوا أكثر في الأهقار حاليا منذ القرن 13م⁵.

لكن هناك رواية أخرى يحتفظ بها بعض النسابة الطوارق في الأهقار والآجر عن أصول بعض القبائل ربما إلى جهة أخرى، فهناك من يرى أن طوارق الأهقار ينحدرون من سلالة أشرف المغرب، إذ يذكر "ديفايري" رواية عن إبراهيم ولد سيدي، أن: "الأهقار ينحدرون من نسل أولاد سعيد بن سيدي مالك"، والذين كان جدهم من الأشراف ويدعى "أجاج Aggag" الذي كان أميرا من أهل السوق⁶، كما يظهر أحيانا إسم "أجاج الأمين" في توصلات وتضرعات الأهقار إلى اليوم (1900م يقصد)، ويقولون أن واجاج (Adjaj- Aggag) يعني في لغتهم القديمة المرابط، وهو الذي له ضريح مبجل في وادي "تافيجيك Tafidjiq" على بعد 4 ساعات من المشي من "إدلس Idelès"⁷، وكان "واجاج بن زلو اللمطي" (وكاك بن زيرك عند ابن خلدون) معلما لتلميذه النجيب عبد الله بن ياسين صاحب

¹ أبو حسن علي المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر. 4 أجزاء، تقديم محمد السويدي، دار الأنيس، الجزائر، 2007، ج. 2، ص 419.

² يقول اليعقوبي في القرن 9م: "...وجاز قوم منهم إلى بلد يقال له تَوْرَغَة، وملكوا هناك، وهم هواره... أنظر للمزيد: أحمد أبي يعقوب: تاريخ اليعقوبي. مجلدين، تح: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010م، ط. 1، ج. 1، ص 235.

³ أبو عبيد البكري: المسالك والممالك. جزءان، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج. 1، ص 328؛ الشريف الإدريسي: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق من إختراق الأفاق. تصحيح، هنري بيرس، دار الكتب، الجزائر، 1975، ص 35.

⁴ عبد الرحمن ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. 8 أجزاء، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ط. 1، ج. 6، ص ص 185-190.

⁵ Ernest Mercier : Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie). 3T. Ed. Ernest Leroux, Paris, 1888, T. 1, p. 194 et T.2, p. 386

⁶ Duveyrier H. Op. Cit., p. 321

⁷ Benhazera M. : Op. Cit., p. 78

الدعوة المرابطية¹، ولما كان عبد الله يخاف القتل من طرف قبائل لمتونة، فضل معلمه واجاج أن ينزل بنفسه ناحية الأهقار، والتي فيها توفي وفيها دفن حسب الرواي طبعاً²، لكن لم أعثر على أي مصدر ذكر هذه الرواية، ومعروف أن "وجاج ابن زلو" توفي سنة 445هـ/1054م ومدفون بالرباط الذي أنشأه بقرية "أكلو" بإقليم السوس³.

كما نسب إبراهيم ولد سيدي أن وجاج من السوق وهو ربما يريد بذلك القول بأن أصل الأهقار من كمال السوق⁴، ويذكر ابن خلدون وجاج هذا (الفقيه وكاك) على أنه من قبائل "لمطة"، في حين تذكر معظم الروايات أن من سكن السوق هم قبائل "Iguellad" (إينغال بالأير الآن) والإيفوغاس. في حين لما تسأل معظم نبلأ الأهقار عن أصلهم فكلهم يعودون به للمرأة النبيلة تينهينان وبالتالي من البربر.

¹ مؤلف مجهول: *مفاخر البربر*. دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، الرباط، ط. 1، 2005م، ص 145؛ ابن خلدون: تاريخ، المصدر السابق، ج 6، ص 270؛ لسان الدين ابن الخطيب: *الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية*. مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1911م، ص 9

² A.N.O.M., Microfilm Carton 14MIOM869, Série G, 12G10, Livre seconde, Origine, Histoire et divisions administratives de la confédération du Ahaggar.

³ في رواية للبكري يذكر أنه لما أمر "وجاج بن زلوى" تلميذه "عبد الله بن ياسين" بالنزول مع "يحيى بن إبراهيم" ليعلم أهل الصحراء: "اجتمع له سبعون رجلاً للتعلم منه ثم غزى بهم بني لمتونة وحاصروهم في جبل لهم فهزمهم... وامتثلوا له وهم يطيعون ويسمعون له إلى أن نعموا عليه أشياء يطول ذكرها وكأنهم وجدوا في أحكامه بعض التناقض فقام عليه فقيه منهم كان اسمه "الجوهر بن سكم" مع رجلين من كبارهم يقال لأحدهما "أيار" وللآخر "أينتگوا" فعزلوه عن الرأي والمشورة، وقبضوا منه بيت مالهم وطردوه وهدموا داره... فخرج مستخفياً من قبائل صنهاجة إلى أن أتى "وجاج بن زلوى" فقيه ملكوس فعاتبهم وجاج على ما كان منهم إلى عبد الله وأعلمهم أن من خالف أمر عبد الله فقد فارق الجماعة وأن دمه هدر، وأمر عبد الله بالرجوع إليهم فرجع وقتل الذين قاموا عليه وقتل خلقاً كثيراً ممن استوجب القتل من جرایة أو فسق، واستولى على الصحراء كلها وأجابهم جميع تلك القبائل ودخلوا في دعوته والتزموا السنة به". أنظر للمزيد: أبو عبيد البكري: *المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب*. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت. ص 165-166

⁴ حسب تقرير الملازم الأول "بيسي Besset" عن قبائل الطوارق ومعظم القبائل الصحراوية، الذي استقى معلوماته من النسابة "سي حمزة بن احمد" من الأقبلي، والذي يعتبر أكثر شخصية متعلمة في توات والتديكلت، (جولية 1903م). فإن كل قبائل الطوارق ينحدرون من نسل "تينهينان" لما تزوجها سلطان الإمان، وتسمياتهم أخذوها من مناطق سكناهم... وحتى كمال السوق منهم، ونتيجة للصراع هدمت مدينتهم ويقطنون الآن مع الإيولمندن، وصراع الطوارق مع القبائل السودانية وتغلبهم عليهم واستعبادهم لهم هو الذي كان وراء تشكل المجتمع الطبقي عندهم. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset «Notice sur les Touareg d'après les légendes et les renseignements recueillis dans le Tidikelt», 1903, 50 p.

2-2 أهم القبائل الفاعلة عند كال أهقار وفي إقليمها.

فيما يخص تركيبة المجتمع في إقليم الأهقار فهو يتألف من عديد مجموعات القبائل، نجد في داخل كل مجموعة تجانسا وعلاقات قرابة بين العشائر، لكن علاقاتها مع المجموعات الأخرى في تنافر إن لم تكن في صراع، وخاصة منها النبيلة التي تتصارع على الحكم ولعل أهمها كال غَلا والتايطوق، وذكر براهيم ولد سيدي لديفاري أنه هناك أهل البيت (الخيمة) البيضاء ويقصد بهم التايطوق (وهي ترجمة كال إهن ملن *Kel-Ehan-Mellan* وهم القبائل المنتشرة في عين صالح وإن غار والمويدير سابقا)، وأهل البيت السوداء ويقصد بهم النبلاء من كال غَلا¹. وعلى كل حال يمكن تقديم أهم القبائل الموجودة في إقليم الأهقار حتى خمسينات القرن العشرين كما يلي:

تنقسم كونفدرالية الأهقار بحسب ترتيبها الطبقي إلى ما يلي:

أ- القبائل النبيلة أو الإيهقارن: تضم خمس قبائل كبرى وهي (كال غَلا، التايطوق، تجهي ملّت، كال إهن ملن، الإكادين)²، لكن تعود السيطرة والسلطة لقبيلة "كال غَلا" التي بها ثمانية عروش هي: (الإيبوغلن *Ibouguelan*، الإينمبا *Inemba*، تجهي-ن-أوسيدي *Tedjehey n Ou Sidi* أو تسمى أيضا تجهي-ن-أما *Tedjeheu n Emma*، إيكروموين *Ikerremain*، تجهي ملّت *Tedjehey Mellet*، تجهي-ن-أقالي *Tedjehey n* *Eggali*، تجهي-ن-ساكال *Tedjehey n Sakkal*، كال أهاملن *Kel Ahamellen*) هذه الفروع الثمانية هي المشكلة لقبيلة كال غَلا في مطلع القرن العشرين³.

¹ Duveyrier H. Op. Cit., p. 321

² Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 51

³ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., 50 p.

ب-قبائل التايطوق *Taitoq*، إسمها مشتق من "إتاق *Itaq*" التي تعني بلغة التماهاك "الكهف أو المغارة"، كانوا يقطنون الجهة الغربية للأهقار والمعروفة بإقليم الأهننت¹، ولكن لظروف الصراع على السلطة مع كمال غلا من جهة ثم لمواجهةهم للاستعمار الفرنسي من جهة أخرى نزحت هذه القبائل إلى منطقة الأدرار إيفوغاس وكذلك إلى منطقة التامسنة ولم يبق منهم إلا فروع صغيرة في الأهقار، وينقسمون بحسب التصنيف الطبقي كما يلي:

القبائل النبيلة: (الإيكداين *Ikadeyen*، الإيغشومن *Ighechchoumen*، التايطوق)، والقبائل التابعة (إيوروارن *Iouarouaren*، إيهغان *Iheghan*، آيت لوهانين *Ait Lohayen*، إيكودتيسن *Ikodtissen*، تجهي-ن إيفيس *Tedjehey n Efis*)².

ج-القبائل التابعة: ويقصد بها مجموع القبائل التي تدفع الضريبة للأمينوكال كرمز لتبعيةها في مقابل حمايتها وأهمها: داق غالي *Dag Rali*، آيت لواين *Ait Loain*، أجهي نتالي *Ajeuh-n-Thalé*، غيدايدين *Redaidin*، إكلن نتاوسيت *Iklan-n-Taousit*، إيبوتتاتن *Ibettenaten*، إيرجناتن *Iregenaten*، ويقال أن هاتين الأخيرتين لم تكونا من قبائل الأتباع في الأصل، فقبيلة الإيبوتتاتن كانت من طبقة الأشراف في وقت ما، في حين قبيلة الإيرجناتن هم من نسل أمهات من الإيبوتتاتن وآباء من العرب³، وهي كلها تابعة لقبيلة كمال غلا، في حين تعتبر قبائل كمال أهننت *Kel Ahnet* من أهم قبائل الأتباع لقبيلة التايطوق⁴.

¹ أشار الباحث "غوتيي E. F. Gautier" لقبائل التايطوق مطلع القرن 20م بما يلي: "يقطن الأهننت قبائل التايطوق النبلاء، أقوى قبائل كمال أهقار عداء للفرنسيين، وتدعى القبائل التابعة التي تقطنه كمال أهننت، الذين يسكنون الخيم الحمراء. أنظر للمزيد: E. F. Gautier : Op. Cit., pp. 95-96

² ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., p. 23

³ Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 49

⁴ Foucauld CH. de R. P. : «Chez les Touaregs Taitoq, Iforas, Hoggar. (Journal de voyage du Père Charles de Foucauld, Mars-Septembre 1904)» **B.L.S.**, T. 11, N° 3, Février-1951, p. 20

د-قبائل الإيسقمارن *Isaqqamaren*: تحسب على قبائل الأتباع لكنهم يرفضون ذلك التصنيف¹، وهي تتكون من 9 فروع أهم ست فروع منها تربطهم علاقة قرابة؛ (كال أمجيد *Kel Amguid* أو كال وان توات *Kel Ouan Touat*، كال إنغار *Kel In Ghar*، كال تيفيداست *Kel Tifedest*، إهياون هادا *Ihehaouen Hadda*، كال أهقار أو كال تازولت وداق مسك *Kel Tazolet et Dag Mesk*، كال إيمدير *Kel Immidir* (مجموع هذه الستة تسمى كال أدنك *Kel Adenek*)، كال أوهاات *Kel Ohat*، كال تيوريت *Kel Terourit*، إيسلامتن *Islamaten*)².

لكل قبيلة أو فرع قبلي إبله الخاصة، التي يميزونها بوشم خاص على الفخذ الأيمن للجمل، أو الخد الأيمن، أو العنق الأيمن³.

ه-قبائل الإينسليمن: أي المهتمون بشؤون الدين والتربية الدينية، يعتبرون من قبائل الأتباع على الرغم أن منهم من ينحدر من الطبقة الأرستقراطية، لكن لتخليهم عن شؤون الحرب إلى التعلم والاهتمام بالدين نزلت درجتهم في السلم الاجتماعي، لكنهم لا يدفعون الضريبة مع ذلك⁴.

و-الإينادن *Enaden*: (أو الإناصن أي الحرفيون) ويدعون في الأهقار بـ "كال أهنسوة *Kel ahensowa*" أي أصحاب الورشات⁵، وهم أقل عددا في الأهقار، ورغم عملهم هذا الذي يحتقره الإيهقارن، إلا أنهم لا يخضعون لهذا السلم الطبقي ففي كثير من الأحيان هم قريبون من الطبقة الأرستقراطية التي تربطهم بهم علاقة إقتصادية واجتماعية، فهم يسيطرون

¹ تنحدر قبائل الإيسقمارن من نسل وزواج رجال عرب وأمهات طارقيات، وتم ضمهم للطوارق لما كانوا □ ابقا من أتباع القبيلة النبيلة كال إهن ملت *Kel Ehan Mellet*، مع أن القبيلة العربية القوية في النديكلت "أولاد باحمو" تعتبرهم من أتباعها خاصة وأن هذه القبائل تقطن في منطقة المويدير بين النديكلت والأهقار. أنظر للمزيد: Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 49

² Foucauld CH. de R. P. : «Chez les Touaregs. Op. Cit., N° 4, Avril-1951, p. 27

³ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., p.20

⁴ Bourgeot A.: Les sociétés. Op. Cit., p. 27

⁵ Clauzel J. : « Les hiérarchies sociales en pays Touareg ». TIRS.,T. XXI, 1^{er} semestre, 1962, pp. 121-168

على كل الصناعة التقليدية لمجتمع الأهقار من صناعة الأسلحة (السيوف والرماح) والراحلة، والحقائب والجلدية، زيادة على معرفتهم لتاريخ القبيلة وأهم فروع القبائل، كما أنهم مهابوا الجانب لتعاطيهم السحر واستعمالهم النار في صنائعهم، كما أنهم يكسبون ثروة ونقودا نظير بيعهم لمنتجاتهم التقليدية هذه، لذلك فهم قيمة اقتصادية مهمة في مجتمع الهقار. ينقسم العمل عند الإندان بين الرجال والنساء، فالرجال يشتغلون بالحديد (أسلحة، أقفال، مفاتيح، أدوات الفلاحة) ومن الخشب في مختلف الأدوات المنزلية، أو من الأحجار في صناعة الحلي وأساور اليد، في حين تشتغل النساء بالصناعة الجلدية في تحضير الحقائب المزينة وكذلك بالتطريز¹، ويلقبون اليوم بالمعلمين في تمارست.

ز- قبائل الإيفوغاس *Ifoghas*:

تشكل قبائل إيفوغاس أدرار كونفدرالية قوية في المنطقة المعروفة باسمهم سابقا بأدرار نايفوغاس (الأداغ اليوم بشمال شرق مالي)، كان يرأسهم مطلع القرن العشرين الشيخ "محمد إلي Illi أق خمادين أق دفة Defa"، الذي بلغ من العمر 90 سنة حينها، وأصلهم يعود إلى جهة "تابلبالت" من جهة "تافيالت" وجددهم الأول يدعى "مولاي هاشم الشريف"، يتشكلون من عديد القبائل النبيلة والتابعة، ومن بين القبائل النبيلة نجد؛ "إندان *Idnan*، والهوتتاتن *Hottenaten*" التي يقيم البعض منها في الأهقار والبعض الآخر في الأداغ، فالهوتتاتن مثلا كانت في السابق من خدم الهقار ولكن لجرائم إقترفها أسلافهم في الأهقار فروا إلى الأداغ خشية العقاب، وتزواجوا هناك من القبائل النبيلة لإيفوغاس والأداغ وبالتالي أصبحوا أسيادا مثلهم، أما الإندان فهم من أصل عربي من جهة مكة والمدينة، وجددهم الأول يدعى "تاغليل *Taghlil*" وينقسمون إلى قسمين "أهل إدريس، وكال تيرغشت *Kel Tirghecht*" الأوائل نبلاء، في حين الآخرين هم في الأصل أتباع²، لكن بحكم علاقتهم مع القبيلتين

¹ Bourgeot A.: Les sociétés. Op. Cit., p. 41

² ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., p. 24

الأخريين فيعتبر كل الإندان نبلاء¹. كما تعتبر قبيلة "الأتواج *Les Touadj*" العربية المرابطية التي تتبع الطريقة القادرية لزاوية كنتة من نفس أصل قبائل الإيفوغاس وتقيم معهم، ورئيسهم يدعى "بوكري بن احمد التوجي"، وهذه القبيلة تملك أحسن الجمال والنوق في المنطقة².

الإيفوغاس قبائل وديعة ومسالمة، يحبون التجارة والقراءة، ولا يحبون الغزو، ويتاجر الإيفوغاس بالأخص مع أهل الأيير وتيديكلت، وتوات، الذين يبادلونهم سلعهم، وأهم السلع التي يوردونها للأسواق هي: الجمال والخراف، لحم البقر المدخن (في جلود)، والعبيد بالجنسين، وأحيانا ريش النعام، الزبدة، جبن النوق، قرب، سروج الجمال، في حين ينزل أهل توات التديكلت لمناطق الإيفوغاس يحملون سلعهم من المنسوجات القطنية الزرقاء والبيضاء والسوداء، ومختلف الألبسة، التمور، والتبغة *Tabgha* (تبغ توات الأخضر)، يدفع الإيفوغاس ضريبة الحماية "تيوسي *Tiوسي*" أو "الغفارة" السنوية لكال أهقار وأيضا لكال إيولمدن والمقدرة بجمال وخيمة من جلد العجل (حوالي 100 قطعة من جلد العجل لتشكيل هذه الخيمة)³.

¹ كان هذا التشكيل مطلع القرن 20م، لكن الدراسات الحديثة عنهم تذكر أنهم ينقسمون إلى القبائل التالية: "إيفرقموسن *Ifergumussen*"، الإيريافن *Iriyaken*، كال أوزين *Kel Uziyen*، كال أفلا *Kel Afella* (أو كال تيساليت *Tessalit*)، الإيمزيران *Imezikran*، كال تابنكورت *Kel Tabenkort*، كال أبالاق *Kel Abelaq*، تيلانجست *Telangest*، الإيبهوان *Ibhawen*، وكل هذه القبائل يقال أنها تنحدر من جد مشترك يدعى "محمد مختار عيطة *Aitta*" القادم من جهة "تافياليت" في نهاية القرن 15م. كما أن مجموع هذه القبائل تنقسم في الأصل إلى فرعين؛ فرع يدعى "داق مالك *Dag Malik*" الحفيد الخامس لـ "عيطة" ويضم: كال أفلا، كال تيساليت، الإيريافن، كال تابنكورت، كال أبالاق. والفرع الثاني من القبائل ينتمي لأخ مالك، هذا ويوجد فرع ثالث صغير يدعى "كال تاغليت *Kel Taghlit*" الذين ينحدرون من جد يدعى "الشيخ وان تاغليت" الذي قدم للأدرار قبل "عيطة *Aitta*"، وهناك بعض الرويات التي تذكر أنه هو الشيخ المغيلي محمد بن عبد الكريم الذي زار المنطقة نهاية القرن 14م في عديد رحلاته وترك بعض أتباعه في الأدرار. هذا وتجدر الإشارة أن طبل الأدرار في الإيفوغاس "كال أفلا *Kel Afella*". أنظر للمزيد: Rachid Bellil: *Mutations Touarègues (kel ahaggar et kel adagh)*. Ed. CNRPAH, N° 3, Alger, 2008, pp.70-75

² ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., p. 24

³ وضعية المرأة عند الإيفوغاس هي نفسها كما عند الطوارق، فهي التي تمنح الولد (النسبة للبطن) ومن خلال أمه تتحدد مكانة الولد الاجتماعية، كما تحضر الاجتماعات وصوتها مسموع. أنظر للمزيد: Ibid, p. 27

ينقسم الإيفوغاس إلى قبائل نبيلة وهي: (إيفوغاس وين كال ن أفلا *Kel n Afella*، تاقات ملت *Taghat Mellet*، كال تاقليت *Kel Taghelit*، إيفارق موسن *Iferg Moussen*، كال أوزين *Kel Ouzeyen*، هوتتاتن *Hottenaten*، إيدنان *Idnan*)، وقبائل الأتباع وهي: (الإيمالكالان *Imakalkallen*، الهوغاليتين (الهمج) *Hoghalliten*، الإيرجناتن *Iredjenaten*، كال غلا *Kel Ghela*)، ويرمز الإيفوغاس لإبلهم بعلامة + على الخد الأيمن، وكذا دائرة O على الجهة اليمنى للعنق¹.

د- قبائل الكنتة:

يقال أنهم من أصل عربي، سكنوا في السابق مكة والمدينة، وينتمون لقبيلة بني أمية، "الأمويون"، عرف عنهم بأنهم رجال أتقياء ومهتمون بدراسة القرآن والعلوم، وهو ما جعلهم يحضون بمكانة هامة في المجتمع العربي والسوداني، يدعى جدهم الأول "سيدي محمد الكنتي"، ترك السوس الأقصى واستقر بمنطقة الساحل أين أسس زاوية بغرض التعليم واستقبال الرحل والفقراء، وواصل أبناؤه من بعده على نهجه (سيدي أحمد البكاي، سيدي عويس بوسيف، سيدي بوبكر، سيدي عمر المتغمبر) الذين تزوجوا جميعهم من منطقة الساحل، وازداد عددهم كثيرا ثم نزل البعض منهم إلى منطقة الأزواد، وكانوا وراء تأسيس عدة مدن منها؛ الحلة، مبروك، المامون، هاته المدن الثلاث هي دمار وأثار فقط الآن، وأصبح الكنتة يعيشون حياة البداوة، ويقطن البعض منهم الآن تمبكتو، والأزواد، والآدرار، وتوات التي أقاموا بها زاوية الكنتة أول الأمر².

ومعروف على قبائل الكنتة بأنهم تجار كبار عبر الصحراء في التديكلت أو توات، ومع ذلك هم يدفعون ضريبة التويسي السنوية المقدرة بناقة إلى قبائل طوارق الإيوليمدن والأهقار من أجل الحماية، لكنهم عكس الطوارق في نسب الولد إلى أبيه وليس إلى أمه،

¹ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., p. 29

² Ibid, p. 30

فالولد يكون كنتيا حتى ولو كانت أمه طارقية، كما توجد العديد من القبائل العربية تقطن بجوار الكنتة منها؛ الساكنة، جدة، الأمهار. الطوابير،... إلخ، وكذا بعض قبائل الساحل القريبة منهم مثل: المحاميد، تاجكانت *Tadjakanet*، الرقيبات¹.

2-3 مصطلحات التعريف عند كال أهقار:

كثيرا ما كتب الأنثروبولوجيون والإثنوغرافيون واهتموا (الغربيون بالخصوص) أكثر بنمط الحياة الخاص الذي يعيشه الطوارق من حياة البداوة والترحال، والنظام الطبقي الذي كان يقسم المجتمع إلى طبقات، ولغة التماهق، وظاهرة اللثام، ومكانة ودور المرأة في المجتمع،... إلخ، وهي خصائص تميز الطوارق عن باقي الشعوب المجاورة لهم على الأقل وهم يفتخرون ويتباهون بها، ودائما ما ينظرون لأنفسهم مقارنة بالآخرين بنوع من التعالي والتسامي (وهي عادة جميع الشعوب في الحقيقة)، ويظهر هذا الأمر في معاني التعريف بأنفسهم وهي كثيرة في لغتهم التماهق، وهي تحدد في نفس الوقت القيمة الاجتماعية لكل فرد في السلم الاجتماعي حسب انتمائه لأي طبقة وحسب وظيفته التي يشغلها في المجتمع وهي كثيرة سنقتصر على أشهرها:

1- أماهاغ (إيموهاغ) (*Amahagh (Imuhagh)* :

عند كال أهقار أي فرد يدعى أماهاغ (والجمع إيموهاغ)، وهو لقب نجده عند كامل قبائل الطوارق، فهو أماجاغ *Amajegh* (الجمع إماجيجن) عند طوارق الجنوب في الأبير وكال غرس (في النيجر)، وهو أماشاغ *Amashagh* (الجمع إيموشاغ *Imushagh*) عند طوارق الأداغ (شمال مالي) والإيوليمدن²، وهذا المصطلح معروف بكثرة ومشهور تحت اسم أمازيغ *Amazigh* (الجمع إيمازيغن *Imazughen*) الذي تتخذه بعض القبائل البربرية

¹ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., p. 30

² Benhazera M. : Op. Cit., pp. 83-85 ; Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 42

لتعرف به نفسها في دول شمال إفريقيا¹، ويعني هذا المصطلح عند كال أهقار ويوظف لدى حامله، للدلالة أنه متميز ويختلف عن باقي القبائل المجاورة غير الطارقية مثل العرب أو الفلن أو قبائل الساحل من هاوسا وزارما. وحسب ما ذكره دوفوكو يدل هذا المصطلح عند كال أهقار على كل من ينتمي لقبائل الطوارق دون تحديد مكانته الاجتماعية²، عكس ما نجده عند كال أداغ أو كال آبير أنه يعني الأشراف الأرستقراطيون والمحاربون تحديدا للمكانة الاجتماعية³.

فإموهاغ عند كال أهقار يمثل إطارا مرجعيا يضم كل الطبقات المشكلة لبنية المجتمع الطارقي⁴، لذا فمصطلح أماهاغ يدل عند كال أهقار كرمز ثقافي لكل من له صفة الإنتماء لمجتمع الطوارق وثقافتهم بغض النظر عن مكانته الاجتماعية سواء تابع أو عبد، بل هم يرون أن كل من يتكلم لغة التماهق فهو أماهاغ⁵، أي أصبح هذا المصطلح يدل على مكون ثقافي للفرد الذي يتكلم لغة الطوارق، ويحترم التنظيم الاجتماعي والسياسي لهم، وليس للدلالة على فئة الأشراف والطبقة الأرستقراطية المحاربة كما هو الأمر عند قبائل الطوارق الأخرى.

2- كال تماهق وكال تجلموست (*Kel-tagelmust*):

هما أيضا مصطلحان يستعملهما الطوارق للتعريف بهويتهم الثقافية التي يرونها هم أنفسهم مختلفة عن القبائل أو الشعوب المجاورة الأخرى⁶، وتعني "كال تماهق" كل من يتكلم

¹ Claudot-Hawad H. et Hawad M.: « Amāhay », Encyclopédie berbère, N° 4, 1986, pp. 554-555. ; القشاش: التوارق. المرجع السابق، ص 28.

² ذكر "شارل دو فوكو" و"براس K. G. Prasse" في قاموسيهما، أن إسم أماهاغ مشتق من فعل "أهر *Aher*" الذي يعني سلب وغزى، تلميحا لما كان يقوم به الطوارق من سلب وغزو، ليكون مصطلح "إموهاغ" أي "الغازون" دلالة على رتبة المحاربون الأشراف، ولكنه تم دحض هذا المعنى من قبل كثيرين متخصصين في لغة التماهق، أنظر للمزيد: Foucauld Charle De: Dictionnaire, Op. Cit., V.2, pp. 665-673 ; André Bourgeot : «Le contenu sociologique de l'appellation twareg (Kel Ahaggar). Histoire d'un nom », ROMM., N°11, 1972, p. 75

³ Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 67

⁴ André Bourgeot : « Idéologie et appellations ethniques. L'exemple twareg. Analyse des catégories sociales », C.E.A., Vol. XII, 48(4), 1972, pp. 533-554

⁵ Pandolfi P. : Op. Cit., p. 38

⁶ Claudot-Hawad H. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 98

لغة التماحق وهذا المصطلح يستعمل أكثر عند طوارق كال أداغ في مالي وكال آيبر في النيجر، للدلالة على الطابع اللغوي (اللساني) كـ"انصر مشترك يجمع هؤلاء ويميزهم عن غيرهم، أما كال تجلموست فيلاني أهل اللثام، أي دلالة بما يتميز به الطوارق في لبسهم اللثام كخاصية يتميزون بها إلى اليوم، فاللثام يسمونه "تجلموست *tagelmust*"، ورغم محاولة الكثير من الكتاب الغربيين¹ إعطاء عدد من التفسيرات والتأويلات لسبب ارتداء الطوارق اللثام سواء لمقاومة حرارة الشمس في الصحراء، أو لحماية الوجه من الزوابع الرملية، أو لأن الطوارق ينظرون للفم على أنه سوء يجب تغطيته، أو للبااض الأحجيات بأن النساء مرة دافلان عن القبيلة، فلحقهم اللثام وتحجبوا بدلا عن النساء، لكنها بقيت كلها أقوال مرجوحة لأن الطوارق ينظرون إلى اللثام على أنه مجرد عادة ورثوها عن أجدادهم منذ زمن قديم فقط، ولا تفسير لديهم هم أنفسهم.

وإذا كان هذان المصطلحان كال تماحق وكال تجلموست كانا للتعريف بهويتهم الثقافية في السابق، إلا أنه اليوم لم يلاذ لهما ذكر تقريبا خاصة لما تم احتواء هذه القبائل في دول وطنية، وأصبحت تفصل بينها حدود إقليمية، فتراجع هذان المصطلحان حتى للدلالة على أي فرع من الكونفدراليات (تجمعات كال أهقار، أو كال آيبر، أو كال أداغ) إذ يلاود هؤلاء وأصبحت نسبتهم بحسب دولة إنتمائهم (طوارق الجزائر، طوارق النيجر، طوارق مالي...) ².

للاهم ما جمع واشترك في أبحاث جميع المهتمين بموضوع الطوارق (الغربيين بالخصوص) من باحثين هو دراسة إلى ما يستند ويؤسس هوية الطوارق؟، ما الأشياء التي

¹ E. F. Gautier : **La conquête du Sahara-Essai de psychologie politique**. Ed. A. Colin, Paris, 1935, p. 193 ; Keenan J., **The Tuareg: People of Ahaggar**. Ed. Allen Lane, Londres, 1977 ; Lesourd M.: "Le voile de la honte" **BLS.**, N° 16, 1954, pp. 28-42 ; Hama Boubo : **Recherches sur l'histoire des touareg saharien et soudanais**. Ed. Présence Africaine, Paris, 1967 ; Francis Nicolas : **Tamesna, Les Ioullemmeden de l'est ou touareg Kel-Dinnik**. Iprimerie National, Paris, 1950

² Pandolfi P. : Op. Cit., p. 41

تجعلهم يحسون بأنهم طوارق وليس هاوسا، أو جرمة، أو فلن، أو كانوري، أو تبو، أو عرب؟، وانتهى بهم المطاف أنه الإحساس والشعور بالانتماء لمجتمع لغوي محدد، وذلك قبل أن يكون إنسانا يلبس أو يأكل بشكل مختلف، أو يصرح بتبنيه الدين الإسلامي، أو يعيش في البراري وليس في المدن، على الرغم أنها قد تختلف فعلا عن بقية القبائل أو الشعوب المجاورة الأخرى، ولكن عندهم أن الطارقي هو ذلك الرجل الذي يتكلم التاماشاغ¹. كما أن مفردة "تاماشاغ" *Tamacheq* متعددة المعاني، فهي تعني المرأة النبيلة ولغة التاماشاغ في نفس الوقت، وعند لهجة الأهقار فإن النبلاء فقط من يتكلمونها صراحة وصحيحة في حين قبائل الأتباع يدخلون عليها مفردات أخرى مع أخطاء كثيرة في التعبير بها².

- لغة الطوارق؛ التاماشاغ:

إن لغة الطوارق المسماة التاماشاغ³ ما هي إلا الشكل الجنوبي للغة البربرية في الشمال (اللغة الأمازيغية) مع أنها تنقسم إلى لهجات جهوية أيضا كما سبق القول،

¹ Dominique Casajus : « Islam et noblesse chez les Touaregs » *Revue de L'Homme*, N° 115, 1990, pp. 7-30

² André Bourgeot, Henri Guillaume : « Identité, Op. Cit., p. 131

³ مع التقرير الذي قدمه الملازم الأول "بيسيه Besset" شهر جويلية ألحق مع دراسة، وسجل خلالها النقيب "ميتوا Métois" أسئلة مهمة عليها تتعلق بكيفية كتابة الأسماء الطارقية باللغة الفرنسية، لابيرين يقدم توصيات بشأنها، 1- علم النحو (Orthographe) لا يوجد في اللغة الطارقية، وكتابة التيفيناغ هي كتابة رخيمة (حسنة الوقع في الأذن euphonique) كما أن كتابتها بالعربية يبقى نفسه مع بعض الاختلافات في النطق، مثل حرف "غ" الأغواط مثلا، وحرف "ق" في بعض الكلمات الطارقية، 2- بعض الأسماء تم تشويهها من طرف الكتاب العرب لما نقلوها إلى العربية، وبالتالي وجب اتباع النصائح التالية: تقريبا كل الأبار في المنطقة أو في التديكلت (التي جاءت في خريطة التقرير) لها تسمية طارقية و أخرى عربية لذا وجب استعمال الإثنين معا (الإسم العربي بين قوسين حسب قاعدة "هانوتو Hanoteau")، - تبنى قاعدة ثابتة في نقلها إلى حروف التيفيناغ إلى الحروف الفرنسية كما هي مكتوبة بلغة التيفيناغ، - ونقل الأسماء العربية إلى الفرنسية كما هي مضبوطة باللغة العربية، إلغاء بصفة عامة النقول الطارقية للأسماء العربية الأصل، والنقول (نسخ الكتابة) العربية للأسماء الطارقية الأصل، - في حالة أصبحت هذه النقول شائعة الاستعمال وجب وضعها بين مزدوجتين، - وجب الإسراع في اتخاذ هذه التوصيات لأن كل ضابط يسجل ما يمليه عليه دليله وبالتالي سنجد في النهاية أسماء ونصوص مختلفة لا يمكننا من التعرف على المناطق المذكورة لأن الإملاء يختلف، - يمكن أن يعهد للمترجم "كامبو Kamboud" لضبط الحروف الفرنسية لما يقابل حروف التيفيناغ، بناء على الدراسات الخاصة التي أقامها خلال إقامته في التديكلت. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance du chef d'Escadrons Laperrine commandant militaire Supérieur des Oasis Sahariennes à M. le général commandant la subdivision d'Ain Sefra, «au sujet de l'orthographe des noms propres Touareg», Adrar, le 16 septembre 1903, 3p.

فالمستعملة في الأهقار والآجر تحمل الإسم المؤنث "تامهاق" *Tamahaq*¹، وهي أقل اللهجات تكلماً بالنسبة لنظيراتها في الجنوب أكثر (التماجاغ عند كال آبير في النيجر، والتماشاغ عند كال آداغ في مالي)، ولكنها الأكثر حظاً في الدراسات اللسانية من اللهجات الأخرى بعد جهود كل من شارل دو فوكو صاحب المعجم الطارقي-الفرنسي، وأعمال كورتاد (*Courtade J. M.*)، وبالأخص أعمال براس (*Prasse K. G.*)، حسب هذا الأخير فإن التماق تعتبر اللغة الأكثر نقاوة من حيث الكلمات الدخيلة عليها مقارنة باللهجات الشمال، ولعل أهمها من اللغة العربية التي تبقى الأكثر قدماً وتعاملاً في المنطقة فهي محدودة جداً²، فمن بين 18000 كلمة أحصاها دوفوكو في معجمه، لم يستخرج بيلات (*Pellat Ch.*) إلا 400 كلمة من أصل عربي³، لكن في العقود الأخيرة أين أصبح كال أهقار يستعملون اللغة العربية أكثر في الحياة اليومية للعامل الديمغرافي، تزايد عدد الكلمات العربية في لهجة التماق أكثر.

¹ التماق ما هي إلا الصيغة المطورة للغة الليبية القديمة التي سجلها مؤرخو التاريخ القديم منذ القرن 5 ق م. والتي كانت منتشرة في شمال إفريقيا إلى غرب دلتا النيل وفي كامل الصحراء الوسطى والغربية، وكأمثلة على المفردات اللغة الليبية القديمة التي بقيت في لغة التماشاغ نجد الأسماء التالية: "جير *gir*، أو جار *ger*" - "نجر (نيجر) *n-ger*" - "أبالسا *Abalessa*" - "إليزي *Ilezi*"، التي تعني بالترتيب: واد- نهر- مكان للفلاحة-هضبة، وهذه الأسماء الليبية القديمة مازالت مستعملة إلى اليوم كأسماء أماكن في الصحراء. ورغم الغزوات المتتالية لشمال إفريقيا فإن اللغة لم تندثر وبقيت منتشرة في كامل شمال إفريقيا والصحراء ومنها الطوارق، وتنقسم لغة التماهاك أو التماشاغ إلى عدة لهجات منها: "التاهاقارت *Tahaggart*" لدى قبائل طوارق الأهقار والتاسيلي ناجر والتايطوق، و"تادراك *Tadrak*" لدى قبائل طوارق أدرار إفوغاس بمالي، و"تبيرت *Tairt*" لدى قبائل طوارق الأبير بالنيجر، و"تاولمت *Taoullemmet*" لدى قبائل طوارق الإيولمدن المجاورة لنهر النيجر وتمبكتو، ولكن تبقى لهجة الأهقار من أنقى اللهجات الأخرى محافظة على أصولها ولم تتأثر بدخول مفردات أخرى من العربية أو الصنغاي أو الهاوسا التي تأثرت بها اللهجات الأخرى لمجاورتها إياهم وانفتاح الشعوب على بعض. أنظر للمزيد: بوفيل (*E. W. Bovill*): *تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير*. منقحة ومزودة بقلم: روبن هاليت، تر.: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988، ط. 2، ص ص 99-100؛ Henri Lhote : Op. Cit., pp. 17-18

² Pandolfi P.: Op. Cit., p. 40 Citant Prasse K. G. : «Chronologie relatives des emprunts touareg à l'arabe» Gli interscambi culturali e socio-economici fra l'Africa settentrionale e l'Europa mediterranea-Atti del Congresso Internazionale (Amalfi), Naples, Istituto Universitario Orientale, 1986, pp. 511-520

³ Pellat Ch. : « Emprunts arabe dans le parler ahaggar », in *Etudes d'orientalisme*, dédiées à la mémoire de Levi-Provençal, T.1, Maisonneuve, Paris, 1962, pp. 239-259

أما الكتابة التي تكتب بها اللغة فهي مميزة أيضا وتعرف "بالتيغيناغ *Tifinagh*" (أي الرموز والعلامات)¹، المكونة من 25 حرف منقوصة من الأحرف العربية (ث، ذ)²، وتكتب في جميع الاتجاهات من اليمين إلى اليسار والعكس، من الأعلى إلى الأسفل والعكس، برموز متقطعة بقصد النطق الذي يتغير من لهجة لأخرى، كما أنها لم توجد نصوص كبيرة بل تعتمد على عبارات صغيرة هدفها إيصال رسالة فقط وعادة ما تكتب على الصخور³. ويعود الفضل للمرأة الطارقية في حفظ هذه اللغة والأحرف عبر الأجيال فقد ذكر "ديفايري" أنه عند الطوارق تقريبا كل النساء يعرفون القراءة والكتابة لذلك تم حفظ لغة وأحرف التماشاغ، وهم المخولون لتعليمها لأطفالهم الصغار⁴.

ويستعمل الطوارق الغناء والشعر بغرض التعليم ونقل تراث (عادات، تقاليد، الأصالة والشهامة) السلف للخلف من الشباب، ولحفظ أحداث الماضي، لذلك هم يحبون موسيقى الإمزاد مع أبيات الشعر ويمجدونها⁵. لكن مع ذلك الكثير من رجال كالأهقار لا يتمكنون من قراءة بعض النصوص الحديثة الموجودة على جداريات الصخور وداخل المغارات والكهوف ناهيك عن الكتابات والرسوم الصخرية التي تعود لأجدادهم القدامى، وهي كثيرة ومتوزعة في الأهقار حيث نجدها في منطقة الآهنت، تيميساو، في الأهقار، في الإيميدير، تيراتييمين.... الخ⁶.

¹ Lhote H. : Op. Cit., p. 20

² يوجد حرف * ينطق بين (ذ و ز = يز = iez)، و حرف # ينطق بين (ز و ظ = يز = iezz)، كما أن طوارق الأهقار لم يكونوا ينطقون حرف الحاء (ح) وحرف العين (ع) ويعوضونهما بحرف الخاء (خ) وحرف الغين (غ) فمثلا تنطق كلمة محمد بـخممد (أو الحاج بـالخاج)، وتنطق كلمة علي بـغلي (أو بعير بـبعير)، هذا قبل أن تنتشر اللغة العربية في الأهقار.

أنظر للمزيد: Benhazera : Op. Cit., pp. XVII-XVIII

³ حسب الطارقي "حمزة محمد" كانت لغة التيفيناغ تتشكل من 22 حرفا فقط، ثم أصبحت 27 حرفا بإضافة الحركات إليها. مقابلة مع "حمزة محمد (فوفو)" سنة 55 (فتش اللغة الأزابيغية في نطقة تمنراست) بتاريخ 27-12-2017م بالمكتبة المركزية للمطالعة العمومية برادعي، ولاي أحمد بتمنراست على الساعة 17:00 سا.

⁴ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 388 ; Benhazera : Op. Cit., p. 12

⁵ Rimbaud (Off. Intr.) : «Le Chant chez les Imouhar». **B.S.G.A.** N° 4, 1902, pp. 532-543

⁶ Benhazera : Op. Cit., p. 213

ويقول الطوارق أنه لا يمكن لأحد ما أن يقول أنه متمكن من قراءة لغة التاماهق ما لم يفك شفرة هذه الأبيات من دون خطأ:

⊙ I : : I H : . + C E X

⊙ E : + O : + I O ⊙ :

⊙ E ⊙ A I ⊙ ε : O C + I I H T +

فاطماتة ولت وغنيس

أغبير أنيت أور إيتيوضيس

تاغالت أنيت مّراو إيزان ديسيضيس

والتي تعني : "لا يمكن لمس ورك فاطمة بنت وغنيس ما لم يقدم مهرها 16 حصانا"¹. مع الإشارة هنا أن نطق بعض الحروف يكون مغايرا لما هو مكتوب بالعربية فحرف الطاء ينطق أقرب لحرف الزاد (ط=ز)، وحرف الضاد ينطق أقرب للدال المشددة (ض=د) مع غياب حرف الطاء، وتفتخيم الكلمات عند نطقها مثلا:

أهنكض أنكر أطر ... أنكض ألكض أركض

بمعنى: أيها الغزال إنهض وارضع ... واقطف الحدج واجري²

تجدر الإشارة أن المستكشف الفرنسي "ديفاريي" نقل عن محدثه الشيخ عثمان بأنه يوجد كتاب قانون مترجم للغة التاماهق بشكل جيد، لكنه مكتوب بأحرف اللغة العربية، توجد نسخة منه في "الأقبلي"، ونسخة ثانية بين يدي الشيخ "إبراهيم ولد سيدي" عالم الإيفوغاس،

¹ Benhazera : Op. Cit., p. XX

² مقابلة مع "حمزة محمد"، المرجع السابق.

هذا الأخير الذي وعد "ديفاريي" بأن يمدّه بنسخة منه¹. وغير هذا لا توجد كتابات بالتيفيناغ إلا على الصخور أو على مختلف الأسلحة البيضاء، أو على أساور اليد أو على الآلات الموسيقية، والمصنوعات الجلدية والألبسة". وسجل "ديفاريي" أيضا أن الكتابة بأحرف التيفيناغ تكتب وتقرأ بكل الإتجاهات من أسفل إلى أعلى والعكس، من اليمين إلى اليسار والعكس، لكن الملاحظ أنها تكتب من اليمين إلى اليسار أكثر كما هي العربية والعبرية. ولكن في المراسلات أو الكتب، أو التاريخ أو التمايم فكلها تكتب بالعربية الشائعة التكلم بها كثيرا عند الطوارق لكن المتعلمين فقط من يحسن الكتابة بها².

3- كال أهقار:

يدعى الفرد من بين كال أهقار "وان أهقار *wan Ahaggar*"، أي واحد من الأهقار نسبة لأهل الأهقار، تميزا عن باقي كونفدراليات الطوارق الأخرى، لأنه لكل كونفدرالية من الطوارق لها حدودها المتعارف عليها كوحدات سياسية وإقليم خاص بها (خضع للتغير في أزمنة تاريخية)، يترأسها الأمنوكال كأعلى هيئة (سلطة) بامتلاكه لطبل الحرب "الطبل *ettebel*"، كرمز للسلطة يجمع العديد من القبائل والعشائر "التاوسيت *tawsit*" في وحدة سياسية واحدة، يشعر كل فرد خلالها بانتمائه لكال أهقار المتميز والمختلف عن كال آجر أو كال أداغ...، مهما كانت مكانته الإجتماعية، ولأي طبقة ينتمي إليها داخل الكونفدرالية³.

¹ ذكر "بنهازيرة" في سنة 1908م أنه لا يوجد أي كتاب بلغة التاماهق في الأهقار، إلا نسخة من كتاب الحقوق لمؤلفه ابن عاشر، أخبره عنها خوجة "موسى أق أمستان"، مكتوبة بلغة التاماهق ولكن بأحرف عربية موجودة عند "صالح بن محمد" من قبائل الإيسقمارن. أنظر للمزيد: Benhazera : Op. Cit., p. 46

² Duveyrier H. : Op. Cit., p. 420

³ ينقسم الطوارق إلى عدة مجموعات بحسب موقعها الجغرافي، وهم يقسمون أنفسهم بالطبل كوحدة سياسية، ومنذ العهد الاستعماري أطلقوا عليهم تسمية الكونفيدراليات و جل الكتاب الفرنسيين المهتمين بالطوارق يتبنون هذا التسمية من التقسيم إلى اليوم أمثال: الإثنوغرافيين أندري بوجو، وهيلين كلودو هواد، وبول باندولفي، وبروك L. Brock (بالإنجليزية)، والجغرافي برنيس Bernus، كما نجد مسمى "الوحدات السياسية *Groupements politiques*" عند كل من أندري بوجو، والمؤرخ بيار بواي P. Boilley، ونجد أيضا مصطلح "Drum groups" مجموعات الطبل" عند الكتاب باللغة الإنجليزية أمثال: المؤرخ والمهتم بالشؤون الإسلامية H.T. Norris، وعالم الإثنولوجيا J. Nicolaisen، وأيضا عند بيار بونتي P. Bonté، أنظر للمزيد: Charles Grémont : *Les Touaregs Iwellemmedan (1647-1896) Un ensemble politique de la boucle du Niger*, Ed. Karthala, Paris, 2010, p. 10

لكن في داخل هذه الوحدة السياسية لكال أهقار، نجد في الداخل تنظيماً اجتماعياً يعتمد كبنية التجزئة وتقسيم الأفراد إلى طبقات (أسركام *Aserkam*) متباينة، حسب العرق والوظيفة التي يشغلها كل فرد داخل هذه الكونفدرالية، والتي تتحدد من خلالها مكانته الاجتماعية؛ إذ يمكن تحديد ثلاث طبقات كبرى¹:

- الطبقة الأرستقراطية ويمثلها الإيهقارن في المفرد. أهقار (*Ihaggaren sg.*)
.(ahaggar)

- الأتباع ويدعون الإيمغاد م. أمغيد (*Imghad sg. amghid*).

- العبيد ويدعون الإيكلن م. آكلي (*Iklan sg. akli*).

كما يمكن تحديد فئتين أخريتين أقل عدداً، لا يمكن تصنيفهما في هذا السلم الاجتماعي يتعلق الأمر بـ؛

- الحرفيون ويدعون الإينادن م. أناد (*Inaden sg. éned*)، هم أقل درجة من الأتباع ولكنهم ليسوا عبيداً.

- رجال الدين ويدعون الإينسليمن م. أنسلم (*Ineslemen sg. aneslem*)، وهم المهتمون بتعلم الدين الإسلامي وتعليمه، وهم أعلى من درجة الأتباع لأنهم أشرف، ولأنهم لا يحاربون فهم لا يدخلون ضمن الطبقة الأرستقراطية للأشراف أيضاً.

وزيادة على هذا التقسيم التقليدي عند كامل قبائل الطوارق في كل مكان يمكن إضافة فئة جديدة ظهرت منذ النصف الثاني للقرن 19م عند كمال أهقار، هي الفلاحين الذين ينحدرون في الأصل من توات والتيديكلت يدعونها إيزقاغن المفرد؛ أزقاغ (*Izeggaghen sg. azeggagh*)².

¹ Lhote H. : Op. Cit., p. 35

² Pandolfi P. : Op. Cit., p. 42

يُظهر هذا التصنيف الاجتماعي عدم التجانس والمساواة الذي كان عليه مجتمع كال أهقار قبل القرن 20م، وهو يكرس للتجزئة والتقسيم بين أفراد المجتمع فبمجرد معرفة إلى من ينتمي الفرد من بين كال أهقار حتى تعرف مكانته الاجتماعية، فإذا كان من كال غَلا فهو من الأشراف، وإذا كان من داق غالي، أو كال أهنت *Kel-Ahnet* فهو من الأتباع أي أقل درجة، وهكذا يمكن أن تجزئ أكثر فحتى إن كان من قبيلة الأتباع داق غالي¹ فمن أي عشيرة (تاوسيت *tawsit*) منهم هو، أمن كال ترهنانت *Kel-Terhenanet* أو من كال هيرافوك *Kel-Hirafok*، أو أجهي نتالي *Aguh-n-tahlé*؟. إلى هكذا من التجزئة والتقسيم التي قد تصل حتى إلى داخل العشيرة الصغيرة نفسها².

ولقد أدرك المستعمر الفرنسي بنية هذا المجتمع بسرعة وعدم تجانسها، فعمل على خلخلة هذا التنظيم بإبعاد الأشراف المحاربين من الواجهة وتهميشهم، وقرب إليه أكثر طبقة رجال الدين الأشراف هم كذلك ولكنهم مسالمون ولا شأن لهم بالحرب، وحرر العبيد وألبهم على أسيادهم القدامى.

¹ تعتبر قبيلة داق غالي أكبر قبائل الأتباع في طبل كال غَلا، لذلك دائما ما يستند عليها الأمنوكال لتثبيت سلطته، ودائما ما يكون رئيس قبيلتها مقربا من الأمنوكال ويأخذ بنصائحه، تنقسم قبيلة داق غالي إلى عدة فروع يتوزعون حسب المناطق التي يقطنونها وهم؛ كال تاهات *Kel Tahat*، وكال ترهنانت *Kel Terhenanet*، وكال تمرناست، وكال هيرافوك *Kel Hérarafok*، وكال أرشوم *Kel Arechchoum*، وقدر إحصاء سنة 1938م عددهم في حدود 1000م مع عبيدهم، وفي إحصاء سنة 1949م قدر عددهم بـ 812م مع عبيدهم، يعتبر أهل داق غالي الأكثر غنى في كال أهقار، فنحو سنة 1950م كانوا يملكون أكثر من 1200 رأس ماعز، وأكثر من 1000 جمل، وبفضل جمالهم هذه كان كال أهقار يستطيعون تنظيم عدة رحلات للقوافل نحو بلاد النيجر والتديكلت للتزود بحاجاتهم من المواد الغذائية، لذلك هم يملكون عدة مناطق للرعي بالأهقار، كما يعتبر أهل داق غالي أكثر الناس تدينا في الأهقار وأكثرهم يتبعون الطريقة التجانية كما يوجد بعض منهم من يتبع الطريقة السنوسية أو القادرية، وفي أراضي هذه القبيلة قرر القس المخبر شارل دوفوكو الاستقرار منذ سنة 1905م، وفي مكان تبعده بالأسكرام كان في اتصال مستمر معهم، وحاول أن يعمد الشاب الطارقي "أوكسم أق شيكات *Ouksem ag Chikkat*" وجلبه معه في زيارة لفرنسا، وأوصى له بتركته في تمرناست، لكن هذا الشاب إلتحق بالثوار لما توفي "شارل دوفوكو" في سنة 1916م لما قامت ثورة الطوارق الكبرى، لكن دوفوكو استطاع أن يجلب رئيس القبيلة "أوكسم أق أورار *ag Ourar*" الذي كان يجري وراء تحقيق مصالحه، خاصة في التسهيلات التي كان يجدها من المركز الفرنسي "حصن مولتنسكي *Fort Motylinski*"، وساعد كثيرا الفرنسيين في إحلال السلم والأمن في الأهقار، وكان ضد ثورة الطوارق الكبرى خلال الحرب العالمية الأولى، الأمر الذي أعجب دوفوكو كثيرا في مراسلته للجنرال لابيرين في تطور هذا الشخص، وحتى أنه كان يحلم ان يراه يوما ما هو الأمنوكال رغم تعارض العرف مع ذلك، كما دعمه في أن ينشئ مزارع على ضفاف وادي "الإمان *Ilaman*"، لكن مقتل دوفوكو نسف كل شيء وتوفي أكسوم أق أورار في سنة 1947م. أنظر للمزيد: Lhote H. : Op. Cit., pp. 72-75

² Pandolfi P. : Op. Cit., p. 42

بعد هذا التقديم السريع لتعريف طوارق كال أهقار وأهم قبائلها التي كانت تشكل بنيتها الاجتماعية من جهة، وتحدد طبيعة كل مجموعة في هذا النظام سواء الاقتصادي أو السياسي داخل كونفدرالية كال أهقار بالمجمل، والتي احتكرت فيه كال غلا رتبة السيادة والسلطة من ضمن باقي القبائل، تجدر العودة لقراءة تاريخ أصول القبائل المشكلة لطوارق الأهقار، حتى يتسنى فهم العلاقات التي ربطت هذه القبائل وخلفيات تمايزها عن بعضها.

الفصل الثالث: تاريخ وأصول طوارق كمال أهقار:

هناك من الباحثين من توقف عند مصطلحات التعريف التي يستعملها طوارق الأهقار للدلالة على أنفسهم كما سبقت الإشارة، ولعل أهمها مصطلح "الإيهقارن" و"كال أهقار"، ليشيروا على أن هناك غموضا يشوب علاقة هذه المصطلحات التي تحتكرها قبائل معينة داخل النسيج المجتمعي، تدل على نبلا وشرفها مثل "الإيهقارن" ترفع قيمتها وتخول لها احتكار السلطة على حساب قبائل أخرى تبدو هي الأقدم استيطاناً في المنطقة حسب ما يذكره تاريخها الشفوي، لكنها أقل نبلا وشرفا وتعرف بكال أهقار نسبة للإقليم الذي تقطنه وتبعيتها لحكامها من "الإيهقارن" فقط، وهو ما وجب إعادة البحث والتنقيب مجدداً في روايات المصادر الأولى التي كتبها سواء العرب أو الأوربيون خلال القرن 19م ومقارنتها بالروايات المروية حالياً، وذلك بغرض الإجابة عن التساؤل الذي يبحث درجة نسبة القبائل المشكلة لـ"الإيهقارن" أو "كال أهقار" على أنها كلها منحدرة من قبائل الهوارة البربرية القديمة أم لا؟ أم هناك فروع أخرى مختلفة المناطق لمجموع القبائل المشكلة لكال أهقار؟

فهناك من يرى أنه قبل مجيء قبائل الهوارة من منطقة الفزان خلال القرن 12م، كانت هناك قبائل بربرية محلية تعرف بـ "الإيسبيتين *Issebeten*" و"الإيميسليتين *Imessiliten*"¹، ويبدو أن هؤلاء "الإيسبيتين" هم قدماء قبائل "القرامونت *Garamantes*" أو مجتمع قريب منهم قدم من ليبيا (ربما قبائل "الأسبيست *Asbystes*" التي ذكرها هيرودوت والتي كانت تقطن شمال القرامونت)، وهم قبائل بربرية سوداء أو شهدت وفود قبائل بربرية من جهة الفزان تأثرت بلغتهم، في حين "الإيميسليتين" هم قدماء الرومان الذين كانوا يتحكمون في المنطقة والتجارة بين الشمال والجنوب قبل أن يسقط حكمهم لصالح

¹ قبائل الإيميسليتين هم أجداد قبائل الإيسبيتين، وهؤلاء الأخيرين هم فرع واحد من بين عديد الفروع لقبائل الإيميسليتين، ومن الإيسبيتين تنحدر قبائل "داق غالي". أنظر للمزيد: Paul Pandolfi : «Takama, Debeinnu, yâli et les autres... ou la possible histoire d'un groupe tributaire de l'Ahaggar : les Dag-yâli», **Journal des africanistes**, T. 66, fascicule 1-2, 1996, pp. 203-224

البيزنطيين، لتشكل هاتين القبيلتين روابط متينة بينهما من القرابة والمصاهرة قد تصل إلى رابطة الأمومة¹.

وخلال القرن 12م شهد نزوح قبائل الهوارة القادمة من جهة الفزان مرورا بالطاسيلي-ناجر لتستقر في شمال الأهقار أو غرب الأتاكور (التفيداست *Téfedest*) ثم التديكلت، (متبعين دائما محور الهجرة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي) لتكون وراء تشكل ما تعرف بقبائل "كال إهن ملن *Kel Ehen Mellen*"، المعروفة بالنبل ثم أعطوا الجبل إسمهم "الهقار" وسموا أنفسهم "الإيهقارن *Ihaggaren*"، لينظم إليهم لاحقا فوج "تينهينان" وأتباعها وكان الجميع يسكن في الخيم البيضاء وهو معنى "كال إهن ملن" أي أصحاب الخيم البيضاء في مقابل "الإيسيتافينين *Issetafenen*" أي أصحاب الخيم السوداء وهم من نسل "الإيسيتين" السابقون السود²، فما درجة صحة هذا القول؟

3-1 قبائل الهوارة وعلاقتها بكال أهقار والإيهقارن:

يتفق جميع الباحثين المعاصرين حول عالم الطوارق على التحليل الذي قدمه ابن خلدون منذ القرن 14م، في أن مفردة "الهقار *Hoggar*" تعود في أصلها لقبيلة الهوارة لما حورت وقلبت الواو إلى كاف أعجمية تخرج بين القاف والكاف "g"، وأخذ عليه شارل دو فوكو أيضا في قاموسه³، والذي يعرف مفردة "أهاقار *Ahaggar*" و"أماجر *Amajer*" بنفس المعنى أي "الطوارق النبلاء"، لكن هناك ملاحظة مهمة أشار إليها "دو فوكو" الذي اختلط كثيرا بطوارق الأهقار في مدة تزيد عن العقد من الزمن، ساعدته في تأليف معجمه الضخم لشرح لغة التاماهق إلى اللغة الفرنسية، والتي تتمثل في أنه من بين مجمل قبائل كال أهقار تعتبر قبيلة كال غلا فقط من تتحدر من الجدة الأسطورة "تينهينان"، وبالتالي تختلف في

¹ Rachid Bellil : Op. Cit., pp. 27-28

² Marceau Gast : " Les Kel-Rela : historique et essai d'analyse du groupe de commandement des Kel-Ahaggar", **ROMM.**, N° 21, 1976, p. 56 ; Rachid Bellil : Op. Cit., pp. 28-29

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 87 ; Foucauld Ch. de : Dictionnaire. T2, Op. Cit., p. 533

أصولها عن القبائل الأخرى والتي أهمها؛ كال أهن ملن، تجهي ملّت، التايطوق، الأوراغن، وقبائل أقل أهمية مثل الإكاديين، الإيكنبيين... إلخ. ويقول أن هذه القبائل لا تعود لنسل تينهينان ولا لنسل خادمها تاكاما¹.

ويحدد بأن قبائل "كال إهن ملن *Kel Ahen Mallen*" و"تجهي ملّت *Tédjehé Mellet*" كانوا يقطنون منطقة التديكلت، كما يذكر في موقع آخر بأن "تينهينان" التي هي جدة "كلا *Kella*" وبالتالي أصل نسل "كال غَلا" أيضا تعود في أصولها إلى البربر من جهة المغرب وبالتالي لا علاقة لها بقبائل الهوارة المنحدرة من منطقة أوجلة بالفران، وهو ما يوحي ربما أن دخول كال غَلا على هذا المجموع هو الذي كَوّن مصطلحا جديدا يضم الجميع وليس فقط الهوارة وهو "الإيهقارن" حسب رأي الباحثة "بلهاشمي"، التي تفسر خطأ دوفوكو حسبها على أنه اعتمد على الرواية الشفوية لكال غَلا التي دائما ما تتسبب نفسها لمجموع الطوارق في المنطقة وبأنها ليست خارجية عن قبائل الهوارة، أو ربما يكون على وعي وتعتمد التعظيم عليها لعلمه بأنها خارجية عن قبائل الهوارة حتى لا يضعف مكانتها بحكم أنها تحكم المنطقة والمتحالفة مع الفرنسيين في نفس الوقت حينها².

قد يفهم استغلال كال غَلا في احتكار نسبة نفسها لتينهينان من بين مجمل القبائل الأخرى بغرض الاستفراد بالسيادة والسلطة في الأهقار، لكن تاريخ أصول هذه المرأة ما زال يكتنفه الكثير من الغموض رغم ما كتب فيه، وهو ما يجعل هذا الطرح يحتاج لمزيد من الإثباتات والدلائل على صحته، على الرغم من وجود بعض الروايات الشفوية التي تدعم هذا الطرح، ولكنها تبقى غير راجحة بالنسبة لباقي الروايات التي سوف نراها لاحقا، والتي يعتمد عليها معظم الباحثين المهتمين بطوارق كال أهقار، ومع ذلك أغفل هؤلاء بعض الإشارات

¹ Foucauld Ch. de : Dictionnaire. T2, Op. Cit., p. 536

² Faouzia Belhachemi : «Anthropologie économique et historique des Touareg du Hoggar».

Thèse pour le doctorat d'anthropologie, Université de Paris VIII, 2V. 1992, p. 209

التي وردت في أولى الكتابات التي تكلمت عن قبيلة "كال آهن ملن" واعتبارها هي من تكون وراء جميع قبائل كال أهقار.

3-2 كال أهقار وتاريخ قبيلة كال آهن ملن:

حسب الرحالة الفرنسي "هنري ديفاييري *Duveyrier H.*" الذي يعتبر أقدم من كتب عن طوارق الأهقار في الفترة المعاصرة 1864م، يذكر أن "كل الأهقار في الأصل يشكلون قبيلة واحدة هي "كال آهن ملن"، التي تنفرع إلى 14 فرعا آخر، ولمّا لم يعد بإمكانهم العيش مع بعض انفصلت هذه القبائل الأربعة عشر عن القبيلة الأم مشكلة نوعا من الاستقلال الخاص بها¹.

كما قدم في بداية القرن 20م الباحث "بنهازيرة *Benhazera M.*" من مجمل الروايات الشفوية التي حصلها في سنة 1908م، تاريخ قبيلة "كال آهن ملن" وعلاقتها بقبيلة كال غَلا بما يلي: "بقيت في الأهقار عائلات حافظت على الإسم القديم لكال آهن ملن، وهي تنقسم إلى قسمين؛ تدعى الأولى "تجهي نايساكال *Tedjehé-n-Essakal*" والثانية "تجهي نايغالي *Tedjehé-n-Egali*"، وخرجت مرة مجموعة من "تجهي-نايساكال" بزعامة قائدهم "ساكال *Sakkal*" وتوجهت للاستقرار ناحية التديكلت، وأخذوا معهم بعض الإمغاد من قبائل الإيسقمارن، وبعد موسم جني التمور عاد هؤلاء التجهي-نايساكال للرعي في جهة التيفيداست *Téfedest* ناحية الأهقار ثم عادوا بعدها للتديكلت، ولكن أخو "ساكال" المدعو "ختيتة *Khatita*" بقي في الأهقار ولم يعد معهم، وتزوج امرأة من كال غَلا ليكون أصل نسل قبيلة الإيبوغلن *Iboglan* التي تتبع كال غَلا اليوم².

لكن ختيتة هو والد "محمد بيسكا *Biska*" والد "أهيتاغل *Ahitaghel*" الذي كان أمينوكال الأهقار في نهاية القرن 19م، وفي نفس الوقت ختيتة هو والد "محمد كراجي

¹ Duveyrier H.: Op. Cit., p. 374

² Benhazera M.: Op. Cit., p. 110

Karadji "والد "سيدي أوق كراجي" أمموكال التايطوق وكال أهنت *kel Ahnet* حينها أيضا، وهو ما يعني أن ختيتة هو جد الإثنين (أهيتاغل وسيدي أوق كراجي)، كما أن النسابة "إبراهيم ولد سيدي" الذي نقل عنه "ديفايري" يذكر أن الإيبوغلن هم أولاد ختيتة *Hatita* الذي يقصد دون شك أنه ختيتة، أما عن الفرع الآخر وهو "تجهي-نايغالي" فهم من كان وراء تشكل الفرع القبلي الذي يدعى "الإينيمبا *Inemba*" واختفى إسمهم القديم نهائيا"¹.

إذن إنقسام قبيلة "كال أهن ملن" إلى فرعين أولهما تجهي-نايساكال وثانيهما تجهي-نايغالي التي شكلت قبيلة الإينيمبا، في حين عند الأولى يتعلق الأمر بأخ ساكال الذي يدعى "ختيتة" الذي سيكون محور العلاقات بين هذه القبائل، وبالنظر إلى أن أهيتاغل كان الرجل القوي في الأهقار وذكره ديفاري 1864م على أنه قائد كال غلا وهو نفسه حفيد ختيتة، لذا يمكن تقدير تاريخ زمن انقسام هذه القبيلة الأم "كال أهن ملن" إلى أواخر القرن 18م (من 1780م إلى 1800م)².

كما يوجد هناك فرع ثالث لهذه الكونفدرالية وهو "كال أهن ملن وان-تغرت *Kel Ahen mellen wan-Taghart*"، حسب "ديفايري"، في حين بقية القبائل التي في الأهقار تشكل 11 فرعا فقط³، وفي رواية أخرى يذكر "ديفايري" أن "كال أهن ملن وان-تغرت" هم من يمثلون اليوم القبيلة الأم فقط، كما يذكر أن هناك فرعين آخرين يحملان إسم "تجهي" وهما؛ تجهي ملت *Tedjehé Mellet*، وتجهي ن أوسيدي *Tedjehé-n-ou-Sidi*، وهؤلاء الأربعة الحاملون لقب تجهي يضافون لـ 14 قبيلة الأخرى في الأهقار⁴، كما أن "إبراهيم ولد سيدي" العالم الطارقي الذي نقل عليه "ديفايري" معظم تاريخ طوارق الشمال، لا ينسب كال أهقار مباشرة لقبيلة كال أهن ملن، في حين أنه يعتبر أن تجهي ملن *Mellen* التي يدعوها

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 110

² Belhachemi F. : Op. Cit., p. 211

³ Duveyrier H. : Op. Cit., p374

⁴ Idem.

بـ"أولاد المسعود" على أنهم أشرف¹، ويبدو أن "كال أهن ملن" و"تجهي ملن" لديهم رابطة مشتركة لأن العرب يسمونهم "أولاد المسعود" كما أنهم كانوا يقطنون التديكلت وهجموا مع بعض على قطعان كال غلا وداق غالي وآيت لاواين في الأهقار وسلبوهم إياها². وهو ما يوحي بأنهم مجموعة واحدة وأطلق عليهم العرب جميعا لقب "أولاد المسعود"³، لكن ما سبب رحيلهم إلى منطقة التديكلت عوضا عن الأهقار موطنهم الأصلي؟

3-3 علاقة كال أهقار بقبائل الكنتة:

كانت قبيلة "كال أهن ملن" هي سيدة الأهقار وما جاوره في أول الأمر، مع أن علاقاتها بجيرانها كانت مضطربة ودائمة الصراع خاصة مع أولاد باحمو في التديكلت وأولاد المختار والكنتة في إقليم توات، لكن سيحظى أحد فروع هذه القبيلة الأم بالأهمية في التاريخ السياسي للإيهقارن، من خلال تلك التحالفات التي سيكون للنسب الأبوي ثم الأمومي دورا فيها ثم لتلك التحالفات السياسية التي أقامها أيضا، لعل أهمها شخصية "صالح" وسلالته من بعده كأسرة حاكمة في الأهقار، والذي كان أول من أشار إليه هو الباحث الفرنسي "موريس بنهازيرة *Benhazera M.*" في سنة 1908م، والذي نقل عليه معظم الباحثين خلال الفترة الاستعمارية أو كتابات ما بعد الاستعمار. فالإمتياز الذي يحظى به نسب صالح في معظم الأبحاث حول تاريخ الأهقار إلى اليوم، يعود بشكل أساسي لاعتبارات سياسية، بحكم أن هذا النسب من سيكون محور شبكة التحالفات في المنطقة، ثم علاقته بالاستعمار الفرنسي وحكم المنطقة خلال فترة الاحتلال.

إنطلق "بنهازيرة" من الروايات الشفوية ثم دعمها بصفحات عثر عليها من "كتاب الطرائف والتلائد في ذكر كرامات الشيخين الوالدة والوالد" لمؤلفه "سيدي محمد" (ت. 1826م) ابن أحد كبار شخصيات الكنتة التي كان لها دور في بعث حركة الإصلاح على الطريقة

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p374 ; Benhazera M. : Op. Cit., p. 159

² Foucauld Ch. de : Dictionnaire. T2, Op. Cit., p536

³ Belhachemi F. : Op. Cit., p. 214

القادية البكائية في الصحراء "الشيخ سيدي المختار الكنتي" (1729-1811م)، وقد نقل معظم الأنثروبولوجيين المهتمين بطوارق الأهقار الإشارات التي قدمها "بنهازيرة" في ما يخص نسب صالح وعلاقته بقبائل الكنتة دون ذكر مصدر المعلومة من "كتاب الطرائف" هذا¹، واعتبر هذا النص لبنازيرة وتم الترويج له ضمناً على أنه النص المؤسس للأنثروبولوجيا التاريخية لطوارق الهقار، لذلك بقي بعيداً عن النقد.

أما كتاب الطرائف الذي اعتمد عليه بنهازيرة فهو عبارة عن مخطوطة باللغة العربية أطلعها عليها السيد "باحمو الأنصاري"، الذي كان يمثل خوجة للأمنوكال "موسى أوق أمستان"²، والتي جمعها الشيخ "باي" مرابط زاوية "تيليا *Telia*" (ابن الشيخ سيدي عمر)، وحفيد "سيدي المختار الكبير بن أحمد بن بوبكر" (الشخصية الكبيرة التي تكون سبب تأليف هذا الكتاب)، كما أن باي الكنتي كان قوي التأثير في كامل المنطقة، وبالأخص على موسى أوق أمستان الذي كان يستند عليه في كل شيء حتى في أمور السياسة³.

يعتبر الشيخ "سيد أحمد بن سيدي محمد الرقاد" القادم من الأدغاغ هو مؤسس زاوية كنتة في توات ما بين عامي 1645-1651م، (وتوفي في 1 شوال 1063هـ/1653م)، والواقعة بين "سالي *Sali*" وتمنيط، في حين أنه لا يوجد إلا شخص واحد يحمل اسم "أحمد البكاي" الذي عاش خلال القرن 15م وبداية القرن 16م⁴، هذه الزاوية "الرقادية" كان لها تأثير كبير في المنطقة لنفوذ صاحبها، الذي كان له دور في إيقاف حروب الإبادة ما بين قبائل الأهقار والكنتة، وهو الذي كان وراء ظهور شخصية "صالح أبو محمد الخير"، هذا الأخير الذي عارض غزو الأهقار لأهل توات في المرة الثانية لما أريد رجال الأهقار في المرة الأولى (عقب كرامة للشيخ عبد القادر رئيس زاوية توات)، لكن لم يؤخذ برأيه وأريد

¹ Belhachemi F. : Op. Cit., p. 214

² Benhazera M. Op. Cit., p. 224

³ Ismael Hamet : «Les Kounta », *Revue du Monde Musulman*, V. 15, Paris, 1911, p. 304

⁴ A.G.P. Martin : *Quatre siècles d'histoire Marocaine au Sahara*. Librairie Félix Alcan, Paris, 1923, p. 52

رجال الغزوة الثانية للأهقار أيضا، لذلك أمام هلاك الكثير من سادة الأهقار وأبنائهم في هاتين الغزوتين، رأى طوارق الأهقار ترشيح "صالح" كقائد للأهقار، مع دعم من الشيخ "سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعامة الكنتي" أيضا¹، وأشار لذلك "بول مارتي P. Marty" واستنتج بأن ظهور "صالح" في الأهقار كان حوالي 1650م²، وليس كما ينقل معظم الكتاب عن "ديفاريي" لما زار المنطقة سنة 1860م، حيث قال عن سقوط حكم الإيمنان وانفصال كال آجر عن كال أهقار كان قبل قرنين أي قياسا في سنة 1660م، ومنه كان ظهور صالح متأخرا جدا عن هذا التاريخ، ولكن كتاب الطرائف يعيد تصحيح هذه التواريخ كلها³.

كما جاء في "كتاب الطرائف" أن الشيخ "سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعامة" هو من تلقى خضوع طوارق الهقار عبر "صالح" والد "محمد الخير"، اللذان تعاقبا على حكم الهقار تواليا⁴، ويذكر أن الشيخ "سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعامة" هو جد "شيخة" (1747م-1810م) من الأم، التي هي زوجة "سيدي المختار الكبير"، وأم "سيدي محمد" صاحب "كتاب الطرائف"، وبالتالي يكون تقديم "صالح" عقد خضوعه السابق في نهاية القرن 17م أو بداية القرن 18م، بحساب جيلين إلى الوراء منذ سنة 1747م⁵.

3-3-1 التحالف الاستراتيجي بين آل صالح وقبائل الكنتة:

لقد بدأ استقرار قبائل الكنتة في منطقة توات منذ منتصف القرن 17م بمساعدة شخصية صالح وخلفائه من أولاده وحفدته من بعده، التي ظهرت لتولي الحكم عند طوارق

¹ حادثة الصراع القائم بين الأهقار والكنتة وتولية صالح عليهم أشار إليها بنهازيرة في آخر كتابه عارضا صفحات من النص العربي لكتاب "الطرائف والتلائد" من ص 90 وما بعدها. أنظر للمزيد: -Benzazera M. : Op. Cit., pp. 224-226

² Paul Marty : **Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan**. T.1, Ed. Ernest Leroux, Paris, 1920, p. 131

³ Belhachemi F. : Op. Cit., p. 217

⁴ Benzazera M. : Op. Cit., p. 105 ; Marty P. : Op. Cit., p. 131

⁵ Belhachemi F. : Op. Cit., p. 218

الأهقار في نهاية القرن 17م، وبالنظر لقدم العلاقة التي ربطت الكنتة بالمكان عزي *Azzi* منذ نهاية القرن 14م على الأقل (حسب تاريخ كنتة: بعد زواج سيدي علي بن سيدي يحي (زناة)، مع بنت محمد عالم بن كنتة (صنهاجة/لمتونة) في القرن 14م، أين اتخذت العائلة لقب الكنتة)، جعلت فرع من هذه العائلة على أن تترك الأزواد لتحاول تأسيس زاوية لها في منطقة توات، ممثلة في شخص "سيدي أحمد بن سيدي محمد الرقادي" المتوفي نحو 1652م¹ حفيد "سيدي عمر الشيخ" الذي صاحب "محمد بن عبد الكريم المغيلي" الذي كان سيد قصر "بوعلي"¹، هذا المكان الذي سيكون نقطة ارتكاز الكنتة في تجذرهم في إقليم توات بالقوة بعد محاولاتهم العديدة السابقة للاستقرار فيه خلال القرن 16م أين كانوا يتمركزون في الجنوب الغربي للصحراء².

لكن طوارق الأهقار كانوا هم المسيطرين على كامل منطقة الصحراء الوسطى خاصة في العقود الأولى للقرن 17م، ويستعدون ويسلبون كامل جيرانهم خاصة من أولاد باحمو في تمنطيط وبودا (توات) وأولاد يعيش والخنافسة في تادمايت³، في هذه الأثناء وصل "سيدي احمد الرقادي" القادم من الأزواد رفقة "سيدي عبد القادر التواتي" بغرض الحصول على أرض لإقامة زاويته بين قصري أولاد "قطبين" حسب كتاب الطرائف، بالاستعانة بصديقه عبد القادر وأهله لحمايته من هجمات هؤلاء الطوارق، الذين أغاروا على هذه الزاوية (التي كانت تسمى زاوية توات وربما لم تأخذ إسمها الرقادية حتى بعد وفاة الرقادي نحو 1652م) لمرتين

¹ نفذت الطريقة القادرية إلى بلاد السودان في القرن 15 عن طريق نشاط عبد الكريم المغيلي، الذي كان معاديا لليهود والخارجيين في توات في نفس الوقت، وتبنتها قبائل الكنتة (سيدي عمر الشيخ الكنتي) المنتمية لقبائل زناتة والتي تحالفت مع القبائل العربية لبني حسان لمواجهة خطر قوة لمتونة الصحراوية، كما اتصلت عن طريق المصاهرة بفرع من صنهاجة لمتونة واستغلت ضعفها لتقضي على سلطة خلفاء المرابطين، لكن في القرن 15م هزموا من قبل سني علي ثم الأسكيا محمد، ليتفرع الكنتة إلى زوايا؛ في الصحراء الغربية، والأزواد، وشمال تمبكتو، والتديكلت أين تبناوا الطريقة القادرية. وفي القرن 17م ترك طوارق الإيوليمدن جهة الأدرار الغربي ليتجهوا نحو ثنية نهر النيجر ليتسببوا في عديد الصراعات التي جمعت بين قبائل المنطقة؛ فولان، بمبارة، والطوارق ضد سلطة الباشوات المغاربة، ومع مطلع 1660م أصبح قائد الإيوليمدن "كاليدونا" هو أول ممثل عن الباشا المغربي "علي التزركيني"، ولما قام الصراع بين طوارق تادمكة وطوارق الإيوليمدن أصبح الكنتة هم الوسطاء بينهما. أنظر للمزيد: Faouzia Belhachemi: «Nouvelle interprétation du processus de peuplement dans le massif du Hoggar à partir des géographes arabes», *Revue de géographie alpine*, T. 79, N° 1, 1991, pp. 155-156

² Martin A.G.P.: Op. Cit., pp. 20-34

³ Ibid., p. 37

وفقدوا فيها الكثير من أبناء أشرف وقادة الطوارق، وهنا يأتي دور قائد الأهقار صالح في إنهاء هذا الصراع مع الكنتة بتقديم عقد خضوعه للشيخ "سيدي محمد بن عبد الرحمن بن أبي نعامة" نحو نهاية القرن 17م، ليسجل بداية عصر جديد من تحالف الكنتة (من سلالة سيدي عمر الشيخ) مع حكام طوارق الأهقار من سلالة صالح ثم مع سلالة "الإيكروميين *Ikerremoyen*"¹، مع الفترة الفاصلة للحاج أحمد، هذا التحالف الذي ظل لقرون لم ينقض بينهما لأنه يخدم الطرفين بتجذر قبائل الكنتة في المنطقة، ودعم سلالة صالح مركزها في السلطة بشرعية دينية².

ومع وصول "محمد الخير" للحكم استعاد من التحالف الذي عقده أباه مع قبائل الكنتة المرابطية، والممثلين للشرعية الدينية في المنطقة الذي يدعم مركزه من خلالها أيضا، وهو ما جعله يلتقي "سيدي المختار الكبير (1729-1810م)" حوالي سنة 1760م والذي سجله كتاب الطوائف، ما يوحي باستمرار هذا التحالف خاصة لما بدأ سيدي المختار يسعى لمد نفوذ زاويته البكائية (القادرية) في الأزواد، ويصبح سيد الصحراء الوسطى حتى تمبكتو بعد أن كسب ود وحلف نظرائه أولاد بلة الذين كانوا مناوئيه في المنطقة، وربما حلفه مع طوارق الأهقار الأقوياء بقيادة "محمد الخير" الذي كان يكبر سيدي المختار بكثير هو من سهل عليه مهمته في كامل المنطقة³.

لذلك يبدو أن الشيخ "سيدي المختار الكنتي" السالف الذكر كان يخطط لمشروع سياسي في المنطقة وليس فقط نشر الطريقة القادرية البكائية في الصحراء الوسطى، وإنما بعث دولة للكنتة في المنطقة على غرار ما كانت تقوم به دولة الإماميات في منطقة

¹ بحسب بنهازيرة قبائل الإيكرومين تعود بأصولها إلى قبيلة "إيغروسوتن Iguerisouten" التي هي فرع من قبائل "كال غرس Gres" بالأبير، واسم جدهم الأول "أكرموي Akerrmoi" الذي وفد إلى الأهقار في منتصف القرن 18م، ولحق فرع منها بقبيلة "كال غلا" عن طريق المصاهرة، حيث تزوج رجل منهم يدعى "أبورا Aboura" بالأخت الكبرى لـ"كلا"، وكذلك الحال مع رجل منهم يدعى "تيسك Tissek" بأخت الأموكال "سيدي أق محمد الخير" وأنجب منها ولدين هما "هيجر Heguier" و"أمو Ammou"، ومن نسل "هيجر" ينحدر الأموكال "موسى أق أمستان". أنظر للمزيد:

Benhazera M. : Op. Cit., pp. 96-98 et 107-110

² Belhachemi F. : Anthropologie. Op. Cit., pp. 219-220

³ Ibid., p. 221

الفوتاتورو بالسينغال¹، فبعد أن ثبتت قبائل الكنتة تجزرها في منطقة توات والأزواد حتى تمبكتو كقبيلة مرابطية تولت نشر الطريقة القادرية، أرادت بعث كيائها السياسي بزعامة سيدي المختار الكبير هذا، وهو ما يحتم عليها في نفس الوقت أن تبحث عن مورد اقتصادي يقوي عصب كيان الدولة التي ستؤسس، والذي وجدوه في استغلال ملح سبخة "إيجيل" *Ijil* مع بلاد السودان منذ سنة 1767م²، أي بعد 7 سبع سنوات فقط من لقاء "سيدي المختار" وحاكم الأهقار "محمد الخير" والذي يكون قد أقنعه ربما بإيقاف استغلال عائدات سبخة "الأمدغور" في الأهقار، ليكون ملح سبخة "إيجيل" المورد الأهم لبلاد السودان رفقة ملح سبخة "تاودني" *Taoudeni* الذي كان بيدهم حسب كتاب الطرائف³، وربما سيطروا على ممالح تغازة القريبة منهم أيضا.

لقد أصبح استغلال سبخة "إيجيل" بيد قبائل الكنتة بدءا من تاريخ 1767م، وهو ما أكده الضابط الفرنسي النقيب "هنري فانسان" *Vincent H.* لما زار الأداغ في سنة 1860م،

¹ أصبح فرع التورودو (لقبائل الفلان) أسياد منطقة التورو تقريبا منذ سنة 1750م لما قاموا بثورتهم في المنطقة بزعامة الشيخ "بابا Baba"، كانت هذه الثورة التي قام بها التورودو بغرض استبدال الحكم من يد حكام المنطقة من "الدينياكي *Dénianké*" الوثنيين (أسرة حكمت المنطقة من 1537-1767م، كلهم من قبائل الولوف، لكن التورو باحتكاكهم كثيرا بالفلان للصفة اليمنى لنهر السنغال أصبحوا منهم)، إلى الفلان المسلمين في كل المنطقة الممتدة من الفوتاجالون إلى السنغال خلال النصف الثاني من القرن 18م، بدءا من سنة 1776م إلى 1880م، حينما قام الشيخ "سليمان بن راسيين بال" في سنة 1776م بحركة إسلامية إصلاحية ضد حكم الدينياكي وأسس مملكة إسلامية يحكمها العلماء باسم "الإمام" والذي كان معه منذ البداية؛ عبد القادر كن (خليفته من بعده 1780م)، جيرنو سعيد عثمان طال (والد الحاج عمر طال)، تفسير بوفيل، تفسير أحمد حماد، عبد الكريم جاوندو، الذين كانوا يدرسون جميعهم عند الشيخ عمر فال بولاتة (بير). وهذه الحركة استلهمت الفكرة من حركة الشيخ ألفا إبراهيم جالو في الفوتاجالون. أنظر للمزيد: A. Le Chatelier: **l'islam dans**

l'Afrique occidentale. Ed. G. Steinheil, Paris, 1899, pp. 107-120

² يعود استغلال سبخة "إيجيل" (تيشيت *Tishit*) مع بلاد السودان إلى القرن 11م على الأقل لما ذكرها البكري، وهناك من يقول منذ بداية القرن 8م كما اعتقد الباحث "كابو راي" *Capot-Rey R.*، وكان سعر ملح "إيجيل" يبادل بذهب السودان في تمبكتو بسعر 100 إلى 120 مثقال من الذهب للحمل من الملح في القرن 15م حسب مصدر الرحالة البرتغالي "فرناندس V. *Fernandès V.*"، كما ذكر حسن الوزان في نفس الفترة سعر بيع الملح القادم من جهة تغازة بـ 80 دوقة (مثقال) للحمل الواحد. أنظر للمزيد: *Abdel Wedoud Ould Cheikh*: «La caravane et la caravelle, Les **Cahiers de l'Ouest Saharien**, Vol. II., 2000, pp. 1-57

³ كانت سبخة تاودني *Taoudeni* تمثل عاصمة الملح للصحراء وبلاد السودان منذ نهاية القرن 16م إلى منتصف القرن 20م بمعدل تصدير سنوي مقدر بحوالي 100.000 لوحة ملح (100سم×40سم×6سم). أنظر للمزيد: Denis P. (Lieut.): «A propos des salines et des pistes caravanieres du Sahara Occidental». **B.L.S.**, N° 10, Octobre-1952, p. 27

ونذكر أن الكنتة يستخرجون من هذه السبخة (التي تقدر مساحتها حسبه بين 25~30كم طول على عرض 10~12كم) ما قدره 20 ألف جمل جمل بمعدل 200 كغ لكل جمل أي ما يعادل 4 آلاف طن سنويا، وفي الخمس سنين الأخيرة من القرن 19م كان يستخرج من السبخة بين 50 إلى 60 ألف لوحة ملح (1م/ 25سم) لتصل مع مطلع سنة 1900م إلى حدود 75118 لوحة ملح¹، لكن مشروع الشيخ "سيدي المختار الكبير" لم ينجح في بعث هذا الكيان لانقسام قبائل الكنتة نفسها إلى عدة زوايا في المنطقة.

3-4 إنقسام قبائل كال أهن ملن وبروز كال غلا في الأهقار:

تتكلم الروايات الشفوية التي جمعها "بنهازيرة" مطلع القرن العشرين عن شخصية "سيدي" ابن "محمد الخير"، الذي تولى الحكم عند طوارق الأهقار، والذي سيخلفه ابنه يونس الذي ورد اسمه في مخطوط "سجلات أغداس"، في حربه ضد طوارق الأبير سنة 1810م بـ"يونس بن سعيد" وليس "سيدي"²، وهو الإبن البكر لسيدي وأخ "أق ماما" الذي سيخلفه أيضا، ولكن تبدو علاقة سلالة سيدي وكال غلا غير واضحة، فقد أشار بنهازيرة الذي نقل كلام الأمنوكال "أهيتاغل أق محمد بيسكا" حول هذا الموضوع ما يلي: "تمثل تجهي ن-أو-سيدي *Tedjehé-n-ou-sidi* الظهر، في حين تمثل كال غلا، والتايطوق، وتجهي ملّت الأطراف، ولكن الظهر ضعف على حساب الأطراف"³، ما يفهم منه ربما أن مصاهرة نسل سيدي الذين يمثلون الظهر مع قبيلة كال غلا التي تمثل أحد الأطراف، والانتقال من نقل السلطة من رابطة الأب إلى رابطة الأم، هو الذي أدى إلى انصهار تجهي ن-أوسيدي في كال غلا وذوبانها فيها، وبالتالي سيطرة كال غلا على الحكم⁴.

¹ Vincent H. (Capt.): «Voyage d'exploration dans l'Adrar, (Sahara Occidental)», **Revue Algérienne et Coloniale**, Octobre-1860, pp. 445-494 ; Abdel Wedoud Ould Cheikh : Op. Cit., pp. 1-57

² Urvoy Y. (Le Capitaine) : «Chroniques d'Agadès». **Journal de la Société des Africaniste**, T. 4, Fasc. 2, 1934, pp. 145-177

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 107

⁴ Belhachemi F. : Anthropologie. Op. Cit., p. 225

وأمام نقص المصادر المكتوبة لا يمكن تقديم تحليل آخر، إذ يعتبر كتاب "ديفايري 1864م" هو أول من تكلم عن كال غلا وقوتها في الأهقار، بالنظر لكثرة الرجال النبلاء فيها وكثرة العبيد والقبائل التابعة التي تحيط بها¹، وهو ما يبقى الاعتماد على الرواية الشفوية فقط، لكن يصرح "بنهزيرة" من خلال الروايات الشفوية أنه لما خلف "سيدي" أباه "محمد الخير" على الحكم كانت أهم قبيلة نبيلة في الهقار هي "تجهي نأوسيدي" ورغم حفظ الاسم لكن القبيلة اختفت ضمن القبائل الأخرى²، في حين يذكرها "ديفايري" سنة 1864م على أنه لا مكان مستقر لهذه القبيلة، وبأنها تنتقل في الصحراء تحت قيادة "متوك *Mettouk*"³، وهو ما يوحي بصدق كلام "أهيتاغل" ربما.

هناك من يفترض طرحا آخر مفاده بأنه لما أعقب "سيدي" أباه "محمد الخير" على الحكم، والذي كان متحالفا مع قبيلة "تجهي نأوسيدي" الكبيرة حينها، كان فرع كال غلا على رأسها، ومنه سعت هذه الأخيرة لتقوية حلف "سيدي" خارج مجموع قبائل سلالة الهوارة، خاصة وأن بجانبها كل من قبائل "داق غالي"، وآيت لاواين، هذا التحالف الثلاثي شكل انقساماً آخر داخل مجموع "كال" أهل ملن" مؤدياً ظهور وتشكل هوية جديدة تدعم الحكم، متمثلة في أولاد "ختيتة" والإيبوغلن المنتمين جميعهم في كال غلا، الأمر الذي دعا برحيل أهم قبيلتين مشكلتين لكال أهل ملن (تجهي-نايساكال، وتجهي-نايغالي) إلى الاستقرار في منطقة التديكلت، علماً أن عشيرة "تجهي نأوسيدي" هي من كانت تحافظ على تولي مقاليد الحكم منذ عهد حكم "صالح" في منتصف القرن 17م إلى غاية "أق ماما" في منتصف القرن 19م، بشكل وراثي من رابطة الأب، لكنها انصهرت نتيجة هذه التحالفات في قبيلة كال غلا المعتمدة على قوة قبيلة داق غالي منذ عهد "سيدي"، وهو ما جذب نحوهم "ختيتة" من

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 375

² Benhazera M. : Op. Cit., p. 107

³ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 280

مجموع "كال أهن ملن" الذي سيكون جد الأمنوكال "أهيتاغل" بعد أن تزوج من كال غَلا¹، هذا التحول في تشكل القبائل يرجح أن يكون في نهاية القرن 18م².

لقد كان بتقارب "سيدي" بكال غَلا وزواجه منهم، أن أدى برحيل قبيلة "تجهي-نايساكال" بزعامة قائدهم "ساكال Sakkal" و"تجهي نايجالي"، أهم قبيلتين تمثلان القبيلة الأم "كال أهن ملن" إلى الاستقرار في منطقة التديكلت مصطحبين معهم قبائل الإيسقمارن، ويمكن اعتباره كأول رد فعل على انقلاب التحالف عن طريق رابطة الأم لصالح كال غَلا، الذي بدأه "سيدي" ثم "ختيتة" أخ "ساكال"، ورحبت قبائل التديكلت من "أولاد باحمو" و"أولاد المختار" بالوافدين الجدد، لتحالفهم القديم مع قبيلة "كال أهن ملن"، والتي تمثلها قبيلة "تجهي نايساكال" كوريثتها الشرعية³، وكانت منطقة نفوذ هذه القبائل ممتدة من عين صالح حتى منطقة التيفداست *Tefedest* المتاخمة لحدود سبخة الأمدغور الغربية، والذين كانوا ينزلون للرعي والانتجاع فيها كل سنة بعد موسم جني التمور في التديكلت⁴.

لقد تقوى حكم "آل سيدي" في فترة حكم ابنه "يونس" في بداية القرن 19م، الذي قام بالهجوم على قبائل "كال أهن ملن" و"الإيسقمارن" في منطقة التديكلت، واستطاع إرجاع ولاء قبائل الإيسقمارن له⁵، كما غزى قبائل الآيبر جنوبا، ونظرا لقوة كال أهقار حينها انتقلت قبيلة

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 109

² Belhachemi F. : Anthropologie. Op. Cit., p. 229

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 111

⁴ هناك من يرى أن التحالف قديم بين المجموعتين منذ القرن 8م لما عزز اعتناق قبائل هوارة وزناتة المذهب الإباضي، والذي ازداد ارتباطا وعلاقة بالخط التجاري الإباضي منذ القرن 13م، لما استعمرت قبائل هوارة جبل الهقار عقب سقوط دولة هوارة بني خطاب (الخارجية)، فالأهقار كان لقرون من الزمن تحت رحمة المنافسة التجارية بين التيار الإباضي القديم (هوارة-زناتة)، وتيار كنتة إحدى ورثة المرابطين (مسوفة ولمتونة)، فقبيلة كال أهن ملن المنحدرة من قبائل الهوارة كانت ضمن التيار الإباضي، منذ القرن 14م، وصراعها مع كال غَلا (المنحدرة من بربر الغرب) يدخل في إطار هذه المنافسة التجارية واحتكارها عبر الزمن. أنظر للمزيد: نور الدين شعباني: "التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة"، دورية كان التاريخية، ع. 18، ديسمبر 2012م، ص 36؛ Belhachemi F. : «Nouvelle interprétation, Op. Cit., pp. 151-162»

⁵ Benhazera M. : Op. Cit., p. 111

"أجهي نتالي *Aguh-n-Téhélé*" التي كانت تقيم بـ"إنغال *In Gall*" في الأيبر لتكون تحت حكم يونس¹.

3-4-1 كال غلا والتحول نحو الحكم بالنسب الأمومي:

منذ تولي "صالح" الحكم في الأهقار في نهاية القرن 17م، بقي الحكم في ذريته وراثيا وفق رابطة "نسب الأب" إلى غاية منتصف القرن 19م مع آخر ممثل لهذا النسب الأمنوكال "أق ماما"، ليتحول بعدها الحكم في يد قبيلة كال غلا التي غيرت مبدأ الحكم وفق رابطة "نسب الأم". ولعل ما ساعد كال غلا في هذا الأمر هو نفوذها داخل السلطة منذ عهد الأمنوكال "سيدي"، ثم لتحكمها بعجلة الاقتصاد عقب إشرافها على طرق القوافل التجارية وتحصيل الضريبة منها، زيادة على قوتها العسكرية المستمدة من مجموع قبائلها التابعة وخاصة "داق غالي".

ففي سنة 1845م ورد في كتاب الضابطان الفرنسيان "أوجان دوما *Daumas E.*" و"دو شانسال *A. de Chancel*" عن رحلتها مع القافلة التي نزلت من بلاد ميزاب إلى كاتسينة، والذين مروا خلالها بالقولية، تيميمون، عين صالح، إقليم المويدير، هضبة الأهقار، ثم الدخول في الأراضي السودانية عبر عين أزوا، إقليم الأيبر، أغداس، ثم كاتسينة²، وأشاروا إلى سيطرة كال أهقار على مسالك هذا الطريق حتى عين صالح شمالا والحدود المتاخمة لكال آجر في الجنوب الشرقي، وكان المركز المتقدم لهم لمراقبة القوافل القادمة من الشمال هو "قصر إنكور *Inkeur*" أين يحصلوا ضريبة المرور من القوافل، والتي كان يشرف عليها حينها "محمد أق بيسكا" والد "أهيتاغل أق محمد بيسكا"، بمقدار 3 دورو للفرد زائد ألبسة وأغطية وأحذية لعائلته وقنطارين من التبغ، مع أن النقود التي يحصلها من الجباية

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 147 ; Urvoy Y. : Op. Cit., p 163 ; Foucauld Ch. De.: Dictionnaire. T.2, p. 536

² Eugène Daumas (le colonel), Ausone de Chancel: **Le grand désert** ; ou Itinéraire d'une caravane du Sahara au pays des Nègres. Imprimerie et librairie centrales de Napoléon Chaix et C^{ie}, Paris, 1848, pp. 5 et s.

يشترى بها جميعها مواد أخرى من القافلة، أي تعاد النقود لرجال القافلة¹، كما يبادل الطوارق مختلف سلعهم مع أصحاب القافلة وأحيانا ينظم أفراد من كالأهقار بحدود 30 جملاً لهذه القافلة نحو بلاد السودان، والملاحظ أن البيع بالمقايضة وحتى السلع التي أشار إليها ابن بطوطة منذ القرن 14م بقيت نفسها حتى القرن 19م والأمر نفسه بالنسبة لمسار الطريق الذي مشى عليه من الأبيير إلى توات (بودا) عبر الأهقار.

يظهر من كتاب "أوجان دوما" أن "محمد ولد بيسكا" كان يُعرف على أنه هو سيد الأهقار، وهو من يحمي ويضمن قوافل المزاب في اتجاه الجنوب نحو بلاد السودان، على الرغم أن معظم من كتب في تاريخ الأهقار يذكر أنه بعد حكم "يونس" خلفه أخاه "أق ماما"، ويبدو من هنا أنه منذ عهد يونس الذي دخل في صراع مع "كال أهن ملن/تجهي نايساكال" وقبائل الإيسقمارن، كان بغرض التحكم في الطريق التجاري القادم من الشمال (توات، التديكلت) وخاصة من منطقة المزاب إلى بلاد السودان (مدن الهاوسا) عبر الأهقار، وإبعاد خطر هؤلاء المنشقين نهائياً، وكان له ذلك بكسب ولاء قبائل الإيسقمارن².

مع أن هذا النجاح الذي حققه يونس ما كان ليتم لولا مساعدة كال غلاً له، وهو الأمر الذي جعل ربما "ختيتة" ينشق عن أخيه "ساكال" ليتزوج من كال غلاً، ويكون نسب ذريته وراء تشكل قبيلة الإيبوغلن، والذي يعتبر "محمد ولد بيسكا" حفيده، (مع أن هناك من يرى أن انشقاق "ختيتة" عن أخيه "ساكال" كان قبل عهد "يونس" بكثير)، ويلاحظ أنه رغم خضوع الإيسقمارن لسلطة يونس في الأهقار، أمكنهم أيضاً إدراك مدى قوتهم وأهميتهم في هذه التجارة بحكم موقعهم بين عين صالح والمويدير، وهو ما جعلهم يبدون استقلاليتهم عن كال أهقار رغم خضوعهم لهم، أو بالأحرى عدم إدراجهم من ضمن قبائلهم الأتباع على الأقل، خاصة وأنهم فاعلون ومحتكرون للتجارة بين عين صالح وغات، وبالتالي لهم ما يضمن

¹ Daumas E., Chancel A. de : Op. Cit., pp. 161-165

² Urvoy Y. : Op. Cit., p. 163

استقلاليتهم حسب ديفاييري¹. لكن ما فتئت أن ضعفت قوتهم هذه لصالح السلطة القوية في الأهقار في النصف الثاني للقرن 19م.

فحسب "ديفايري" يعتبر كال أهقار أهل توات وعين صالح من أهم أصدقائهم، في حين يعادون الباقيين، وهذا لما تلعبه مدينة عين صالح التي تحتكر التجارة مع تمبكتو والذي يعتبر أهم طريق تجاري وبالتالي يكون كال أهقار هم من يحمون هذا الطريق الذي يمر باتجاه منطقة توات أيضا، ويجبون ضرائب مرور هذه القوافل في أراضيهم وكراء جمالهم أيضا. كما أنهم يتزودون بحاجاتهم من هذه المراكز سواء بالبيع أو الشراء². وهو ما يوحي أيضا بفك ارتباط كال أهقار بالحلف القديم مع قبائل الكنتة بعدم استغلال ملح سبخة الأمدغور، وبالتالي بداية تمرد كال غلا أيضا على عرف نقل السلطة برابطة الأب الذي فرضوه ربما أول الأمر على سلالة "سيدي"، بتحول الحليف الاقتصادي إلى تجار المزاب والتديكلت الذين شرعوا في استغلال ملح الأمدغور دون شك لمبادلته في بلاد السودان.

لقد بقي هذا التحالف الذي ربط سلالة صالح مع الكنتة منذ منتصف القرن 17م إلى غاية سنة 1860م تاريخ انتهاء هذه السلالة مع "أق ماما" أو "غمامة *Guemama*" عند "ديفايري"، أين سيتوسع هذا التحالف مع قبائل الإيفوغاس عندما يتولى "الحاج أحمد" مقاليد الحكم في الأهقار، بمساعدة من الكنتة ممثلة في شخص الشيخ البكاي لتمبكتو، الذي تزامن مع توسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الوسطى، والذي سيستفيد هو الآخر من هذا الصراع في أيهم من المجموعات من يكون مع أو ضد التحالف مع فرنسا³؟

وربما جاء اختيار الحاج أحمد باعتباره رجل دين مرابط يحظى بالاحترام والتقدير، كما أنه أجنبي وهو ما يجعله ينهي الصراع الحاصل حول السلطة خاصة بين كال غلا والتايطوق، هؤلاء الأخيرين المصاهرين لـ "أق ماما" ويريدون مواصلة الحكم الأبوي الذي

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 376

² Ibid., p. 371

³ Belhachemi F. : Anthropologie. Op. Cit., p. 244

سيبقي الأمر بيدهم بعدها، لكن "كال غَلا" أرادوا سحب البساط من تحت أرجلهم بالمناداة بالعودة للنسب الأمومي وهو الذي يتوفر في شخص "الحاج أحمد" بحكم أنه ينتمي لكال غَلا من جهة الأم، فأمه "زهرة" هي الأخت الكبرى للأمنوكال "أق ماما"، كما يوفر الحاج أحمد تقريبا سياسيا أكثر مع طوارق "كال آجر" باعتباره أختا للشيخ عثمان¹ واسع النفوذ لديهم، وهذا بغرض تحصيل مزايا تجارية أكثر في الطريق العابر للصحراء من جهتهم.

وربما كان لظهور سلالتين يتنافسان الحكم في الأهقار، ويتعلق الأمر هنا بسلالة نسب "صالح" التي يمثلها "أق ماما" المتحالفة مع الكنتة المرابطية، وسلالة نسب "ختيتة" ويمثلها "أهيتاغل" والمتحالفة مع التجار الإباضيين من منطقة المزاب والتديكلت، وأمام ضعف معسكر "أق ماما" وفقدانه التحكم في المورد التجاري الذي يعتبر عصب الحكم، خاصة أن "محمد أق بسكا" غطى عليه دوره هذا كما ظهر في رحلة "أوجان دوما" سنة 1845م، هو ما جعل "كال غَلا" تزيد من نفوذها السياسي بتقديم شخصية من صنف المرابطين أيضا والذي وجدوه في الطريقة التيجانية هذه المرة عبر "الحاج أحمد"، وهذا ربما للنجاحات التي كانت تحققها حركة الحاج عمر طال في تأسيس دولة قوية تضم كامل حوض النيجر، ومن ثمة دفع التقارب السياسي والتجاري أكثر بين المنطقتين.

لذلك يبدو أن الظروف كانت تسير بشكل جيد لصالح قبيلة "كال غَلا" لتحقيق انتصار ومزايا على جميع الجبهات، من خلال تقديم شخصية "الحاج أحمد" وتوليته أمنوكال الأهقار، والذي حضر حفل تنصيبه حسب ديفاييري أحد إخوة سيدي البكاي من تمبكتو²، لكن لا يعتقد أن تولية "الحاج أحمد" جاءت بتوصية وتزكية من "الشيخ البكاي" لتمبكتو المعادي للطريقة التيجانية خاصة صراعهم الكبير مع "الحاج عمر طال" الذين كانوا سبب مقتله في سنة 1864م.

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 369

² Idem.

لذلك يمكن أن نستنتج مما سبق؛ أن قبيلة كال غلا هي التي تعتبر وريثة النسل الأبوي للقبيلة الأولى "كال أهن ملن"، وفي نفس الوقت هي تتشكل من تجمع ثلاث فروع قبلية هي (الإيبوغلان *Iboglane*، الإينيمبا *Inemba*، الإيكروموين *Ikerremoyen*) كما ذكر "بنهازيرة في مطلع القرن 20م"¹، هذه الفروع الثلاث هي الدالة على وجود قبيلة حاكمة تدعى كال غلا²، لأنه لا يمكن إيجاد في الأهقار قبيلة تسمى كال غلا مباشرة، وإنما هي أحد هذه الفروع الثلاثة، وكأن مصطلح "كال غلا" تبدو أنها مجموعة انتساب ضمت عددا من القبائل إليها³، بدليل أن كال غلا حسب الباحثة (بلهاشمي التي لاحظت لأول مرة) لا تملك وشماً للإبل الخاصة بها، والإبل الخاصة بها تحمل علامات (إيهوال *ehuwel/sing*) مجموع القبائل المشكلة لها وهي (الإيبوغلان والإينيمبا والإيكروموين)، وهذه الوشوم تحمل الأسماء التالية⁴:

- أمسلاغ *Ameslag* بالنسبة لإبل الإيبوغلان
- تانمبوت *Tanembut* بالنسبة لإبل الإينيمبا (فرع كال تاهات *Kel Tahat*)
- تاغالت *Taghalt* بالنسبة لإبل الإينيمبا (فرع كال إيموغري *Kel Emoghri*)
- تاكرومويت *Takerremoyet* بالنسبة لإبل الإيكروموين

يمكن الاستنتاج في الأخير أن قبيلة "كال أهن ملن" هي من كانت تمثل نسل قبائل الهوارة العتيقة، وتحول إسمها إلى "كال أهقار" حسب ديفاييري⁵، وهي من كانت تحكم الأهقار قبل منتصف القرن 17م وكانت تستغل ملح سبخة "الأمدغور" متحالفة مع تجار المزاب والتديكلت الذين يتزودون بملح الأمدغور ويواصلون تجارتهم إلى بلاد السودان، وكانوا بذلك معادين لقبائل الكنتة التي كانت تريد الاستقرار في جهة توات والأزواد محتكرة

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 131

² حسب الباحثة "هيلين كلودو Claudot H." فإن إسم كال غلا تحول واستبدل باسم (الإيبوغلان والإينيمبا). أنظر للمزيد: Hélène Claudot : «Le discours légaliste de la parenté chez les Touaregs». **A.A.N.**, 1983, p. 534

³ Gast M.: «Les Kel-Rela. Op. Cit., p. 57

⁴ Belhachemi F. : Anthropologie. Op. Cit., p. 449

⁵ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 466

هي الأخرى ملح سبخة تغازة وتاودني، ونتيجة هزيمة كال أهقار في عديد مواجهاتها مع الكنتة وفقدان جل أشرفها، تدخل "صالح" الذي يكون حينها شيخ القبيلة المرابطية "تجهي نأوسيدي" إحدى فروع قبيلة الإمان (حسب ديفاريي)¹، الذين فقدوا حكمهم في الأجر قبيل فترة، والذي أراد أن يستغل الوضع بغرض التوسط وإنهاء الحرب.

الأمر الذي وافق عليه الكنتة المرابطون هم أيضا ولقي القبول عند كال أهقار كرجل دين يجلب لهم السلام، وبالتالي سيطرت هذه القبيلة على حكم الأهقار متحالفة مع قبائل "الإيكروموين" التي تبدو أنها لا تمثل أحد فروع "كال أهن ملن" وإنما فرع من قبائل نسل "تينهينان" المهاجرة والوافدة لاحقا، وتوطد التحالف أكثر بمصاهرة "سيدي" و"كلة" حفيدة تينهينان، في حين فضل الفرعين الكبيرين "تجهي نإيساكال" و"تجهي نإيغالي" الممثلين للقبيلة الأم "كال أهن ملن" الخروج من الأهقار والوقوف ضد سياسة سلالة صالح، وبالأخص فترة حكم "محمد الخير"، الذي أمر بإيقاف استغلال ملح سبخة الأمدغور وفق اتفاق تحالفه مع الكنتة، أو تهميشهم من الحكم أيضا، والتحقوا بحلفائهم في منطقة التديكلت وقبائل الإيسقمارن محاولين مواصلة إستغلال سبخة الأمدغور، قبل أن يهزمهم "يونس أغ سيدي" ويعيد قبائل الإيسقمارن تحت حكمه في مطلع القرن 19م كما تمت الإشارة لذلك.

كما عمل يونس أيضا على ضرب القبيلة القوية "تجهي نإيساكال" باستقطاب أخ "ساكال"، المدعو "ختيتة" وزوجه من قبائل الإيكروموين أو الإينمبا (كال غلا كليهما) الحليفين له وليكون نسله مشكلا لفرع ثالث لكال غلا وهي قبيلة "الإيبوغلن"، هذه الأخيرة التي استقادت من موقعها المهم في الإشراف على التجارة العابرة للصحراء، والتي تعتبر كأهم مورد اقتصادي لكال أهقار، لتدعم نفوذها السياسي وتقبض على السلطة والحكم في الأهقار.

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 322

لذا يمكن أن نستنتج ضمناً من هذا الطرح ومن مجموع ما ذكر سابقاً، أن طريقة نقل الحكم في الأهقار كانت عبر نسب الأم مع قبيلة "كال آهن ملن"، ثم تحولت إلى رابطة الأب بوصول سلالة "صالح" للحكم الذي قدم خضوعه لقبائل الكنتة (القادريين) على إثر هزيمتهم، وربما هم من اشتروا رابطة الأب هذه في نقل السلطة توارثاً من الأب إلى الإبن كما تقره الأعراف الإسلامية، ثم عادت من جديد إلى رابطة الأم عبر كال غَلا لما أرادوا أن يحتكروا السلطة لصالحهم في مقابل قبائل التايطوق، الذين أبعدهم وغيرهم أيضاً من تولي السلطة عن طريق استحداث خطة جديدة تتمثل في عامل القرابة من الجدة الأسطورة للطوارق "تينهينان"، والتي تعتبر قبيلة "كال غَلا" نفسها هي الأصيلة من نسل هذه المرأة من قبل حفيدتها "كلة" كما سنراه في الباب الموالي.

الباب الثاني

الأوضاع الاجتماعية لكال أهقار

الفصل الأول: خصائص بنية المجتمع التقليدي لكال أهقار

الفصل الثاني: سلطة الأمنوكال وتوظيف التاريخ الاجتماعي

الفصل الثالث: التحولات الاجتماعية لكال أهقار خلال الفترة الاستعمارية

الباب الثاني: الأوضاع الاجتماعية لكال أهقار

الفصل الأول: خصائص بنية المجتمع التقليدي لكال أهقار:

لقد جاء في معظم الدراسات التي تناولت عالم الطوارق بشكل عام وطوارق الأهقار بشكل خاص، والتي كان وراءها الكتاب الغربيون عموماً والفرنسيون خصوصاً، التركيز على دراسة هذه المجتمعات بشكل عميق عن طريق تفكيك بنيته الاجتماعية، مبرزين دائماً أن هذه المجتمعات لا تعرف التجانس في داخلها، فنجد في معظم كتاباتهم أنهم يتناولون طوارق كال أهقار ليس كمجتمع واحد وإنما كقبائل تشكله، ثم الغوص في داخل هذه القبيلة نفسها لدراسة الفروع والبطون والأفخاذ المشكلة لها، وعلاقات القرابة فيما بينها للتأكيد مرة أخرى أن كل قبيلة تنقسم داخلها إلى أجزاء وهذه الأجزاء بدورها قابلة للتجزؤ أكثر، وبالتالي يحاولون زيفاً إثبات أن هذه الشعوب ما هي إلا مجتمعات قبلية متجذرة التمايز.

وربما هو دور الدراسات الأنثروبولوجية والإثنولوجية التي كانت في خدمة الاستعمار سابقاً، بإظهار مفهوم المجتمع المتشردم أو الإنشطاري واللعب على هذه الأوتار لبث الفرقة بين مكونات الشعب الواحد وذلك بغرض تثبيت الاستعمار عليه، وتواصلت هذه الدراسات على هذه الشعوب والمجتمعات لاحقاً بعد استرجاع استقلالها لضرب استقرارها وخلق الفوضى التي كانت دائماً عاملاً من عوامل مشاكل البناء الوطني في دول العالم الثالث، وبالتالي بقاء وصاية المستعمر السابق على هذه الشعوب والأنظمة.

1-1 التنظيم الاجتماعي الأفقي:

التنظيم الاجتماعي لكال أهقار سواء خلال القرن 19م أو حالياً، تتمثل نواته الأولى في الأسرة الزوجية من خلال الخيمة "إيهن ¹ehen"، التي يجب على الزوجة أن تجلبها معها

¹ يذكر ديفاييري أنه إذا كانت الخيمة مصنوعة من القش تدعى "إيهن éhen"، ومن الجلد تدعى "إيهكيت ehakit"، ومن القماش تدعى "أبرجن abérdjen"، ويسمى مخيم صغير من الخيم بـ "إيرهون érhéouen" أما إذا كان المخيم به عدد كبير من الخيم فيدعى "أمزاغ amezzagh". في حين يؤكد بنهازيرة أن معظم الخيم التي في الأهقار هي مصنوعة من جلد الخراف أو الماعز المدبوغة. أنظر للمزيد: Op. Cit., p. 25 ; Benhazera M. : Op. Cit., p. 403 ; Duveyrier H.

عند زواجها وبالتالي تصبح معبرة عن خصوصيتها، ضمن الأسرة الكبيرة للزوج (الوالدين والإخوة وأسرهم) وتعرف بـ "إديننت *eddunet*" التي تعرف باسم عائلة والد الزوج حينها، والتي تعيش معهم لفترة أطول تنتهي بالانفصال لما يتمكن هذين الزوجين من تشكيل أسرة موسعة أكبر من الأولاد المتزوجين وأسرهم أيضا لتصبح هذه العائلة تعرف باسم الزوج الآن، وهكذا الأمر لتشكل مجموع هذه الأسر وحدة محلية للإنتاج والاستهلاك (تربية المواشي مثلا، أو فلاحية الأرض ربما). كما يجب التفريق بين الأسرة الموسعة هذه وبين المخيم الذي يضم عديد الأسر الموسعة الأخرى التي تختلف في الجد على الأقل مع أنها تشترك في النسب، ولو أنها ستتشترك في الجد الأعلى البعيد الذي ينسب له كامل هذا العرش باسمه (من 6 إلى 12 خيمة)، وتسمى حينها بـ "التاوسيت *Tawsit*" الذي يعتبر الانتماء لنسب الأم رتبة مقدرة رغم كون الجد الأول المؤسس ذكر¹.

عزّف الإثنولوجيون والإداريون الفرنسيون "التاوسيت" على أنها القبيلة، والتي يشترك جميع أفرادها برابطة نسب لا يمكن التثبت منها والبرهنة عليها بشكل مطلق، لكن هذا الجد الأعلى ينسب على الأرجح لامرأة، ويحظى مجتمع "التاوسيت" هذا بإقليم جغرافي محدد ومكانة اجتماعية معروفة ويشرف عليه شيخ يعرف بـ "الأمغار *amghar*" وهو منتخب من طرف رجال التاوسيت، وخلافة منصب "الأمغار" لا يكون بالوراثة وإنما بالقدرات العقلية والبدنية التي يتمتع بها هذا الشيخ في تقديمه لهذا المنصب. وفي الأخير يشكل مجموع عدد من "التاوسيت" (التاوساتين *Tiwsatin*) ما يعرف بـ "الطبل" لكال أهقار المسيطر عليه من طرف "تاوسيت" كال غلا كما سبقت الإشارة لذلك، أين ينتخب منها دائما الأمنوكال، كما أن حدود الطبل الجغرافية والسياسية محددة بين مجموع قبائل الطوارق².

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 403 ; Bellil R. : Op. Cit., pp. 35-36

² Bellil R. : Op. Cit., pp. 35-36

أ- خصائص القبيلة أو التاوسيت:

كان يتكون المجتمع التقليدي لطوارق كال أهقار من تكامل بنيتين اجتماعيتين في نفس الوقت، بنية طبقية، وبنية بطابع تجزئي، تتمثل الأولى أن المجتمع عند الطوارق مقسم لفئات اجتماعية أين نجد في السلم الاجتماعي من أعلى إلى أسفل كما يلي: الأرستقراطيون الأشراف في الطبقة الأولى ثم تليها طبقة الأتباع (الإيمغاد *Imrad*)، ثم طبقة العبيد، في حين تتمثل البنية الثانية في أن كال أهقار يتجزؤون إلى عدة مجموعات ينحدرون منها تدعى تاوسيت *Tawsit* بلغة التماشاغ¹، والانتماء إلى أحد التاوسيت مرادف لصف إجتماعي لا تظم كل واحدة إلا الأشخاص من نفس المكانة والطبقة سواء عند الأرستقراطيين أو عند العبيد²، وهو بما يسمى البطن والفخذ أو الأرومة.

ومن خصائص هذه "التاوسيت"³ أنها تعتمد بالخصوص على رابطة القرابة من الزواج المحصور جدا في القبيلة أو الفرع (داق غالي مثلا)، يعبر هذا المفهوم على مجموعة من الأشخاص يعيشون مع بعض، وينحدرون من نسل (أصل) مشترك وبالتالي يتعارفون كأقرباء ويتزاوجون مع بعضهم البعض، ويتقاسمون الشعور بالانتماء المشترك، وبإمكانهم أن يتميزوا كجماعة محددة، لذا تحديد هذا المفهوم يعتمد الأخذ بعين الاعتبار مجموع عوامل منها (الإقامة، علاقات القرابة الحقيقية أو المعتقددة، تحليل التحالفات واستراتيجيات قرابة الزواج، تاريخ تعمير المكان مثل ما يظهر في جميع الروايات حتى الأسطورية منها) وبالموازاة محاولة حتى لو لم يكن وفق تنظيم طبقي على الأقل قياس نجاعة كل واحدة منها⁴.

¹ لغويا يقصد بالتاوسيت في لغة التماشاغ ذلك الفراش الذي يصنع من عيدان شجرة "أفزو" الدقيقة (من 2 إلى 3 مم) والتي تربط وتصف ببعضها بواسطة خيوط من الجلد لتشكل في الأخير حصيرة أو بساط يفرش في الأرض أو يحيط بالخيمة من الداخل لجعل الجو دافئا. أنظر للمزيد: مقابلة مع "حمزة محمد"، المرجع السابق.

² Bourgeot A. Les sociétés. Op. Cit., p. 9 ; Pandolfi : Op. Cit., p. 11

³ حسب لوت Lhote التاوسيت=القبيلة. أنظر للمزيد: Lhote H. : Op. Cit., p. 42

⁴ Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 51 ; Pandolfi : Op. Cit., pp. 15-16

1-2 البنية الهرمية لطبقات مجتمع كال أهقار.

بالرغم من أن الدراسات الأنثروبولوجية كثيرة التي تناولت تركيبة البنية المجتمعية للطوارق، ولكن ما يهمنا هو كيف وجد الأوربيون هذه البنية لما احتكوا بهم مباشرة سواء عن طريق الرحلات الاستكشافية، أو عن طريق مباشرة الغزو الاستعماري في نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م وما سجلوه عن التركيبة السوسيو-سياسية لهذه القبائل وتطورها فيما بعد.

1-2-1 مجتمع ذو بنية هرمية:

تناولت جل كتابات الرحالة والضباط الفرنسيين وتحدثت عن بنية المجتمع الطارقي، وأجمعوا تقريبا على أن ما كان يعيشه الطوارق من بنية هرمية تقسم المجتمعات إلى فئات متباينة، هي نفسها ما كانت تعيشه المجتمعات الأوربية في العصور الوسطى في عهد الإقطاعية، وسماها "أيديو Eydoux H. P." في كتابه "الإنسان والصحراء"، في فصل عنوانه "إقطاعية الرجل" تكلم فيه على البنية التي يتركب منها مجتمع كال أهقار، إذ نجد الطبقة الأرستقراطية ويدعون "تهقارا Tahuggera"، أو "الإهقارن Ihaggaren" ثم طبقة الأتباع ويدعون "تامريدا Tamereda"، وهم يشكلون الأشراف والرجال الأحرار ويلقبون بـ "إيلانن ilellen"، (المفرد: أوللي elelli)، وهذا في مقابل العبيد¹.

أ-الأشراف الأرستقراطيون: ويسمون أيضا بـ"إيللي Elelli" ويقصد بها كل رجل حر سواء بالعتق أو الإزدياد، أي كل واحد يستطيع ضمان وسائل العيش، ومتحكم في مجموع الشروط الاجتماعية للإنتاج فهو حر والتي تضم مجموع الإيهقارن، أي الطبقة الأرستقراطية القليلة العدد في الهقار ولكنها هي من تتولى القيادة وبالأخص المحكرة في قبيلة كال غلا التي تمنح الأمنوكال. هذه الطبقة هي التي تسيطر على الحياة السياسية في الأهقار وتتحصل

¹ Eydoux H. P.: *L'Homme et le Sahara*. Ed. Gallimard, Paris, 1943, pp. 134-147

على ضريبة الخضوع للقبائل الأتباع المعروفة بالتويسى. وهم المالكون لوسائل الإنتاج من جمال، ماعز، مزارع، وعبيد¹.

وكل هؤلاء يشكلون أفرادا لكال أهقار تحت سلطة الأمنوكال القائد الأعلى لكامل الكونفدرالية، وهذا التركيب الهرمي موجود عند كامل قبائل الطوارق في كل مكان، مع مراعاة نسبة تمثيل كل فئة، فالإينسليمين (المرابطين) يمثلون نسبة قليلة جدا تكاد تنعدم عند كال أهقار، في حين طبقة الأتباع تمثل الأغلبية (كال فاداي، كال فروان، كال أهقار)، إلا أن الوضعية معكوسة تماما عند طوارق الجنوب مثل كال دينينك *Kel Denneg*، وطوارق الإيمانان *Imanan*².

لقد كانت تمثل أهم قبيلتين أرستقراطيتين عند كال أهقار وهما كال غلا، والتايطوق، عدديا 54 خيمة، و28 خيمة بالترتيب في بداية القرن العشرين حسب بنهزيمة³، وجاء في تقرير مفصل في منتصف القرن من طرف النقيب "كوزان *Cousin*" رقم 408 ليمثل مجموع أفراد الطبقة الأرستقراطية، وحوالي 4180 مجموع أفراد القبائل التابعة⁴، وفي إحصاء عام 1960 تم تقدير حوالي 483 فرد من الطبقة الأرستقراطية، مقابل 4419 فرد من قبائل الأتباع⁵، ويسجل وفق هذا أن معامل الأرستقراطيين/الأتباع يمثل 1 من 10، ولكن رغم هذه القلة العددية دائما تبقى طبقة الأشراف الأرستقراطيين (الإهقارن) هي من تسيطر كليا على السلطة السياسية والاقتصادية⁶.

¹ Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 24-25

² Pandolfi P. : Les Touaregs : Op. Cit., p. 46

³ Benhazera M. : Op. Cit., pp. 138-140

⁴ A.N.O.M. carton 8X231, Monographie du Territoire Militaire des Oisis/ Annexe de Hoggar 1951 ; Rapport du Capitaine Cousin: 1949, p. 44

⁵ Pandolfi P. : Les Touaregs : Op. Cit., p. 54 Citant Rognon P.: Un massif montagneux en région tropicale aride : l'Atakor, Annales de l'Université d'Abidjan, sér. G, T. II, fasc. 2, 1970, p. 180

⁶ Idem.

ومن مظاهر السيادة كذلك لهؤلاء الأشراف الأرستقراطيين، أن كل فرد من هؤلاء له نصيب من ضريبة المرور التي يفرضونها على القوافل التي تمر بأراضيهم، وبإمكانهم استغلال الأراضي الفلاحية وكرائها للفلاحين مع أخذ نصيب 5/4 من نصيب المحصول، وبإمكانهم القيام بغزوات دون أن يقدموا لا غنيمة "الأبلاغ *abbellag*" (غزو داخل أراضي الطُّبَل) ولا غنيمة "الإينيتهت *ennehet*" (خارج أراضي الطُّبَل) للأمنوكال، كما يتحصلون على هدايا من طرف القبائل التابعة لهم، أو من القبائل الذين معهم علاقة بالتجارة من أجل توطيد العلاقة معهم والحماية كذلك، كما أنه بإمكان قطعان الأشراف أن ترعى في جميع أراضي الطُّبَل دون إذن من الأمنوكال، أو من القبائل التابعة المتعارف على أنها تابعة لها¹.

ب- الأتباع (الإيمغاد أو كال أولي *Kel-Ulli*): على الرغم أن هذه الكلمة توحى بدلالاتها أن أصحابها أقل شأنًا من الأشراف الأرستقراطيين، ولكن الملاحظ أن كال أهقار لا يستعملون هذا المصطلح حتى لا ينتقصوا من قيمة هؤلاء، ويعوضونها بكلمة "كال أولي" (أي مالكي قطيع الماعز)، فحسب "كلوزال": "إذا استعمل أحد أشراف الطوارق مصطلح الإيمغاد، فهو ليس بطارقي نبيل من الأشراف"²، ويبدو أنه حتى بداية القرن 19م لم يكن هؤلاء الأتباع يملكون من قطيع المواشي إلا الماعز، في حين كان وحدهم الأشراف يملكون الحيوان النبيل المتمثل في "الجمل"، لذلك كانوا ينادونهم بهذا الإسم نسبة لامتهانهم الرعي بهذه القطعان من الماعز، والذي يبرز وضعية هذه الطبقة في الإنتاج، بحكم أنها لا تملك الإبل وكذلك تدفع ضريبة الحماية السنوية، إلا أنه منذ خمسينات القرن العشرين أصبحت هذه الطبقة تملك الجمال، لكن رغم ذلك بقيت هذه الطبقة بعيدة عن تولي مقاليد السلطة³.

يظهر إذن أن مجتمع كال أهقار شهد عدة عتائر (تاوسيت) تختلف في أصولها، كان استقرار البعض منها قديما عن الأخرى وهو الأمر بالنسبة لداق غالي *Dag Ghali*،

¹ Marceau Gast : *Hériter en pays musulman. Habus, Lait vivant, Manyahuli*. CNRS. Paris, 1987, p. 181 ; Lhote H. : Op. Cit., p. 47

² Clauzel : « Les Hiérarchies, pp. 120-175

³ Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 25

أو لآيت لاواين *Ayt Loayen*، وكال أهنت *Kel Ahnet*، في حين المتأخرة منها نجد: الإيرجناتن *Iregenaten*، الإيبوتاتن *Ibottenaten*، وبالأخص الإيسقمارن *Isaqqamaren* الذين يُدون أكثر مقاومة لهذا التنظيم الإجتماعي المفروض وحشرهم مع طبقة الأتباع¹. وحسب المصادر المكتوبة أو الشفوية تعتبر قبائل "داق غالي" و"آيت لاواين" هم أقدم القبائل امتلاكاً للماعز والملقبين بكال أولي *Kel Ulli* في المنطقة، كما تعتبر داق غالي بأنها سليله قبائل الإيزيببتن *Isebeten* أقدم القبائل البدائية التي استوطنت الأهقار²، وبأن داق غالي هي من استقبلت القبائل الوافدة من جهة المغرب والتي تمثل قبيلة كال غلاً نسلها المباشر³.

لقد اهتم الباحثون الفرنسيون منذ اتصالهم المبكر بالطوارق بالعلاقة أرسقراطي-تابع، وبحثوا في أسبابها لفهم طبيعة تركيب هذه البنية، وأمكنهم استنتاج أن هذه العلاقة قديمة في التاريخ، منذ استيطانهم المنطقة عقب هجرات متتابعة أين فرض الأرسقراطيين تفوقهم بجمالهم وسلاحهم على السكان المحليين، الذين لم يكونوا يملكون هذه الجمال، وإنما يملكون قطعانا من الماعز التي كانت تكفيهم حاجاتهم اليومية، وبالتالي عامل التفوق العسكري هو الذي كرس علاقة الغالب بالمغلوب، ولم يكن يسمح لهؤلاء الأتباع بامتلاك الإبل أو حمل السلاح إلا مع بداية القرن 19م، لأنه من اختصاص ورمز الأرسقراطيين الذين يحمونهم ويوفرون لهم أسباب العيش (من الغزو وتحصيل القطعان والحبوب)، مقابل بقاء ولائهم لهم، وبالتالي هي علاقة سيطرة سياسية-اقتصادية وتعرف أحيانا بعلاقة "الطَّبْل"⁴.

هذه العلاقة السياسية-الاقتصادية مكنت "الإهقارن" من احتكار السلطة، وجعلتهم يبتزون الأتباع أو "كال أولي *Kel-Ulli*" بوصفهم "تمكشيت *Tameksit*" (أي الباحثين عن

¹ Lhote H. : Op. Cit., pp. 50-51 ; Pandolfi P. : Les Touaregs : Op. Cit., p. 56

² Pandolfi P.: «Takama, Op. Cit., pp. 203-224

³ Foucauld Ch. de : Dictionnaire. T.2, Op. Cit., pp. 536-537

⁴ Bourgeot A.: Les sociétés. Op. Cit., p. 25 ; Foucauld Ch. De : Dictionnaire. T.2, Op. Cit., p. 534

الغذاء)¹، وهو ما يوحي بـ علاقة رابطة إقتصادية-سياسية بين الأرسقراطى والتابع، كما هو الكس لما يستخدم كال أولى وصف "الرجال الغالية أو الثمينة" تلبيرا عن كال غلا²، إضافة للامل آخر يتمثل فى رابطة الحماية، ويسمى عقد الحماية هذا بـ (التمازلاىت *Témaszlayt*) يلتزم خلاله الأرسقراطيون بحماية مخيمات الأتباع³، وإعادة بلض ما سلبوه منهم على إثر غزوة، وفى المقابل يقدم الأتباع هدايا أو ضربية ما، أو السماح لهم باستمال حيواناتهم، أو ضرب خيامهم بالقرب من مرابهم، مع التأكيد على أن هذا اللقد هو اختيار حر من الأتباع بغرض الحماية⁴.

على الرغم أن هذه الللاقات المختلفة بين الأرسقراطيين والأتباع توضح نوعا من التمايز بينهما، ولكنهما يشكلان فى نفس الوقت علاقة هوية مشتركة فى مقابل طبقة اللبيد أو الفلاحين، اللتان تلبيران أجنبيتان أو دخيلتان فى منطقة الطبل، بل حتى الأتباع ينظرون إلى علاقتهم بالأرسقراطيين وتبليتهم لهم السياسية والاقتصادية بالبادية، مقارنة بما يستفيدون منه من اللبيد والفلاحين.

ج- العبيد (الإيكلن *Iklan*): يطلق على اللبيد بلغة التماهاق بالإيكلن (المفرد: آكلي *akli*)، ويقصدون بها الشخص المختلف عنهم فى اللون واللاق⁵، وهناك من يرى أنه يقصد بها المكانة التى يشغلها فى المجتمع وليس لها علاقة باللاق⁶، فاللبيد فى كال أهقار كلهم من إفريقيا جنوب الصحراء، ويقصدون بالإيكلن اللابد الأسود ذو المكانة الاجتماعية والقانونية المحددة فى مجتمع الطوارق وليس لانتماء عرقى⁷، وحتى فى لغة التماهاق توجد

¹ Gast M. : «Les Kel-Rela. Op. Cit., p. 62

² Lhote H. : Op. Cit., p. 72

³ Jeremy Keenan H.: "Some theoretical considerations on the "temazlayt" relationship". **ROMM.**, N°21, 1976. pp. 33-46

⁴ Marceau Gast: « Temazlayt (Contrat de protection chez les Kel-Ahaggar) ». **Encyclopédie Berbère**, Ed. Prov., Cahier N° 7, 1972, 2 p. ; Bourgeot A.: Les sociétés. Op. Cit., p. 26

⁵ Foucauld Le père Ch. : Dictionnaire, Op. Cit., p. 787

⁶ Clauzel : Op. Cit., 1962, 153

⁷ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 59

الكثير من الكلمات للدلالة على شخص زنجي مثل: مصطلح "إذيف *ésédif* / *pl. isedifen*" أو نسبة لبعض اللهجات التي يتكلمونها مثل "إهاتي *ehati /pl. ihatan*"، و"إتيفن *etifen/pl. itifnan*"، و"أونن *àounnan/pl. iounnanen*"، وحسب دوفوكو تعني كلها زنجي سواء حر أو عبد¹.

يحصل كال أهقار على العبيد من خلال شن غزوات على القبائل التي بالساحل جنوب الصحراء، أو حتى الإغارة على طوارق مثلهم في الجنوب مثل الإيوليميدن، وسلبهم عبيدهم الذين يكونون في المراعي لحراسة الإبل والقطعان الأخرى، وربما تسلب قبائل للعبيد بأكملها وبمختلف أعمارها، ويقومون بمبادلتها في الواحات القريبة منهم مثل عين صالح أو جانت أو غات، وهناك من يصعدون بهم لدول الشمال للبيع مثل تونس وليبيا والمغرب، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم يتركون حاجتهم من العبيد، ولو أن كال أهقار يفضلون الأطفال الصغار والشباب لقدرتهم على الاندماج وتعلم التماهاك سريعا²، ويبادلون الباقي في واحات توات خاصة بسلع من التمر وألبسة قطنية وأفرشة وأغطية³.

ويبدو أن العبيد كانوا بوفرة عند كال أهقار حيث ذكر "ديفايري" في سنة 1864م أنه: "لا يوجد إلا القبائل النبيلة وقبائل العبيد، هذه الأخيرة كثيرة جدا وإذا كان عند كال آجر 4 عبيد مقابل سيد نبيل، فإن عند كال أهقار السيد يقابله 8 من العبيد"⁴. وفي مطلع القرن 20م كتب "بنهازيرة" أنه لا يمكن أن تجد خيمة من خيم الطوارق لا يوجد بها على الأقل عبدا أو جارية سوداء⁵، وفي منتصف القرن 20م كتبت تقارير فرنسية عن عدد العبيد عند

¹ أورد كذلك دوفوكو مصطلح "إبنهر *ebenher*" الذي يعني العبد الذي لا يتكلم لا التماهاك ولا العربية، ولكن فقط لهجة سودانية، وأصبحت تدل على عبد أسود مهما كان. أنظر للمزيد: Foucauld Le père Ch. De : Dictionnaire, Op. Cit., pp. 677-1934

² Marceau Gast : «Akhamouk ag Ihemma », **Encyclopédie Berbère**, III, 1986b, p. 424

³ Le père Ch. De Foucauld et Calassanti-Motyliniski: **Textes Touaregs en prose (Dialecte de l'Ahaggar)**. Ed. critique par S. Chaker, H. Claudot et M. Gaste, Aix-en-Provence, Edisud , 1984, p.238

⁴ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 374

⁵ Benhazera M. : Op. Cit., p. 32

كال أهقار وقدرتها بـ 1320 عبد في مقابل 4588 طارقي حر¹، مع أن هذه الأرقام تختلف عن التي قدمها "هنري لوت" بعدد إجمالي مقدر بـ 4344 نسمة²، وفي إحصاء 1960 ظهر الرقم قريبا أيضا 1167 عبد مقابل 4902 طارقي حر³.

ويرى باندولفي أن هذه النسبة التي تمثل 1 عبد مقابل 4 من الأحرار هي خاطئة، لأن العبيد تختلف نسبتهم بين القبائل والعشائر (التاوسيت) بحسب غنى وثراء كل منها وبحسب إمتيازها في المجتمع، إذ نجد عند كال غلا مثلا 360 عبد/355 حر، في حين يختلف العدد عند القبائل الأتباع ومنها مثلا عند داق غالي 278 عبد/295 حر، وعند عشيرة أجهي-نتالي *Aguh-n-tahlé* 71 عبد/526 حر، وعند الإيسقمارن *Isaqqamaren* 136 عبد/903 حر، وعند إيكلن نتاوسيت *Iklan-n-tawsit* 39 عبد/606 حر... إلخ⁴.

ورغم إلغاء الفرنسيين ومنعهم لتجارة العبيد إلا أنهم لم يكن بإمكانهم التدخل مباشرة لتحرير عبيد كال أهقار، الذين أصبحوا جزءا مهما في البنية الاجتماعية والاقتصادية لهذه القبائل، وعملوا سرا في تحريض هؤلاء العبيد على التخلص من أسيادهم كلما سنحت لهم الفرصة لذلك، فعقب ثورة الطوارق الكبرى لسنة 1917م في الأيبر سرحت السلطات الفرنسية الكثير من العبيد عن الزعماء والقبائل المتمردة في إقليم النيجر⁵، لكن في الأهقار كان الأمر هادئا والزعماء موالون مما أبقى طبقة العبيد لفترة أطول.

¹ A.N.O.M. carton 8X231, Monographie du Territoire Militaire des Oisis/ Annexe de Hoggar 1951 ; Rapport du Capitaine Cousin: 1949, p. 44

² قدم إحصاء سنة 1949م عدد سكان إجمالي بـ 4344 نسمة مقسمة بين 3249 من الأحرار في مقابل 1905 من العبيد. مع الأخذ في الحسبان أن عدد العبيد يختلف من قبيلة لأخرى فمثلا؛ نجد عدد 275 من كال غلا الأحرار مقابل 322 عبد، و386 من أتباع داق غالي مقابل 426 عبد من عبيدهم، أما العشيرة المرابطية "كال تزولت Kel Tezult" فكانت تملك 57 عبدا مقابل 158 من الأتباع، مع العلم أن هذه الفئة المتدينة تنتشر في كامل طبقة الرجال الأحرار ماعدا الإينادن. أنظر للمزيد:

Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 224 ; Bourgeot A.: Les sociétés. Op. Cit., p. 57

³ Pandolfi P. : Les Touaregs Op. Cit., p. 60

⁴ Gast M. : «Akli, (iklan au Sahara central)», Encyclopédie berbère, Ed. Edisud, France, III, 1997 (2nd Ed.), pp. 424-425

⁵ Bernus E. : Op. Cit., p. 18

يعتبر العبد ملكا لصاحبه كباقي ممتلكاته ويحق له التصرف فيه كما يشاء من إعارته أو كرائه، ويورث لأهله كباقي ممتلكاته ومتاعه، وكانت قيمته المالية تساوي جملا، ففي سنة 1870م كان يقدر العبد عند كال أهقار بحسب سنه أو قوته أو جماله، بين ناقة أو ناقتين¹، لكن بعد قرن من الزمن زاد سعره ليصل إلى أكثر من ثلاث ناقات أو ما قيمته 2500فرنك²، وهذا ما يدل على تراجع هذه الظاهرة أو المتاجرة بهم عكس ما كانت عليه خلال القرن 19م.

كما تجدر الإشارة أن العبيد في الأهقار كانوا يعاملون معاملة حسنة من طرف أسيادهم، وسجل الكثير من الباحثين الفرنسيين خلال الفترة الاستعمارية أنهم لم يلاحظوا تعنيف السيد لعبده إلا نادرا جدا، وربما هذا يعود لإمكانية أن يغير العبد سيده المعمول بها في الأهقار، وذلك بأن يقوم العبد بقطع أذن جمل تابع لسيد آخر ليأخذه عبدا له كتعويض عن جملة ولا يمكن للسيد الأول أن يحتج، ويرحب السيد الجديد بعبده المقبل إليه بإعطائه ألبسة وجمل بسرج وهذا ما يخلق علاقة ود ومودة بين السيد وعبده³.

يذكر الإيكلن القدامى في الأهقار هذه العلاقات الجيدة بين السيد وخادمه، ويروون أنه في السابق لما كانوا مكلفين بحراسة قطعان المواشي والجمال خاصة، كانوا يتمتعون بنوع من الاستقلالية في حياتهم، بالنظر أنهم بعيدون طوال الوقت عن أسيادهم لبعد المراعي في الأتاكور أو التامسنة مثلا، أو لانشغالهم باستخلاص ألواح الملح من سبخة الأمدغور والمتاجرة بها فيما بعد والتي تستمر بين 5 إلى 7 أشهر، كما أن حضورهم إلى المراكز الفلاحية يكون عادة في موسم الحصاد فقط. لذلك يمكن أن يرى سيده مرة أو اثنتين في السنة فقط، وذلك لما تكون قوافل الملح نازلة من الأهقار نحو الدرغو ومناطق الهاوسا للمبادلة بالدخن، ويحصل العبد على معاشه من خلال حليب المواشي وزبدتها التي بين

¹ André Bourgeot : « Rapports esclavagistes et conditions d'affranchissement chez les Imuhar » in C. Meillasoux Ed. **L'esclavage en Afrique précoloniale**, 1975, p. 83

² Pandolfi P. : Les Touaregs : Op. Cit., p. 61

³ Benhazera M.: Op. Cit., p. 34 ; Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 82

أيديه، حتى أنه يقدم مرة واحدة فقط الزبدة لمالك القطيع، زيادة على ذلك يستفيد العبيد المشاركون في تحصيل ألواح الملح من حصص خاصة بهم يمكنهم المتاجرة بها لحسابهم الخاص¹.

كما يمكن للعبيد أن يمتلكوا لحسابهم الخاص بعض القطعان التي يكسبونها نتيجة مبادلة الملح في بلاد السودان، أو عن طريق العطايا والهبات التي يقدمها لهم أسيادهم أحيانا، وبتوالد هذه الناقة أو العنزة يصبح له قطيعه الخاص به فيما بعد. كما أنه معروف أنه عادة ما يسوق العبيد لوحدهم قوافل التجارة نحو الدمرغو وجنوب النيجر، ويبادلون الملح بالدخن ومختلف المنتجات السودانية الأخرى ويعودون إلى الأهقار دون أن يفكر هؤلاء بالفرار بالجمال والاستقرار في موطنهم الذي جلبوا منه وهم صغار، هذه الثقة المتبادلة هي ما تجعل أسيادهم من كال غلا أو كال أولي يضمنون لهم حصص خاصة في هذه التجارة حتى ولو كانت عائداها قليلة كرد للجميل لهم أيضا².

هذه الاستقلالية التي أصبح يتمتع بها الإيكلن الذين وجدوا أنفسهم بعيدين عن ملاك القطيع من كال غلا فيما يخص الجمال أو داغ غالي فيما يخص الماعز والاستفادة من ما تجود به هذه القطعان من حليب وزبدة ولحوم طوال السنة، أصبح وكأن هؤلاء الإيكلن هم المالكون لهذه القطعان، هذا الأمر هو ما سيؤدي لعواقب وخيمة لدى كال غلا أو داغ غالي بعد الاستقلال وسياسة الدولة في التخلص من هذا النظام، وأدى في سنة 1963م بمطالبة هؤلاء الإيكلن بهذه القطعان لحسابهم الخاص وهو ما لم يستسغه المالكون الأصليون وخاصة داغ غالي الذين سيفقدون كل قطعانهم من الماعز وجر الطرفين للنزاع³.

هذا التحول المفاجئ لإيكلن داغ غالي عقب الاستقلال لم يكن يطرح خلال الفترة الاستعمارية أين حافظت الإدارة الاستعمارية على هذا النظام الاجتماعي رغم محاولة تدخلها

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 410

² Ibid., p. 411

³ Ibid., pp. 412-413

لتعديله بشكل سلس لكنها لم تستطع. أو ربما لوجود تحالف بين داغ غالي والمستعمر الفرنسي في عدم تدخل كل طرف في شؤون الآخر. لكن صدمة الاستقلال كانت عنيفة على الملاك بشكل عام فالإيكن أبقوا على ما تحت أيديهم من مواشي.

كان ينتمي العبد تبعا للقبيلة أو العشيرة التي ينتمي إليها سيده، ويصبح جزءا منها وينسب إليها، ويعيش العبيد في كال أهقار وفق منظومة ما يعرف بالرق الأسري (المنزلي)، أي أن العبد يعيش مع أسرة سيده وهو من يتكفل بإطعامه وكسوته، ويتحمل نفقات الزواج إذا تزوج، مع أن أولاد العبيد ينسبون دائما للسيد مالك المرأة (تاكلت *Taklit*)، ويصبحون من عبيده إذا كان الزوج عبدا لسيد آخر، ولكن دائما ما يتم معالجة الأمر سواء بشراء الزوج العبد، أو الزواج داخل عبيد السيد نفسه، وهذا تحاشيا للتفكك الأسري، مع العلم أن أسرة السيد وأسرة العبد دائما ما ترتبط مع بعضها بروابط متينة من الصداقة والثقة والقربة، وتبقى هذه القربة قوية جدا حتى بعد أن يتحرر هؤلاء، فقد سجلت الإدارة الفرنسية في سنة 1960م أن عائلات العبيد المحررين من كال ترهنانت *Kel-Terhenanet* لم يريدوا الذهاب للاستقرار في مراكز مثل (تيت، وأوتول *Outhoul*) القربة من تمنراست، وفضلوا البقاء في إيلامان *Ilaman* التي تبعد بضع كيلومترات فقط عن قبائل أسيادهم القدامى¹.

كما سجل باندولفي بنفسه واقعة شهد عليها في ماي 1988م، لما كان شيخا طاعنا في السن من عشيرة أجهي-نتالي *Aguh-n-tahlé* مريضا جدا ورفض كل محاولات استجدائه لترك المخيم للذهاب للعلاج في تمنراست وزيارة الطبيب، لكنه وافق أخيرا بشرط أن يصطحباه اثنين من عبيده السابقين المقيمين في تمنراست، وأن يمكث عندهم مدة العلاج وليس في أي مكان آخر، فتم إعلام الشخصين برغبة سيدهم السابق وحضرا على الفور

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 62

(مشيا على الأقدام)، وأوصلهم باندولفي جميعا إلى تمراسات وشدّ انتباهه كثيرا هذه الرابطة الوثيقة جدا ولهذه الثقة المتبادلة بينهم¹.

د - الفلاحون:

يلقب كال أهقار هذه الفئة من الفلاحين بلغة التماهاق وفق مصطلح "إيزقاغن (*izeggayen (sg. azeggay)*"²، ونادرا ما يستعملون المصطلح العربي "الحراطين"، كان وصولهم إلى المنطقة في فترة متأخرة تعود إلى منتصف القرن 19م، حين سمح الأمنوكال "الحاج أحمد" لأوائل الفلاحين الوافدين بالاستقرار في الأهقار، والذين استقروا بادئ الأمر في أهم واحاته مثل "إيدلس *Idélès*، تازروك *Tazruk*، وفي أباليسا خاصة *Abalessa*، وقدموا الكثير للزراعة في الأهقار³.

كان لاستقرار هذه الفئة التي اهتمت كثيرا بالفلاحة في الأهقار، أن تدعمت بوصول فئتين جديدتين إلى المنطقة، ويتعلق الأمر بـ "أهل عزي *Ahl' Azzi*"، وهم من المرابطين وينحدرون من جهة تافيلالت، كانوا قد استقروا لفترة طويلة في توات-تيديكلت⁴، أجبرتهم ظروفهم القاسية في العيش والفقير إلى النزول للانضمام إلى فئة الفلاحين المستقرين في الأهقار في الواحات التي يزرعونها، وهناك من يرى ربما يكون للتقارب بين مرابطي الكنتة وكال أهقار (من سلالة صالح) منذ منتصف القرن 17م هو الذي أدى بنزول مجموعات من أهل عزي أو كال عزي بأن تستقر في الأهقار، على اعتبار أن أهل عزي هم من قبائل الكنتة حسب الكاتب إسماعيل حامت وكان موقعهم في توات⁵.

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 62

² أي ذوي البشرة الحمراء. أنظر للمزيد: M. Gast et S. Chaker, « Azeggay (pl. izeggayen, fém. sing. tazeggaq, fém. plu. tizeggeyin) », Encyclopédie berbère, Ed. Edisud, France, V. 8, 1990, p. 1209

³ Benhazera M. : Op. Cit., pp. 73-74 ; Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 66

⁴ Voinot L.: **Le Tidikelt**. Etude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays. (1Ed. L. Fouque, Oran, 1909), Ed. Jacques Gandini, Vallauris, 1995, pp. 28-32 ; Marceau Gast : « Ahl' Azzi », Encyclopédie berbère, III, 1986, pp. 320-322

⁵ Hamet I. : Op. Cit., p. 307 ; Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 279

لقد أصبح "لأهل عزي" مكانة مهمة في هذه الفئة من مجتمع "الإيزقاغن" ودور حاسم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مجتمع الأهقار ساهمت في تطور هذه الفئة ضمن طبقات مجتمع كال أهقار. أما الفئة الثانية فيتعلق الأمر بالعبيد الذين حررهم أسيادهم الإهقارن، والتحقوا جميعهم للعمل في الفلاحة وبالتالي انظموا لطبقة "الإيزقاغن"¹.

علاقة الفلاحين الإيزقاغن بالأرستقراطيين هي علاقة زبائن، لكن يمكن القول صراحة بأنها علاقة خضوع سياسي واقتصادي المسماة "أنالكام *analkam pl. inalkamen*" في ضمن العلاقة العامة السيد الأعلى مع بقية الرجال الأحرار من ضمنهم الإيزقاغن، "والأنالكام *analkam* تقال على شعب يرتبط بآخر بنوع من التبعية أو الإقطاعية أو بشيء مماثل لها، والذي يجبر على تقديم ضريبة، أو شيء آخر يدل على أنه زبون له دون أن ينتزع حريته"²، لذلك تضم هذه العلاقة عاملين؛ عامل التبعية، وعامل الزبونة، والبعد السياسي لهذه العلاقة تجمع من جانب بين الأرستقراطيين والأتباع والفلاحين، ومن جانب آخر بين الأتباع والمزارعين الفلاحين، أي أن هذه العلاقة تخص كل البنية الاجتماعية للأهقار ما عدا العبيد المسلوبي الحرية³.

بعد الاستقلال تقريبا الشيء الذي حدث للإيكلن لما أبقوا ما كان تحت أيديهم من مواشي لحسابهم الخاص، حدث لهؤلاء الفلاحين مع مالكي الأرض أيضا، حيث أرادوا الاحتفاظ بهذه الأراضي التي خدموها لعقود طويلة وكان لهم ذلك، لما استحوذوا على الأراضي التي يفلحونها أيضا تحت مسمى التعاونيات الفلاحية. فالفلاحون في مركز "أوتول" أصبحوا مستقلين عن الملاك السابقين ويفلحون الأرض لصالحهم، حتى أنه في مراكز؛ إدلس وتاظروك وهيرافوك أقام الفلاحون تعاونيات خاصة بهم، لكن الوضع كان مختلفا في أوتول في أول الأمر لما قام داغ غالي وأنصارهم من معاقبة هؤلاء الفلاحين خاصة في

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 64

² Foucauld Ch. De : Dictionnaire, Vol. 3, Op. Cit., p. 1041

³ Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 28

نهاية الستينات وبداية السبعينات من القرن 20م والمعروفة "بأحداث أوتول" التي ذهب ضحيتها شخصان وسجن 7 من المحرضين المتورطين لمدة 7 سنوات في ورقة¹.

مع مطلع القرن العشرين ذكر دوفوكو في قاموسه وفود حوالي 300 عائلة من الحراطين من التيديكلت وتوات وتوزعت على 35 مركز فلاحى لتنظم إلى حوالي مجموع 1200 شخص، لكن إحصائيات 66/1965م قدمت رقم عدد سكان تمناست بـ 15922 نسمة منها 6000 نسمة من البدو الرحل، ما يدل على تغير التركيبة المجتمعية للأهقار، وأصبح كال أهقار يمثلون الأقلية².

مع مرور عقد أو عقدين من الاستقلال وحصول هؤلاء الإيكلن رفقة الفلاحين الحراطين على وظائف عمومية (حارس، عامل ورشة، مرشد سياحي، رجل أمن، سائق،... إلخ) وبدؤوا في تحصيل رواتب شهرية أن انهاوا بذلك أي وصاية عليهم، وعرف وضعهم الاجتماعي أكبر تطور ورقي من بين كامل طبقات مجتمع كال أهقار السابقة.

هـ- الحرفيون الحدادون (الإينادن *Ianaden*):

يكاد يختص هؤلاء الحرفيون بمهنة الحدادة بشكل أكثر في الأهقار وهم وراء صناعة الأسلحة البيضاء باختلاف أنواعها، زيادة عن بعض المصنوعات التقليدية من الجلود أو القماش³، ويلقبون قديما بالإينادن (إناد *sg. éned*) (أو إناضن) واليوم بـ "المعلمين" وهم ليسوا من النسيج الاجتماعي لطوارق الأهقار بمختلف قبائلها بل هم من أصل سوداني وحديثوا الدخول في منطقة الأهقار⁴، وذلك لما تم جلبهم من بلاد السودان عن طريق الإغارة

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 414

² Gast M. : Alimentation, Op. Cit., p. 7

³ حسب "ديفايري" الصناعة التقليدية لدى كال أهقار تقتصر على الألبسة الجلدية بكل أنواعها. وهم بدو رحل في أماكنهم الجرداء وجبالهم الوعرة أين توجد المياه والأمان. أنظر للمزيد: Duveyrier H. : Op. Cit., p. 372

⁴ Benhazera M. : Op. Cit., pp. 71-72

عليهم منذ منتصف القرن 19م فقط¹، واختلف في نسب هذه الغارة بين "أهيتاغل" أو "وانغادي *Wangadi*" (ابن أخت أهيتاغل)، ثم أصبح هؤلاء فيما بعد في خدمة كال غلا وكامل كال أهقار².

وفي رواية أخرى تقول أنه لما وصل "أهيتاغل أق بيسكا" لحكم كال أهقار عقب الحاج أحمد (1877م)، يكون بذلك قد وصل الإيبوغلن (من سلالة خنتية) إلى الحكم على حساب سلالة صالح التي كانت متحالفة مع الكنتة لوقت طويل، وبوصول أهيتاغل للحكم قام بغزو الكنتة قبيلة "داغ الشيخ" بالأدرار إيفوغاس أين جلب على إثرها هؤلاء الحدادين للاستفادة منهم، هذا الحدث الذي بقي في تاريخ كال أهقار الشفوي بعبارة "أوتي وا- ن داغ الشيخ *âouétai oua n Dâgg-echchik*" أي العام الذي غزا فيه كال أهقار الكنتة³.

وينحدر معظم الحدادين في الأهقار من سلالة "الأمين *Alamin*"، على اعتبار أن "الأمين أق أحمد" عرف على أنه هو أول حداد في منطقة الأهقار، مع الإشارة إلى أن هؤلاء الحدادون يقدرون كثيرا شخص "وانغادي"، الذي كان وراء إهدائهم الكثير من القطع الأرضية لفلاحتها في عديد الأماكن. لكن يشار أيضا لوجود حدادين آخرين ينحدرون من قبيلة "الإيمان" وهم من سلالة "ساما *Sama*" كانوا موجودين قبل نسل "الأمين" في الأهقار، وتذكر الروايات أن حدادي سلالة "ساما" هؤلاء كانوا في خدمة قبيلة الإيمان في جانت وإليزي، ثم نزلوا حتى واحة "سيلات *Silet*" و"أبالسة *Abalessa*" على عهد الأمنوكال أهيتاغل، وكانوا يشتغلون بالحدادة أيضا لكنهم هزموا أمام مهارة وذكاء سلالة "الأمين"⁴.

¹ Catherine Hincker: « Identité et métier des ina?en », La valeur sociale des techniques chez les Touaregs de l'Ouest, *L'Homme*, N° 169, 2004/1, pp. 127-151.

² Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 391

³ Foucauld Ch. de : Dictionnaire. Vol. 3, Op. Cit., p. 1542

⁴ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 393 citant (Informateur Bay ag Alamin, entretien du 18 mars 1987)

لم يتردد الكثير من الملاحظين لتركيبية المجتمع الطارقي التقليدية، بتمثيلها لما كانت تعيشه المجتمعات الأوروبية في العصور الوسطى، إذ يقول ستيفانيني *Stéfanini*: "...ما يعيشه الطوارق، هو بالتقريب إقطاعيتنا الفرنسية القديمة، بعاداتها وتقاليدها، بمؤسساتها، برمز شرفها..."¹، وحتى من وجهة النظر إلى مفهوم الأرستقراطية عند الطوارق فهي بدون شك ليست أجنبية، بفعل أن أول من كتب عنها من الأوروبيين وحل المجتمع الطارقي وأطلق عليهم هذه الصفة، هم بدرجة أولى العسكريون الموالون إيديولوجيا (أو يَحْتُون) إلى الأرستقراطية الفرنسية²، زيادة على أن انشغالهم الأكبر هو تثبيت وتوسيع سلطة سياسية استعمارية، لأنهم في الواقع دائما يحنون إلى تلك السلطة (السابقة) التي يخفونها بداخلهم³.

1-3 رابطة الزواج وأثرها في السلم الاجتماعي.

يكتفي الطوارق بزوجة واحدة فقط، والمرأة النبيلة لا يمكن أن تتزوج سوى رجلا نبيلًا، أما الرجل فبإمكانه أن يتزوج من امرأة أقل منه في الطبقة الاجتماعية⁴، وسجل الباحثون شيوع الزواج من بنت الخال أو الخالة (تاباباهت *tababaht*)⁵، أو بنت بنت الخالة (*ulet ma*) أكثر من أي قرابة أخرى مثل بنات العمومة⁶، بحكم أن هذه العلاقة تعزز الوئام

¹ Gast M. : Alimentation, Op. Cit., p. 7, Citant Jean Stéfanini : Au pays d'Antinea. Ed. Plon, Paris, 1926, p. 45

² حسب أندرسون *B. Anderson* الذي كتب في هذا الموضوع يقول: "منذ بدايات الجمهورية الثالثة، ومع تزايد اللغز على إبعاد الأرستقراطيين من السلطة، لجأ هؤلاء ونفذوا إلى كل المؤسسات المهمة في الحياة المدنية، وفي 1898م كان ربع الجنرالات -سواء قائد كنة أو قائد فرقة- من الأرستقراطيين، وقد لعب هؤلاء دورا حاسما في الإمبريالية خلال القرنين 19م و20م". أنظر للمزيد: Pandolfi P. : Les Touaregs Op. Cit., p. 47, Citant Anderson B.: *L'imaginaire national. Réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme. La Découverte, Paris, 1996, p. 156*

³ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p47

⁴ يمكن للسيد أن يتزوج من جاريته، دون أن تتأثر العلاقة الاجتماعية لكل منهما، والأولاد الناتجين عن هذا الزواج يسمون "الإيبو غلوتين *Ibughellit*"، ومفردتها "أبوغلي *abughelli*" أي الهجناء، ويبقون ضمن رتبة العبيد لكن يمكن للسيد أن يعتقهم ليشتغلوا بعدها في الفلاحة أي ينضمون لطبقة الفلاحين، إلا أن هذه الفئة قليلة جدا في الأهقار ولا يمكن لها أن تشكل طبقة مثلا، في حين زواج العبد من سيدة فالأمر غير وارد تماما، كما أن العبد لا يمكنه تقديم مهر السيدة الغالي جدا. أنظر للمزيد: Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 39

⁵ Hélène Claudot : «Le discours. Op. Cit., p. 537

⁶ Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 55

الزوجي أكثر، والمهر كان يختلف بحسب طبقات المجتمع وثراء الأشخاص كذلك¹، فمثلا نجد عند:

النبلاء: 7 جمال على الأقل + ألبسة وجواهر

الأتباع أو الخدم: ناقة واحدة أو جمل + 20 رأس ماعز + أتان + ألبسة وحلي

هذا ويحضر كل أفراد المخيم لحفلة العرس ويقدمون التهاني لأهل العروس والعريس، ويقام العرس كل يوم أحد مساء أو الخميس مساء، لأنهما يومان مباركان، وتذبح ناقة أو اثنتين أو ثلاث بحسب ثراء العريس، ليقدّم العشاء للجميع، وإذا كان الزوج من النبلاء فإن الأتباع يجلبون معهم خراف أو ماعز مشوية توضع أمام خيمة أهل الزوج².

أما الطبوع الموسيقية المتداولة في أعراس الأهقار فهي عبارة عن أغاني تراثية ترددها النسوة إضافة لغناء ورقص الرجال وتعرف بأغاني "تازنغاريت *Tazenghariht*" والتي توجد إلا في الأهقار فقط³، أو المعروفة "برقصة الزوج" يختص بأدائها الإيكلن، خاصة مع إطلاق أصوات وصرخات معينة أثناء الرقص يكاد يجيدها هم فقط. حتى أن رجال كال غلا أو كال أولي لا يرغبون أصلا في أدائها، ويفضلون عليها أغاني موسيقى التيندي المحفوفة بدائرة من الجمال المهاري⁴،

وفيما يخص موسيقى التيندي *tindé*، فهي عبارة عن طبل صغير مصنوع من جلد الماعز يستعمله خاصة الفلاحون المستقرون، وهو ينحدر في أصله وموطنه الأول من جهة الأدرار إيفوغاس، إضافة لأغاني التيهيغالت *tehigelt*، وأغاني بموسيقى الإمزاد *imzad*⁵،

¹ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., 50 p.

² Idem.

³ Pierre Augier : «La Musique Populaire au Sahara Algérien» **A.A.N.**, Ed., CNRS., Paris, 1973, p. 171

⁴ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., pp. 416-418

⁵ Nadia Mécheri-Saada: «Musique et société chez les Touaregs de l'Ahaggar », **REMMM**, N°58, 1990, pp.136-142

وهي تشبه آلة الكمان لكنها بوتر واحد، تختص بالعزف عليها المرأة النبيلة في الأهقار فقط وكأنها مختصة بهم لوحدهم، وأغاني خاصة تردد في الأعراس تدعى آلوون ¹alewen، كما يلاحظ في أول يوم من العرس ترديد جماعي من المحتفلين لأشعار من "بردة البصري" ².

وفي عاداتهم نجد أن الزوجة لا يمكن أن تغادر مخيم أبويها إلا بعد سنة، أي بعد أن تضع مولودها الأول ³، وهذا حتى تعتاد على بناء أسرتها وحدها وعلى الزوج أن يعيش بالقرب من خيمة أهل زوجته، وفي حالة ما إذا أراد الزوج أن يذهب مع زوجته فإنها تعتبر انتهاكا للأعراف وخرقا لقواعد اللباقة والتربية، كما أنه عند ميلاد ولد فإن الأب يلبس أحسن الثياب ويستقبل التهاني من الرجال وكذلك تفعل النساء مع الأم، ولكن لا توجد تهاني في حالة ما إذا كان المولود أنثى. وفي اليوم السابع للميلاد يمنح المولود إسما سواء كان ذكرا أم أنثى، والأب وحده هو من يختار الإسم، وفي حالة وفاة الأب ينوبه أخوه أو عمه أو خاله من أقارب الأب، وقبل تناول الوليمة يقرأ الطالب أو شخص ما الفاتحة لتمنح البركة للولد، ويختن الولد في السن ما بين الخامسة والعاشره وفق التقاليد الإسلامية دائما ⁴.

وعلى الرغم من أن الطلاق نادر عند الطوارق، لكن إذا حدث وأراد الزوج تطليق زوجته فيجب أن يخبرها بذلك أمام شاهدين والعكس نفسه بالنسبة للزوجة التي لا تريد الاستمرار مع زوجها، وإذا طلق الزوج فكل ما قدمه من مهر لا يرجع له، أما إذا طلقت الزوجة فيجب أن تعيد المهر الذي قدمه لها الزوج. مع ذكر أنه لا وجود لعقد في هذا، فشهادة الشهود كافية.

أما عند الوفاة يقرأ القرآن على الميت، يغسل ويكفن ويذهب إلى المقبرة (إزكوان *Izekkouan*)، ويدفن على جهته اليمنى ووجهه دائما باتجاه القبلة، وبعد الصلاة وقراءة

¹ Pierre Augier : Op. Cit., pp. 172-177 ; Benhazera M. : Op. Cit., p. 6

² البصري شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن محسن الصنهاجي (608-695هـ/1212-1296م) شاعر صنهاجي في القرن 13م، صاحب البردة المعنونة بـ (الكواكب الدرية في مدح خير البرية).

³ القشاط: التوارق، مرجع سابق، ص 97-98

⁴ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., 50 p.

الفاحة توضع تائم على صدره، ثم يعلق القبر بصفائح حجرية، ثم التراب، والدفن عادة ما يكون قريبا من زمن الوفاة، ويقدم أهل المتوفى الطعام للذين جاؤوا من أجل الجنازة وللفقراء والمساكين، كما يرسل دائما جمل أو بقرة أو ثلاث أو أربع خراف لشيخ الزاوية القريبة، وكتقليد مستمر عند الطوارق تقديم صدقات للفقراء والمساكين كل ليلة الخميس إلى الجمعة وتسمى صدقة الأموات "تاكوتي" *Takouti*. كما تجدر الإشارة أن الميراث عند الطوارق يؤدي بطريقة "سيدي خليل" الإسلامية¹. كما يعتمدون الرسالة المالكية لابن أبي زيد القيرواني وتعتبر المرجع الذي يستند عليه كال أهقار في الفقه (المالكي) خاصة في الميراث².

وكما ذكر في الفصل الأول كان ينسب كال أهقار الأولاد للأم (البطن)، لذلك كانت تتحدد المكانة الاجتماعية للولد بحسب المكانة التي تشغلها أمه في المجتمع، وهذا من خلال انتماؤها للقبيلة النبيلة أو التابعة أو من العبيد، كما أنهم يعتمدون النسب الأمومي هذا كشرط في نقل السلطة عندهم التي تسيطر عليها قبيلة "كال غَلا"، والتي أقرته كمبدأ خاصة لما وصلت للسلطة على حساب نسل سلالة "صالح"، رغم أنه هناك من يرى أن لجوء "كال غَلا" لاستعمال النسب الأمومي هذا للانتساب للقبيلة، إنما هو بغرض الزواج من بنات القبيلة الحاكمة التي ترشح من يتولى السلطة فيها، وفي نفس الوقت بغرض زيادة عدد أفراد القبيلة بشكل أكبر³.

وبالرغم من أن هذا الأمر أصبح يستهوي القبائل الأخرى في مصاهرة القبيلة الحاكمة "كال غَلا"، للتقرب أكثر من الحكم وفق قاعدة البطن هو الذي يقدم الولد والذي أصبح يعمل به في معظم القبائل الأخرى، لكن قبائل الإيسقمارن شذت عن هذه القاعدة مع أنهم يحبذون أخذ زوجة من خارج قبيلتهم لكن يشترطون أن الأولاد يتبعون والدهم، لذلك فهم يتزوجون من القبائل العربية الشعانبة ويعتبرونهم في نفس مكانتهم، ولا يحبون قبائل الإيمغاد ويحتقرونهم،

¹ ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset, Op. Cit., 50 p.

² Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 322

³ Hélène Claudot : «Le discours. Op. Cit., p. 541

كما أنهم يتحاشون الزواج من بنات الطوارق النبلاء الإيهقارن لأنهم أسياد أقوىاء يمكنهم نسب الأولاد لعشيرتهم عن طريق رابطة الرحم هذه¹.

¹ Hélène Claudot : «Le discours. Op. Cit., p. 538

الفصل الثاني: سلطة الأمنوكال وتوظيف التاريخ الاجتماعي.

تولي السلطة والحكم عند طوارق الأهقار لا يكاد يختلف عن باقي فروع الطوارق الأخرى ومعرفة محدداتها، حيث هناك قبيلة معينة هي التي تمنح منصب الحاكم الأعلى لكل قبائل الكونفدرالية، والتي تمثلها في الأهقار قبيلة "كال غَلا"، ولكن حدث هذا الأمر مع هذه القبيلة لوقت قريب فقط يعود للنصف الثاني من القرن 19م، لما شرع كال أهقار بتطبيق مبدأ أولوية البطن عن الظهر في اختيار خليفة الحاكم المسمى "الأمنوكال"، أي عن طريق النسبة للأم من قبيلة "كال غَلا" وحدها، على عكس ما كان في السابق لما كان الحكم وراثيا أبا عن جد من قبيلة "تجهي نأوسيدي" الفرع الجامع لعدد قبائل كال أهقار حينها. هذا النهج الجديد لم يرق للقبائل الأخرى، حيث لم تقبل به عدة قبائل نبيلة كانت ترى أنه لا يحق تهميش وإبعاد أفرادها لتولي مقاليد الحكم في الأهقار، مثل ما هي عليه قبائل "التايطوق" أو "تجهي ملت"، بل وصل الأمر بهم حد الصراع والقتال لرفض هذا المبدأ.

كما أن الأمر غير محسوم داخل قبيلة "كال غَلا" نفسها في من يتولى السلطة، إذا كان هناك أكثر من مرشح لخليفة الأمنوكال ما بين ابن الخالة وابن الأخت، لأن الأمر يتعلق أيضا بشخصية المرشح وقوتها وعدد القبائل الموالية له، لذلك يتم الاختيار عن طريق انتخاب يُجرى على مستوى مجلس رؤساء القبائل (شيوخ القبائل) لتزكية الشخصية التي يريدونها، وفي كثير من المرات قد يلجأ هذا المجلس لتجاوز العرف المعمول به إذا كان هناك ظرفا استثنائيا يستدعي حاكما شابا يرضاه الشباب المحاربون، لذلك عادة ما ينقسم مجلس القبائل هذا بين شخصيتين مرشحتين وتنقسم القبائل فيما بينها، الأمر الذي ينذر بانفجار الكونفدرالية في أحيان كثيرة، أو يلجأ الطرف الخاسر لخلق مشاكل للطرف الفائز قد يصل حد الاستعانة بعدو خارجي حتى ولو كان الاستعمار الفرنسي، لذلك يبدو أن منصب الأمنوكال منصب حساس جدا عند كال أهقار، وهو ما سنحاول فهمه في هذا الفصل.

2-1 خصائص الأمنوكال *Amenukel*:

يعتبر الأمنوكال القائد الأعلى في كونفدرالية الطوارق ومنها كال أهقار، يرث السلطة عن طريق رابطة الرحم أي الإنتساب للأب¹ وليس للأب²، والأمنوكال كلمة مركبة من جزأين "أمين" وتعني صاحب، و"أكال" وتعني الأرض، ليكون المجموع "الأمنوكال" أي "صاحب الأرض" أو "مالك الأرض"³، إلا أنها ليس بالمعنى الحرفي للكلمة بأن كامل ملكية الأرض تعود له⁴، وإنما يعتبر هو الموكل والممثل الأعلى لحماية ممتلكات كال أهقار سواء حماية مراعي الكونفيدرالية من قبائل لا تنتمي لها، أو هجرة بعض القبائل للاستقرار في هذه الأراضي، لذا فهو يعتبر السلطة العليا في إتخاذ القرارات وإلزام مجمل القبائل على الالتزام بها في كونفدراليته⁵. وله تدفع القبائل الشريفة الضريبة السنوية التي تدعى "تويسي *Tiwsé*" من كل مجموعات كال أولي *Kel-Ulli*⁶.

وتجبي ضريبة "التويسي" هذه في فصل الربيع بعد موسم جني التمر في منطقة توات والتديكلت، وعودة قبائل الإمغاد أيضا من تجارة القوافل نحو الجنوب بالدمرغو وزندر وكاتسينة (في النيجر) لجلب مادة الدخن (البشنة)، أو نحو الشمال لجلب مادة التمر ومختلف المواد الغذائية، وتختلف مقدار التويسي بحسب جودة العام أيضا حتى لا تتضرر

¹ في حالة وفاة الأمنوكال تتم نقل السلطة وفق الترتيب كما يلي:

-الأخ الأكبر سنا للأمينوكال وإن لم يوجد فـ

-الإبن الأكبر لابن خالته

-ثم الأبن الأكبر للأخت الكبرى، وهذا ليس كما ذكر ديفاريي أن خليفة الأمنوكال تؤول دائما للإبن الأكبر من الأخت الكبرى. مع الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الترتيب لا يحترم دائما. أنظر للمزيد. Benhazera M. : Op. Cit., p. 38 ; Lhote H. : Op. Cit., p. 50

² بخلاف معظم الطوارق فإن طوارق الإيفوغاس بالأداق وطوارق الإيولمدن يتبعون رابطة الانتساب للأب في نقل السلطة، فعند الإيفوغاس مختلطة من الأب إلى الإبن أو الأخ أو ابن الأخ... في حين عند الإيولمدن فمن الأخ إلى الأخ كشرط أساسي إلا في حالة عدم وجود أخ فتنتقل إلى الإبن. أنظر للمزيد: Lhote H.: Op. Cit., p. 39

³ Salem Chaker, Marceau Gast : « Amenukal », Encyclopédie berbère, IV, 1987, p. 581-589 ; Duveyrier H. : Op. Cit., p. 331

⁴ هناك من يفسر معنى كلمة الأمنوكال أنها مكونة من جزأين "أمان" وتعني الماء و"أكال" وتعني الأرض ليكون المجموع ماء الأرض أو روح الأرض. أنظر للمزيد: مقابلة مع "محمد حمزة"، مرجع سبق ذكره.

⁵ Bourgeot A. : « Analyse des rapports de production chez les pasteurs et les agriculteurs de l'Ahaggar », in Th. Monod (éd), **Pastoralism in Tropical Africa**, 1975, p. 38

⁶ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., pp 51-52 ; Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 63

القبائل إذا كانت عائدات الموسم قليلة¹، حيث تدفع مثلا عشائر الإيمغاد التابعة لكال غَلا التويسي للأمينوكال بما مقداره:

12- مزود من التمر (المزود أو تامهيت *Tamhit* بالتماهاك بسعة 30 إلى 40 لتر)

12- بوطة من الزبدة (البوطة أو تسيغاني *Tségané*، أو آربن *Arrebben*، بسعة

15 لتر)

6- قرب من جلد الماعز (أبايور *Abayor*)

10- نعاج من أجل حليب الأمونوكال

هذه عن ضريبة السنة لقبائل الأتباع لكال غَلا وتقريبا جميع قبائل الإيمغاد التابعة لقبائل الأشراف هي مماثلة لها، ويبدو أن هذه الضريبة ظلت تدفع حتى أواخر الستينات من القرن الماضي².

ومنذ منتصف القرن 19م لما وصل المزارعون إلى الأهقار ظهرت ضريبة جديدة على الأراضي الفلاحية أو كل الحقول والبساتين تقدم للأمينوكال، وهي ضريبة المكس المعروفة عند العرب ومقدارها أربعة قصاب أو تازيوة *Taziwa* بالتماهاك (القصة حوالي 10كغ من الحبوب) عن كل بستان أو حقل عند موسم الحصاد، وحتى القوافل المنظمة من كال أهقار للتبادل التجاري خاصة المتاجرة بملح سبخة الأهقار أمدغور *Amdror*، فكل شخص يدفع قصة ملح (حوالي 3كغ) عن كل حمل جمل عاد من هذه المملحة، وكل شخص عائد من بلاد السودان بأحمال الحبوب، يجب عليه دفع مزود من الحبوب، قرية ماء، جرة صغيرة من الزبدة، حبل من شعر الماعز، وإن استطاع عنزة³.

ضريبة غنيمة الغزو: إذا كان غزو من القبائل التابعة (الإمغاد) لكال أهقار خارج حدود الطبل (خارج كونفدرالية كال أهقار) فإن الأمونوكال يأخذ نصف الغنيمة "أبلاغ

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 54

² Nicolaisen J.: Op. Cit., p. 63 ; Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., pp 51-52

³ Lhote H. Op. Cit., 1984, p. 40

"abellag"، وإذا غزى بعض محاربي كال أهقار على إحدى القبائل الداخلة ضمن حدود الطبل فإنه يأخذ ثلث الغنيمة وتسمى "إنهت" *ennehet*¹.

هذا كما نجد ضريبة المرور التي تدفعها قوافل القبائل المارة على أراضي كال أهقار وبغرض الحماية كذلك، ففي نهاية القرن 19م ذكر المستكشف باري *E. de Bary*: "أن قبائل الإفوغاس *Ifoghas* من تادمكة *Tademekket* (كال السوق سابقا) تدفع حاليا غرامة للأمنوكال أهيتاغل *Ahitaghel* من أجل أن لا تسلب وتغزى من طرف كال أهقار"²، وهي المعلومة التي أكدها فيما بعد "كورتيري" *Cortier* الذي نقل بأنه في كل سنة يستقبل أمنوكال كال أهقار خيمة وجملا من قبل كال أداغ *Kel-Adagh*³، وهذه ليست الحالة الوحيدة كما يرى "بنهازيرة" *Benhazera* فقد كانت قبائل الكنتة، وإفوغاس أدرار، والبرابيش وأهل أروان *Ahl Arouane* وكال تيديلي *Kel Tedélé* (في الآيير) تقفل نفس الشيء من أجل الحماية وأن لا تسلب قوافلها⁴، مع أن هذا لا يمنع أن يقوم بعض أفراد كال أهقار بالإغارة على بعض قطعان هذه القبائل المتروكة في المراعي، لكن بإمكان الأمنوكال أن يرجع جزءا من القطيع المسلوب وليس كله⁵.

يحتفظ الأمنوكال بطبل الحرب الذي يسمى بلغة التماهاق "الطبل" أيضا بقطر 80 سم تقريبا، وهو رمز السلطة والسيادة عند كامل كوندرياليات قبائل الطوارق أينما وجدوا، وهذا الطبل له من القداسة ما لا يستطيع أي واحد أن يلمسه سوى بإذن من الأمنوكال⁶. وهو

¹ Nicolaisen J.: Op. Cit., pp. 62-64

² Erwin de Bary : **Le dernier rapport d'un Européen sur Ghat et les Touaregs de l'Air.** (traduit et annoté par H. Schirmer). Librairie Fischbacher, Paris, 1898, p. 187

³ Maurice Cortier (Lieut.) : **D'une rive à l'autre du Sahara.** Ed. Emile Larose, Paris, 1908, p. 299

⁴ Benhazera M. : Op. Cit., p. 139

⁵ Foucauld C. de : Dictionnaire. Vol. 3, Op. Cit., p. 1347

⁶ يذكر هنري لوت *H. Lhote* قصة عن "سيدي أغ شداب" *Sidi Ag Cheddab* المحارب الكبير لدى كال أهقار، □ الأمنوكال "أخموك أغ إيهما" *Akhamuk ag Ihemma*، هو وحده من كل □ يعهد إليه تغيير جلد الطبل، ولا أحد سواه، ويبرر إختياره هذا بأنه ليس لأي أحد □ يلمس هذا الجلد إلا من أثق فيه أنا لنبله وشجاعته في الحرب، ولا أحد يمكن □ يستولي عليه من الأعداء بعدها. أنظر للمزيد: *Lhote H.: Dans les campements Touaregs.* Amiot-Dumont, Paris 1951, p. 19

دائما بالقرب من الأموكال سواء في خيمته أو عند الترحال، ولا يمكن أن يلمس الأرض مطلقا¹.

على الرغم من أن الأموكال منتخب من طرف رؤساء القبائل الأشراف إلا أنه وحده من يلقب بهذا الإسم، فحتى رئيس قبيلة التايوك *Taytoq*، أو التجهي-ملت *Tégéhé-mellet* مثلا رغم أنهم رؤساء قبائل أرسنقراطية، إلا أنهم يلقبون بـ"أمغار *Amghar*" فقط (الشيخ الكبير والحكيم)، أي قائد على قبيلته والذي ربما يمكن في وقت ما أن يكون هو الأموكال وفق رابطة قرابة الرحم، إلا أنه مع نهاية القرن 18م، أصبح يمنح هذا اللقب والإختيار إلا لأحد الأفراد المنتمين لقبيلة أو "تاوسيت" كال *Kel Ghela* فقط، على اعتبار أنهم هم من يمثل النسل الحقيقي للأمة الأسطورة "تينهينان"²، وبالتالي رغم مشاركة جميع رؤساء القبائل في انتخاب ديمقراطي للأموكال إلا أن المرشحين محددين سلفا من عشيرة (تاوسيت) كال *Ghela* فقط أو بما يعرف بالحكم الأوليغارشي أين تسيطر أسرة أو طبقة معينة على الحكم³.

2-2 علاقة منصب الأموكال بالجدة الأسطورة تينهينان:

تتخذ قبيلة كال *Ghela* أحقيتها في تولي السلطة في الأهقار، إنطلاقا من كونها أهم فرع مباشر لنسل المرأة النبيلة "تينهينان"، التي يعتبرونها هي أصل تشكل طوارق كال أهقار، ورغم اختلاف الروايات وتعدد الأساطير في تحديد أصل قبائل كال أهقار، مع العلم أن معظمها تنسبها إلى الجددة الأسطورة "تينهينان"، ولكن هل أصول كل قبائل كال أهقار هي من نسل هذه المرأة؟، هنا نجد تقريبا أكثر من رواية لعل أهمها ست روايات تبين كل واحدة

¹ في أصول فكرة هذا الطبل هناك من يرى أنه لما كان للمرابطين حروب كثيرة مع أعدائهم، كانوا يتخذون طبلا يضرب عليه لاستنفار الناس للحرب، وهي العادة التي أخذها الطوارق عنهم فيما بعد باتخاذهم للطبل أيضا وأصبح رمزا للسيادة وحدود الإقليم. أنظر للمزيد: البكري: المغرب، مصدر سابق، ص 148؛ مؤلف مجهول: *مفاخر البربر*. دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق، الرباط، ط. 1، 2005م، ص 148؛ Hureiki J. : Op. Cit., p. 330

² Gast M.: "Les Kel-Rela. Op. Cit., p. 55 ; Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 50

³ Rongnon P. «la confédération des Nomades Kel-Ahaggar », *Annales de géographie*, 71, 1962 p. 607 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 42

رأيا مستقلا، ولكن تتفق جل هذه الروايات على الأقل، أن أصل كال أهقار يعود لامرأة، كما توضح هذه الروايات أيضا مراحل ثلاث أساسية هي: هجرة المرأة الأسطورة "تينهينان" إلى الأهقار (الأتاكور)، وخضوع السكان الأصليين لها (الإيسيببتن *Isebeten* الوثنيين)¹، ثم تشكل قبائل كال أهقار بحسب عدد نسلها ونسل خادمتها ومن البنات طبعا².

كما تتفق هذه الروايات على هجرة هذه السيدة البربرية المسلمة وخادمتها "تاكاما *Takama*" ومن معهما، من جنوب بلاد المغرب (تافيلالت) إلى منطقة الأهقار ليستقروا بها، وتدعى هذه السيدة "تينهينان *Tin-Hinan*" وهي كلمة مركبة من جزئين فسرها "دوفوكو" وقبله بنهازيرة أيضا بـ"صاحبة الخيم *celle des tentes*"³، ولكن الباحث الطارقي "بادي ديدة" إنتقد هذا التفسير، معللا أن إسم الجمع لكلمة "إهنان *Ihinan*" يوافق الفعل "هان *Han*" المشتق من الجذر "هن *HN*" الذي يعني "إرتحل بخيمه" أو "هجر" دون وجهة محددة، لذلك فسر كلمة "تين-هينان" وترجمها بـ "صاحبة الرحلات *celle des voyages*" أو "المهاجرة *La migrante*"⁴.

وأيا تكن هذه التفسيرات لإسم "تينهينان"، فالمهم هو أن هذه الأخيرة هي محور تشكل عديد قبائل طوارق كال أهقار النبيلة منهم بالأخص، فيقال عنها أنها كانت أميرة⁵، واستقرت بقصرها في هضبة "أبلسة *Abalessa*" وبه دفنت أيضا، هذا الضريح في "أبلسة" التي تبعد

¹ حسب ابن خلدون: "كان الجبل من قبلهم فيما زعموا لـ"بني يلومين"، فلما انقرضوا صار إليه هوارة وأوطنوه". أنظر للمزيد، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج.6، ص 190.

² Hélène Claudot: **La sémantique au service de l'Anthropologie**. Recherche méthodologique et application à l'étude de la parenté chez les Touaregs de l'Ahaggar, CNRS, Paris, 1982, p. 81

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 89 ; Foucauld Ch. de : Dictionnaire, Vol. 2, Op. Cit., p. 610

⁴ Badi Dida: « Tin Hinan : un modèle structural de la société Touarègue ». **Études et Documents Berbères**, N° 12, 1994, pp. 199-205

⁵ ربما كانت النساء في الماضي هي من تتولى السلطة، فقد سجل التاريخ أن الملكة البربرية "الكاهنة" هي من كانت تقود البربر في حروبهم ضد الفتوحات الإسلامية، كما جاء في كتاب تاريخ السودان للسعدي أنه استقرت قبيلة بربرية في بلاد السودان تدعى بـ (صنهاجة-نونو) وكانوا تحت سلطة امرأة تدعى الملكة "بيكن كاب" الذين دخلوا في صراع مع "سني علي"، هذا الأخير الذي لم يستطع مد نفوذه لمناطقهم حتى قضى على هذه الملكة في سنة 1464م. أنظر للمزيد: Abderrahman Es-sa'di : **Tarikh Es-soudan**. Texte arabe édité par Houdas O., Librairie d'Amérique et d'Orient, Paris, 1981. p. 64

حوالي 80 كم غرب مدينة تمنراست هو موضع تمجيد كل قبائل الأهقار إلى اليوم، على الرغم أن رفات الجدة "تينهينان" نقل إلى متحف البارود بالعاصمة (الجزائر) خوفا من تلفه أو سرقة¹، وأثبتت التحاليل العلمية أنه يعود لامرأة عرجاء فعلا، كما جاء ذكرها في كتاب الإدريسي (القرن 12م) أولا باسم "تازكاي العرجاء"، وكما وصفها بعده ابن خلدون (القرن 14م) باسم "بصكى العرجاء"².

هذا عن القبائل النبيلة أو الأشراف الأرسقراطيون، أما قبائل الأتباع فهم ينحدرون من نسل خادماتها "تاكاما"، لأن هذه العلاقة "تينهينان-تاكاما" هي من تحدد العلاقة "سيد-تابع"³ وبالتالي هي التي تحدد إلى من تعود له أحقية السيطرة وقيادة كونفيدرالية كال أهقار المتمثل في زعيمها الأول "الأمنوكال" من بين جميع القبائل، والتي عادت لقبيلة أو عشيرة (تاوسيت)

¹ يتكون ضريح "تينهينان" بأبالسا من 11 غرفة تتصل ببعضها ومحاطة جميعا بسور مكي يتراوح بين 1,4م و 3,7م، وجرت حفريات على هذا الضريح من طرف بعثة فرنسية-أمريكية بقيادة "الكونت بايرن كوهن دو بروروك *Le Comte Byron Kuhn de Prorock*" ورئيس متحف البارود "موريس رايغاس *M. Reygasse*" وذلك في سنة 1925م، وقام موريس رايغاس بعد أن تعان بالأهالي في الحفر، بإبعادهم جميعا من المكان لما وصلوا لجنحة تينهينان بحجة القيام بمهام علمية، حتى لا يروا ما يستخرج من كنوز من القبر، وهي الفكرة التي كانت تراود رايغاس عندما علم بحفريات الإنجليزي هاوارد كارتر لضريح الفرعون "توت عنخ أمون *Toutankhamon*"، في سنة 1922م وألف عليها كتابا يحمل إسم: "توت عنخ أمون، الأكتشاف، الضريح، الكنز"، كما كان في ذلك الوقت ذياغ صيت رواية للفرنسي "بيار بنوا *Pierre Benoit*" المعنونة بـ"الأطلنطي *L'Atlantide*" التي تدور أحداثها في منطقة الطوارق التي تحكمهم ملكة شابة تدعى "انتينيا *Antintea*"، هذه الرواية التي نشرت في سنة 1919م لقيت رواجاً كبيراً في العالم الأوربي بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وفتحت باب المغامرات والأكتشاف، وتم ترجمة هذه الرواية لعدد اللغات، وحولت في كثير من المرات إلى مسرحيات وأفلام ينفائية، وعروض في الأوبرا، ومنحت شهرة كبيرة لصاحبها الذي وجد نفسه عضواً في الأكاديمية الفرنسية، وأصبح رئيس جمعية الأدباء فيها. وقبل أن يستقر ضريح تينهينان في متحف البارود بالجزائر العاصمة، نقل في سنة 1926م إلى مدينة نيويورك الأمريكية، ثم إلى المتحف الإنساني *Musée de l'Homme* بباريس في سنة 1934م من أجل فحوصات علمية وهو ما قد يفسر ضياع بعض ممتلكاته، رغم أن ضريح تينهينان وجد به حلي ذهبية وصل وزنها إلى 1.7 كغ، كما وجد به العديد من الحلي النحاسية والحديدية والحجرية متوتجة الأصل وودانية أيضاً، إضافة لنقود رومانية، وأواني فخارية وقطع خشبية.. وقد مر عمر الضريح زمنياً وفقاً لهذه الأشياء إلى القرن الرابع أو الثالث للميلاد؟؟.

أنظر للمزيد: **Mallam Hamani Djibou: Au carrefour du Soudan et de la Berbèrie : le Sultanat Touareg de l'Ayar.** Etudes Nigériennes, N° 55, Ed. IRSH, Niamey, 1989, p. 58 ; **Camps G.:** « L'age du tombeau de Tin Hinan, ancetre des Touaregs du Hoggar » **Zephyrus**, N° XXV, 1974, p. 514 pp.(497-516) ; Lhote H.: Les Touaregs, Op. Cit., p. 63

² ابن خلدون: تاريخ، المصدر السابق، ج6، ص 182؛ أبو عبيد الله الإدريسي: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس. تحقيق وتقديم ماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 125

³ في قضية التبعية هذه، هناك رواية لقبائل التايطوق تذكر أنه لما نزلت تينهينان مع امرأة أخرى تدعى "تاكامات *Takamat*" في رحلتهم لبلاد البرابرة، وأثناء الطريق أصابهما جوع شديد ولم يجدا ما يأكلان، حتى رأت "تاكامات" بيتاً للنمل كان ادخر مؤونته من حبوب الشعير، فنزلت من على جملها وجمعت بعض حبوب الشعير منه وتقلاً منه مع "تينهينان" التي لم تحتج على فعلها هذا، ومن لالة تينهينان تنحدر القبائل النبيلة؛ كال غلا، والتايطوق، وتجهي ملت، في حين أعطى نسل "تاكامات" قبائل الأتباع الإيمسليتين الذين هم كال أهنت وداق غالي، ومن حادثة تقديم الحبوب من تاكامات إلى تينهينان يأتي عرف وعادة تقديم ضريبة التويس للنبلاء. أنظر للمزيد: **Benhazera M. : Op. Cit., p. 173**

كال غَلا، رغم وجود قبيلة التايطوق التي طالما نافست وصارحت كال غَلا من أجل هذا الحق كذلك، لكن يبدو أن التاريخ الشفوي لكال أهقار لم ينصفها في الانتساب صراحة "لتينهينان" لتعدد الروايات.

فالرواية الأولى وهي الأكثر شهرة والتمادا لند كال أهقار، تذكر أن تينهينان كان لها بنت تدعى "كلا *Kella*" التي من نسلها جاءت القبيلة النبيلة كال غَلا *Kel-Ghela*، في حين كان لخادمتها تاكاما ابنتين، من الأولى يعود نسب قبيلة الأتباع "الإهادانارن *Ihadanaren*"، ومن الثانية يعود نسب القبيلتين التابعتين "داق غالي *Dag-Ghali*" و"آيت لاواين *Ayt-Loayen*"، في حين القبائل النبيلة الأخرى مثل "التايطوق *Taytoq*" و"تجهي-ملت *Tégéhé-Mellet*" فهي من أصل خارج الأهقار ووفدت متأخرة إليه أيضا خاصة من جهة التديكلت، كما لا علاقة لهم بقبيلة "الأوراغن *Ouraghen*" بالآجر، ولا بطوارق الآبير فلا علاقة تجمعهم بأصل "كال غَلا"¹.

وتذكر **الرواية الثانية** أن تينهينان هي أصل القبيلتين الشريفتين "كال غَلا" و"التايطوق"، في حين كان لخادمتها تاكاما ابنتين أيضا، من نسل الكبرى جاءت قبيلة "الإهادانارن" والتبرت شريفة وليس تابعة، ومن نسل البنت الصغرى ظهرت القبائل الثلاث "داق غالي"، و"آيت لاواين"، و"كال أهنت" والتبرت قبائل تابعة، وهذه الرواية هي التي تستند إليها قبيلة التايطوق في أحقيتها بالسلطة مثل كال غَلا²، وهي مرجوحة أيضا بدليل أن

¹ هجرات القبائل باتجاه الأهقار كانت مستمرة في الزمن، فيذكر أنه غزت القبيلتان "كال آهن ملن *Kel-ahen-mellen*" و"تجهي ملت *Tégéhé-mellet*" اللتان كانتا تقيمان بالتديكلت الأهقار واستقروا به بالقوة، كما استقرت في الجنوب الغربي للأهقار منذ القرن 18م قبيلة من الآبير تعود في أصلها من "إينغال *Ingal*" وهي قبيلة "أجهي-نتالي *Aguh-en-tahlé*" والتي اتحدت مع قبيلة "تجهي نايفيس *Tédjehé-n-Efis*" ليشكلا قبيلة واحدة تعرف بـ"تيجيهن-إيمن *Tégéhé-n-Elimen*"، هذه الأخيرة ولوقت قريب فقط استقبلت قبيلة من أحفاد عبيد "إمنان *Imenan*" وتحالفوا فيما بينهم وخاصة مع قبائل "أهل عزي *Ahl-Azzi*" من عين صالح وشكلوا ما يعرف بقبائل "إكلن-نتاوسيت *Iklan-en-taousit*"، وأخيرا وفي وقت متأخر أيضا وفدت مجموع 10 قبائل المعروفة بـ"الإيسقمارن *Issekamaran*" التي تركت هضبة "تادمايت *Tademaït*" (بين توات والقرارة والتديكلت)، لتستقر بشمال وشرق الأهقار بالقوة أيضا. أنظر للمزيد: Foucauld Ch. de: Dictionnaire. Vol. 2, Op. Cit., p. 533(article Ahaggar) ; Benhazera M. : Op. Cit., p. 179; Lhote H.: Op. Cit., p. 62

² بحسب بنهزيرة تقر قبيلة التايطوق أنها من نسل "سكينة *Sakina*" التي تعتبر ابنة خالة لـ "كلا" التي ينحدر منها قبيلة كال غَلا، وهما يشتركان إذن في الجدة تينهينان، أنظر للمزيد: Benhazera M. : Op. Cit., pp. 94-96

القبائل التابعة منقسمة بين الاثنين؛ فقبيلة كال أهنت تتبع طبل التايطوق، في حين داق غالي وآيت لاواين فيتبعان طبل كال غَلا¹.

أما الرواية الثالثة فتذكر أنه من نسل تينهينان ظهرت القبائل الثلاث؛ كال غَلا، والتايطوق، وتجهي-مَلت *Tégéhé-mellet*، في حين الخادمة تاكاما جاء من نسلها الأتباع "الإيميسلتن *Imessiliten*" ومنهم ظهرت قبيلة داق غالي وكال أهنت²، وجاء في الرواية الرابعة أنه كان لتينهينان ثلاث بنات؛ "تينارت *Tinert*" (الظبية) وهي جدة قبيلة "الإينمبا *Inemba*"، و"تامروالت *Tamerouelt*" (الأرنب) وهي جدة قبيلة "الإيبوغلان *Iboglan*"، وأخيرا "تاهنكوت *Tahenkot*" (الغزالة) وهي أم البنت "كلا *Kella*"، هذه الأخيرة التي تزوجت "سيدي أغ محمد الخير" ومن نسلهما ظهرت "كال غَلا"، التي أصبح لها الحق في تزعم السلطة في الأهقار³.

في حين تذكر الرواية الخامسة أنه كان لتينهينان سبع بنات، ومن أحفاد بناتها الثلاث الأولى تشكلت كامل قبائل كال أهقار، فابنتها الأولى هي وراء قبيلتي "الإيبوغلان *Iboglan*" و"الإينمبا *Inemba*"، ومن ابنتها الثانية ظهرت قبيلتي "الإيكيريموين *Ikerremoyen*" و"كال آهن ملن *Kel-Ahem-Mellen*"، أما من نسل ابنتها الثالثة فتشكلت كل من "كال غَلا" و"التايطوق" و"تجهي-مَلت"⁴.

أما الرواية السادسة فهي تكاد تعاكس كل الروايات السابقة، بالقول أن امرأة تسمى "لمتونة" وهي الأم المشتركة لكل طوارق قبيلة "الإيلميتين *Ilemtéen*"، وبعض من القبائل البربرية المستقرة في "غدامس"، كان بجوارهم قبائل "الإيسيبين *Isebeten*" الوثنيين، والذين يتكلمون بلغة الطوارق والمقيمون بالأهقار قبل الإسلام، هم أقدم القبائل العادية (الأتباع)

¹ Johannes Nicolaisen : **Ecology and Culture of pastoral Tuareg**. Ed. National Museum, Copenhagen, 1963, pp. 405-406

² Benhazera M. : Op. Cit., p. 173

³ Ibid, p. 93 ; Lhote H. : Les Touargs, p. 67

⁴ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 66

بالأهقار، في حين القبائل النبيلة فهي متأخرة الحضور إلى الأهقار ومن بلاد أخرى ومن أصل مختلف، واستقروا بالقوة في الأهقار بعد خوض غزوات وحروب استعبدوا خلالها قبائل الإيسيبين التي تناقصت مع الوقت وشكلت فيما بعد قبائل الأتباع "داق غالي" و"آيت لاواين" اللتان تعتبران أقدم قبائل كال أهقار¹.

تشير هذه الروايات -المعتبرة أكثر شهرة على الأقل من بين عديد الروايات الأخرى- أن قبائل كال أهقار ومنذ بداية تشكلها تنقسم إلى قسمين؛ قبائل الأشراف أو النبلاء الذين لهم الحق في ممارسة السلطة، وقبائل الأتباع الذين يدفعون الضريبة لقبائل الأشراف ولا يحق لهم المطالبة بالسلطة الممثلة في شخص الأموكال، على الرغم أنه يكفي أن يكون أحد أفراد هذه القبائل التابعة ينتسب لقبيلة كال غلا من جهة الأم، حتى يحظى بأحقية الترشح لمنصب الأموكال، ولا ندري من أين اتفق للطوارق أن النسب يكون للأم وليس للأب على اعتبار أن كال أهقار من نسل المرأة "تينهينان"، هذه الأخيرة التي تذكر كل الروايات السابقة أنها امرأة مسلمة، والإسلام ينسب الولد لأبيه وليس لأمه².

2-3 علاقة السلطة بالنسب الأمومي:

هناك من فسر ظاهرة النسب الأمومي الذي يعتمد طوارق كال أهقار كمؤشر للترشح لسلطة الحكم وبالأخص من قبيلة كال غلا، على أنه خيار استراتيجي لحماية السلطة من الاغتصاب من طرف الغازين والوافدين على الأهقار، فالانتساب للأم يعتبر ضمان رابطة الدم، وحلا للخلاف الذي قد ينشب بين الإخوة أو أبناء العمومة في أحقية تولي السلطة، كما

¹ Foucauld Ch. de : Dictionnaire. Vol. 2, Op. Cit., p 537 ; Nicolaisen J. : Ecology, Op. Cit., p. 405

² قد يكون الطوارق ورثوا هذا العرف في انتقال السلطة من الخال لابن أخته من ملوك السودان حيث يذكر البكري عن ملوك غانة أنه يتولى الحكم بعدهم ابن الأخت: "(...) ويسمى هذا خال تنكامنين وتلك سيرتهم ومذهبهم أن الملك لا يكون إلا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك فيه أنه ابن أخته وهو يشك في ابنه ولا يقطع على صحة إتصاله به وتنكامنين هذا شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان" ويذكر أن الملك الغاني تنكامنين كان في سنة 460هـ وحكمهم وهو في عمر 85 سنة وعمي في آخر عمره. أنظر للمزيد: البكري: المغرب، المصدر السابق، ص ص 174-175

أنها عامل مهم في استقرار البنية السياسية من الأجنب، لذلك هي شرط لتولي السلطة¹، لأنه دائما في المجتمعات الصحراوية يأتي من يأخذ السلطة باعتباره من الأشراف وادعائه على أنه رجل دين ومرابط التي لها دلالتها ونفوذها لدى المجتمعات التقليدية.

إذ يشير ابن خلدون أن العديد من رؤساء القبائل البربرية كانت ما تصرح بأن شجرة نسبها تعود للعرب المسلمين بغرض نيل الشرف وأحقية الحكم والسلطة أيضا². وهو الأمر نفسه الذي كان مع طوارق كال أهقار ربما أول الأمر، كما تدل عليه الروايات السابقة أن بلد هجرة المرأة "تينهينان" كان من منطقة تافيلالت، التي هي ليست بمكانة الساقية الحمراء بالتأكيد التي خرج منها عديد المرابطين المجاهدين، ولكن قد توجي بهذا المعنى على الأقل بالانتساب إلى أصول معروفة بالتدين ونشر الدعوة على الأقل وبغرض السيطرة كذلك.

لذا قد يكون هذا الخيار ربما من أجل الحفاظ على السلطة وحمايتها من الأجنب الوافدين إلى الأهقار أولا، وحرزا من الصراع بين القبائل ثانيا، إقتبسه كال أهقار من نظرائهم في كال آجر لما طردت قبيلة "الأوراغن" قبيلة "الإيمان" من السلطة حوالي 1660م، وفي هذا الوقت لم يعرف عن كال أهقار من كان يحكمهم ورجح بنهازيرة أنهم كانوا في صراع قبلي بينهم³، إلى أن وصل منتصف القرن 17 رجل يدعى "صالح" تولى حكم الأهقار ثم خلفه ابنه محمد الخير، ثم ابنه سيدي أغ محمد الخير، ومن بعده كذلك تولى السلطة في الأهقار ابنه يونس أولا، ثم أخوه الأصغر منه "أغ ماما أغ سيدي" ثانيا، وهو ما يدل على أن نقل السلطة كان وراثيا أبا عن جد من رابطة الأب، وكان هؤلاء يشكلون أعضاء في قبيلة "تجهي ن-سيدي *Tégéhé-n-Sidi*" الذين هم في الحقيقة فرع من قبيلة الإيمان حسب ديفاري⁴.

¹ Marceau Gast: "Histoire des Kel-Ahaggar", Encyclopédie Berbère, N° 3 1986, pp. 282-303 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p37

² ابن خلدون: تاريخ . المصدر السابق، ج 7، ص 6

³ Benhazera M.: Op Cit., p. 107

⁴ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 322

لكن جاء في رواية (الرابعة سابقا) أنه لما تزوج "سيدي" من "كلة" ابنة تينهينان¹، كان لكلة أخت أصغر منها (مجهول نسبها) تزوجت أحد رجال قبيلة "إكروموين" *Ikerremoyen*² المسمى "أبورا" *Abura*، وعند وفاة "سيدي" طالب حينها أولاد "أبورا" بالحكم باعتبار أن لهم الأحقية حسب رابطة الأم، لكن تم تجاهل الأمر حينها وتولى أولاد سيدي من بعده، يونس أولا ثم بعده أغ ماما وفق نمط رابطة الأب دائما³،

وربما في خلافة "أغ ماما" ظهر الصراع حول النسب للأم، بين كال غلا والتايطوق، هؤلاء الأخيرين الذين طالبوا بخلافة "محمد أغ ماما" لأن أمه من التايطوق، في حين فضل كال غلا "الحاج أحمد بن الحاج البكري" الذي أمه من كال غلا، ليكون هو الأمنوكال السادس، على الرغم أن التايطوق كانوا يريدون المحافظة على قرابة الأب كالعادة، ولكن كال غلا أرادت العكس هذه المرة، والصراع بين الطرفين قديم يعود لعهد حكم "سيدي" حين هاجم التايطوق المتحالفين مع "كال وي" (بالآبير في النيجر) وأغاروا على كال غلا ومنعوه من التجارة العابرة للصحراء نحو 1750م⁴.

وكرر فعل من "سيدي" لإرضاء التايطوق وانهاء النزاع زوج ولديه يونس وأغ ماما من قبيلة التايطوق، وتجدد الصراع بينهما في عهد المنافسة بين الحاج أحمد ومحمد أغ ماما، لكن هزم التايطوق وقبائلهم التابعة، والتي منها "تجهن-إفيس" *Tégéhé-n-Efis* التي ذهبت لتستقر في بلاد السودان، ومن هذا التاريخ لم يطالب التايطوق بالسلطة، رغم محاولة الانضمام لحرب كاوسن والاستفادة منها إذا ما نجحت للعودة للسلطة، لكنها فشلت وانفصلت عائلات منها أيضا وفضلت الالتحاق بالقبائل المستقرة ببلاد السودان منذ منتصف القرن

¹ عثر "م" سو غاست *Gast* على مخطوطة في عين صالح تذكر تينهينان باسم "ولت مالك" *Walet Malik* أي "ابنة مالك" زلت (بعد استراحتها) من واحة عين صالح إلى الأهقار في حدود سنة 1620م. *أظر للمزيد: Tin* : Dida B. : *Hinan, Op. Cit., pp. 202-203*

² من قبائل كال غرس في الأصل م أحقت بكال غلا مثل الإيبوغلن *Iboglan*، والإينيمبا *Inemba*. *أظر للمزيد: Benhazera M. : Op. Cit., p 90*

³ *Gast M. : «Les Kel-Rela, Op. Cit., p. 54*

⁴ *ANOM., Carton 22H73, Rapport pozo di Borgo 48p,*

19م، وبهذا فصلت كال غَلا نهائيا في موضوع السلطة لآن طريق الأبناء الذكور من نسل كلة¹.

هذا التحول في نقل السلطة من رابطة الأب إلى رابطة الأم مكن قبيلة "كال غَلا" من السيطرة للى مقاليد الحكم في الأهقار، وذلك بحصر أصحاب الحق في الحكم بأن يكون من نسل بنات زواج "سيدي وكلة" اللذان خلفا زيادة لآن الأخوين "يونس وأغ ماما" ست بنات أيضا هن؛ "الزهرة، مالا Mala، آمنة، حريزة Harez'a، أمحيس Amehis، تاراوسيست Tar'alousist"²، وتجدر الإشارة هنا للى الحفاظ للى رابطة الانتساب للأم "كلة" دائما من البنات (أي نسل البنات فقط (بنت البنت))، ومنه يعتد في نقل اختيار أحد الأفراد الذكور من نسل البنات الست الذي يقرر فيه مجلس رؤساء القبائل وذلك وفقا لأحقية المترشح في سلم السلطة والمعروف بـ "القسقاب Le Kaskab"³.

فعلى الرغم من أولوية الإبن الأكبر للأخت الكبرى وإن لم يوجد فلأبناء البنت التي تليها وهكذا، إلا أن هذا الأمر يحسم فيه مجلس رؤساء القبائل خاصة لما يظهر أكثر من مرشح في نفس الوقت، وهو المخول باختيار أحد المرشحين وتفضيل أحدهم لآن الآخرين رغم أولويتهم أحيانا، لذلك تولي منصب الأمنوكال لم يكن ثابتا ومحددا سلفا كما هو الحال لما كان لآن طريق رابطة الأب، فبعد الأمنوكال "سيدي" خلفه ولداه "يونس ثم أغ ماما"، ليأتي دور "الحاج أحمد" إبن "الزهرة بنت سيدي" (البنت الأولى) الذي تولي السلطة في سنة 1860م خلفا لخاله "آغ ماما"، ثم جاء الدور للى "أهيتاغل آغ محمد بيسكا" إبن "آمنة بنت سيدي" (البنت الثالثة) ليخلف إبن خالته "الحاج أحمد" في سنة 1877م، ثم جاء الدور للى

¹ لأن زهرة أم الحاج أحمد هي إحدى البنات الست لسيدي وكلة وأخت يونس وأغ ماما. أنظر للمزيد: Duveyrier H. : Op. Cit., p. 369

² Butaye P. (Capt.): «Le droit au commandement chez les Kel Ahaggar, Essai sur la descendance de l'aménokal Sidi ». **B.L.S.**, T.8, N° 28, décembre-1955, p. 251

³ Butaye P. : Op. Cit., p. 250 ; Régnier J. (Lieut.) : «A propos du droit au commandement chez les Kel Ahaggar ». **B.L.S.**, T.12, N° 41, Mars-1961, p. 55

"أتيسي أغ أملال" ابن خويلة بنت آمنة (نسل البنت الثالثة) ليخلف خاله "أهيتاغل" في سنة 1901م، رغم أحقية "محمد أق أورزيق" ابن "كتوح" الأخت الكبرى لـ "خويلة"¹.

ثم جاء الدور على "موسى أق أمستان" ابن "تابهاوت *Tabhaout*" (نسل البنت الخامسة) ليكون أمنوكال الأهقار في سنة 1904م خلفاً لأتيسي المبعد من طرف الفرنسيين، ثم جاء الدور على "أخاموك أق إيها" ابن "تهيت *Tehit*" (نسل البنت السادسة) ليخلف في سنة 1921م "موسى أق أمستان"، رغم وجود وأحقية ابن خالة هذا الأخير "سوري أق شيكات" لكن المجلس فضله عليه، ثم جاء الدور على "مسار أق أماياس" ابن "تانهميت *Tanekhmit*" (نسل البنت الرابعة) الذي خلف "أخاموك أق إيها" في سنة 1941م، ثم جاء الدور على "باي أق أخاموك" ابن "هباني *Hebbani*" (نسل البنت الخامسة) الذي خلف "مسار أق أماياس" في سنة 1950م إلى غاية سنة 1975م².

ومن هنا يظهر أن لمجلس رؤساء القبائل أحقية اختيار وتفضيل مترشح للى آخر لتولي منصب الأمنوكال، رغم ما يمليه درجة الترتيب في سلم "القسقاب *Kaskab*" الذي يمكن تعديله أو تجاوزه، لأن الأمر يتعلق باختيار رجل يتصف بالحكمة والقدرة على قيادة كل قبائل طبل الأهقار ويتحقق عليه الإجماع والوحدة عند كامل ممثلي الطبل من رؤساء القبائل.

ويُظهر هذا العرف في اختيار الحاكم الأعلى لكال أهقار انحسار ترشح الأفراد لهذا المنصب من خلال الانتماء لرتبة اجتماعية ضيقة داخل قبيلة كال غلا نفسها، والتي تتمثل في الانتساب إلى نسل "كلة" حفيدة تينهينان من البنات فقط، الأمر الذي يجعل معظم رجال القبائل الأخرى تسعى لربط علاقات مصاهرة مع هذه السلالة، حتى يحق لأحد أفرادها فيما بعد تقديم ترشحه لمنصب الأمنوكال. وفي كثير من المرات يذهب هذا المنصب لقبائل خارج

¹ Butaye P. : Op. Cit., p. 255

² Ibid., p. 256 ; Régnier J. : Op. Cit., pp. 56-65

كال غَلا من جهة الأب طبعا¹، وهو ما حدث مع الأموكال "الحاج احمد" من الإيفوغاس، أو "أتيسي أق أملال" من تجهي ملّت وغيرهم من القبائل الأخرى.

على الرغم من أن منصب الأموكال هو منصب سياسي يعبر عن السلطة التقليدية للحكم لمجتمع يعيش طور النظام القبلي، لكن المحددات والميكانيزمات الاجتماعية تلعب دورا بارزا في تعيينه، والتي أقبضت قبيلة "كال غَلا" سلطتها عليه، هذه المحددات والمعايير الاجتماعية التي تتوقف عليها عملية اختيار الحاكم الأعلى لكنفدرالية كال أهقار، كانت في كثير من المرات إحدى أسباب هجرات القبائل التي لم ترض بها وتتفق معها، أو سببا في تحالفات أو ضرب مصالح تجارية لقوافل القبائل المارة عبر أراضيها تعبيرا عن سخطها. هذا وكانت تدرك الإدارة الاستعمارية منذ وقت طويل هذه المحددات في اختيار الحاكم حتى قبل استعمار المنطقة، وهو ما جعلها لاحقا تجيد المناورة مع هذه القبائل في تعيين شخصية ترضاه هي، تكون مسالمة على الأقل إن لم تكن مدعمة لقضيتهم في احتلال الصحراء.

¹ أزواج بنات كلة وبنات بناتها ينحدرون من عدة قبائل (تاوسيت) أخرى، حيث نجد كل من الإيبوغلن، الإينيمبا، الإيكوروموين، وأيضا من الإيفوغاس، تجهي ملّت، التايطوق، وفي الفترة الاستعمارية توسع أصهارهم أكثر إلى قبائل الشعانبة (الأعداء اللدودون لهم) وبعض الأتباع مثل الإيسقمارن، كال أهنت، كال أبير، الإيبوتانتن، أجهي نتالي، الإروغانتن. أنظر للمزيد: Gast M.: "Les Kel-Rela. Op. Cit., p. 55

الفصل الثالث: التحولات الاجتماعية لكال أهقار خلال الفترة الاستعمارية.

الحديث عن التحولات التي عرفها مجتمع كال أهقار يقودنا إلى إجراء مقاربات لما كانت عليه البنية الاجتماعية قبل الحضور الفرنسي إلى المنطقة وبعد حضوره، وقياس درجة التغيير أو التحول في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد من جهة، ومن جهة أخرى في نمط حياة كال أهقار بصفة عامة التي كانت تتميز بالبداوة والترحال، المعتمدة أساساً على توفير الكفاف من العيش أو ما يضمن البقاء على قيد الحياة على الأقل.

وسبق القول أن مجتمع كل أهقار كان يتبنى نظاماً طبقياً في تشكيل بنيته الاجتماعية، دون إعادة الخوض فيه مجدداً، كما كانت فئة معينة من طبقة الأشراف هي التي تنحصر فيها تولي مقاليد الحكم وفق العرف المتبع، أما حياتهم اليومية فقد كانت بسيطة جداً تقوم على اتباع قطعان مواشيمهم في البراري، والبحث لها للوطن الكلاً التي توفر لهم الحد الأدنى من العيش. لكن يبدو أنه لم يتغير شيء مع الحضور الاستعماري لمنطقة الأهقار فيما يخص تنظيم البنية الاجتماعية هذه، والتي لم تتشأ أن تتدخل فيها السلطة الاستعمارية أيضاً خاصة لما استجابت الطبقة الحاكمة سريعاً لشروط الضباط الفرنسيين في تعيين حاكم موال لهم يتحكمون فيه، تمثل في الأمنوكال "موسى أوق أمستان" في مطلع القرن 20م، الذي سيأتي الحديث عنه في الباب الموالي والشروط التي تبدو موضوعية في قبوله التعامل مع الفرنسيين حينها.

لكن ما أثار انتباه الفرنسيين في تشكيل البنية الاجتماعية لكال أهقار هو المهام الوظيفية لكل طبقة من هذه الطبقات في الحياة اليومية لهؤلاء، القائمة أساساً على البداوة والترحال والصراع القبلي الناتج عن الغزو والسلب أو التعرض للقوافل المارة إذا ما لم تلبي دفع إتاوات المرور التي قد يكون مبالغ فيها أحياناً. وهو ما دعى الفرنسيين إلى العمل على إنهاء هذا النمط من العيش ودعم سياسة الاستقرار والتمدن الذي ينشأ عنه لا محالة تغيير في الحياة الاجتماعية في مجتمع كال أهقار.

3-1 أسباب البداوة وغياب ثقافة العمران عند كال أهقار:

على الرغم من أن قبائل طوارق كال أهقار كانت تُحكم سيطرتها على الصحراء الوسطى الفاصلة بين بلاد السودان جنوبا وبلاد المغرب شمالا، وتُحكم قبضتها أيضا في مراقبة الطرق التجارية المارة بضواحيها، لكنها في الوقت نفسه لم تشهد نشوء مدن وتجمعات سكانية كما نجده عند قبائل صحراوية أخرى سواء من الطوارق مثل ما هم عليه كال آجر القريبون على الأقل من المراكز التجارية لغات وغدامس وجانت، أو طوارق كال أداغ الذين كان لهم مركزا تجاريا مهما في العصور الوسطى يعرف بالسوق أو حاضرة "تادمكة"، أو مثل قبائل الشعانبة في التديكلت الذين لهم عديد المراكز وأهمها حاضرة عين صالح، والحال نفسه لدى أهل توات ومراكزها التجارية والحضرية الكثيرة أيضا، فما هو سبب عدم ظهور مراكز تجارية أو حضرية لدى كال أهقار؟

لقد أدرك الفرنسيون أن ما يبقي حياة البداوة والترحال لدى هؤلاء هو غياب تجمعات سكانية حضرية، فباشروا مع مطلع القرن 20م إلى إنشاء مركز سكاني بتمنراست يهدف إلى جلب بعض هذه القبائل لحياة الاستقرار والتمدن بعض الشيء، والتخلي عن الحياة التقليدية التي كانوا يحيونها، لكن الأمر لدى هؤلاء كان يتمثل في وسائل الإنتاج التي تتحكم مباشرة في طريقة عيشهم، والتي لا يمكن أن تكون حسبهم خارج قطاعان مواشيهم، فبيئة الأهقار صحراوية لا يمكن أن تصلح للزراعة أمام نقص المياه والأراضي الخصبة، ولا مراكز صناعية أو تجارية في المنطقة تجعل الناس يميلون لحياة التجمعات السكانية الكبرى كالحواضر والمدن.

لذلك بقي كال أهقار بعيدون عن هذا المركز السكني بتمنراست لسنوات عديدة، والذي أقامته السلطات الاستعمارية بغرض إقامة جنود حاميتها العسكرية، التي نقلتها من مركزها الأول في حصن موتيلينسكي بالمكان المسمى "تغهاوهاوت" منذ 1908م إلى تمنراست في سنة 1919م، وبالنظر للإحصاءات المقدمة لم تشهد مدينة تمنراست عاصمة الأهقار، إلا

مؤخرا (منتصف القرن 20م) حياة الاستقرار والعمران في المدينة، والتي كانت بطيئة جدا، حيث قدر عدد ساكني المركز في سنة 1908م في حدود أقل من 50 مسكن، ولما زار الوالي العام للجزائر "كارد *Carde*" الأهقار في جانفي من سنة 1932م، وجد تمناست يقيم بها حوالي 40 مسكن عائلي، وكتب الجنرال "ديشون" المرافق له يرد على انطباع دوفوكو الذي ذكر في سنة 1905م أنه وجد بتمناست 20 موقدا فقط بعدد سكان بحدود 10 آلاف موزعة في عدة أمكنة، "والآن بفضل جهوده (دوفوكو) أصبح 40 موقدا، يطل عليها حصن "لابيرين *Laperrine*"، وأقيم بها فندق "كاتلان *Catelan*"، ومركز للبريد، وسكنها الأوربيون، كما شيد بها معرضا في سنة 1930م¹، ليرتفع عدد قاطنيها إلى حدود 686 مسكن في سنة 1936-1938م².

لذا فغياب العمران في الأهقار هي ميزة خاصة، بالمقارنة بحواضر مجاورة أخرى للطوارق سواء في الأسود *Assodé* وأغداس *Agadez* التابعة للأبيير، أو في جانت وغات التابعة للأجر، أو في السوق (تادمكة *Tademekka*) التابعة للآداع، ويعود سببها حسب عديد الدارسين لكال أهقار لعوامل متعددة، من بينها أن الأهقار لا يمر به طريق نشط للتجارة العابرة للصحراء، إضافة إلى عدم توطن رجال دين أو مراكز دينية بها، أي غياب زوايا دينية في المنطقة قد تكون سببا في شهرة المكان وتعميره³.

كما أن هناك عامل آخر مهم يعود لفترة التوغل الإستعماري في المنطقة، تم تبنيه من طرف كال أهقار، مفاده أن هؤلاء لم يدخلو في إتصال مباشر أو غير مباشر بالسلطات الاستعمارية، التي كانت في الشمال مثل (الوادي، تقرت، بسكرة، ورقلة...إلخ) في حين كان

¹ Deschamps (Général) : «M. le Gouverneur Général de l'Algérie au Hoggar, au Tidikelt et dans le territoire de Ghardaia», **BSGA.**, N° 130 (2^{em}. Tri.), 1932, p. 141

² Marceau Gaste : « La société traditionnelle Kel-Ahaggar face aux problèmes contemporains » In E. Gellner (Ed.), **Islam, société et communauté**, 1981, pp. 106-139

³ يرى المستكشف الفرنسي "ديفابيري *Duveyrier H.*" أن طباع طوارق أهل الأهقار صعبة وخشنة استمدوها من قساوة بيئتهم في الأهقار ذات الجبال الصخرية الجرداء ومسالك طرقهم الوعرة وندرة النبات إلا الشوكية منها، وهو ما يؤثر على نفسياتهم المعادية للتمدن والتحضر مقارنة بالطوارق الآخرين في الأجر أو الأبيير لسهولة ويسر أرضهم. أنظر للمزيد:

Duveyrier H. : Op. Cit., p. 370

الأجر والأبير في علاقات متقدمة خاصة مع الرحالة والمستكشفين الأوربيين الذين جابوا المنطقة خلال القرن 19م، لكن ظل الأهقار لوحده "الإقليم الممنوع" على الفرنسيين حتى معركة تيت 1902م التي لجلت بتوقيع لّقد الخضوع، أي حتى مني هؤلاء بالهزيمة عسكريا ويمكن للتوغل الفرنسي من النفاذ إليه، فلقد شكلت هزيمة معركة تيت لكال أهقار صدمة عسكرية ونفسية في نفس الوقت، جعلت الأشراف المحاربون وعلى رأسهم موسى أّق أمستان يعيدون حساباتهم في التعامل بحذر مع هذا الوافد الجديد.

3-2 سياسة التوطين بمدينة تمنراست.

لقد ساهم الأمنوكال "موسى أّق أمستان" في مساعدة الضباط الفرنسيين وتنفيذ مخططاتهم في الصحراء، والتي منها دّلم إنشاء مركز تمنراست منذ بداياته، فقد جاء في تقرير النقيب "دينو *Dinaux*" منذ سنة 1907م في إطار مشروع إلمار منطقة تمنراست كمركز جديد ما يلي: "يبدو أن "موسى أّق أمستان" استقر نهائيا في الأهقار أين قام بحفر فقارتين، كما أمر أتبا له ببناء مسجد ومدرسة وإنشاء سوق في تمنراست، وبذلك هو يسير على خطى رغباتنا ويواصل في أن يكون أهم مساعدينا في التطوير المستمر لاحتلالنا بلاد الطوارق"¹، ويفهم من ذلك أن هدف الفرنسيين من إنشاء مركز تمنراست هو إحكام قبضتهم أكثر على مناطق الطوارق الذين يعدوهم أكثر الشعوب عداوة لهم في احتلال الصحراء.

كما أن هدفهم كان تحقيق ربط مستعمرة الجزائر بمستعمراتهم في غرب إفريقيا الفرنسية (AOF)، وبالتالي السيطرة على مساحات شاسعة من الصحراء الإفريقية، هذا الربط بين المراكز العسكرية في الصحراء يجب أن تكون له قالدّة تموين مهمة في الصحراء وهو ما يتيح موقع تمنراست الهام، الذي تم نقل جنود حاميتهم العسكرية بتغهاوهاوت (حصن

¹ Dinaux (Capt.): «Une mission dans l'Adrar du Niger 8 mars-25 juillet 1907, Rapport de tournée du Capitaine Dinaux, Chef de l'annexe d'In-Salah», **B.C.A.F., Renseignements coloniaux**, N° 4, 1908, pp. 104-108

موتلينسكي) في سنة 1919م إليه، حيث أصبحت مركزا للقسم الإداري والعسكري في أقصى الجنوب الجزائري، والتي ستشكل نواة مركز مدينة تمنراست، كما تم نقل الفرقة العسكرية الصحراوية للتديكت (بعين صالح) إليها في سنة 1924م.

وقبل الحديث عن المركز الحضري الذي أقامته السلطات الاستعمارية بتمنراست لدعم استقرار سكان القبائل به، تجدر الإشارة أن بعض مناطق الأهقار شهدت محاولات لبعث الاستقرار بها منذ عهد الأمنوكال "الحاج أحمد" (1860-1877م) وخلفائه من بعده من خلال بعث النشاط الفلاحي في منطقة إدلس مثلا وتاظروك بالأخص التي أنشئت لهذا الغرض، باستغلال مساحات على ضفاف الوديان سواء بواسطة العبيد المحررين أول الأمر، أو باستدعاء أهل الحرفة من خارج الأهقار الممثلين في قبائل "أهل عزي" والحراطين من منطقة التديكت وتوات كما سبقت الإشارة لذلك من قبل.

هؤلاء الفلاحين الذين تم تدعيمهم أكثر في عهد الأمنوكال موسى أق أمستان الذي فهم أن عصر الغزو والغارات الذي كان ينتهجه محاربوا كال أهقار قد انتهى مع الحضور الفرنسي للمنطقة، وهو ما يوجب دعم هذه التجربة الفلاحية بحفر الآبار وإنشاء الفقارات والبساتين خاصة في منطقة "الإينديد *Endid*" أول الأمر¹، لكن رغم ذلك بقيت هذه البساتين الفلاحية محصورة في عاملها من هذه الفئة فقط، في حين كان يكتفي ملاكها من كال أهقار بالزيارة مرة على مرة فقط، كما لم يستهوه أمر الفلاحة مطلقا لضعف عائداتها ومشقة العمل بها.

وأمام تمسك قبائل الأهقار بنمط الإقتصاد التقليدي المتمثل بتربية المواشي سواء من الإبل والماعز، والارتحال الدائم معها بحثا عن أهم المراعي وأماكن توفر المياه، خاصة وأنهم يضطرون في أحيان كثيرة بالخروج تماما من منطقة طبل الأهقار إلى أراضي جيرانهم في منطقة شرق الآداغ (شمال مالي) أو التامسنة (شمال النيجر)، أين كانت تقيم عديد قبائل

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 76

كال أهقار لفترات طويلة هناك حتى تتحسن مراعيهم في موطنهم الأصلي في الأهقار، لذلك كانوا يرون أن المركز الحضري لتمنراست لا يعينهم في شيء، كونه لا يستجيب ومتطلبات عيشهم، وظل خاليا منهم حتى منتصف القرن 20م تقريبا.

حيث تقدم إحصائيات الإدارة الفرنسية حينها نسب ضعيفة جدا في العقود الأولى من القرن 20م، عن عدد المستقرين سواء في مركز تمنراست أو في المراكز الفلاحية التي قامت بتدعيمها أيضا، فقد قدر المستكشف الفرنسي هنري ديفيري *Henri Duveyrier* الذي زار المنطقة في سنة 1861م عدد سكان الهقار حينها إلى 3000 نسمة¹، ثم قدم إحصاء بنهازيرا *Benhazera* في بداية القرن العشرين حوالي سنة 1908م تقديرات بين 5 آلاف و6 آلاف شخص في الأهقار، منهم 42 فقط مقيم بتمنراست²، ثم ظهر رقم آخر سنة 1916م حدد فقط السكان المقيمين بالقرب من المراكز الفلاحية برقم 1.310 نسمة³، أما إحصاء سنة 1936م فقدر عدد سكان الأهقار بـ 4.865 نسمة (تتقسم بين 2.103 نسمة من المقيمين، و2762 نسمة من الرحل)⁴، في حين ارتفع عدد المقيمين في المراكز الفلاحية في سنة 1938م إلى 2.280 نسمة⁵. هذا على الرغم من صعوبة إحصاء كال أهقار بشكل دقيق، بحكم طبيعة عيشهم كبدو رحل التي كانوا يحيونها ورفضهم كذلك أي محاولة لإحصائهم من طرف السلطات الفرنسية، خاصة والأكثر من ذلك لما يتعلق الأمر بمواشيهم من الإبل والماعز.

¹ قدر ديفيري في سنة 1861م طوارق الشمال بأكملهم في حدود 30.000 نسمة يتوزعون على مساحة تزيد عن 100 مليون هكتار. لكن في رحلة الحشايشي (محافظ خزانة جامع الزيتونة) في سنة 1896م قدر عدد سكان طوارق الشمال (الأجر والهقار) بحدود 9 آلاف على الأكثر، في حين ذكر له أنهم كانوا في سنة 1883م في حدود 13 ألف نسمة لكنهم نقصوا بسبب المجاعة والحروب الأهلية التي كانت بينهم أو مع جيرانهم من "التبو". أنظر للمزيد: El-Hachaichi : Op. Cit., p. 179 ; Duveyrier H. : Op. Cit., p. 439

² Benhazera M.: Op Cit., p. 107

³ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 140

⁴ SHAT., Carton 24H144.

⁵ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 140

الميل لحياة الاستقرار بدأ يسير بخطى ثابتة رغم البطء الذي شهده في العقود الأولى من القرن 20م، وهذا نتيجة تأثير مجتمع كال أهقار بالتحويلات الاقتصادية التي نتجت عن حضور السلطة الاستعمارية وتدخّلها فيها، والتي منها الدعم والإشراف على تأمين قوافل التجارة باتجاه الجنوب نحو بلاد السودان (الدمرغو، الأبير) لمبادلة مادة الملح مقابل الدخن "البشنة"، أو باتجاه الشمال (التديكلت، توات، الوادي) لمبادلة بعض المواشي والصناعات التقليدية بمادة التمر ومختلف السلع الغذائية، حيث نتج عنها ظهور مهن جديدة تتمثل في ممارسة التجارة ونقل البضائع خاصة من طرف قبائل الأتباع وأهمها "داق غالي" التي اكتسب قدر كبير من الإبل، بعدما كان اهتمامهم منصب فقط على تربية المواشي¹.

وبالموازاة مع الحركة التجارية للقوافل الصحراوية التي عرفت الانتعاش في بداية القرن 20م، اهتم كال أهقار على تنويع مصادر عيشهم من خلال فلاحه الأرض وزيادة استصلاح بعض الحقول والبساتين، التي وصلت إلى 22 مركز فلاحية متوزعة في إقليم الأهقار²، وهو ما زاد في نسبة المستقرين وشجع على نجاح مشروع التوطين الذي بدأ بشكل أساسي طبقة الفلاحين الإيزقاغن الذين ينحدرون من التديكلت وتوات، أو مع فئة العبيد المحررين، الذين كلهم يشتغلون لحساب الإيهقارن المالكون للأرض، حيث زاد هذا النشاط الفلاحي على رفع نسبة المقيمين في النصف الأول من القرن 20م خاصة لما بدأ بعض الفلاحون يستغلون الأرض لحسابهم الخاص.

ارتفع عدد سكان الأهقار في سنة 1946م إلى 8.850 منهم 6.250 من البدو و2.600 من المقيمين ومن بين نسبة البدو المذكورة نجد عدد من بدو الأهقار المقدر بـ 1.200 ان كانوا يقطنون إقليم التامسنة (التابع لدولة النيجر حاليا وكان سابقا من مراعي

¹ Régnier J. (Capt.) : « Les salines de l'Amador et le trafic caravanier », **B.L.S.**, T. 12, N° 43, Septembre-1961, p. 252 ; Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., pp. 371-373

² SHAT., Carton 22H144, Correspondance du Lieutenant Dumain Officier de Peloton à la Compagnie Saharienne du Hoggar à M. le Capitaine Lucchetti Chef de l'annexe du Hoggar «Inspection des arrens du Hoggar, été 1932», Tamanrasset, le 24 octobre 1932, 136p.

الأهقار) مع 1.600 ن من خدمهم (عبيد)، وقدم إحصاء سنة 1959م عدد 11.500 نسمة لسكان الأهقار¹، موزعة على الشكل التالي: 4.902 ن من البدو الرحل (بحساب المقيمين مؤقتا في إقليم التامسنة وأدغاغ إيفوغاس كذلك)، و 1.167 عبد، ووصل عدد المستقرين في مجمل المراكز الفلاحية إلى 3.236²، وفي مدينة تمنراست وحدها تم عد 2.300³.

وفي سنة 1960م وصل عدد سكان بلدية تمنراست إلى 11600 ن مقسم إلى 5500 ن من المقيمين، (منهم 2300 ن يقيمون بتمنراست)، و 6100 ن من البدو منهم 1676 ن من العبيد، وفي إحصاء سنة 1962م وصل عدد سكان الأهقار إلى 13000 نسمة منها 6500 ن من المقيمين (3000 ن في تمنراست و 3500 ن في مراكز أخرى)، و 6500 نسمة من البدو الرحل⁴، وارتفع العدد سنتي 1966-1967م إلى 16900 ن لتنعكس المعادلة مقيم-بدو فالأولى أصبحت تمثل 10000 ن في حين الثانية ضلت مستقرة برقم 6900 ن منذ سنة 1946م تقريبا، هذا طبعا دون حساب كال أهقار الذين يقيمون بإقليم التامسنة المقدرين بحوالي 1400 ن حينها⁵.

يظهر من خلال ما سبق أن هناك تطورا في عدد السكان في الأهقار وطبيعة إقامتهم، بحيث أصبح عدد السكان المستقرين في تزايد على عكس البدو الرحل الذين كانوا

¹ وفق الإحصاء الذي قدمته المصالح الإدارية لغرب إفريقيا الفرنسية (AOF) في سنة 1957م والذي قدرت فيه العدد الإجمالي لكل الطوارق في مختلف مناطق واجدهم في الصحراء الوطى بعدد 477855 نسمة، موزعين كالتالي: طوارق الأجر (3.180 ن)، الأهقار (4.892 ن)، طوارق النيجر (293.783 ن)، طوارق مالي (176.000 ن). ويشير أن الإحصاء لم يراع الفروق بين الأفراد الطوارق البيض وعبيدهم الإكلن الذين زيد نسبتهم عن النصف في هذا الإحصاء. في حين قدر A. Basset عددهم بحوالي 10.000 نسمة فقط. أنظر للمزيد: **Evolution anthropo-biologique d'une population Touarègue**. Les Kel Kummer et leurs apparentés, PUF. Paris, 1983, p. 11 Citant Guide d'AOF, 1957

² حسب إحصاء سنة 1956م وصل عدد الفلاحين في كامل الأهقار إلى 4.500 فلاح مقابل 5.500 من الطوارق، يتوزع هؤلاء الفلاحين على 60 مركز فلاح، (بساتين صغيرة على ضفاف الوديان)، كل هذه البساتين توجد في المنطقة الجبلية الوطى لمنحعات الأكور على ارتفاع يصل بين 800م و 2000 متر. أنظر للمزيد: Paul Sanlaville: «Les centres de cultures de l'Ahaggar». **Revue de géographie de Lyon**, vol. 32, N° 4, 1957, p. 333

³ Gast M. : Alimentation, Op. Cit., p. 19 Citant de l'Archives sous-préfecture de Tamanrasset (année 1959-1960) ; Atlas régional des départements sahariens, Etat-Major inter-armées 5° bureau, avril 1960, p. 231

⁴ Rongnon P. : «Problèmes des Touaregs du Hoggar », In C. Bataillon (ed.), **Nomades et Nomadisme au Sahara**, UNESCO, 1963, p. 59

⁵ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 141 ; Pandolfi P. : Les Touaregs 1998. P. 32

في تناقص، وهذا راجع أيضا لعديد سنوات القحط التي كانت تصيب المنطقة بداية سنوات الستينات والسبعينات ما دعا إلى الإستقرار بمدينة تمنراست التي كانت أحسن حالا من حيث متطلبات الحياة¹. وبدأ يظهر تشكل مجتمعين في الأهقار، الأول تقليدي بدوي يحاول أن يحافظ على النمط القديم لوسائل الانتاج من تربية المواشي والرعي وتجارة القوافل، والثاني عصري مديني يحاول إيجاد مصدر جديد للعيش نحو ما تجود به المدينة من وظائف.

لقد كان أمام سياسة تسريح العبيد في نهاية الفترة الاستعمارية وإنهائه تماما مع الاستقلال أن وجدت الكثير من القبائل التابعة خاصة (كال أولي *Kel Ulli*) مشكلة القيام بتربية مواشيه من الماعز أو الإبل وأماكن رعيها²، وهو ما أدى إلى لجوء نساء هذه القبائل (داغ غالي خاصة) لممارسة الرعي والانتجاع بهذه المواشي، التي كانوا ينتقلون من أجلها لمسافات طويلة عن المخيم لإيجاد مراعي خصبة، هذا الأمر أثر كثيرا على نمط حياة هذه الأسر وزاد من متاعبها أكثر خاصة في مواسم الجفاف، أين تضطر هاته النساء لقطع مسافات طويلة جدا بحثا عن الكأ والمياه، إضافة للحرارة المرتفعة نهارا والبرودة الشديدة ليلا، وصعوبة حراسة قطيع الماعز الكثير الحركة بطبعه أمام ترصيدات الثعالب، وقلة الماء والأكل حيث يكتفون ببعض التمرات طوال اليوم، والعودة مساء بحزم من الأخشاب الجافة على رؤوسهم للموقد، هذه الظروف كثيرا ما كانت تنهك هذه النساء وتمرضن، واستمر هذا الوضع حتى هذه السنوات الأخيرة لعدم وجود مورد إقتصادي بديل لهذه القبائل إلا بما تجود به قطعان مواشيهم رغم قلتها³.

¹ ارتفع عدد السكان في مدينة تمنراست (المركز) منذ نشأتها بشكل متدرج في البداية، حيث كان يقطنها حوالي 50 ساكنا فقط في سنة 1920م، لكن بعد الاستقلال شهدت بلدية تمنراست تزايدا مطردا حيث كان العدد 8 آلاف نسمة في سنة 1973م، ووصل إلى 15 ألف نسمة في سنة 1976م أي بعد سنتين فقط من تحولها ولاية، ليلعب 42 ألف نسمة في سنة 1977م، وارتفع العدد إلى 95 ألف نسمة في سنة 1987م. وهي نسب نمو مرتفعة شهدتها المدينة والولاية. أنظر للمزيد:

Bellil R. : Op. Cit., p. 151

² ذكر "هنري لوت Lhote H." أنه في سنة 1950م كانت قبائل داغ غالي هي الأكثر ثراء في الأهقار بحيث يمتلكون 1200 عنزة وأزيد عن 1000 جمل. أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs, p. 73

³ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., pp. 280-284

كإضافة أخيرة؛ لم تعد الإحصاءات المتوالية تقدم بشكل مفصل معادلة مقيم-بدو ففي سنة 1977م وصل عدد سكان تمنراست إلى أزيد من 42 ألف نسمة، ولكن ضمت كذلك حوالي 10 آلاف لاجئ من دول الساحل والصحراء للجفاف والمجاعة التي ضربت المنطقة (النيجر ومالي بالخصوص) ما جعل سكانها يصعدون شمالا والعديد منهم استقر بتمنراست وكذلك في مناطق حدودية مثل تيمياوين، تينزاواتين، عين قزام، وفي سنة 1987م وصل عدد سكان ولاية تمنراست إلى 95.822ن منها 4.471ن من البدو الرحل فقط أي بنسبة 4,7% من مجموع السكان، لكن يدخل في هذا الإحصاء سكان تيديكلت وإلا لكانت نسبة البدو وصلت ربما 18%¹، مع القول أيضا أن تمنراست أصبحت تضم الكثير من سكان الشمال والسكان المهاجرين إليها من دول الجوار، وبالتالي أصبح من الصعب تحديد نسبة كال أهقار من بين هؤلاء.

في بداية التسعينيات من القرن الماضي قدر عدد سكان بلدية تمنراست بحوالي 60 ألف نسمة²، يقطن 30 ألف منهم مدينة تمنراست ليشكل كال أهقار عندها أقل من الثلث حوالي 18 ألف³، وهذه إحدى الأسباب المباشرة في التطور الاجتماعي والديمقراطي الذي عرفته الأهقار وبالتالي أصبح كال أهقار يعتبرون أقلية من وجهة النظر السياسية والإدارية المحلية وفي منطقتهم بالذات، ويمكن القول أنه تقريبا منذ سنوات 1960-1970م أن العامل مقيم-بدو قد تغير لصالح الأول، وانعكست الوضعية الاجتماعية من الأكثر بدواة إلى الأكثر إستقرارا وإقامة ودائما في اتجاه متصاعد لهذا الأمر، وتراجعت حياة البدواة والترحال في الأهقار إلى أرقام ضعيفة وفق منحنى تنازلي دائما.

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs 1998. p. 33

² تشير أرقام ولاية تمنراست حتى بداية سنة 2017م أنه يقدر عدد سكان بلدية تمنراست (من بين 10 بلديات في الولاية) بـ 109.800 نسمة (منها 835 بدو) من العدد الإجمالي للولاية المقدر بـ 231.107 نسمة (منها 23.335ن بدو تمثل نسبة 10 % فقط). في حين ارتفع عدد سكان الولاية من رقم 164.245ن في سنة 2000م إلى 205.220ن في سنة 2010م إلى 231.107ن في ديسمبر 2016م أنظر للمزيد: Wilaya de Tamanghasset : la Direction de la Programmation et du Suivi Budgétaires de la Wilaya de Tamanghasset : « l'Annuaire statistique de la Wilaya de Tamanghasset », Année 2016, pp. 9-17

³ Pandolfi P. : Les Touaregs 1998. P. 33

3-3 التحولات الاجتماعية التي صاحبت التواجد الاستعماري:

عملت الإدارة الاستعمارية الفرنسية من أجل السيطرة على قبائل الطوارق المعادية بشدة لها، على ضرب البنية الاجتماعية وإقامة تنظيم هيكلتها بما يتوافق وسياسة الحكم التي تنتهجها في كل مستعمراتها، وذلك من خلال كسب ولاء السلطة المحلية الموجودة، وإذا تعذر الأمر يتم إنشاء سلطات موالية لها من مجموعات القبائل المشكلة للطبل في كال أهقار وتدعمها أكثر، وذلك من خلال خلق الصراع بين الطبقات الحاكمة أكثر واللعب على وتر التناقضات الداخلية داخل المجتمع، ثم جعل كامل السلطات في يد الأمنوكال الذي ترضاه هي، والذي يكون أبعد عن فهم السياسة المتبعة في جر الأهالي إلى الخضوع من خلال خضوع حاكمها.

وكان لهم الأمر وفق هذه السياسة في جر طوارق الأهقار للخضوع سريعا لسلطتهم، حينما عملوا على تنصيب الأمنوكال "موسى أق أمستان" في بداية القرن 20م حاكما على كال أهقار، يستمع لتوجيهات الضباط الفرنسيين في تسيير شؤون رعيته، كما تم منع عمليات الإغارة والسلب الأمر الذي سيؤثر اقتصاديا على الأفراد المحاربين بفقدان الغنائم، وهو ما يؤدي لتراجع رتبة الأشراف المحاربين في المجتمع أيضا، لأنهم لن يجدوا شيئا يحاربونه، وبالتالي تذهب هيبتهم وتصبح أشعار الحماسة والفخر مجرد أمثال قديمة.

كما أنه بانعدام عمليات الغزو سيحفر الكثير من القبائل لاستيطان العديد من الأراضي الخصبة في التامسنة مثلا لتوفر الأمن، وبالتالي تتوزع الكثافة السكانية ويتخلصون من بعض الرقابة والتبعية، خاصة لدى قبائل الأتباع والعبيد، أو بعض القبائل التي فشلت في نيل التداول على الحكم مثل ما هي عليه قبائل التايطوق، تجهي نايفيس *Tegehe n*، الإيرجناتان *Iredjenaten*، الإيبوتاتان *Ibotenaten*، وبعض من قبائل داق غالي، التي أقامت جلها مخيمات دائمة في إقليم التامسنة (شمال النيجر اليوم) لتوفر المراعي الخصبة لمواشيهم الكثيرة التي أنزلوها خاصة من النوق وجزء من الأبقار. وكان حفر بئر في "إن أبانغريت *In Abangherit*" في سنة 1935م علامة مهمة بإلحاق كال أهقار هذه

الناحية لهم، والذين يقدرون بقرابة 3000 نسمة في سنة 2008م، والذين يعتبرون أنفسهم لحد اليوم أنهم من كال أهقار¹.

مع الأخذ في الاعتبار أن البعض من هذه القبائل كانت قد لجأت إلى جهة الجنوب من الأهقار منذ مطلع القرن 20م، وذلك خوفا من التوغل الفرنسي والتوسع الاستعماري في الصحراء خاصة عقب سقوط عاصمة التديكلت "عين صالح" في سنة 1900م، وهو ما أدى على إثرها أن هجرت الكثير من قبائل طوارق كال أهقار لتلك المنطقة، التي منها مثلا قبائل "كال أهنت" و قبيلة الإمغاد "إيواروارن *Iouarouarern*" التابعة لقبيلة التايطوق النبيلة، حينما كان موطنهم بالقرب من الأقبلي في التديكلت، لكن بعد احتلال "عين صالح" نزحت هذه القبائل جنوبا واستقرت في الأداغ (ناحية إينوزال *In Ouzal*، وتاوندارت *Taoundart*) خوفا من الفرنسيين. حيث كانت قبيلة "إيواروارن" مثلا تملك واحة "تبيجهين *Tibedjehine*" بالقرب من "سيلت" بها حوالي 300 نخلة، إضافة على امتلاكهم حوالي 250 جمل، و 600 خروف وماعز، ويقدرون بعدد 15 خيمة². مع الإشارة أنه رجعت فيما بعد بعض القبائل لما سيطر الفرنسيون على كامل الصحراء في حين بقيت أخرى، بل هناك من هاجر من جديد نحو الجنوب مثل قبائل التايطوق النبيلة عقب تورطهم في ثورة الطوارق الكبرى لسنة 1916-1919م واستقروا في إقليم التامسنة.

لقد كان بإنشاء المركز الحضري لمدينة تمنراست أن ألقى بضلاله في هذه التحولات، رغم تأخر كال أهقار في الانسجام والتفاعل معه أول الأمر في مقابل الفئات الأخرى، فالمدرسة التي فتحت به مثلا لم يدخلها إلا أولاد الفلاحين الإيزقاغن والتجار الشعانبة، في حين بقي أولاد الطوارق المتشبهين بنمط الحياة البدوي والترحال بعيدين عن هذه المدارس لأنهم لم يحبذوا الإقامة بمدينة تمنراست ولا التعليم الفرنسي، لذلك فكرت الإدارة الفرنسية

¹ Bellil R. : Op. Cit., p. 46

² Benhazera M. : Op. Cit., pp. 177-178

لمواجهة هذا العزوف فتح مدارس الرحل في سنة 1947م¹، أين كان ينتقل المعلم إلى مخيمات الرحل وتعليم أولادهم هناك بدل تنقلهم إلى مدينة تمنراست ودخولهم في النظام الداخلي قصد التعلم، ومع ذلك لم تكن النتائج لصالح أبناء الطوارق الإيموهاق لأن أوليائهم لم يكن يروا حاجة في تعلم أولادهم حتى يحصلوا على مناصب شغل (المنعومة حينها)، كما أنهم يحتاجون أبنائهم في مزاولة بعض النشاطات اليومية المعيشية مما كان يجبرهم على التغيب كثيرا.

لكن الأمر تحول فيما بعد مع نهاية خمسينات القرن الماضي وخاصة بعد الاستقلال، لما وجد الطوارق الإيموهاق أنفسهم بعيدين عن سلم المسؤوليات الإدارية، أو القبول في بعض الشركات التي شرعت في بعض الاستثمارات هناك، وأصبحت الحياة في المدينة أسهل منها في البادية خاصة لذوي الأجرة الشهرية من الشعانبة والحراطين، ووجد الإيموهاق أنفسهم أنهم تخلفوا مع الزمن الماضي، ليفهموا حينها أن المدرسة التي كانوا لا يشجعون أولادهم عليها أصبحت هي أحد العوامل الأساسية في النظام الرأسمالي الذي يبحث عن بدائل للإنتاج وهو ما يحتم تكوين جيل من الشباب ينسجم مع متطلبات المجتمع الحديث ولا يعترف بنظام الجماعات القديمة التقليدية المغلقة.

فمنذ خمسينات القرن الماضي اهتمت السلطات الاستعمارية الفرنسية بموارد الأرض في الصحراء وما يحتويه باطنها، ولم يكن الأهقار بمعزل عن شركات البحث والتنقيب عن الموارد الأولية هذه، حيث تم في سنة 1954م إنشاء مكتب البحث الجيولوجي والمنجمي *BRGM* تم تتصيب محافظة الطاقة الذرية *CEA* لإينكر وعين أمقل، وعديد الشركات المختصة في البحث المنجمي ومنها شركة *SONAREM* في إينكر *In Ekker*، والمركز

¹ أقيمت مدرسة الرحل في سنة 1947م مع فرعين، الفرع الأول مع المعلم "أندري روش André Roche" في مخيم الأموكال بمنطقة "تيفارت Tiffert" بالقرب من "أبلسة" في المكان الذي يدعى "أبار أكوريم Tounin-Akourim" القريبة من ضريح "تينهينان"، والذي عوض بالمدرس "مارسو غاست Gast M." في سنة 1951م، في حين كانت مدرسة الرحل الثانية في "تينزاواتين" الحدودية مع مالي لتواجد عديد المخيمات في تلك الجهة لمراعيتها الجيدة وكانت تحت إشراف المعلم "مارسال بوبو Marcel Bobo". أنظر للمزيد: Marceau Gast : «L'école nomade au Hoggar : une drôle d'histoire». **ROMM.**, Touaregs, exil et résistance, N°57, 1990, pp. 99-112

التجربي العسكري للوحدات *CEMO* لعين أمقل في سنة 1959م، واستغلال مناجم "ولفرام *wolfram de laouni*" في الهقار، التي جلبت إليها الكثير من الأيدي العاملة خاصة من فئة الفلاحين (الحراطين) في إدلس وتاظروك¹.

لقد كان ولوج هؤلاء هذه الشركات سريعا بحكم عيش بعض أسرهم من الشعانبة في مدينة تمنراست، وتقريبهم من المصالح الإدارية التي كانت تشهر إعلانات التوظيف لهذه الشركات، في حين كان الطوارق الإيموهاق بعيدون لأن هذه التطورات الحاصلة بمجتمع المدينة لما فضلوا العيش في عديد مخيماتهم البعيدة عن تمنراست.

فالإحصائيات تقدم أنه في سنة 1953م كان 15 فردا من الطوارق من يعمل في حقول البترول بـ"إيجيله *Edjeleh*" (عين أميناس)، و67 فردا فقط في شركة التنقيب عن البترول "*S. N. Repal*" (حاسي مسعود)، لكن في سنة 1960م وصل عدد الطوارق والحراطين إلى 800 عامل في ورشات الهقار، في السنة الموالية (1961م) تم توزيع ما قيمته 277 مليون فرنك قديم على عمال هذه الورشات، ووصلت أجرة العمال بين 9000 فرنك قديم (عمال عاديين) و2500 فرنك قديم على عمال مؤهلين، كما كانت المبالغ المخصصة لأجور جنود الوحدات العسكرية والشرطة (المتواجدة في الساحل والصحراء) من المهاريسات مهمة أيضا حيث تراوحت أجرة المفوض بين 20 ألف و80 ألف فرنك قديم للشهر، والذي يلزمه أجر 5000 فرنك قديم للعيش، وكان سعر الجمل المتوسط يقدر حينها بـ 50 ألف فرنك قديم، وهذا دون حساب المتقاعدين².

لقد كان مع تزايد شركات البحث المنجمي بعد فترة 1960م في الأهقار، أن وجد هؤلاء الإيموهاق أنفسهم مجرد عمال بسطاء (يد عاملة) في هذه الشركات، بحكم مستواهم الدراسي مقارنة مع العمال الشعامبة والحراطين الذين شغلوا مناصب مسؤولية أعلى درجة وهو ما كان يؤثر على الدخل أيضا بمقدار يفوق الضعف أو الضعفين، الأمر الذي أصبح

¹ Michel Vallet : «Les Touaregs et le développement». (*Le développement des zones arides*, Paris), Ed. CIHEAM, Options Méditerranéennes, N° 28, 1975, p. 51

² Ibid. p. 52, Note 2

ينظر إليه الإيموهاق على أنها إهانة لحقتهم في أن أجورهم أخفض من أجور الذين كانوا يشتغلون عندهم سابقا، في حين وجد هؤلاء أن هذا العمل حررهم من القيد الاجتماعي السابق الذي كان يحفظ امتيازات نوعية بين الطبقات¹، لذا كان هذا التحول الاقتصادي الجديد باعثا على تحول اجتماعي عميق عند كال أهقار. وأصبح بموجبه الرجل الحر لا يضمن رتبته الاجتماعية هذه من خلال وراثته درجة أمه الاجتماعية السابقة، وإنما بقدرة هذا الفرد على التحرر من أي وصاية عليه من الناحية الاقتصادية.

الكثير من الشعانبة الذين ساهموا في احتلال فرنسا للأهقار ضمن فرق المهاريست، فضلوا الاستقرار في المنطقة بعد انتهاء مهامهم لفترة تزيد عن 15 سنة على الأقل، وكونوا أسر من نساء الأهقار أمكنهم بعدها الاندماج في المجتمع بفتح حوانيت صغيرة في مدينة تمنراست، التي عرفت النمو والإزدهار شيئا فشيئا مع الوقت، ففي سنة 1929م كان عددها ستة فقط، وفي سنة 1964م وصلت إلى حدود ستين دكانا². كما أتقن هؤلاء لغة التماهاق، التي ظل أبناؤهم من بعدهم يتكلمونها بطلاقة إلى غاية الثمانينات، حتى بدأ يشيع استعمال اللغة العربية في الحياة اليومية نتيجة التعليم وكذلك لدور القبائل المرابطية من "أهل عزي" لأولف وتوات الممتهنة للتجارة هي أيضا، استفادت من المعاملات التجارية المحلية (المبادلة العينية أو بالنقود) لتشكل ثروة كبيرة لها اعتبارها في المجتمع، زيادة على فرض احترامها وسط المجتمع لصرامتها في تطبيق الدين الإسلامي والحديث باللغة العربية. كلها عوامل ساعدت في التحولات الثقافية والاجتماعية عند كال أهقار³.

على الرغم من التغيرات التي بدأ يعرفها المجتمع المتشكل في مدينة الأهقار "تمنراست" خاصة من فئة عمال الورشات الصناعية التي فتحت في الإقليم، بقي هذا التحول

¹ أغلب عمال هذه الشركات والورشات كانوا من طبقة الفلاحين الحراطين، الذين حسّنوا وضعيتهم المعيشية، وأدخلوا أولادهم للمدارس ليجدوا عملا بدورهم فيما بعد في هذه الورشات والشركات. ففي سنة 1960م جل دخول 600 ولد و75 بنت. أنظر للمزيد: Vallet Michel: « Les Touaregs du Hoggar entre décolonisation et indépendances (1954-1974) », **REMM**, N°57, 1990, pp. 77-90.

² Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 39

³ Bellil R. : Op. Cit., pp. 45-51

مخفيا وغير بارز واعتبر استثناءً في مجتمع ما زال حبيس النمط التقليدي في الحياة الاقتصادية والسياسية خاصة تحت حكم الأمنوكال "باي أق أخاموك" الذي تميزت فترة حكمه بتحويلات مهمة وصعبة في بداية الاستقلال، ولكن شيئاً فشيئاً سيعرف هذا المجتمع ميلاً لهذه التحويلات خاصة من شباب كال غلا والتايطوق الذين بدؤوا ينشطون في حزب "جبهة التحرير الوطني *FLN*" والانخراط في سلك الجيش والأمن، أو في مختلف الإدارات المحلية بعدها. فلم يعد مجتمع كال أهقار يعيش كأقلية مهمشة في أقصى الجنوب الصحراوي، وإنما كان عليه أن ينسجم ضمن المجتمع الجزائري كأمة واحدة لها تاريخ ومصير مشترك، بكل ما يتطلبه هذا الانسجام من تحولات وتغيرات شهدتها المجتمع الجزائري بشكل عام. وفق ما يعرف بالاندماج الوطني¹.

شهدت الأوضاع الاجتماعية لطوارق كال أهقار تحولات مهمة، لكن في فترة طويلة جدا زادت عن نصف قرن أو أكثر، لأن الإدارة الاستعمارية الفرنسية لم تشأ أن تغامر في إلغاء طبيعة النظام الاجتماعي المتجذر الذي وجدته عند هذه القبائل رغم رفضها له، وخشيت على نفسها أن تفتح جبهة معهم لفك هذه النظم الموروثة التي تدرك أنها غير قادرة على التحكم فيها مع هؤلاء المحاربين في إقليم شاسع ومعزول خاصة وأنهم خاضعين مسالمين لها، وبالتالي التحول في النظام الاجتماعي كان يتم تبعاً للتحويلات الاقتصادية التي نتجت عن الحضور الفرنسي في المنطقة، لذلك يمكن فهم هذه التحويلات أكثر لما نتعرض للأوضاع الاقتصادية في الباب الرابع من هذه الدراسة.

الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية لطوارق الأهقار والتحويلات التي جرت لها لا يمكن أن تفهم بمعزل عن الأوضاع السياسية التي شهدتها كال أهقار، لأن بعض التحويلات

¹ عمل رجال الدولة في الجزائر المستقلة على فرض سياسة الاندماج الوطني بمختلف الوسائل سواء اللبيريالي أو الاستبدادي، بالإقناع أو بالإكراه، بالتوحد في التنوع، أو بالاستيعاب بحل وفك كل خصوصية، وتم تبني بسرعة سياسة التطور والنمو الاقتصادي والصناعي الذي ينشأ عنه قواعد تأسيس مجتمع متحضر، وتقني، وتنافسي مع الاقتصاديات المتطورة، لذلك عرف المجتمع الجزائري بشكل عام تحولات متسارعة استوعبت الخصوصيات المحلية، ضمن مجتمع متطور وبالأخص اقتصادياً، ونفس الأمر يسحب على المحاور الأساسية في الجوانب الثقافية والشخصية الجزائرية وهويته الموحدة (رغم تنوعها) ضمن سياسة الدولة المتبعة. أنظر للمزيد: Bellil R. : Op. Cit., pp. 53-54

الاقتصادية مثلا كانت نتيجة إرادة رجال وصلوا لحكم الأهقار في فترة ما، قبل إرادة السياسة الاستعمارية الفرنسية التي زادت من هذه التحولات أيضا وهو ما سيكشفه الباب الموالي.

المبابة الثالثة

تاريخ طوارق كال أهقار السياسي

الفصل الأول: تاريخ كال أهقار قبل القرن 20م

الفصل الثاني: تاريخ الاستعمار الفرنسي لكال أهقار

الفصل الثالث: الصراع على السلطة وأفول استقلال كال أهقار

الباب الثالث: تاريخ طوارق كمال أهقار السياسي

الفصل الأول: تاريخ كمال أهقار قبل القرن 20م.

الحديث عن تاريخ قبائل كمال أهقار السياسي يقودنا لتناول أهم النظم والحركات السياسية التي عرفت هذه القبائل، سواء أقامتها هي أو تأثرت بها فقط، وكذلك ذكر انتظام الحكم فيها وذكر أهم قادتها وكبرائها، الذين كان لهم الأثر المباشر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، كما يتناول تلك العلاقات التي قامت بين هذه القبائل وما جاورها من قبائل وشعوب، ولما كانت "كمال أهقار" قبائل مهاجرة من جهة الشمال نحو جهة الجنوب لتستقر في عمق الصحراء، فقد كان لهذه الهجرات مسبباتها السياسية بالدرجة الأولى، خاصة ذلك الصراع الذي كان قائما بين الدول التي تشكلت في شمال إفريقيا عقب الفتح الإسلامي.

لذلك فتاريخ هذه القبائل لم يكن معزولا أو غير متأثر بما حصل من تغيرات سياسية سواء في منطقة الشمال أو في منطقة الجنوب، خاصة لما عرفت هذه الأخيرة أيضا انتظام الإمارات والامبراطوريات الإسلامية فيها، بل كانت في عمق الحدث وفاعلة فيه، على الرغم من تهميش المصادر العربية لها وعدم الاهتمام بها من جهة، ثم لغياب مصادر محلية مكتوبة تسجل الوقائع، لكن على الرغم من النزر القليل من المعلومات التي نقلتها المصادر العربية عبر تعاقب القرون، إلا أنها أكدت عدم انقطاع الاتصال بين ضفتي الشمال والجنوب من الصحراء، زاد في ازدهارها وتطورها الجانب التجاري المهم، الذي بقي في نمو متزايد عبر الزمن لنشاط قبائل الطوارق فيه وضمان استمراره، إلى غاية أن جلب إليه أنظار الدول المصنعة الأوروبية لتتنافس فيما بينها على هذه الطرق التجارية العابرة للصحراء خلال القرن 19م، ثم من خلال السيطرة عليها ثانيا عن طريق الاحتلال النهائي للأرض.

تاريخ العلاقات شمال-جنوب الصحراء:

جاء في كتابات العديد من الرحالة العرب أن العلاقات والاتصالات بين بلاد المغرب في الشمال، وبلاد الزنج فيما وراء الصحراء في الجنوب قديمة جدا، فابن الصغير (القرن 10م) ذكر أنه في نهاية القرن الثامن (نحو 780م) تم ربط علاقات بين "تاهرت" عاصمة

دولة الرستميين مع بلاد السودان، وبأن تجار من الإباضيين (على المذهب الخارجي) لما طردوا من القيروان استقروا أول الأمر بتاهرت ثم نزلوا حتى ورقلة، وذهبوا بتجارهم حتى ثنية نهر النيجر ببلاد السودان ليبادلوا تجارة الملح بتبر الذهب والعبيد¹، ثم سجل العديد من الجغرافيين العرب أهم الطرق التجارية خاصة التي كانت موجودة بين دول الشمال إلى بلاد السودان مخترقة الصحراء الكبرى، فذكر ابن حوقل (منتصف القرن 10م) وقدم عدة طرق وصلت بين مصر ومملكة غانة عبر منطقة الآبير، كما تناول البكري (بداية القرن 11م) وخصص جزءا مهما في كتابه "المسالك والممالك" لعديد الطرق التي وصلت بلاد المغرب شمالا مع بلاد السودان جنوبا².

كما أدلى الكثير من الرحالة أمثال الإدريسي، وابن سعيد المغربي، والعمري، وابن بطوطة... إلخ، بعدة طرق تجارية عابرة للصحراء من الشمال إلى الجنوب، ولم يكن العلامة ابن خلدون ليحيد عن هذا الأمر هو أيضا، بل قدم لنا هجرات عديدة للقبائل البربرية التي كان موطنها في الشمال ونزلت للاستقرار جنوبا في عمق الصحراء، أو على تخوم بلاد السودان لتعدد الأسباب وأهمها السياسية منها، ليدل على أن الصحراء لم تكن يوما حاجزا بين شعوب الشمال والجنوب.

مع أن القبائل التي استوطنت الصحراء الوسطى ومنذ زمن طويل، كان لزاما عليها أن تربط علاقات تجارية وحتى سياسية وثقافية ودينية مع ما جاورها من شعوب، سواء في الشمال مع البلاد المغاربية ومن خلالها العالم الإسلامي أو في الجنوب نحو العالم الإفريقي، ليفهم بالتالي أن شعوب الصحراء رغم توغلهم وسط صحراء شاسعة لآلاف الكيلومترات هم أيضا موغلون في عمق التاريخ، لذلك حتى يفهم نمط حياة مجتمع قبلي مثل كمال أهقار وفق

¹ وفد على ملك السودان مبعوث الإمام الرستمي أفلاح بن عبد الوهاب ويدعى "محمد بن عرفة" وقدم له هدية، وأعجب ملك السودان بجمال وفروسية هذا المبعوث محمد بن عرفة. أنظر للمزيد: ابن الصغير: أخبار الأنمة الرستميين □ ح: محمد نا □ ر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م، ص 62. زيادة على □ بر الذهب والعبيد، نجد العاج وخشب شجر الأبنوس الأسود والمسك... هي عمات □ جارة بلاد السودان بالمغرب.

² المصدر السابق: ص ص. 163-169

وسائل إنتاج خاصة، لا يمكن أن نفهمه كمجتمع منغلق على نفسه وإنما هو يتأثر ويشترك مع نمط حياة كثير من الإثنيات والشعوب المجاورة التي هو معها في اتصال دائم.

لذلك وفقا لهذا المنظور يجب أن يدرس تاريخ قبائل الطوارق عامة، وكال أهقار خاصة كجزء من تاريخ جماعي لبلاد المغرب والصحراء وبلاد السودان، وفي جميع تطوراته وعلاقاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والجوانب الحضارية الأخرى، سواء كانت علاقة تكامل أو تنافر، لأنها كلها عوامل متداخلة ساهمت في تاريخ هذه القبائل، في هذا الحيز الجغرافي الخاص جدا وسط الصحراء.

1-1 تاريخ كمال أهقار ضمن التاريخ الجيوسياسي للمنطقة:

في منتصف القرن السابع الميلادي واجهت قبائل الهوارة البربرية القاطنة في برقة وطرابلس والقرنات موجة الفتوحات الإسلامية بقيادة عقبة بن نافع، وتحت ضغط هذه الفتوحات هاجرت الكثير من القبائل نحو الغرب، ونحو الجنوب الغربي لإفريقيا، ومنها قبائل الهوارة التي ذكرها ابن خلدون قائلا: "وكانت مواطن الجمهور من هوراة هؤلاء، ومن دخل في نسبهم من إخوانهم البرانس والسمغري لأول الفتح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة كما ذكره المسعودي والبكري. وكانوا طواعن وأهلين، ومنهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل المثلثين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه أفريقية، ويعرفون بنسبهم هكار، قلبت العجمة واوه كافا أعجمية تخرج بين الكاف العربية والقاف. وكان لهم في الردة وحروبها آثار ومقامات. ثم كان لهم في الخارجية والقيام بها ذكر، وخصوصا بالإباضية منها¹".

بعد عدة تحولات استقرت قبائل الهوارة هذه أو جزء منها بمرتفعات الطاسيلي والأهقار وسيطروا على هذه المنطقة الصحراوية وأعطوها إسمهم، وهذا في حدود القرن من 8م إلى 10م، ولكن في القرون المتوالية واللاحقة بقيت المعلومات حول هذه القبائل ناقصة، رغم

¹ ابن خلدون: تاريخ، المصدر السابق، ج. 6، ص 185.

تأثرها بدون شك بأحداث بلاد المغرب شمالا، وبلاد السودان والساحل جنوبا، دون إغفال أطماع الدول والممالك الناشئة حينها في السيطرة على هذا الجزء المهم من الصحراء سياسيا وعسكريا كعصب مهم للتجارة العابرة للصحراء حينها.

تشكلت في القرن 10م و11م حركة المرابطين التي ضمت قبائل اللمطة وصنهاجة في حركة لنشر الدين الإسلامي وإنشاء قوة سياسية كذلك في الجزء الغربي من الصحراء، تمكنوا خلالها من إضعاف قوة إمبراطورية "غانة" التي نافستهم على مدينة "أودغست" المركز التجاري المهم، ثم فتحت لهم الشهية للصعود شمالا إلى بلاد المغرب ثم حتى إلى الأندلس في شبه الجزيرة الإيبيرية، وأقاموا دولة عظيمة ضمت بلاد المغرب والصحراء، وأرجعت لدولة الإسلام بعض مجدها.

كما عرفت بلاد السودان منذ القرن 12م إلى القرن 16م قيام عدة إمبراطوريات أهمها إمبراطورية مالي (من القرن 13م إلى القرن 15م)، وإمبراطورية صنغاي (من القرن 15م إلى القرن 16م)، والتي ربطت مع شعوب الجوار علاقات تجارية على الأقل، وصدامات وخلافات من جهة أخرى خاصة مع طوارق الساحل، الرافضين للخضوع والسيطرة، والتحكم في التجارة العابرة للصحراء، هذه الأخيرة التي تأثرت قليلا بدعوة ونشاط الشيخ عبد الكريم المغيلي نهاية القرن 15م، الذي أنهى تحكم التجار اليهود في توات وواحة تمنظيط بالخصوص في هذه التجارة، وأبعدهم من الصحراء ولجأ بعضهم إلى المغرب أو تلمسان.

خلال هذا الزمن كانت قبائل البربر الصحراوية في عمق التحالفات الاقتصادية والسياسية مع شعوب ضفتي الصحراء، والتي كانت السبب الأساس في تنقلاتها وهجراتها أيضا، فالسيرورة التاريخية التي تقدمها المصادر العربية عن هذه القبائل تذكر أن اختلاف مذاهبها الدينية كان عاملا أولا في هذه التحالفات، خاصة التجارية منها التي هي أهم عصب في الاقتصاد، لتستمر بعدها روابط التحالف الضارب في القدم بين هذه القبائل رغم اختلاف المذهب بعدها نتيجة شبكة العلاقات التي تم نسجها في هذا الزمن. إذ تذكر المصادر

الأولى أنه كان هناك حلف بين قبائل هوارة وزناتة منذ القرن 8م في قيام الإباضية ببلاد المغرب، وازدهار علاقاتها التجارية مع بلاد السودان التي دخلها الإسلام مع هؤلاء الإباضيين أول الأمر، وقبل حركة المرابطين كانت طرق القوافل الصحراوية تسيطر عليها الإباضية خاصة في مراكز الجنوب، منها زويلة مع كوار الكانم، وتادمكة التي تربط ورقلة بأودغست¹.

ليكون هو سبب غزو غانة رفقة المرابطين (المالكية) لتادمكة الخارجية في سنة 1083م²، كأهم محطة تجارية للإباضيين في بلاد السودان وإحاطها بنفوذهم، لينقل بعد أقل من قرن الإدريسي بضعف مركز "تادمكة" وظهور غاو (كوكو) كأهم مركز تجاري جلب إليه تجار تادمكة الخارجيين³، كما تحولت الكانم إلى المالكية مع الحاكم "أومي جيلمي *Ummé Jilmi*" (1075-1086م) الذي قطع العلاقات التجارية مع زويلة بعدها، ويسقط دولة هوارة بني خطاب (الخارجية) في نهاية القرن 12م كان استعمار قبائل هوارة لجبل الهقار، لتستمر حركة هجرات القبائل من الفزان نحو الهقار والأيير في نهاية القرن 13م لتكون وراء تشكل مملكة الأيير (أهير)⁴.

بقي هذا التواصل والتحالف قائما بين "هوارة" الصحراء "وزناتة" الواحات لست قرون بعد القرن 8م، فالمبادلات التجارية لم تنقطع بين توات والأيير بحسب ما ذكره ابن بطوطة عن رحلة عودته من مالي، في خضم الطريق التجاري العابر للصحراء الذي ربط الأيير بتوات مارا بالأهقار ويصل حتى سجلماسة⁵، وهذا في مقابل سيطرة قبائل مسوفة المتحالفة

¹ ذكر البكري في القرن 11م ازدهار الطريق التجاري بين أودغست-غانا-تادمكة، في حين يذكر أن تادمكة تعتبر أهم محطة تمر بها عدة طرق تجارية (6 طرق): تادمكة-غانا (50مرحلة)، تادمكة-توتك (6 مراحل)، تادمكة-غاو (9 مراحل)، تادمكة-وركلة (50 مرحلة)، تادمكة-غدامس (40مرحلة، وطريق آخر نحو غدامس غير محدد). أنظر للمزيد: البكري: المغرب. المصدر السابق، ص ص 182-183.

² أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية. تج.: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت. ص ص 125-126.

³ الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص، 27-29.

⁴ شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. 4 ج. تج.: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ط. 1، ج. 4، ص 133.

⁵ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص ص، 712-713.

مع إمبراطورية مالي على "تكدّا" خلال القرن 14م. ومعلوم أن قبائل مسوفة هم من كان وراء إنشاء مركز تكدّا خلال القرن 13م بمساعدة ملوك مالي، لما كان هؤلاء يسيطرون على التجارة العابرة للصحراء (تجار، أدلاء، فقهاء، مرابطون، محاربون)، ويتمتعون بشبه استقلالية سياسية بحسب ما ذكره ابن بطوطة في شأن حاكمها السلطان "إزار" الذي كان حينها في صراع مع سلطان الأيير "التكريري"¹، الذي يبدو أنه صراع بين مسوفة خليفة المرابطين المالكية والهوراة الإباضية التي عمّرت منطقة الأيير².

حيث سيطر تجار مسوفة على الطريق من سجلماسة حتى تكدّا ومركز ولاية التجاري، كما كانوا يضغطون على حكام مالي بل وصل بهم الأمر بعد القرن 15م ليستولوا (طوارق مسوفة) على تمبكتو وولاته حسب السعدي 1433م³، والذي سيفقد توازن إمبراطورية مالي بعدها، هذا الصراع بين مسوفة وزناتة يعود لزمان المرابطين، وربما هو ما جلب أيضا المرينيين (زناتة أيضا) للبحث عن طريق غير سجلماسة-ولاته نحو بلاد السودان والذي وجدوه في طريق توات والأيير وهو ما زاد في دعم سلع المبادلات أكثر، ليزدهر الطريق الصحراوي عبر الأهقار، خاصة بين تكدّا وعين أزوا الذي نشطه التجار الغدامسيين والتواتيين ودور هواراة الهقار⁴.

كما كان الطريق الرابط بين الأيير وغدامس مرورا بغات وحتى باتجاه مصر تحت سيطرة تجار قبائل مسراتة (فرع من الهواراة بأوجيلة) والمسيطرين على الطريق من أغداس حتى الحدود المصرية أيضا، لذلك قوى الهواراة نفوذهم وسيطرتهم على جهة الغرب حتى توات خلال القرن 14م، ليكونوا هم (هواراة-مسراتة) وراء تأسيس مدينة أغداس التي ستعوض تكدّا، بالتحالف مع التجار الغدامسيين والتيار التجاري لتوات المراقب من طرف زناتة، وهو

¹ ابن بطوطة: مصدر سابق، ص 711.

² Belhachemi F. : «Nouvelle, Op. Cit., p. 151

³ السعدي: المصدر السابق، ص 22.

⁴ Belhachemi F. : «Nouvelle , Op. Cit., pp. 153-154

ما جعل أجداس محطة التقاء محاور التجارة العابرة للصحراء ومحاور التجارة الرابط بين غوانجا ومدن الهاوسا كانو وكاتسينة خلال القرن 15م¹.

لكن في نهاية القرن 15 اضطرب نوعا ما طريق توات الأيبر نتيجة حركة ونشاط الشيخ "محمد بن عبد الكريم المغيلي"، الذي كان معاديا لليهود والخارجيين في توات في نفس الوقت، والذي كان وراء دعوة ونشر الطريقة القادرية في بلاد السودان التي تبنتها قبائل الكنتة (سيدي عمر الكنتي) المنتمية لقبائل زناتة، والتي كانت قد تحالفت مع القبائل العربية لبني حسان لمواجهة خطر قوة لمتونة الصحراوية، كما اتصلت عن طريق المصاهرة بفرع من صنهاجة لمتونة واستغلت ضعفها لتقضي على سلطة خلفاء المرابطين، لتتصب نفسها صاحبة السلطة الدينية في الصحراء، لكنهم تعرضوا لضغوط من قبل سني علي في نهاية القرن 15م ثم من قبل الأسكيا محمد في مطلع القرن 16م²، ليتفرع الكنتة إلى زوايا في الصحراء الوسطى للطريقة القادرية³.

في نهاية القرن 16م بعد أن ثبت حكم السعديين على المغرب، توجهت أنظار الملك أحمد المنصور الذهبي نحو الجنوب، وبعد سيطرته على توات مد نظره لممالح تغازة⁴ التي كانت المُرُود الأول تقريبا لبلاد السودان الأوسط لمادة الملح، وأراد التحكم في جباية هذه التجارة، وأرسل العديد من الحملات ضد إمبراطورية صنغاي المتحكمة حينئذ بهذه الممالح، إلى أن تمكن الباشا جودر من هزيمة جيش إسحاق الثاني في "معركة تونديبي" في سنة 1591م، وقُضي على حكم صنغاي في المنطقة وعضو بحكم السعديين لمدة 70 سنة

¹ Belhachemi F. : «Nouvelle, Op. Cit., p. 155

² السعدي: المصدر السابق، ص ص، 78-80.

³ Belhachemi F. : «Nouvelle, Op. Cit., p. 156

⁴ توجد ممالح تغازة شمال غرب تمبكتو، وهي معروفة بتصدير الملح منذ القرن 11م أنظر للمزيد: Jean Devisse : « Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée. Un essai sur le commerce africain médiéval du XI^e au XVI^e siècle » **Revue d'histoire économique et sociale** 50 (1) et (3), 1972, pp. 42-73 et 357-397.

وتراجعت التجارة كثيرا، التي كانت تصل إلى مراكز تمبكتو وغاو وجني لأن حكم الباشاوات كان مجحفا ومغاليا في الجباية.

لم يهناً السعديون بهذا النصر إلا قليلا لأن أحمد المنصور الذي لقب بالذهبي توفي بعدها بقليل (1603م)، كما تحولت الأوضاع السياسية في المنطقة بطرد آخر ما تبقى من المسلمين في غرناطة وهجرتهم لبلاد المغرب من جهة، ومن جهة ثانية وصول الأوربيين للسواحل الغربية لإفريقيا ومباشرتهم التجارة مع قبائل الداخل وبالتالي توجهت حركة التجارة باتجاه البحر، كما بدأ يصل إلى أوروبا ذهب العالم الجديد وما تدره التجارة المثلثة بين القارات الثلاث، وهذا ما أثر كثيرا على تجارة بلاد المغرب والصحراء والسودان وأصبحت بنوع من الكساد خاصة التجارة بين بلاد المغرب وأوروبا، وبقي الحال هكذا إلى غاية وصول الإستعمار الفرنسي للمنطقة. لذلك وجدت شعوب الصحراء نفسها في عمق الإستراتيجيات السياسية والاقتصادية والدينية لدول الشمال (مملكة المغرب بالخصوص) وبالتالي أعلنت رفضها لهذه الوصاية منذ زمن، هذا ما احتفظت به الرواية الشفوية للطوارق كمال أهقار وكال آجر¹.

1-2 كمال أهقار من حكم الإيمنان إلى الحاج أحمد:

توحدت قبائل كمال أهقار وكال آجر منذ القرن 17م تحت قيادة واحدة لقبيلة "الإيمنان Imenan"²، هذه الأخيرة التي تعود بنسبها إلى سلالة الأشراف من المغرب وبالأخص من الساقية الحمراء، استقروا بغات وجانت وتوسعت سلطتهم على مساحة شاسعة جدا من الصحراء الوسطى، ضمت الأهقار والآجر وحتى الأداغ وجزء من الآيير، وتزوجوا من نساء الطوارق الأرستقراطيين، وبالتالي وفق هذا المحدد المزوج من القرابة والشرف (عرب شرفاء مرابطين، وزواجهم من الطبقة الأرستقراطية للطوارق) استطاعوا تثبيت سلطتهم، ومنذ ذلك

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 77

² هناك رواية تقول أن بعض العائلات الشريفة من النسب الإدريسي من فاس نزلت واستقرت بجهة الأهقار بعد أن دخلها الإسلام، وأمام الأوضاع غير المستقرة في المنطقة سياسيا، استفادوا من الوضع واتخذوا زوجات من أشراف الطوارق وشكلوا ما يعرف بقبيلة الأشراف النبلاء "الإيمنان" أي "السلطين" التي احتكرت حكم الطوارق لقرون بمساعدة قبيلة "الإيمنغساتن Imanrassaten" الذين ينحدرون من عرب الشرق. أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs. Op.

الحين استطاعوا المزج بين هذا الإمتياز الديني والتبرك بهم، وبين عادات وتقاليد الطوارق الذين لا يعترفون إلا برباطة الرحم من قبل الأم لولايتهم عليهم¹.

وكما ذكر ديفاييري أنه "منذ قرنين جمعت عائلة بين شرفها ونبها العرقي، نبها الديني أيضا، إنهم الإيمان²"، وإذا كان هؤلاء قدموا من جهة الغرب فلا محالة أنهم كانوا على صلة بحركة المرابطين والموحدين خلال القرن 11م و12م، وأيضا مع حركة نشر الإسلام وتصحيحه في بلاد المغرب والصحراء منذ القرن 12م إلى القرن 15م.

على الرغم أن سلطة الإيمان فرضت وجودها على المنطقة مبكرا لما كانت تراقب حركة التجارة بناحياتها من الشرق، كما كانت تراقب من جهة الغرب من طرف مملكة المغرب، ومن مركز ورقلة التجاري في الشمال، ومركزي تمبكتو وغاو في الجنوب، كان الإيمان يراقبون طرق القوافل المارة ويلزمونهم بالجباية أو ضريبة الحماية، وهذا منذ القرن 16م، وغير محدد إلى متى استمر هذا الأمر، ولكن حسب ديفاييري، أنه في سنة 1660م تم اغتيال السلطان "غومة Goma" من قبل أحد أشراف قبيلة "أوراغن Uraghen" والمسمى "بيسكا Biska"³، والملاحظ أنه في نفس تلك الفترة تم إبعاد أشراف السعديين من حكم بلاد السودان⁴، وبالنظر لعلاقة القرابة بين أشراف السعديين وأشراف الإيمان، كان لهزيمة السعديين إيذانا بضعف سلطة الإيمان كذلك، وبالتالي سنح للطوارق بإنهاء والتخلص من هذه الوصاية.

ومن هذه الفترة أصبح الحكم للأوراغن بقيادة شيخهم "محمد أق تتركرباس ag Tinerkerbas"، وأعادوا من جديد قواعد نقل السلطة عن طريق رابطة الرحم، ولكن على

¹ Gast M. : « Histoire des Kel-Ahaggar, Op. Cit., p. 284

² Duveyrier H. : Op. Cit., p. 331

³ قد يعود سبب ذلك أن قبائل الطوارق سئمت من سياسة الحكم التي أثقلتها بالضرائب، فقد فرضت عليهم زيادة على الضرائب الأخرى، ضريبة دينية تعرف "بالغفارة"، كما حاولت أن تجعل قبائل الأتباع مستقلة عن قبائل الأشراف بأن لاتدفع لها الضريبة السنوية المعروفة بـ"التويسي"، هو ما عجل بهذا الانقلاب. أنظر للمزيد: Benhazera M. : Op. Cit., p. 102 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 63

⁴ Capot-Rey R.: **Le Sahara Français**, PUF, Paris, 1953, p. 190

عكس سابقهم لم يُعَم الأوراغن نفوذهم إلا على الأجر وبعض المناطق المجاورة القريبة منه، واقتصرت مواردهم ومداخلهم إلا من سيطرتهم على بعض المراكز التجارية كغدامس وغات وجانت، وفرض الضريبة والحماية على القوافل الآتية من طرابلس وتونس باتجاه بلاد السودان والمارة بالأجر والآبير، وكان كمال أهقار حينها يقتصر على الإغارة على واحات توات وعلى بعض القوافل التي تغامر بالمرور في أراضيهم، لذلك عرف كمال أهقار فترة طويلة من عدم الاستقرار ولم يوفقوا في إيجاد قيادة خاصة بهم¹.

إلا أنه بتاريخ 1750م انتهر رجل شرف انتمائه لإحدى قبائل كنتة المرابطية²، أو تحالف معها لينصب نفسه الأمنوكال على كمال أهقار، والذي يدعى "صالح" ثم خلفه من بعده ابنه "محمد الخير"، ومن بعده ابنه الصغير "سيدي أق محمد الخير"، ويبدو أن هؤلاء الثلاثة الذين تداولوا على تزعم كمال أهقار عن طريق توريث الحكم من الأب إلى الإبن ينتمون إلى القبيلة المسيطرة "تجهي ن-أوسيدي *Tégéhé-n-U-Sidi*"، والذين هم حسب ديفاييري أقرباء للإيمان الذين هم في الأجر³.

تزوج "سيدي" من "كلة *Kella*" التي تعتبر البنت الحفيدة للجدة الأسطورة "تينهينان" عند كمال أهقار، ونتج عن هذا الزواج 9 أولاد من بينهم 6 بنات، ومن نسل هذه البنات عن طريق رابطة الرحم دائما في تحويل السلطة، ثبتت "كال غلا" امتياز السلطة لديهم، والذين احتفظوا بها لأكثر من قرنين منذ نهاية القرن 18م إلى اليوم في كمال أهقار. فزواج "سيدي" من "كلة" كان له وزن وتأثير كبير في نقل السلطة بواسطة رابطة الرحم لصالح كمال غلا، لذلك طلبت القبيلتان الأرستقراطيتان (*Taytoq*، وتجهي ملت *Tégéhé-Mellet*)

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 368 ; Pandolfi P. : Les Touaregs, Op . Cit., p. 80

² قبائل كنتة هي قبائل عربية تقطن الصحراء، والتي يعود الفضل في مجدها إلى أعمال وانجازات الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير (1729-1810م)، وبفضل قيادته وتوجيهاته استقرت قبائل الكنتة في المنطقة الممتدة بين موريطانيا وتمبكتو، وأصبحوا أحد المتحكمين في هذه المنطقة تجاريا ودينيا وسياسيا وامتد نفوذهم في كامل الصحراء، وهم من يعود لهم الفضل الأكبر في نشر ورد الطريقة القادرية في كامل الصحراء، وخاصة في عهد الشيخ أحمد البكاي (1803-1866م). أنظر للمزيد: Cortier M. : Op. Cit., p. 391-397

³ Duveyrier H. : Op. Cit., 1864, p. 322

من "سيدي" بأن يتنازل لهما عن بعض حقوقه فيما يخص القبائل الأتباع وإنشاء الطبل الخاص بهم، فوافقهم "سيدي" على ذلك وقرر إعادة تقسيم قبائل الأتباع على القبائل الأرسقراطية الشريفة الثلاثة، مع أن كمال غلا حظيت بالأكثرية، لذلك في نهاية القرن 18م عرف الأهقار ثلاث وحدات سياسية مستقلة، ولكن لم يعرف إلا أمنوكالا واحدا فقط هو من كمال غلا التي تحتفظ بصفاء نسل الأم الأسطورة "تينهينان"¹.

ومن أجل أن يكسب رضا قبيلة التايطوق التي بدت منزعجة نوعا ما لهذه اللعبة السياسية المغلقة، عمد "سيدي" إلى مصاهرتهم فزوج ولديه البكر منهم، وهما "يونس" و"أق ماما Ag-Mama" اللذان سيتعاقبان الحكم ولكن أولادهما (من أم تايطوق) لا يحق لهم ذلك ولكن لهم الأفضلية في حكم ورئاسة قبيلة التايطوق، وفي سنة 1860م كان الأمنوكال "أق ماما" الإبن الثاني "لسيدي وكلة" شيخا هرما وفاقدا لبصره ولم يعد بإمكانه الحكم، مما ولد الخلاف واشتد بين كمال غلا والتايطوق لخلافته، وخلص الأمر إلى "الحاج أحمد" أق "الحاج البكري" لخلافته².

لقي هذا الاختيار الدعم والسند من رجال الدين في تمبكتو، فإضافة إلى أن "الحاج أحمد" هو إبن الأخت الكبرى "لأق ماما" (زهرة) فهو يوافق العرف التقليدي لتولي الحكم وفق رابطة الرحم، ولكن من جهة أخرى والده ينتمي إلى إحدى القبائل المرابطية للإيفوغاس *Ifoghas* (أي يعتبر أجنبيا عن كمال أهقار) ويحظى بمكانة دينية قوية، لذلك اختار "الحاج أحمد" سجل انتصارا مزدوجا لكال غلا لهزيمتهم التايطوق من جهة، وللمحافظة على تقاليد نقل السلطة وإرجاعه عن طريق رابطة الأم (الرحم) وأولويتها كمبدأ لشغل السلطة³، كما لم

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 111 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 64

² Benhazera M. : Op. Cit., p. 111

³ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 369

يهضم التايطوق إبعادهم من تولي السلطة مما ولد لديهم الشعور بالظلم وهو ما عكر العلاقات بين الطرفين¹.

وتذكر المصادر أن الصراع على السلطة بقي حتى بداية القرن 20م محصورا بين قبيلة "التايطوق" من جهة وقبيلة "كال غَلا" من جهة أخرى، فحتى قبيلة "تجهي-مَلت" والت القبيلة الحاكمة "كال غَلا"، في حين بقيت قبائل الأتباع كما قسمها "سيدي أق محمد الخير" سابقا، لذلك كان التنظيم السوسيو-سياسي لكال أهقار في مطلع القرن 20م كما يلي²:

النبلاء الأسياد	كال أهقار كال غَلا	التايطوق التايطوق	تجهي-مَلت تجهي-مَلت
غير أسياد	الإيكاديين <i>Ikadeyen</i> الإيكيبين <i>Ikembiben</i> الإيهادانارن <i>Ihadanaren</i>	الإيغيمين <i>Igheccumen</i>	
القبائل الأتباع (دافع الضريبة) الإيسقمارن <i>Isaqqamaren</i>	كال تازولت <i>Kel Tazulet</i> ايهاياون-هادا <i>Theyawen-Hada</i> كال-إيمدير <i>Kel-Immidir</i> إيسلاماتن <i>Iselamaten</i> كال-أمغيد <i>Kel-Amegid</i> كال-إينغر <i>Kel-Ingher</i> كال-تيفيداست <i>Kel-Tifidest</i>	كال-إين-تتين <i>Kel-In-Tunin</i> الإيكتيسن <i>Ikutissen</i>	كال-إيهت <i>Kel-Uhet</i> كال-تيرريت <i>Kel-Terurit</i>
الإيمغاد <i>Imghad</i>	داق-غالي <i>Dag-Ghali</i> آيت-لواين <i>Ayt-Loawyen</i> أجهي-نتالي <i>Aguh-n-Tahlé</i> غلايدين <i>ghelayddin</i> إيكلن-نتاوسيت <i>Iklan-n-tawsit</i> إيبتناتن <i>Ibettenaten</i> إيرجناتن <i>Iregenaten</i>	كال-أهنت <i>kel-Ahnet</i> تجهي-نيفيس <i>Tégéhé-n-Efis</i> إيورورن <i>Iwerweren</i> إيكسمادن <i>Ikeccemaden</i>	

¹ في مثل هذه الظروف المشحونة داخليا في الأهقار لم يعبأ طوارق الأهقار لنداءات وتحريضات المقاوم الشريف "محمد بن عبد الله" (1851-1871م) لمقاومة الفرنسيين، لما نزل إلى جهة التديكلت في سنة 1860م، ورغم ذلك انظم إليه فوج من قبيلة التايطوق زعماء "سيدي أق غراجي" الذي أصيب إصابة بالغة في فخذه في معركة "عين طيبة". أنظر للمزيد:

Benhazera M. : Op. Cit., p. 114

² Benhazera M. : Op. Cit., p. 131-139 ; Foucauld Ch. De, Calassanti-Motylinski: Textes Touaregs. Op. Cit., p. 35

1-3 إصلاحات الأمنوكال الحاج أحمد في الأهقار.

لقد سجل في عهد الأمنوكال "الحاج أحمد" حدثين مهمين، الأول هو إعلان الحرب بين كمال آجر وكال أهقار، والثاني هو ميلاد المراكز الزراعية الأولى في الأهقار، وفيما يخص سبب الصراع بين كمال أهقار وكال آجر، هو أن هؤلاء الأخيرين لما عادت لهم السلطة السياسية بقيادة قبائل الأوراغن بعد أن تم طرد الإيمنان منها، لم يكتفوا بهذا فحسب بل ضيقوا كثيرا على من بقي مقيما منهم في الآجر، فلجأ هؤلاء إلى كمال أهقار في سنة 1872م¹، وعملوا على استجداء مضيفيهم للانتقام لهم من كمال آجر، وهذا بالبكاء المستمر لنساء الإيمنان واللواتي يقبلن بـ"التيمنوكالين *Timenukalin*" والفائقات الجمال اللواتي لا يرد لهن طلب، وهو ما أثار مشاعر الأشراف المحاربين للأهقار، ودموع السلطانة "تابروت *Taber'out*" هزت وشائج كل من كان له أدنى حماس في قضيتهم، فصرح لها "أهيتاغل أق محمد بيسكا *Ahitarel*": "...الآن ما دمت جئت إلينا فلن أرتاح حتى أكفكف دموعك"².

وبالفعل لما فشل الأمنوكال "الحاج أحمد" في محاولته لحل المشكل بالطرق الودية، أعلن الحرب ضد كمال آجر في سنة 1874م³، وربما كان هذا سببا بسيطا ليكشف عن خلاف مضمّر في نفوس الأهقار منذ زمن على كمال آجر التي احتكرت لوحدها امتيازات ومنافع القوافل التجارية المارة من جهتها. لقد كان هذا الصراع أهم حدث عند كمال أهقار في النصف الثاني من القرن 19م وتم تدوينه في أشعارهم بكثرة نقلها "دوفوكو" في كتابين⁴، هذا الصراع الذي استمر طيلة أربع سنوات كانت نتائجه وخيمة على كامل المنطقة، فتراجعت

¹ Benhazera M. : Op. Cit., p. 117 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 227

² Gabriel Gardel (Lieut.) : **Les Touaregs Ajjer**. Baconnier, Alger, 1961, p. 148

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 117

⁴ Foucauld Ch. de : **Poésie touarègues-Dialecte de l'Ahaggar**. T. 1, Leroux, Paris, 1925, 658p ; **Poésie touarègues-Dialecte de l'Ahaggar**. T. 2, Leroux, Paris, 1930, 461p

كثيرا التجارة العابرة للصحراء، كما فتح الصراع في داخل كمال أجر نفسها بين قبائل الأوراغن وقبائل الإمنغساتن¹ *Imanghasaten*.

يشار من جهة أخرى أنه لم تعرف أراضي كمال أهقار الزراعة إلا في منتصف القرن 19م، إذ تعود بداياتها الأولى ما بين سنوات 1840م و1860م، بمبادرة من الحاج أحمد لاستغلال بعض المساحات إلى ضفاف الوديان، وتشجيعا منه دائما حاول أن يشكل أول مجتمع فلاحي في منطقة "إدلس *Idélès*" من العبيد المحررين وحثهم إلى استغلال الأرض، لكن هذه المحاولة فشلت لأن هؤلاء الفلاحين الجدد لم تكن لهم الخبرة الكافية، ولا المؤهلات التقنية لمزاولة هذا النشاط، لذلك استدعى الحاج أحمد أهل الاختصاص من جهة توات وتيديكلت لتنشيط الفلاحة في منطقة الأهقار، مع السماح لهم بالاستقرار في الأهقار وممارسة حرفتهم، يتعلق الأمر كما سبق بفئة "الحراطين" ويسمون بالتماهق "الإيزقاغن *Izeggaghen*"، وانضمت لهم فئة أخرى من المرابطين من "أهل لآزي"، ولإادة ما ينادون بـ "كال لآزي *Kel-Ghezzi*"².

وبفضل هؤلاء المتمرسين في مهنة الفلاحة والمتحكمين في تقنية السقي بما يعرف "بالفقارة" (إيفيلي *éféli* بالتماهق) نجحوا في إنشاء مساحات حقول إلى ضفاف الوديان، وشكلوا أولى المجتمعات القروية في الأهقار واستندوا أهاليهم للإلتحاق بهم والاستقرار نهائيا بالأهقار³، وأحصى دوفوكو في بداية القرن 20م حوالي 300 عائلة من الفلاحين كلهم نزحوا من منطقة التيديكلت في مدة أقل من خمسين سنة⁴.

لقد كان لنشاط الحاج أحمد دورا فاعلا في تنشيط حركة الفلاحة في الأهقار، وإلى ما قدمه كذلك لأهل توات، فبالإتباره الأمنوكال صاحب السلطة وكذلك لسمعته كرجل دين

¹ Bary E. de : Op. Cit., pp. 20-32

² Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 84

³ Foucauld Ch. de et Calassanti-Motyliniski : Textes Touaregs, Op. Cit., p. 185

⁴ Foucauld Ch. de : Dictionnaire, Op. Cit., p. 632

أيضا الذي أعطاه احتراماً أكثر بين رعيته، مكن لهؤلاء التواتيين من الاستقرار في الأهقار الذي كان من قبل ممنوعاً على الأجانب، وهو من منحهم أرض "تازروك" *Tazruk* للاستقرار والعمل بها، وهو ينم في نفس الوقت على حنكة هذا الرجل أيضاً السياسية في قيادة رعيته، فموارد كمال أهقار قليلة خاصة مع تراجع التجارة العابرة للصحراء، وهو ما حتم على كمال أهقار أن تفتتح على المجتمعات المجاورة لتتفاعل معها وتصبح هذه الأرض مصدر رزق للجميع رغم التحول الاجتماعي الحاصل، ورغم النقلة النوعية في ملكية الأرض عند كمال أهقار، هذه السياسة المبتكرة للشيخ الحاج أحمد لها أهمية معتبرة في تاريخ كمال أهقار.

تولى "أهيتاغل أق محمد بيسكا" الحكم بعد (ابن خالته) الحاج أحمد في سنة 1877م، فهو ابن "أمانة" البنت الثالثة لـ"سيدي وكلة" و"محمد بيسكا" من قبيلة "تجهي-ملت"، وحسم هذا الأملوك الجديد الصراع سريعاً مع كمال آجر بعقد الصلح والسلم معهم في سنة 1878م، والذي يعود الفضل فيه -حسب الرحالة الفرنسي "إروين دو باري" الذي كان حينها في الآجر- لوساطة كثير من رجال الدين الذين أرادوا جمع الشمل وتوحيده لمواجهة خطر داهم يهدد الجميع، ويتعلق الأمر بالتوغل الفرنسي في الصحراء¹.

1-4 قضية "الحاج أحمد" عند كمال أهقار:

الدور الحاسم الذي لعبه الحاج أحمد في تاريخ كمال أهقار حيز له مكاناً بارزاً في الذاكرة الجماعية لقبائل هذه المنطقة، فهو الأملوك منذ 1860م إلى غاية سنة 1877م تاريخ وفاته، وفي سنة 1878م خلفه ابن خالته "أهيتاغل أق بيسكا"، وكما سبق ذكره أن تولية الحاج أحمد على كمال أهقار شكل تحولاً مهماً في تاريخ كمال أهقار، بتثبيت السلطة لعشيرة كمال غلا ولاحترام مبدأ نقل السلطة بواسطة الرحم حتى لو كان أجنبياً عن كمال أهقار،

¹ Bary E. de : Op. Cit., pp. 83-84 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 69

باعتبار أبيه من قبيلة كمال إيفوغاس، هذه الأخيرة التي لها دور حاسم في تاريخ الصحراء ماضيا وحاضرا.

بالعودة إلى أصل نسب الحاج أحمد فهو ينتمي لكال غلا من جهة أمه "زهرة" بنت "محمد الخير، وكلة"، ولكن من جهة أبيه فهو ينتمي إلى قبيلة الإيفوغاس وبالأخص من عائلة متدينة (مرابطية) التي استقرت في الأجر في منتصف القرن 18م ولعبت دورا مهما في الصحراء الوسطى، والجد الأعلى المعروف لعائلة الحاج أحمد يدعى "سي أحمد السوقي" (وبالتالي ينسب إلى كمال السوق)¹، الذي ترك الأداغ في منتصف القرن 18م مع باقي الإيفوغاس (تحت ضغط من طوارق الإيولميدن)، واستقر في الأجر ويوجد قبره في مدينة غدامس أين تم تحويله إلى ضريح في بداية القرن 20م تبجيلا وتمجيذا له².

شجرة النسب للحاج أحمد³

سي أحمد السوقي بن محمود

سي محمد

محمد بوياء

الحاج الفقي

الحاج البكري

سيدي موسى

سيدي يامة

الحاج أحمد عشاوي، الحاج أحمد، الشيخ عثمان

سيدي موسى بن سيدي يامة

¹ الحاج أحمد ابن الحاج البكري ينتمي للقبيلة المرابطية الإيفوغاس المنتشرة في الأجر والأداغ، والإيفوغاس ينقسمون إلى ثلاثة فروع رئيسية وهي: "إيفوغاس-ن- إيغداد *Ifoghas-n-Egdad*"، و"إيفوغاس-ن-إيتيبال *Ifoghas-n-ettebel*"، و"إيفوغاس-ن-أوكيرن *Ifoghs-n-Ouqqiren*" ولهذه الأخيرة تنحدر قبيلة "كال السوق" من أصل الأداغ، وهجرة هؤلاء نحو الأجر كانت في مرتين، الهجرة الأولى تعود إلى القرن 14-15م في عهد توسع إمبراطورية صنغاي على الأداغ، والثانية نحو 1650م تحت ضغط قبائل الإيولميدن التي استقرت في تمبكتو ثم وفد جزء منهم إلى الأجر ومنها أسرة الجد الأكبر "الحاج السوقي" الذي قبره في غدامس. أنظر للمزيد: Richer A. : *Les Touaregs du Niger* (Region de Tombouctou-Gao). Les Ouillimiden. Larose, Paris, 1924, p. 53 ; Gardel G. : Op. Cit., p. 49

² Gardel G. : Op. Cit., p. 49

³ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 365 ; Pandolfi P. : Op. Cit., p. 404

لقد كان لهؤلاء (السلالة) هالة دينية مهمة جدا في الصحراء، فكلهم ورثوا "البركة" عن جدهم الأول، وواصلوا على نهجه، بل وكانت لهم كرامات جلبت لهم ولاء الناس ومحبتهم، وبهذه المكانة الدينية الرفيعة سمحت للبعض منهم أن يلعب دورا سياسيا مهما في الصحراء الوسطى، مثل ما هو الحال للشيخ عثمان أخ الحاج أحمد، أما جدهم "الحاج الفقي" فكانت شهرته تملأ الآفاق من عين صالح إلى غدامس، ولما توفي أباه "محمد بوياء" دفن في ساحة سوق "وادي سوف"، واستقر هو في "قصر العرب" ليستكمل العديد من كراماته، وهو الذي بنى "تماسنين"، ولكن يعود الفضل لإبنة "الحاج البكري" الذي منح هذه الزاوية شهرتها وقيمتها، وبفضل هذا الرجل الورع والذي يحظى باحترام الجميع كانت "تماسنين" في مأمن دائم من الغزوات التي تتم بجوارها.

توفي الحاج البكري في سنة 1831م وكان قريبا من سن المئة¹، ويوجد قبره في "واد بوتة *oued Botha*" غرب جبل "إجيران *Idjerane*" بين "أمغيد وعين صالح"، أما أخوه الصغير (الحاج البكري) "سيدي موسى" فكانت حياته مشرقة أيضا وله العديد من الكرامات ولكنه توفي صغيرا ودفنه والده (الحاج الفقي) في "تماسنين"، وتقريبا من وادي سوف إلى الأهقار ومن الأجر إلى عين صالح لا يحلفون إلا "بسيدي موسى"².

وآخر هؤلاء الثلاثة الحاملين للبركة من أجدادهم هو "سيدي يامة *Sidi Yemma*"، مشهور كذلك بورعه وكراماته في كامل الصحراء، ولكن لإبنة "سيدي موسى بن سيدي يامة" من تعود له الشهرة أكثر، ودفن في قبة مماثلة ومجاورة لعمه في "تماسنين" وأخيرا "الحاج أحمد عمشاوي" ويلقب أحيانا بـ"وان توات *Ouan Touat*" أي "الذي من توات" لأنه قضى معظم عمره في توات، كما له شهرة وورع والعديد من الكرامات³.

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 405

² Gardel G. : Op. Cit., p. 105

³ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 405

نفس الشيء ينطبق على محدثنا "الحاج أحمد" الذي عرف عنه تدينه وورعه، وكذلك اكتسابه الكثير من الكرامات، جعلته محط احترام جميع كمال أهقار، وظل قبره مزارا لهم للتبرك به وطلب حاجاتهم¹، وتذكر الروايات أنهم يُوقون في طلباتهم هذه، وهذا ما جعله يحظى بتسلم قيادة كمال أهقار رغم كونه أجنبيا (من جهة الأب طبعا)، حتى هو نفسه لم يتتكر لأصوله بل ظل وفيا لها وهو ما بينته نصرته لقبائل "الإيمان" وأدخل كمال أهقار في حرب ضد إخوتهم من كمال آجر سوى ليرضي نساء "الإيمان" الباكيات.

هذه الحرب التي استمرت لأربع سنوات عانت خلالها المنطقة إقتصاديا بسبب توقف قوافل التجارة لانعدام الأمن، وهو الأمر الذي تنبه له "أهيتاغل أق بيسكا" (الذي سيخلفه من بعده) الذي سئم هذه الحرب باعتباره قائدا للمحاربين، وأصبح يبدي نوعا من المعارضة لسياسة "الأمموكال الحاج أحمد" خاصة في السنة التي مرض فيها، لأنه زج بكال أهقار في حرب ليست لهم، لذلك في نفس السنة (1878م) التي تولى فيها "أهيتاغل" حكم الأهقار توقفت الحرب ضد كمال آجر وعاد السلم بينهم².

لذلك بدا الأمر أن إصرار "الحاج أحمد" في حربه هذه، هو الانتقام من كمال آجر الذين طردوا الإيمان من الحكم ومحاولة إرجاعه لهم ربما، في نوع من العصبية ومشاعر الانتصار للعشيرة، وهذا على حساب كمال أهقار، لذا "قد يكون ربما" أهيتاغل هو سبب وفاته، لأنها تعددت روايات وفاة "الحاج أحمد" بين قائل أنه توفي في إحدى المعارك ضد كمال آجر³، لكن الرواية الشفوية عند قبيلة "داق غالي" تقول أنه توفي في مخيمه الواقع قرب وادي "ترهنانت" بسبب المرض، ومعظم رجال كمال أهقار كانوا غائبين لأنهم ذهبوا لمعركة

¹ يوجد قبر الحاج أحمد المتوفي سنة 1877م، على هضبة صغيرة قرب واد ترهنانت *Terhenanet* الذي يبعد حوالي 8 كم عن شمال هذه المدينة التابعة لأراضي قبيلة داق غالي. أنظر للمزيد: Pandolfi P. : Op. Cit., p. 406

² Benhazera M. : Op. Cit., p. 122

³ Benhazera M. : Op. Cit., p. 121; Keenan J. : Op. Cit., p. 71

ضد كمال آجر تحت قيادة "أهيتاغل" (معركة أوجميدن *Oudjmiden*) ورجح "باندولفي" هذه الرواية بحكم قبر الحاج أحمد في هذا المكان¹.

تحتفظ الروايات الشفوية عند كمال أهقار أن الأمنوكال "الحاج أحمد" كان في خلاف مع الأمنوكال الذي قبله "أق ماما" ومع الذي بعده "أهيتاغل"، و(الكرامات؟؟) التي حدثت له معهما، سجل باندولفي هاتين القصتين، فمرة في عهد الأمنوكال "أق ماما" وقع خلاف في قبيلة داق غالي لاقتطاع الضريبة، وتدخل حينها الحاج أحمد معارضا أوامر "أق ماما" وترك المخيم، وفي الغد عندما كان "أق ماما" مستلقيا جاء ثعبان كبير والتف على جمجمته ولم يقدر أحد أن يفكه، وبقي الأمر هكذا ليومين، لذا أرسل "أق ماما" في طلب الحاج أحمد، وبعد أن ترجوه بالقدوم عاد وما إن وصل حتى خاطب الثعبان: "إنسان حرر الإنسان الآخر"، فتركه الثعبان وذهب، وتصالح الرجلان وقبل أق ماما إعتراضات الحاج أحمد السابقة².

أما قصته مع أهيتاغل فتذكر الرواية أنه لما كان الأمنوكال "الحاج أحمد" مريضا جدا لقربة السنة، إضافة للممارسات الشريرة" لأهيتاغل ضده، أخبره بعضهم أن شابا يدعى "سليمان" في عين صالح يتكلم الناس عنه اكتسابه مواهب غير طبيعية وخارقة، فأرسل في طلبه، ولكنه قبل أن يصل توفي "أق ماما"، وبقي "سليمان" هذا في خدمة الأمنوكال الجديد "أهيتاغل"، ومرة أراد هذا الأخير أن يزور قبر "الحاج أحمد"، ورغم نصيحة سليمان له بأن لا يفعل ذهب، ولكن ما إن إقترب حتى خرج ثعبان كبير من القبر وطارد جمل "أهيتاغل" الذي ولى هاربا فزعا وعاد الثعبان للقبر، فطلب من سليمان الذي شهد الواقعة تفسيرا، فأخبره بأن الثعبان لم يكن سوى الحاج أحمد نفسه وسأله: "لما المتوفى غاضب منه هكذا، فصرح

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 403

² Ibid., p. 408

"أهيتاغل" صراحة أنه كان سبب مرضه ووفاته. فنصحته سليمان بأن لا يغامر ليزور القبر مرة أخرى¹.

علق باندولفي على هاتين القصتين فيما يخص كرامات الحاج أحمد في خلافه مع الرجلين فقط، وبأنه في كلتا المرتين ظهر الثعبان (نفسه) لينصره على أعدائه، وبدا أن الرجل يمتلك مواهب غير طبيعية لم يمتلكها أي أمنوكال قبله، لذلك شغل هذا الرجل الرتبة نفسها مع الأمنوكال "موسى أق أمستان" (خلف أهيتاغل)، حيث يتداول كمال أهقار عن موسى أنه لم يكن رجلا طبيعيا كونه يعرف "الغيب" وبأن له علاقة مع الجن².

ولم تتم الإشارة لتصريح أهيتاغل بشأن أنه المتسبب في مرض ووفاة الحاج أحمد، رغم أن الذاكرة الشفوية عند كمال أهقار احتفظت بالروايتين، لتثبت كرامات هذا الرجل، ولا ندري أهى حقا كرامات أم دجل، لأنه لم يعرف في كرامات أولياء الله أن ينصرهم الثعبان، ثم هل جميع نسل الجد الأول "سي أحمد السوقي" لهم كرامات وخوارق غير عادية، هل ورثوا فعلا البركة أم ورثوا شيئا آخر، من ضروب السحر والشعوذة ولعبوا بعقول الناس البسطاء المحدودي الفهم في الدين، كما أن هناك من يقول أن قبائل الإيفوغاس هذه منذ أن كانت في موطنها الأول بالأدرار (الأداغ) في القرن 17م كان يحترمهم الناس لشرف نسبهم من جدهم الأول "عيطة Aitta" المنحدر من أشرف تافيلالت، لكنهم لم يصلوا للمكانة الدينية التي كان

¹ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 409

² ربما قد يكون أثر فيه "سليمان" صاحب الخوارق، لأنه عمل مع العديد من رؤساء كمال أهقار ومنهم أهيتاغل وموسى أق أمستان، وحسب الرواية الشفوية لقبيلة "أجهي نتالي" كان معارضا للتعرض لحملة كوتنست Cottenest في معركة تيت 1902 التي انهزم فيها كمال أهقار، في حين دوفوكو يذكر العكس أنظر للمزيد: Pandolfi P.: Les Touaregs, Op. Cit., p. 409 ; Foucauld Ch. de : Textes Touaregs. Op. Cit., p. 253 ; Marceau Gast : «Histoire de Moussa ag Amastane. Racontée par Khabti ag Abahadj, de la tribu des Dag Rali» **B.L.S.**, T. 11, N° 41, Mars-1961, pp. 70-76

يتمتع بها قبائل "كال السوق" المرابطية حينها، كما أنهم لم ينخرطوا في الشؤون الدينية للمجتمع حينها لأن القليل منهم من كان متعلما أو فقيها¹.

تذكر التقارير الفرنسية أن الشيخ عثمان (أخ الحاج أحمد) القائد الروحي لكال آجر (شيخ زاوية تماسنين) ورجل ثقة الأموكال "إخنوخن" (كال آجر) ساهم بشكل كبير في نفوذ السلطات الاستعمارية في عمق الصحراء، فهو من سهل عقد "الإتفاقية التجارية" بين فرنسا وكال آجر في سنة 1862م لتصدر فرنسا منتجاتها التجارية لبلاد السودان والصحراء والولوج للتجارة العابرة للصحراء، وكان قبل ذلك هو من أمّن حياة المستكشف الإنجليزي "ألكسندر غوردون لانج *Le Major Alexandre Gordon Laing*" في رحلته من غدامس إلى عين صالح في سنة 1826م-1827م لما كان نازلا إلى تمبكتو، وبتكليف من القنصل الإنجليزي هو من تولى البحث عن وثائق رحلة "لانج *Laing*" لما قتل في رحلة عودته من تمبكتو، وتسلمها منه القنصل الإنجليزي بطرابلس²، وهو من أمّن حياة المستكشف الفرنسي "هنري ديفاييري *Henry Duveyrier*" في بلاد الأجر ورافقه في رحلاته وزوده بمعلومات مهمة عن حياة الطوارق التي أصدرها في كتابه "طوارق الشمال"، وتكريما لخدماته زار فرنسا وقلده نابليون الثالث وسام وشهادة الشرف³، رفقة اثنين آخرين من الإيفوغاس وتم نسبتهم إلى قبيلة كال السوق⁴.

¹ يذكر الضابط الفرنسي Deporter V. في سنة 1890م أن إقليم الأداغ ينقسم إلى 5 جهات، وفي الجهة الشمالية منه المحاذية للأهقار تقطنه قبائل الإيفوغاس إيفرقمو□ن Ifurgumusen وعرب الأتواج والمشاركة Mouchakara، كما أن قبائل الإيفوغاس ليسوا □يادا في هذه المنطقة بل تابعين لكال أهقار لدفعهم ضريبة الغفارة (أي تويسي Tiswé)، كما أنه لا يعتبرهم من طبقة رجال الدين وإنما محاربون ويصفهم بأنهم "لصوص ومتمردون كثيرا في الصيد". أنظر للمزيد : Bellil R. : Op. Cit., p. 74 et p. 233 Citant Deporter V. (Commandant) : Extrême sud de l'Algérie. Ed. Fontana et Cie, Alger ; 1890, p. 360

² Duveyrier H. : Op. Cit., pp. 363-364

³ ANOM, Carton 22H26, Correspondance du Gouverneur Général de l'Algérie Péliissier Duc de Malakoff au Maréchal Ministre de la Guerre, Alger, le 12 mai 1962, 3 p.

⁴ □امت الشهادة الشرفية المكتوبة باللغتين الفرنسية والتماشاق بتاريخ 10 جوان 1862م، تحمل □ماء: "□ي عثمان بن الحاج البكري"، و"□ي محمد بن □يدي مو□ي"، و"□ي محمد بن احمد"، وتم نسبتهم لقبيلة كال السوق (الأداغ) وليس كال إيفوغاس المعروفون بها في الأجر والهقار (فرع). أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H26 ؛ (ملحق رقم: 3-4)

لم يكن الشيخ عثمان رجل دين فحسب بل كان تاجرا كبيرا في المنطقة، وله نفوذ كبير في المنطقة، وذكر هنري ديفاريي بأنه كانت هناك قبيلتين كبيرتين تونسييتين من نفزوة (الغوريب *les Ghorib* ، والمرازيق *les Merazig*) كانتا تدفعان الضريبة؛ الأولى للشيخ إخنوخ، والثانية للشيخ عثمان¹، حتى يتجنبنا الغزو عليهما لأن قبائل الإيفوغاس أصبح لها قوة معتبرة في كمال آجر، ولكن لما توفي الأموكال "إخنوخ" تم التصيق على هذه القبائل من الإيفوغاس بل طرد عدد منها خارج الآجر ليستقروا في الوادي، وأصبحت قبائل الإيفوغاس عرضة للغزوات والسلب والنهب من قبائل الأوراغن والإيمنغساتن.

ولما توفي الشيخ عثمان، كتبت إبنته "فاطمة" رسالة بتاريخ 15 جوان 1896م، إلى الحاكم الفرنسي الجنرال دولاروك *Dularok* تخبره فيها بأنها على نهج أبيها في مواصلة العلاقة مع فرنسا مذكرة إياه أن الفضل يعود لأبيها بأن أوصل الفرنسيين إلى الآجر وحتى الهقار²، وفتح لهم الطريق للتجارة عبر الصحراء ولكنها تطلب منهم الثأر لقبيلتها الإيفوغاس من غدر الإيمنغساتن بعد أن استقروا بإقليمهم لأكثر من 3 سنوات وتقر بأنها "فاطمة ابنة حبيبكم عثمان" الذي توفي وهم فقط من يعوضها عنه³.

لقد كانت كذلك زاوية "تماسنين" التابعة لهم، مصدر تموين ومقر إقامة الحملات العسكرية الفرنسية التي كانت تجوب الصحراء بغرض الإستكشاف أو لفرض السلم والأمن والخضوع، وفي موقع تماسنين (زاوية قمار) شيد الفرنسيون حصنا لهم في سنة 1903م، ثم سمي بحصن فلاتر وبعد الاستقلال سمي "برج عمر إدريس"⁴.

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 354

² رسالة من الشيخ عثمان للسيدتين الجنرال ميرشر *Mircher* والعقيد بولينياك *Polignac* يخبرهما أنه اتصل بطوارق الهقار وأخذ منهم العهد للتعاون معهم، وبأنه تعذر في مراسلتهم لأنه ذهب إلى طرابلس وغدامس ثم ألم به المرض حتى وجد رجل ثقة أرسل معه الكتاب وهو "الحاج محمد بن كربت"، الذي التقى به في عين صالح حتى يوصله للقائد في غرداية بتاريخ شهر شعبان 1280هـ / 1863م. أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H26

³ رسالة من فاطمة بنت عثمان إلى الجنرال دولاروك حاكم مقاطعة قسنطينة وصرائها بتاريخ 15 جوان 1896، أنظر للمزيد: ANOM, Boite 22H29، (الملحق رقم 13)

⁴ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 238

الملاحظ كذلك أن قبائل الإيفوغاس لم يعرفو مستقرا ثابتا فقد طردوا من الأداغ ومن الأجر وحظي القليل منهم فقط بالاستقرار في الأهقار، ولا ندري لما يفعل بهم هكذا لأنهم قبائل مرابطية لا شأن لهم بالحرب، أم لدساتسهم في الحكم والتجارة.

هناك من يذهب إلى القول بأن مصطلح "إيفوغاس *Ifoghas*" كان في الأول دلالة على مكانة اجتماعية (بمعنى المرابطون والمحاربون في نفس الوقت) مثل الباحثة كلودو هاواد¹، وبيار بوايي² 1999م (حسبه أن مصطلح إيفوغاس مشتق من تيفوغاسا *tefoghassa* الذي يعني النبل والشرف)، ولحق بهم شارل قريمون معتمدا نفس رواية المرابط الكنتي "محمد ولد سيدي هيب الله" الذي نقل عنه الضابط "موريس كورتيي *Cortier M.*" في سنة 1908م، بالقول بأن أصل إيفوغاس هم من سلالة رجل مرابطي من الأبير يدعى "رياق *Reyak*" ومنه قبيلة "إيريكان *Ireyakan*" وهو رجل شريف من تافيلالت³، وحظي هؤلاء الإيريكان بحظوة القرب من حاكم الأداغ حينها المدعو "كاريدينا *Karidenna*" وقويت شوكتهم، ويحتفظ الإيوليمدن في ذاكرتهم أن الإيريكان كانوا الحلفاء الأوائل لهم، بل هناك رواية نقلها شارل قريمون في سنة 2001م عن السيد "موراز أق أبلال *Moraz ag Abelal*" من "كال أقداش *Kel Egadash*" يؤكد فيها بأن أخت كاريدونا هي أم الإيريكان، وبالتالي جمع هؤلاء الإيريكان بين النبل والحرب وسموا "إيفوغاس" كرتبة جديدة⁴.

وحسب الباحث "بادي ديدة" أن امرأة من فرع "كال تيلابيت *Kel Telabit*" من قبيلة "تاغات مالات *Taghat Mallat*" المهمة في الأداغ والمسماة "آنا ولت إدا *Anna wellet*"

¹ Claudot Hawad H. «Adrar des Iforas», **Encyclopédie Berbère**, N° 2, 1985, pp. 147-153

² Pierre Boilley: **Les Touaregs Kel Adagh**. Dépendances et révoltes : du Soudan français au Mali contemporain. Karthala, Paris, 1999, p. 48

³ Cortier M. : Op. Cit., pp. 378-381

⁴ Charles Grémont : Op. Cit., p. 107

Idda هي أم الإيفوغاس لما تزوجت من "عيطة *Aitta* أو من ابنه غبدو السالم *Ghabdu Assalam*"¹.

وهناك من يعتبر أن قبيلة "داوساحك *Dawsahak*" المقيمة حاليا بدائرة "مناكا *Ménaka*" (إزغارت *Ezgaret*، وأساكاري *Asakkarey*، والأزواغ *Azawagh*) بمالي والمعتبرة أقلية صغيرة من بين فروع قبائل الطوارق، أنها تشترك مع كمال السوق وبالأخص "الإيفوغاس" في الجد "عيطة *Aitta*"² (*Intalla*) رئيس الإيفوغاس في كيدال لديه نص مكتوب بالعربية عن قصة انتمائهم إلى عيطة³)، وبأنهم من اليهود الذين كانوا قديما في صحراء توات والمغرب، وبأن إسمهم "داوسحاق" أي "داق إسحاق *Dag Isahak*" وتعني بنو إسحاق⁴، نسبة للنبي إسحاق بن النبي إبراهيم، وحسب المختص في الديمغرافيا "أندري شافونترى *André Chaventré*" الذي درسهم في سنة 1972م قال بأنهم بيض وشقر ودائما ما تجد أعينهم زرقاء أو خضراء، ما ينفي أصلهم السوداني أو من الجرمة *Djerma*⁵.

تبقى هذه الآراء والأطروحات مرجوحة بين الإنصاف والمغالاة بين هؤلاء الباحثين حول دور قبائل الإيفوغاس في الصحراء، لكن بالعودة لشخصية "الحاج أحمد" يبدو وكأن الرجل كان يخطط منذ زمن لتولي شؤون الأهقار، فزيادة على توفر شروط انتقال السلطة والمكانة الدينية التي يحظى بها، كان يعمل بالموازاة على أن يستثمر في ذلك الصراع القديم حول السلطة في الأهقار بين سلالة صالح الممثلة بـ "آق ماما" المحتكرة للسلطة حينها وبين كمال أهل من المحتكرة لعائدات التجارة المارة بالأهقار الممثلة بفرعها الجديد الإيبوغلن

¹ Charles Grémont : Op. Cit., p. 107 citant Dida Badi : «Les mythes de fondation chez les Touaregs : les Ifoghas de l'Adagh», Document mis en ligne en septembre 2002 sur le site Kidal Info (<http://www.Kidal.info>), 16 p.

² Charles Grémont : Op. Cit., p. 118 citant entretien avec Mahmud ag Bobaz, chef des kel Tabho, Ader-n-bukar, le 12-03-1997

³ تعتبر قبائل إيفوغاس الأداغ أن "محمد المختار عيطة" كجد أعلى لهم، الذي ينحدر من سلالة الأشراف بحسب الروايات الشفوية. أنظر للمزيد: **Encyclopédie Berbère**, Badi Dida.: « Ifoghas (Ifughas, Ifoughas, Iforas)», N° 24, 2001, pp. 3649-3657

⁴ Cortier M. : Op. Cit., p. 392

⁵ André Chaventré : Op. Cit., pp. 29-30

وسيدهم "ولد بيسكا" المنتمية لكال غلا أيضا (زواج ختية من كال غلا)، لذلك أراد "الحاج أحمد" أن يؤسس لمورد اقتصادي بديل يجعله يتحاشى ضغوطات مناوئه في السلطة "محمد غراجي"، وهو ما وجده في بعث نشاط فلاحي في الهقار عن طريق العبيد المحررين أول الأمر ثم لما تولى السلطة استدعى الفلاحين المختصين من حراطين توات والتديكلت ومرابطي أهل عزي أيضا.

لذلك تبدو هذه التحولات التي عرفها البدو-الرحل-المحاربون لطوارق الأهقار في نهاية القرن 19م، كان سببها ذلك الصراع بين سلالة صالح على زعامة كال أهقار، وأمام إقصائهم من عائدات التجارة العابرة للصحراء ولمواجهة ضعف مجموعتهم أمام سيطرة الإيبوغلن ورئيسهم "محمد ولد بيسكا"، الذي كان سيد المحور التجاري بين المزاب ومدن الهاوسا المار بالهقار في سنة 1845م (حسب رحلة الضابط أوجان دوما *Daumas E.*). قام الأمنوكال "الحاج أحمد" الذي أعقب "أق ماما أو (غمامة)" بالاستثمار في أراضي الأهقار لإعطائها قيمة إنتاجية أكثر تعويضا لما فقده من التجارة وذلك عن طريق الاستعانة بفلاحين منحدرين هم أنفسهم من الشرفاء والمرابطين، وبالتالي استطاع الحاج أحمد تعزيز مركزه في إدلس إقتصاديا وديموغرافيا أيضا، ثم تم توسيع التجربة على كامل المراكز الأخرى المجاورة والتي ستشمل أيضا حتى أراضي مناوئيه على السلطة لتصبح ظاهرة عمت كامل الأهقار¹.

وقد تكون هذه المنافسة السياسية المستمرة (الخفية) نفسها بين الحاج أحمد وخليفته من بعده "أهيتاغل أق بيسكا" بدعم الفلاحة من جانبه أيضا، وذلك من خلال دعم سياسة توطين فئة الحرفيين الحدادين من سلالة الأمين ومنحهم أراضي ليفلحوها في الأهقار هم كذلك².

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 374

² Ibid, p. 394

هذا العامل الاقتصادي في الصراع الذي أحدث هذه الظاهرة الجديدة في حياة مجتمع بدوي رعوي ستتدعم بأخرى متمثلة في استغلال ملح الأمدغور إلى أسواق الجنوب من الصحراء في بلاد الهاوسا من طرف الأمنوكمال "أهيتاغل ولد بيسكا" الواصل بدوره للحكم من الطرف الآخر لكسر التحالف القديم مع الكنتة، وسيقودها بالاعتماد على العبيد أولاً ثم مربي الماشية "كال أولي" في الأهقار بعدها، والتي ستشجع القطاع الفلاحي أيضاً. وتعيد ربط العلاقات التجارية مع بلاد السودان كما كان يفعل أسلافهم لعدة قرون سابقة إلى غاية نهاية القرن 18م.

الفصل الثاني: تاريخ الاستعمار الفرنسي لكال أهقار

2-1 فشل محاولات التوغل الأولى:

لقد كان التوسع الاستعماري الفرنسي في عمق صحراء الجزائر بطيئا وحذرا في نفس الوقت، إذ لم يبسط سيطرته الكاملة فيها حتى بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى، وهذا لزيادة تكاليف التوغل في صحراء شاسعة مع ظروف طبيعية قاسية ومجهولة، وكذلك لتواضع قيمتها الاقتصادية باستثناء عائدات التجارة العابرة للصحراء وقتها¹، واستمرار مقاومة القبائل وخاصة من طوارق الأهقار الذين تصدوا بعنف للرحلات الاستكشافية المارة بمناطقهم، لعل أهمها بعثة فلانتر *Flatters* الثانية في سنة 1881م التي أبيدت بالكامل تقريبا، وجعلت فرنسا تعيد حساباتها وتوقف هذه البعثات لمدة 20 سنة²، ومن بعدها إلغاء فكرة ربط مستعمرة الجزائر بمستعمرات إفريقيا الغربية الفرنسية (*AOF*) عن طريق مد خط للسكة الحديدية، والتي كلف الجنرال فلانتر باستكشاف المنطقة ووضع مخطط لها.

عملت السلطات الفرنسية في مجابهة خطر الطوارق وإضعاف قوتهم بالتضييق عليهم وحصارهم، فالتوسع الاستعماري كان من جهتين، تمكنوا خلالها من بسط سيطرتهم في الشمال على الأغواط في سنة 1852م، المزاب في سنة 1881م، وكذا ورقلة وتقرت والوادي في سنة 1885م، والقولية في سنة 1886م، وعين صالح في سنة 1899م، شكلوا من خلالها عدة حصون صحراوية (لالمان *Fort Lallemand*، ميريبال *Miribel*، ماك ماهون *Mac-Mahon*... إلخ) كما قوا حضورهم في الجنوب التونسي.

¹ ذكر النقيب "ميتوا Métois" أن التوغل العسكري في الصحراء ليس له هدف إلا فتح الطريق للتوغل التجاري، الذي يبقى الفائدة الوحيدة للبلد في آخر المطاف. أنظر للمزيد: «La Pénétration dans l'Afrique centrale par le Sahara». **B.S.G.A.**, N°1, 1902, p. 32 pp. 32-48

² عرف التوغل في الصحراء أوجه في عهد حكومتي الماريشال "راندون Randon 1851-1858" والماريشال "بيليسيبي دوك دومالاكوف Pélissier duc de Malakoff 1860-1864م"، لكن هذه الحركية باتجاه عمق الصحراء عرفت ترجعا خاصة بعد الأزمة الاقتصادية 1870م، ثم لحادثة فلانتر 1881م، ثم الحملة التي قام بها طوارق التايطوق وكال أهنت يوم 8 أوت 1887م، أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H28

ومن جهة الجنوب الغربي تتبعوا نهر النيجر وأحكموا السيطرة على مدينة بامكو في سنة 1893، وتمبكتو في سنة 1894م، وساي Say في سنة 1896م، وزندر Zinder في سنة 1899م¹، وأمام هذه الوضعية وجد طوارق الأهقار أن مراكز تموينهم قد أصبحت بأيدي أعدائهم، خاصة أسواق عين صالح والوادي وتمبكتو، وهو ما يحتم عليهم التفاوض مع السلطات الاستعمارية إن أرادوا التزود بحاجاتهم.

أدرك كمال أهقار أن الدور سيأتي عليهم لا محالة، وكمحاوله منهم لدفع هذا الخطر بحثوا عن حليف يستعينوا به، فأرسل الأمنوكال "أهيتاغل" رسالة إلى سلطان المغرب بفاس يخبره بأنه تحت ولائه²، رغم أن المفاوضات مع الفرنسيين كانت مستمرة، وهذا بعد حادثة "فلاتر"³ مباشرة، لأن الأمنوكال "أهيتاغل" كان يدرك أنه لو سقطت منطقة التيديكلت (عين صالح) تحت نفوذهم سيتضرر كمال أهقار كثيرا، لذلك أرسل في سنة 1892م مبعوثه "عبد النبي" ممثل الطريقة التجانية في الأهقار، برسالة إلى "سي العروسي" شيخ زاوية "قمار" التيجانية ليتوسط له مع الفرنسيين ويعمل بنصائحه كاملة⁴، هذا الأخير الذي جمع كمال أهقار وكال آجر في اجتماع واحد (ميعاد) بغرض الاتفاق على بنود التفاوض مع السلطات الفرنسية وتفعيل "اتفاقية التجارة" لسنة 1862م بين كمال آجر وفرنسا⁵، لكن قبائل التايطوق

¹ وفقا لاتفاقية 5 أوت 1895م بين الانجليز والفرنسيين تم بموجبه منح أراضي صحراوية جديدة للممتلكات الفرنسية، ومن أجل مباشرة احتلالها قرر الحاكم العام للجزائر "كامبون Cambon" إعادة تنظيم المقاطعات الثلاث، قسنطينة والجزائر ووهران، وتم بموجبه منح أحقية التوغل في منطقة توات والتديكلت لمقاطعة وهران، ومن ثم التوغل في أراضي الطوارق الذين قطع الاتصال معهم منذ القضاء على حملة فلاتر 1881م، كما تم إنشاء المركز العسكري في القولية، وإعادة تنظيم ملحق الوادي الذي أنشئ منذ سنة 1885م. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Exposé de la politique suivie dans l'extrême sud de l'Algérie par Monsieur Cambon Gouverneur Général, Alger, le 15 avril 1895, 10p

² علمت السلطات الفرنسية بهذه الرسالة من خلال مخبريهم من الإيفوغاس فقد أرسل "عبد النبي" رسالة إلى "سي العروسي" شيخ زاوية "قمار" التيجانية بهذا الأمر، أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H28, Correspondance du Général de La Roque Commandant la Division de Constantine à M. Le Gouverneur Général de l'Algérie, Constantine, le 03 juin 1893. 4p.

³ تزامنت حادثة إبادة بعثة فلاتر مع انطلاق ثورة أولاد سيدي الشيخ، التي كان لها أنصار كثر من الشعبانية والطوارق، وأمر التنسيق المسبق بين الطرفين غير مستبعد حسب ديفاييري. أنظر للمزيد: René Pottier : **Un prince saharien méconnu : H. Duveyrier.** Ed. Plon, Paris, 1938, p. 143

⁴ ANOM. Carton 22H28

⁵ Idem.

بقيت مصر على عداوة الفرنسيين بزعامة قائدهم "محمد أق غراجي"¹ وحليفه المرابط عابدين الكنتي²، كما هو الحال مع كمال آجر والسلطان أمود كبير قبائل الإيمنان³.

2-2 علاقة التيجانية بالاستعمار الفرنسي:

تشير معظم التقارير الفرنسية أن للتيجانية⁴ دور كبير في التقريب بين الطوارق والحكومة الفرنسية، خاصة زاوية "قمار" بالوادي الشيخ "سي العروسي بن سي محمد

¹ محمد ولد قاراجي *Garadji* 45 سنة (في سنة 1893م) متزوج بدون أولاد، رئيس قبيلة التايطوق المقيمة بأهنت *Ahnet*، تخلى عن الطريقة التيجانية والتحق بطريقة صاحبه "عابدين الكنتي" القادرية، كتب لسلطان المغرب ليكون تحت وصايته، معادي للتواجد الفرنسي، ... وحسب الضابط قائد حصن "ماك ماهون *Fort Mac Mahon*" أن سلطان المغرب أرسل لشيخ قبائل التايطوق "ولد غراجي *Ould Gradji*" ختم القائد بواسطة قائد "تيمي *Timmi*" المدعو "با حسوم". أظر للمزيد: ANOM, Carton 22H28, Correspondance du Général Swiney Commandant la Division d'Alger à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, le 16 février 1894 ; Notice Individuelle, Le Colonel Commandant Supérieur, Ghardaia, le 20 décembre 1893. 2P.

² سي العابدين، سنه ما بين 50-55 سنة (في سنة 1893م) هو ابن الشيخ أحمد بن محمد بن المختار البكاي من قبيلة الكنتة، التي استقبلت وحمت المستكشف الألماني "هنري بارث" سنة 1853م، لكن ختمه يحمل اسم "سي العابدين بن الشيخ محمد الكنتي" تم طرده من منطقة تمبكتو والماسينا بعد خلاف عائلي حول الزعامة لما حارب عمه "بابا أحمد ولد الشيخ سيد المختار" و يعرف أيضا بـ "بابا أحمد ولد بادي" الذي يتزعم كل القبائل "أهل الشيخ" في منطقة تمبكتو وضواحيها حتى الهقار، لجأ بعدها سي العابدين إلى منطقة توات في سنة 1888م بزواوية الكنتة ثم تركها بعد ذلك بعد أن أجهج صراعا دمويا بين قصور "سالي *Sali*" والكنتة، رحل إلى عديد المناطق وتنقل بين توات وأقبلي والتديكلت حتى استقر عند قبائل التايطوق بأهنت بالأهقار، الذين رحبوا به كثيرا باعتباره أحد كبار المرابطين وهو ما ساعده على فتح زاويته عندهم، ليشرع بعدها في محاربة جميع القبائل التي لم تقف معه في وراثة إرثه الديني، وكان على رأس جميع غزوات الطوارق تقريبا في الصحراء الوسطى التي يعرفها جيدا منذ الفترة من 1889م، أغار خلالها على: أولاد مولا *Moulat*، الدوايش *Douaich*، البرابيش، وعلى جل قبائل كوفدرالية طوارق الإيولمدن في الجنوب التي فرض عليها سيطرته الكاملة ثم استقر بها، ينتمي سي العابدين منذ ولادته للطريقة القادرية البكائية ليتحالف بعدها مع السنوسيين لمقارعة الفرنسيين في الصحراء، متزوج من ثلاث نساء، وله بنت وولدين (عمر والمختار)، له تأثير كبير على قبائل الأهقار والتايطوق بالأخص. وله سمعة كبيرة في منطقة حوض النيجر. وبتاريخ شهر سبتمبر 1902م ترك "سي عابدين الكنتي" أرض الطوارق وانتقل ليلجأ إلى منطقة التاقيلالت أظر للمزيد: ANOM, Carton 22H29, Correspondance du général Servièr commandant la division d'Alger à M. le général commandant le 19^e Corps d'Armée, Alger le 09 octobre 1902, Rapport de chef du bureau arabe subdivisionnaire P. O. Cotte. Laghouat, le 19 aout 1901, 4p ; Notice sur Si El Abidine ben Cheikh Mohamed par le colonel commandant supérieur du cercle du Ghardaia M. Didier, Ghardaia, le 27 mai 1893, 2p.

³ طلب عابدين وزعماء الطوارق دعم سلطان اسطنبول لهم ضد الفرنسيين، خاصة وأنهم يعلمون أن ملك المغرب لا يجيبهم في ذلك، وكان رد السلطان بالإيجاب، وبأن يلجئوا إلى إقليم الفزان إذا ضيق عليهم الفرنسيين أكثر، وكان السلطان "أمود" (كبير أهل الإيمنان) هو من قل لهم الخبر، لم يزل من غات تحت حراسة 20 جنديا من الأتراك، ... وهنا خاف الفرنسيون إذا أصبح الطوارق من رعايا الدولة العثمانية، الذي سيشكل حاجزا أكبر في توغلهم أقصى الجنوب لربط المستعمرات. أظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Général Servièr Commandant la Division d'Alger à M. le Général Commandant le 19^e Corps d'Armée à Alger, «Bruits en circulation dans le sud», Alger, le 25 avril 1902, 2p.

⁴ تأسست الطريقة التيجانية في سنة 1781م من طرف الشيخ "أحمد التيجاني (1737-1814م)"، المولود بعين ماضي بالأعواظ، وتعتبر زاوية عين ماضي هي الزاوية الأم للطريقة، ثم تأتي بعدها زاوية "تماسين" بالقرب من تقرت التي أسسها "سيدي الحاج علي" رجل ثقة المؤسس الذي خلف رئاسة الطريقة بعد أحمد التيجاني، والموكل برعاية ولدي التيجاني، وهذا حتى توفي في سنة 1844م، وبقيت خلافة الطريقة في هاتين الأسرتين فقط، ولكن بعد وفاة "محمد الصغير التيجاني" الخليفة الثالث للطريقة بعد "سيدي الحاج علي" (1844-1853م) فصلت الزاويتين عن بعض. أظر للمزيد: Jean Louis Triaud: *La légende noire de la Sanusiya. Une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840-1930)*. Ed. de la M.S.H., 2 tomes, 1995, T. 1, p. 108

الصغير"، الذي أفتح الطوارق (كال أهقار وكال آجر) بالتفاوض مع فرنسا في سنة 1892م¹، وهو من قاد الوفد حتى الجزائر واستقبلوا في مقر الحكومة العامة، وقرب الحاكم العام حينها "جول كامبون *J. Cambon*" "سي لعروسي" منه وشكره على الأعمال التي يقوم بها ومن ورائه كامل الطريقة التيجانية التي تعمل لأكثر من 40 سنة لصالح القضية الفرنسية في الصحراء وحتى إلى السنيغال². وبهذه الطريقة حاولت التيجانية أن تمتد أكثر في عمق الصحراء وتثبت نفسها أكثر في أوساط القبائل، بالنظر لفشلها في الشمال في صراعها مع "باي وهران" في سنة 1827م³، ثم صراعها مع الأمير عبد القادر في سنة 1838م، كما اهتمت بالتجارة وأصبحت زواياها في الجنوب محط أنظار قوافل التجارة العابرة للصحراء مع بلاد السودان⁴.

وتعتبر زاوية "تامسنين" في "قمار بالوادي؟" أهم زاوية ضمتها الطريقة التيجانية إليها في منطقة الجنوب، لتصبح ثالث أهم مراكزها بعد "عين ماضي" (الأغواط) و"تامسين

¹ راسل السيد محمد العروسي نجل السيد محمد الصغير التيجاني كل رؤساء قبائل الطوارق ومشاخها من أجل ميعاد لهم لتجديد العهد كما قال وتسهيّل عمل تجارة الفرنسيين والتعاون معهم باتجاه بلاد السودان وضمت قائمة المرسل لهم أكثر من 20 إسما من رؤساء القبائل والعشائر في الأجر والهقار، في شهر شوال من سنة 1310هـ/ جوان 1893م. نقلها عنه المقدم التيجاني "سي يامة بن الحاج بن سالم" في 30 أفريل نحو الواد ليمر بكال آجر أولا ثم ينزل إلى كمال أهقار ثانيا ليوزع 21 رسالة على رؤساء وزعماء القبائل والعشائر من أجل ميعاد الخريف، ما يهم هو أن سي العروسي أرسل نسخة لسلطات الواد بفحوى المراسلة الموحدة، (مع تغيير الاسم فقط) لكن الرسالة الموجهة إلى السيد "عبد النبي وإخوانه المقدمين" مضاف عليها الفقرة التالية: "لا تنسوا التعليمات التي أعطيتكم إياها والوعود التي قطعتموها لي قبل رحيلكم". كما تلقى رسائل رد من زعماء طوارق الأجر والهقار (نصوص الرسائل متوفرة). أنظر للمزيد: ANOM, Carton: 22H28, Correspondance du Général de La Roque Commandant la Division de Constantine au M. Le Gouverneur Général de l'Algérie, Constantine, le 09 mai 1893. 2p.

² M. E. Masqueray : «La mission des Touareg», **B.C.A.F.**, N°12, 1892, pp. 5-7

³ كما قام الباي "حسن" بإقامة مركز قرب عين ماضي لمراقبة الخطر الذي قد ينجم عن الطريقة التيجانية المتعاطف في سنة 1822م، هذا وتعتبر الحامية العسكرية التي في بسكرة أقصى مركز للعثمانيين على تخوم الصحراء، أما الحملات التي كان يقوم بها العثمانيون في الصحراء فتعد قليلة، فقبل القرن 18م نجد حملة "صالح رايس" على بسكرة ونقرت وورقلة، في سنة 1552م ربما لانشغال الأتراك بحروبهم في الشمال جهة البحر، وخلال القرن 18م نجد حملات محلة "محمد الكبير" باي معسكر، الذي استولى على الشلالة، وأفلو والأغواط، وأجبر أهل عين ماضي على دفع الضريبة سنة 1785م، ثم قام خلفاؤه من بعده لملاحقة بعض القبائل عقب ثورة الدرقاوة (1805-1826م). وفيما يخص بايلك التيطري فإنه كانت هناك حملات على الأغواط وتم إخضاعها وكذا على منطقة أولاد نايل لإخضاعها الذين كانوا قد قضوا على الباي "عثمان" في سنة 1770م وعلى الباي "سفة *Softa*" في سنة 1773م، إلى أن استقر لهم الوضع مع الباي "مصطفى الوزناجي" (1771م-1794م)، ثم مع الباي "مصطفى بومزراق" (1819-1830م). لذلك يبدو أنه لم تكن هناك سلطة للعثمانيين في الصحراء الكبرى قبل 1830م، حتى أن واحات من المزاب والقولية ربما كانت بعيدة عن هذه التدخلات العثمانية في الجنوب. أنظر للمزيد: Jacques Frémeaux : «Pouvoir Ottoman et Sahara Algérien à la veille de la conquête Française (1830)», **A.A.N.**, 1983, pp. 63-72

⁴ Triaud J. L. : Op. Cit., p. 89

(ورقلة)"، وركزت بذلك على قبائل الإيفوغاس المرابطية الذين يمتلكون نفوذا سياسيا ودينيا في المنطقة، وبالأخص على عائلة "سي أحمد السوقي"، وهي المعلومات التي قدمها "الشيخ إبراهيم ولد سيدي" المتخصص في أصل وتاريخ كمال آجر (حسب ديفاريي) إلى "سيدي محمد الصغير" ابن مؤسس زاوية تماسين (سيدي الحاج علي) وخليفته فيها¹.

لذلك يعتبر "محمد بن سيدي موسى" أول من انتسب إلى الطريقة التجانية من زاوية "تماسين"، وأصبح مقدا للطريقة في أوساط الطوارق، لكن الدور الأكبر يعود لابن عمه ذائع الصيت "سي عثمان"² الذي دعم أكثر الطريقة في كمال آجر وكال أهقار، وحسب "ديفاريي" -نقلا عن صديقه عثمان- تأثيرها عند كمال آجر كان أكثر منها عند كمال أهقار، نسبة لكثافة قبائل الإيفوغاس في الكونفدراليتين، كما لا يمكن نسيان تنافسها وصراعها مع الطريقة السنوسية كذلك في المنطقة.

انتشرت الطريقة التجانية عند الطوارق لأن أتباعها من الإيفوغاس تقربوا واستهدفوا الطبقة الأرستقراطية الحاكمة "الأوراغن" في كمال آجر، وحدث التكامل بين الفريقين فالإيفوغاس استفادوا من قريهم من السلطة السياسية الحاكمة، والأشراف الأوراغن ضمو لمصلحتهم السلطة الدينية أيضا، بغرض إضعاف مناوئهم في السلطة من قبائل الإيمينغساتن *Imanghassatan* الذين كانوا موالين للسلطة السابقة من "الإيمانان" قبل أن يطيح بهم "الأوراغن" منتصف القرن 17م، لأن الصراع بين الأوراغن والإيمينغساتن كان شديدا ولم ينته، وحسب ديفاريي إنتقل هذا الصراع إلى تحالفات خارجية معقدة.

¹ Duveyrier H.: Op. Cit., p. 318 ; Gardel : Op. Cit., p. 127

² ولد سي عثمان أق الحاج البكري في سنة 1790م، هو أخ الأموكال "الحاج أحمد" لكال أهقار، لعب دورا بارزا في الصحراء الوسطى خلال النصف الثاني من القرن 19م، فمنذ سنة 1825م قبل بأن يكون دليلا للرحالة الإنجليزي "غوردن لانغ Gordon Laing" حتى عين صالح، ولولا حمايته لم يكن هذا الضابط ليكمل رحلته بسلام، ثم تعاون مع الفرنسيين في الكثير من المرات، وفي سنة 1854م قاد رفقة "حمزة بن بوبكر" قائد أولاد سيدي الشيخ بعثة من الطوارق للجزائر، وفي سنة 1857م ساعد النقيب الفرنسي "دو بونمان de Bonnemain" خلال رحلته من الواد إلى غدامس، كما كان دليل وحمي وصديق "إسماعيل بوضربة" وبالأخص "هنري ديفاريي Henri Duveyrier" وفي بداية سنة 1862م ذهب رفقة اثنين من الطوارق إلى باريس واستقبلا من طرف نابليون III ومنحهما شهادة شرفية، وبعودته إلى الوطن هو من أمضى نيابة عن الأموكال "إخنوخن" إتفاقية التجارة بين الطوارق والفرنسيين في 26 نوفمبر 1862م بغدامس مع القائد "ميرشر Mircher" والنقيب "دو بولونياك de Polignac" أنظر للمزيد: Pandolfi P.: Les Touaregs, Op. Cit., p. 416

فقبائل الإيمنغساتن -مثل سابقتها "الإيمان"- هي من كانت تحمي الرحالة والمغامرين الألمان والإنجليز (مثل هورنمان 1798م *Friedrich Konard Hornemann*، إروين دو باري 1876م *Erwin de Bary*، هنري بارث *Henri Barth*) وكانوا يعتبرونهم زبائنهم هم، في حين الرحالة والمغامرون الفرنسيون فهم من نصيب الأوراغن والإيفوغاس¹، ويعتبر "سي لثمان" هو لراب هذا التقارب بين القبيلتين فقد لعب دورا مهما في المنطقة منذ منتصف القرن 19م، وهو من أقنع أمنوكال الآجر "إخنوخن" بعقد إتفاقية التجارة مع الفرنسيين في سنة 1862م، فهو و"لامر الحاج" أخ إخنوخن من وقعا الإتفاقية من جانب الطوارق نيابة لآن إخنوخن².

بدا لكال أهقار أن قبائل الإيفوغاس وبالأخص عائلة "سي عثمان أوق الحاج البكري" أصبح لها شأن مهم عند كمال آجر سياسيا ودينيا وتجاريا، وهو ما جعلهم يختارون تنصيب "الحاج أحمد أوق الحاج البكري" (أخ سي عثمان) الأمنوكال عليهم (1861-1877م)، زيادة على أن الشروط تتوفر فيه (فأبوه الحاج البكري أوق الحاج الفوكي تزوج من كمال غلا القبيلة التي تمنح الأمنوكال)، قد يجعل انتماءه إلى الإيفوغاس من جهة أبيه تحصيل مزايا تجارية وسياسية لند كمال آجر لنفوذها لديهم.

وبالتالي ساهم الأمنوكال "الحاج أحمد" في تسهيل نشر الطريقة التجانية لند كمال أهقار، فحتى الأمنوكال "أهيتاغل" (1877-1900م) الذي جاء بعده كان من أتبا لها وتحت تأثير مباشر للشيخ "سي العروسي" صاحب زاوية "قمار"، ولديد الرسائل بينهما تثبت بأنه تحت أوامره وكانت تعرف السلطات الاستعمارية هذا الأمر³، ويذكر "ديفايري" أن التيجانية لم تكن فقط حكرا للى الأشراف من كمال أهقار، بل لديد القبائل التابعة تبنتها وظهر العديد من مريديها (الأخوان) الذين كانوا تحت تأثير "سي لثمان" و"البكاي" المتمتعان بسلطة

¹ Erwin de Bary : Op. Cit., p. 33

² ANOM. Carton 22H28, traité de Ghadamès

³ ANOM. Carton 22H28, Correspondance Ahitarel avec Si Laaroussi, Aout 1893 (Annexe 10)

سياسية ودينية في كامل المنطقة ومنها كمال أهقار¹، كما ذكر "هنري لوت" منتصف القرن 20م بأن التيجانية هي الأكثر نسبة في الأهقار من حيث عدد المنتسبين خاصة في قبائل الأتباع: داق غالي، إيهياون-هادا *Iheyawen-Hada*، كمال إينغر، وكال تازولت *Kel-Tazulet* بالأخص².

أمام هذا النفوذ والسلطة السياسية والدينية للتيجانية في المنطقة نهاية القرن 19م، استغلت السلطات الفرنسية الأمر وعادت تجبر كل ضباطها ومستكشفيها بأخذ رسائل الحماية ممضاة من طرف زعماء التيجانية، مثل شيخ زاوية "تماسين" محمد الصغير الذي قدم إلى قنصل فرنسا بطرابلس رسالة الحماية لاثنتين من الآباء البيض "ريشارد *Richard*، وكرمابون *Kermabon*" أثناء رحلتها إلى الآجر (ماي-جويلية 1880م)³، كما أرسلت رسائل من زعماء التيجانية إلى كمال أهقار عن طريق "عبد النبي" في سنة 1899م، بعدم التعرض لحامية "فورو-لامي *Foureau-lamy*" (البعثة الصحراوية) التي كانت في طريقها لتقمع ثورة "رابح فضل الله" قرب بحيرة التشاد⁴ رفقة حاميتين أخريتين أتيتين من أعالي السودان (بعثة إفريقيا الوسطى-فولي شانوان *Voulet-Chanoine*) ومن الكونغو(بعثة جونتيل *Gentil*).

رأى شيوخ التيجانية أن علاقتهم بالفرنسيين منحتم دورا سياسيا في المنطقة، وهو ما يستفاد منه في تعميم الطريقة في كامل الصحراء التي بدت خالية من نفوذ القادرية السابقة الوصول، وأيضا للحد من منافسة "السنوسية" التي تناوئها في المنطقة وجمعتهم عدة مواجهات في جهة الشرق، حيث كانت تراهن السنوسية على القبائل المناوئة للحضور

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., p. 372

² Henri Lhote : Op. Cit., pp. 192-201

³ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 419 Citant Richard L. : « Journal de route du P. Richard des Père Blanc chez les Touareg Ajjer (1880) ». *TIRS*, N° 5, 1948, pp. 133-200

⁴ Fernand Foureau : *D'Alger au Congo par le Tchad*. Ed. Masson, Paris, 1902, p. 34

الفرنسي في الأجر وغدامس وغات، وراهننت التيجانية على سند الفرنسيين لها نظير ما تقدمه لهم من مساعدات وتسهيلات.

فحتى بعثة "فلاتر" *Flatters* دعمت بشكل كبير من طرف التيجانية، فقبل أن يشرع فلاتر بمهمته الأولى قرر المرور بالمكان المسمى "تماسين-تاملهات" *Tamasn-Tamelhat* لملاقات شيوخ التيجانية "سي محمد الصغير" وأخوه "سي معمر بن الحاج علي"¹، اللذان نزلا حتى تقرت للإلتقاء بالحامية، واستقبلوا البعثة بحفاوة وهو ما أعطى انطبعا جيدا لأعضاء البعثة والسلطات الفرنسية²، كما قدموا لهم رسائل التوصية للأمنوكال "أهيتاغل" لكال أهقار، وباقي الطوارق الذين قد يجدونهم في طريقهم، ولم يكتفوا بهذا فقط بل قدموا لهم مُقَدِّمًا يصحبهم في رحلتهم ويؤمنهم وهو "سي عبد القادر بن مراد" في البعثة الأولى، وفي البعثة الثانية كان المقدم "سي عبد القادر بن حميدة" الذي قُضي عليه هو كذلك مع أعضاء الحملة³.

ومن جهتهم الإيفوغاس قدموا أدلاء من طرفهم هم كذلك، فاثنتين منهم بعد أن قدما المساعدة لفلاتر في الحملة الأولى عادا معه حتى الأغواط، ورجعا معه في الثانية حتى "أمغيد" وحذرا "فلاتر" من المخاطر التي ينتظرها في الأهقار دون جدوى⁴، ويبدو أن الدور الذي قامت به الطرق الصوفية وخاصة التيجانية التي انتمى إليها العديد من زعماء الطوارق،

¹ فيما بعد سيكون "سي معمر بن الحاج علي التيجاني" هو شيخ زاوية تماسين ، و"سي العروسي بن محمد الصغير بن الحاج علي التيجاني" شيخ زاوية قمار، وكانت هناك منافسة بين سي معمر وابن أخيه (سي لعروسي) على الرغم أن سي لعروسي هو من قاد وفد الطوارق نحو الجزائر، واستغلت السلطات الفرنسية هذه المنافسة فيمن يخدمها أكثر. أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H28, Correspondance de M. Ribot Ministre des Affaires Etrangères au M. Combon Gouverneur général de l'Algérie, le 17 janvier 1893. 6p

² Henri Brosselard : **Les deux missions Flatters au pays des Touaregs**, Librairie Furne, Paris, 1896, pp. 19-27

³ لم يُكتب له الموت في الحادث الأول الذي أودى بحياة فلاتر والآخرين بعين إيهاون *In-Uhawen* يوم 16 فيفري 1881م، وإنما قتل في رحلة العودة الشاقة يوم 10 مارس 1881م. أنظر للمزيد: Bernard (Capt.) : **Deuxième missions Flatters**, Historique et rapports rédigés au service central des Affaire Indigènes, Ed. Adolphe Jourdan, Alger, 1882, p. 123

⁴ Pandolfi P. : *Les Touaregs*, Op. Cit., p. 421

هو من ترك كمال أهقار وكال آجر يربطون علاقتهم بالجزائر في الشمال، ومن ورائها السلطات الفرنسية فيها.

فبواسطة التيجانية دخل طوارق كمال أهقار وكال آجر في اتصالات مع السلطات الفرنسية بعد تردد طويل، واجتمع ممثلي الكونفدراليين في لقاء واحد (ميعاد) بالمكان المسمى "إدلس *Idélès*" لدراسة بنود الاتفاق مع الفرنسيين، وحضر الأمنوكال "أهيتاغل" وبعض الأشراف من كمال أهقار أما من جهة كال آجر فقد مثل "مولاي أق خداش" الذي يرأس القبائل المجاورة لغدامس ورجل الثقة لأمنوكال كمال آجر "إنغدازن أق أباكادا¹ *Anaklouf*" وكذلك "محمد أنكلوف *Inguedazen ag Abakada*" ابن أخت "مولاي أق خداش" والذي يرأس القبائل المحيطة بغات².

2-3 إستغلال الفرنسيين لقبائل الإيفوغاس في مد نفوذهم.

لقد تم عقد لقاء ثاني بالوادي دائما بحضور كبار أشرف الطوارق وبرعاية التيجانية ومريديها من الإيفوغاس، وتم تشكيل الوفد الذي سيذهب إلى الجزائر للتفاوض من 9 أشخاص: 4 من الإيفوغاس، و3 من الإيسقمارن *Issaqqamaren* واثنين من العبيد المحررين، يتأسس هذا الوفد "سي عبد النبي أق غالي" أحد أشرف الإيفوغاس وممثل

¹ مولاي أق خداش تزوج ابنة الأمنوكال "إخنوخن" وخلفه من بعده في قيادة كال آجر رفقة ابن أخته ويده اليمنى "إنغدازن أق أباكادا"، هذا الأخير الذي كان يتبنى الطريقة السنوسية، وكان معارضا لأي وجود فرنسي في المنطقة، وحسب فورو *Foureau* الذي قام بجولة استكشاف في التاسيلي-ناجر 1893-1894م، ذكر أن الأمنوكال بالنيابة "إنغدازن" استلم رسالة من "سي محمد العروسي" شيخ زاوية قمار يدعو فيها بأن يأتي للذهاب إلى ميعاد (اجتماع) الجزائر، فرد "إنغدازن" قائلا: "ولكن هذا المسلم أصبح مسيحيا إذن! ربما يعتقد أنني أيضا سأضع نفسي بين يديه وبين يدي الأئمة الفرنسيين". أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H28; Fernand Foureau : «Une mission chez les Touareg Azdjer».

Bulletin de la Société de Géographie, XVI, 1895, p. 35

² بتاريخ 18 سبتمبر 1897م توفي محمد بن إخنوخن ابن الأمنوكال السابق إخنوخن بغدامس بعد مرض ألم به لحوالي 3 أيام فقط، ويعد هذا الحادث بالغ الأثر في العلاقات الفرنسية مع الأجر لمواصلة عقد التجارة بين الطرفين والنفوذ الفرنسي في المنطقة، وفي شهر أكتوبر تم نقل السلطة في الأزر إلى غداسن *Guedassen* خلفا لخاله "مولاي بن خداش" الكبير في السن والذي لم يعد باستطاعته الحكم. أنظر للمزيد: ANOM. Carton, 22H28 ; ANOM. Carton, 22H30, Correspondances du Général Commandant la Division Constantine De La Roque à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, Constantine, le 15 novembre 1897, 2p ; et le 17 novembre 1897, 2p

التيجانية في الأهقار، والمعروف عنه أيضا وساطته في الصراعات التي تنشأ بين قبائل الصحراء الوسطى، مثل صراع أولاد بوحمو-كال آجر، وصراع الأوراغن-الإيمنغساتن، وخاصة حرب كمال أهقار-كال آجر¹، أما الشخصية الثانية المهمة هي من قبائل الإيسقمارن "نتينيري أوق الحاج *N'tiniri ag el Hadj*"، ويعتبر مستشار الأمنوكال "أهيتاغل" وأمين سره، في حين البقية هم أقارب هذين الرجلين².

أما بالنسبة لـ "سي عبد النبي أوق غالي" الذي ترأس الوفد، فهو مقدم الطريقة التيجانية في الأهقار وهو ابن الأخت الكبرى للشيخ عثمان أوق الحاج البكري (خاله)، وبالتالي ورث عنه الامتياز الديني -والبركة بالطبع- كعادة كامل سلالة عائلة "سي أحمد السوقي"، وعرف عن هذا الرجل أنه دائما كان يسعى في سياسته إلى التقريب والتعاون بين الطوارق والسلطات الفرنسية قبل أن يستقر لدى الطوارق³، كما تشير إليه التقارير الفرنسية: "ف...عبد النبي يعمل كل ما بوسعه ليسهل علاقاتنا مع الطوارق...فكل تأثيره وعمله مكرس لمصلحتنا، وسيكون له دور كبير في احتلال بلاد الطوارق بالطرق السلمية"⁴، وبعد أربعين سنة كتب عنه ضابط فرنسي ما يلي: "...هذا القائد من الإيفوغاس، منذ الخطوة الأولى التي سارها إلى الجزائر على رأس وفد طوارق الآجر، أصبح أكبر وأهم معين لنا"⁵.

وفعلا بعد عودته مباشرة من الجزائر دخل في خدمة الفرنسيين بشكل واضح، وأصبحت له إتصالات عديدة مع العسكريين الفرنسيين في مركزي تقرت والوادي، فهو من

¹ Gardel G. : Op. Cit., pp. 146-149

² من الإيفوغاس اصطحب عبد النبي أبناء أخواته : حامة أوق سي محمد أوق موسى، وسيدي الباي أوق بادا، وزوج أخته ششواوي بن المختار، في حين اصطحب نتينيري خاله الحاج محمد أوق إدار، وابن خاله سيدي علي الحاج محمد. أنظر للمزيد: ANOM. Carton 22H28. Correspondance de M. Combon Gouverneur Général de l'Algérie à M. le président du conseil, Ministre des Affaires Etrangères, le 10 Décembre 1892. 10p .

³ في اجتماع الجزائر دافع عبد النبي (60 سنة) عن كمال أهقار (تزوج منهم) والأمة الطارقية، بأن لا تدفع جزاء أفعال فردية للصوم، والمهم هو عقد الصلح والسلم بين الجميع وبعدها تتم محاسبة المجرمين. أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H28, Correspondance de M. Combon Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Président du Conseil, Ministre des Affaires Etrangères, le 10 Decembre 1892. 10p

⁴ ANOM., Carton 22H28, Rapport 1893

⁵ Léon Lehuraux : **Au Sahara avec le commandant Charlet**. Ed. Librairie Plon, Paris, 1932, p. 69

"Attanoux" الذي أوصله حتى بلاد الآجر، وكانت بعثتا "ميري ثم أتانو" بغرض تفعيل اتفاقية غدامس التجارية بين الطوارق والفرنسيين¹.

كما أنه ساهم في نجاح مرور بعثة "فورو-لامي *Foureau-Lamy*" بعدد رسائل التوصية التي أرسلها إلى قادة وأشرف طوارق الأهقار، ولم يكن مراسلا فقط بل ناطقا باسم الفرنسيين، فقد حمل رسالة النقيب "فورو" إلى الأمنوكال "أهيتاغل" محذرا إياه مغبة التعرض لحاميته وأنه سيمر بأراضيهم مهما كلفه الأمر، مذكرا إياهم بعدم تكرار حادثة فلاتر، ثم التحق بالحامية في "تيرامار *Tir'ammarr*" وأوصلهم حتى منطقة "تادنت *Tadent*"²، كما كان عبد النبي المخبر رقم واحد للفرنسيين خاصة للنقيب شارلي *Charlet* بمركز الوادي الذي كان قريبا منه جدا³.

أمام هذه الخدمات المقدمة من طرف عبد النبي والإيفوغاس، حظي هؤلاء بكرم الفرنسيين فعين عبد النبي "قايد" في المنطقة، كما سمحت السلطات الفرنسية لقبائل الإيفوغاس بتماسنين بأن ترتاد مراعي وادي سوف، وتقريبا كل قبائل الإيفوغاس منذ وفاة الشيخ عثمان في سنة 1874م، أصبحت تحت ولاء عبد النبي وتأثيره، ولكن هذه السلوكات من طرف عبد النبي والإيفوغاس لم تمر من دون عقاب، فقد تعرضوا لعدد هجمات القمع والسلب من طرف قبائل الطوارق الأخرى خاصة الإمانغساتن في جهة الآجر وزعيمهم "بوفنايت *Bou fenait*" الذي عينه الباشا العثماني بغات شيخا على قبيلته مع الختم⁴، وكذلك من طرف القبائل العربية بغماس وبتحريض من المقيم العثماني بها⁵، مما اضطرهم

¹ A. Bernard et N. Lacroix : **La pénétration Saharienne (1830-1906)**. Imprimerie algérienne, Alger, 1906, p. 139

² E. Charlet : « Imanr'assaten », **B.S.G.A.**, XVIII, 1913, pp. 634-671

³ Idem.

⁴ ANOM, Carton, 22H29.

⁵ بتاريخ 22 ديسمبر 1893م، كتب ممثلوا الإيفوغاس رسالة استغاثة للسلطات الفرنسية، كما أمرهم الجنرال "دو لا روك"، عقب أحداث غدامس (أوت 1893م) أين تعرض مخيم الإيفوغاس بـ"المرقصا *Marksa* التي يملكون بثرا بها ويبعد بـ 8 كم عن غدامس جنوبا" (30 خيمة) لاعتداء من طرف قبائل الفران (عرش الحطمان، والزوايد، وولد بوسيف، والمقاريج) بتحريض من المقيم التركي "الكايكان"، لأن الجميع هم رعايا الباشا ممثل السلطان بغماس "محمد بن درباس" كما زعموا، بحجة أنهم متعاونون مع الفرنسيين، وبأنهم يحاولون إقناع كمال آجر بالدخول تحت نفوذهم، حيث تم سلبهم

في سنة 1896م بأن يلجئوا إلى جهة وادي سوف والأراضي التابعة لمركز الوادي¹، ولم تعد قبائل الطوارق تنظر إليهم بتلك الهيبة الدينية والروحية التي كانت لهم من قبل، والتي بفضلها كانوا في مأمن من كل الصراعات أو الهجومات السابقة في المنطقة.

ولكن في نهاية القرن 19م تغير الحال، وأصبحت كل قبائل الطوارق الأخرى تشن هجومات على قبائل الإيفوغاس ولم يسلم الأفراد المنتمين لعائلة "سي أحمد السوقي" المرابطة من العقاب، فقد شن كل من الإيمينغساتن، والشعانبة، وأولاد بوحمو،... إلخ. غارات سرقة ونهب عليهم، تأديبا لهم على كل من يتعاون مع الفرنسيين ويتحمس لهم، ووصل الأمر أن وصفت قبائل الإيمينغساتن قبائل الإيفوغاس بالمرتدة عن الدين لأنهم والوا الكفار². هنا عملت السلطات الفرنسية على أن تعتمد أكثر على قبائل الإيفوغاس ليكونوا وسطاء لهم ومخبريهم عن شؤون الصحراء أكثر³.

لقد واصل عبد النبي تعاونه مع الفرنسيين لما استقروا شيئا فشيئا في بلاد الطوارق، ففي سنة 1904م ظل بجانب النقيب توشار *Touchard*، وفي سنة 1911م صحب النقيب شارلي *Charlet* إلى جانت، وهنا كان له دور مهم في تحويل زاوية للسوسية إلى ثكنة عسكرية، رغم تخوف النقيب شارلي من الأمر على أنه استفزاز لأهلها، لكنه شجعه على أنها كانت حصنا أكثر منها مسجدا حسب قوله⁴، ولا شك هو الصراع بين الطريقتين على

حوالي 800 جمل، إضافة لمقتل 11 شخصا من الإيفوغاس، و4 أشخاص من حلفائهم الإيمينغساتن، الرسالة موقعة من طرف 4 أشخاص كلهم إيفوغاس: عبد النبي بن علي، هاندبول، بشهاو، طالب محم، يطلبون حماية الحكومة الفرنسية وإنصافهم من ظلم الباشا التركي،... لكن الشيخ "هاندبول" كان شاهد عيان على هذه الحادثة وهو من رواها للجنرال "دو لا روك" وأثبتها كل الحضور، وقال بأن الإيفوغاس هجموا كذلك على الغزاة المئة (27 فارس، و73 على المهاري)، ولحقوا بهم في واحة "كيسان *Kissane*" التي منها يبدأ الفزان، وباغتوهم ليلا وقتلوا أكثر من 120 شخصا وكل الخيول الموجودة أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H28, Rapport du Général de Division de La Roque, Commandant la Division de Constantine à M. le Gouverneur Général, Constantine, le 23 janvier 1894, 30p.

¹ ANOM., Carton 22H28.

² Charlet E.: Op. Cit., p. 641

³ ANOM., Carton 22H29, Correspondance du Résident Général de la République Française à Tunis à M. Cambon le Gouverneur Général, Tunis, le 23 juin 1896. 33p

⁴ Lehuraux L.: Op. Cit., p. 73

مناطق النفوذ في الصحراء هو ما جعل عبد النبي مقدم الطريقة التيجانية يهوي إلى هذا القعر¹.

¹ في رسالة من مقدم الطريقة التيجانية بعين صالح "سي عبد النبي بن الصديق" إلى السيد "سي محمد البشير بن محمد الحبيب (نجل أحمد التيجاني)" يخبره فيها بحملة النقيب "كوانست" على الأهقار معركة يت، أن كوانست أراد اصطحابه معه لبلاد الطوارق أفق على ذلك، لكن قائد مركز عين صالح "كوفي" منعه أن يبقئ معه في عين صالح، ذكر له بأن كوانست حقق النصر ببركة أهل الطريقة، أنه لما عاد قدم له 4 داب (حمير) كهدية للزانية على هذا النجاح لما طلب البركة منها، بأن الفرنسيين يحبون أهل الطريقة، بأن الأهقار لقوا جزائهم لأنهم استمعوا لمقدم من السنوسية، لم يستمعوا لنصائح مقدمي التيجانية بمصالحة الدولة الفرنسية... الرسالة بتاريخ 20 سفر 1320 هـ / ماي 1902م (النص العربي مع الترجمة 2-2). أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30، ... في حين غنم كوانست من هذه الغزاة 200 مهري، 2000 عنزة، 125 حمار، 35 بقرة، 100 بندقية 5 بنادق منها عود لحملة فلا ر بندقية لحملة فور لامي، كما استرجع "مقاصف les cantines" حملة فلا ر، خيمة "المركس مورش le marquis Morès". أنظر للمزيد: «Un Raid dans le Hoggar» Le journal des 'Débats' du 20 juin 1902

الفصل الثالث: الصراع على السلطة وأقول استقلال كمال أهقار.

3-1 الصراع على خلافة الأمنوكال "أهيتاغل".

في خضم التقدم المستمر للسلطات العسكرية الفرنسية لمباشرة الفعل الاستعماري أقصى الجنوب، تم الإستيلاء على عين صالح في سنة 1899م من طرف قوات العقيد "بان Pein"¹، وليفرضوا سيطرتهم على كامل منطقة التيديكلت في سنة 1900م²، والأمر الذي كان يخشاه كمال أهقار من قبل وقع الآن، فهم محاصرين من الشمال ومن الجنوب وأسواق تموينهم أصبحت بيد الفرنسيين، لذلك اتبع الأمنوكال "أهيتاغل" سياسة الحذر والترقب، ومنع أي استفزاز أو صراع ضد الفرنسيين، خاصة من طرف قبائل التايطوق التي كانت دائما ما

¹ إنطلقت الحامية الفرنسية من ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م، غرض احتلال عين صالح بقيادة "فلامان Flamand" (يريد استكمال دراسته الجيولوجية حول القرارة وتوات) و"جولي Joly" حراسة النقيب "بان Pein" جنوده القوم الشعامبية على المهاري (3 فرنسيين فقط و140 جندي من الأهالي)، وانظم إليه نائب الطريقة القادرية ورقلة طواعية "محمد الطيب" سيد "أرهيم" أحمد الشريف لتسهيل عمل البعثة مع الأهالي، حرس النائب كانوا 20 رجلا مسلحا، إضافة لأفراد البعثة من 130 شخص مسلحين، تعرضت الحملة لأول هجوم عليها تاريخ 28 ديسمبر في "إيغستن Iguesten" من طرف 1200 شخص من عين صالح أكثرينهم من أولاد "أحمو" أهم القبائل في التيديكلت، وعلى رأسهم "الحاج المهدي" أجودة" رئيس عائلة أولاد أجودة والتي تفرض سلطتها على كامل أولاد أحمو، و بعد ساعات انتهت لصالح الفرنسيين الذين أسروا 64 شخصا من بينهم "الحاج المهدي" أجودة" نفسه، الذي أصيب إصابة خطيرة، ثم دخلوا قرية القصر الكبير واستقروا بقصبة "أجودة Badjouda"، المهاجمون نزلوا إلى عين غار لتنظيم أنفسهم والعودة من جديد تاريخ 5 جانفي مع دعم من إن غار والأولف عدد 1300 شخص، لكنهم هزموا من جديد وقتل منهم 150، وأصيب 200 وأسر 14، ومئات المهاري، هذه الهزيمة ساعد فيها أكثر اندفاع القوم والصبايحية وشتتوا صفوف المقاومين، ثم دخل بعدها كل أهالي عين صالح في صلح وخضوع للفرنسيين، ويقدر عدد أهالي القرارة وتوات والتيديكلت حوالي 400 ألف نسمة، تمثل عين صالح عاصمة التيديكلت، هذا البلد الذي زاره المستكشفين منذ 1822م عن طريق "الماجور لانغ Le major Laing" الذي توفي بالقرب من تمبكتو، ثم في سنة 1864م من طرف "جيرار رولف Rholf"، ثم في سنة 1873م من طرف "سولايي Soleillet" الذي أوقف في مليانة شمال القصر الكبير، هذين القصرين من أهم قصور عين صالح والتي تضم أيضا 12 قرية لها حوالي 3400 نسمة، وفي الجوار نجد قصور الأولف وإن غار، والأقبلي والإيغستن، وتيت، ومجموع سكان التيديكلت يقدرون حوالي 23000 نسمة (عرب، ر، شرفة، طوارق، حراطين، وزنوج) يمارسون كلهم التجارة، ويفلحون حوالي 1,500,000 نخلة، ويشرب كلهم الشاي الإنجليزي،...وفي رسالة من نائب القادرية السالف الذكر شكر الفرنسيين على احتلالهم لعين صالح (تاريخ 19 فيفري 1900م) أنظر للمزيد Emile Broussais, ANOM., Carton 22H59, «Les Français à In-Salah», journal La Dépêche Algérienne, le 11 janvier 1900 ; «A In-Salah, un nouveau combat», journal La Dépêche Algérienne, le 16 janvier 1900; «La mission Flamand et l'occupation d'In-Salah », journal La Dépêche Algérienne, le 20 janvier 1900 ; «Une Lettre du Naib d'Ouargla», journal La Dépêche Algérienne, le 15 mars 1900.

² Léon Lehuraux: **Le conquérant des oasis** : colonel Th. Pein. Ed. librairie Plon, Paris, 1935.

تشن حملات وغزوات في منطقة التيديكلت، لأنها ستعود بالسلب على الأهقار هذا ما صرح به أيضا الجنرال "سارفيار *Servières*" في مراسلاته¹.

لقد كانت قبائل التايطوق أهم القبائل معارضة للحضور الفرنسي في الصحراء، فقد شنت العديد من الحملات على أهالي منطقة التيديكلت جنوبا التي رضيت بالاستعمار، وهذا دون إذن من رئيس قبيلتهم الأمغار "سيدي أق غراجي *Sidi ag Guaraji*" الذي لجأ عند عمه "أهيتاغل" بسبب عجزه على التحكم في قيادة قبيلته²، وفي شهر جويلية 1900م ردت قبيلة الشيخ "الكبير بابا" الهجوم على التايطوق والتي أجبرتهم على مغادرة "الآهنت *Ahnet*"، وحاولوا إيجاد مكان لهم في الأتاكور لكن الأمنوكال "أهيتاغل" رفض مجاورتهم، مما اضطرهم الاستقرار بواد آفارا *Afara* التابع لأراضي كال آجر وهذا دون إذن من الأوراغن، وعرفت لدى السلطات الاستعمارية كأهم فرقة معادية للحضور الفرنسي في التيديكلت³.

أمام هذه الأوضاع السياسية المشحونة داخليا والخطر الفرنسي المترصد على الأبواب، وجد كال أهقار أنفسهم أمام معضلة أكبر تمثلت في من يخلف الأمنوكال "أهيتاغل" أق محمد بيسكا" الذي توفي سنة 1900م⁴، وذلك على إثر احتدام التنافس بين "محمد أق أورزيق *Mokhamed ag Urzig*" وهو الإبن الأكبر للأخت الكبرى (كتوح *Ktough*) لأهيتاغل، و"أتيسي أق أملال *Atici ag Amellal*" الإبن الأكبر للأخت الثانية (خويلة *Khawila*) لأهيتاغل، ومع أن العرف المتبع في نقل السلطة يعود لصالح "محمد أق أورزيق"، إلا أنه

¹ ANOM., Carton 22H30

² ذكر الحشايشي في رحلته أن أحد أشراف طوارق التايطوق ويدعى "كراجي" أوصى أناسا بتوفير بندقية جيدة بغرض شرائها، من جهة بين توات والمغرب وسيدفع ثمنها حتى ولو كلفته مئة مثقال ذهبي، وكان ذلك في سنة 1887م. وبعد عدة عقود سجل *M. Cortier* الذي يعتبر من أول الأوربيين الذي زار منطقة الأداغ في سنة 1907م، وتفاعلا بأن عددا من الطوارق يملكون سلاح البندقية الأوربي الأصل *Gras modèle 1874*، وذكر أنه وصل إلى هذه الصحراء عن طريق واسطة اليونانيين ثم الأتراك الذين جلبوه لطرابلس والذي اشتراه كال أهقار من كال آجر بثمن جمل عن البندقية الواحدة لبيع بثمن جملين إلى طوارق الأداغ أنظر للمزيد: El-Hachaichi : Voyage, Op. Cit., pp. 195-196 ; Cortier M. : Op. Cit., p. 296

³ ANOM., Carton 22H30

⁴ خُلف بنتا والتي تزوجها "أماياس أق خالبي *Amayas ag Khalbi*" ليكون إبنهما "ميسلار *Meslar*" هو الأمنوكال على كال أهقار في الفترة من 1941م إلى 1950م. أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 69

بالنظر للأوضاع السياسية الراهنة الملخصة في التوسع الاستعماري، رأى فريق من كمال أهقار أن الأمر يحق أكثر لـ "أتيسي أوق أملال"، الذي أبلى بلاء حسنا في مقارعة الفرنسيين خاصة أنه من قاد رفقة أخيه "أنابا أوق شيكات *Anaba ag Chikat*" حادثة فلانتر¹ في سنة 1881م.

وظهر بذلك فريقان في كمال أهقار كل له مرشح لخلافة "أهيتاغل"، مع أن الأكثرية لفريق "أتيسي" الذي جمع إليه كل القبائل التابعة لتمثل "الحزب المعارض لفرنسا"، في حين ضم فريق "محمد أوق أورزيق" القبائل الأرسطراطية التي تريد الحفاظ على تقاليد نقل السلطة رغم كبر سنه أيضا²، وأمام خطر الانشقاق وسط كمال أهقار تم اختيار "عابدين *Abidine*" رجل الدين والمرابط الكنتي حسن السمعة والتأثير³، ليكون حكما بين الفريقين، الذي اجتهد بكسب الفريقين معا من خلال منح السلطة مناصفة بين الرجلين⁴، وهو اجتهد خاطئ يدل على أن معرفة الرجل بالدين ضئيلة، لأنه لا يمكن عقد الولاية لرجلين في نفس الوقت ومنهي عنه شرعا.

لذلك بدل أن يحل المشكل ازداد تعقيدا وغموضا وأصبح غير ممكن تقاسم السلطة، وظهر اللانظام وبدا كأن "طبل" كمال أهقار يتجه للانفجار، لأن "أتيسي أوق أملال" حجب "محمد أوق أورزيق" وظهر أنه الأمنوكال الحقيقي، ورأت قبيلة كمال غلا والأرسطراطيين الآخرين أن سلطته تزداد يوما بعد يوم، خاصة لما كسب ولاء "محمد أوق عثمان" حفيد الأمنوكال السابق "الحاج أحمد" في جهة "تاظروك *Tazeruk*"⁵، وبالأخص ولاء "موسى أوق أمستان" في جهة

¹ الأخوان "أتيسي أوق أملال" و"أنابا أوق شيكات" هما ابنا أخت الأمنوكال "أهيتاغل" ينتميان لقبيلة "تجهي ملت -Tégéhé-Mellet" من جهة والدهما، وإلى كمال غلا من جهة أمهما، وأحداث إبادة بعثة فلانتر حدثت في أراضي قبيلة "تجهي ملت" أنظر للمزيد: ANOM. Carton 22H28 ; Benhazera M. : Op. Cit., p. 126

² مقابلة مع "شناني أورزيق" 80نة (حفيد محمد أورزيق) مجاهد ورئيس المجلس الشعبي البلدي لآتمنرات □ابقا، بتاريخ 2017-12-28م ببيته بحي □ر□وف بآتمنرات على الساعة 10:30 صباحا.

³ بعد وفاة المرابط الكبير لشيخ كنتة "إيدي البكاي" في 1865م، خلف ولده "إيدي المختار" و"عابدين *Abidin*"
⁴ Benhazera M. : Op. Cit., p. 127

⁵ توجد في الأهقار زاويتان واحدة في "تاظروك" والأخرى في "إدلس" اللتان كان ير□هما "الحاج أحمد بن □يدي الخاج البكري" جد "محمد أوق عثمان"، هذا الأخير هو الذي أصبح يشرف عليهما لكنه أوكل إشراف زاوية تاظروك لأحد العبيد المحررين ويدعى "كرزيكة"، ومع ذلك تأثير هاتان الزاويتان بقي قليلا، ولكن لهما وزنهما السي□ي. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Rapport du Lieutenant Besset «Notice sur les Touareg d'après les légendes et les renseignements recueillis dans le Tidikelt», 1903, 50 p.

"الأداغ Adagh"، وهو ما يثبت أحقيته بالسلطة وبأنه الأمنوكال الحقيقي، وحتى السلطات الفرنسية في عين صالح علمت أن "أهيتاغل" توفي وخلفه "أتيسي" ولم يرد ذكر "محمد أق أرزيق"¹.

لا شك أن "أتيسي" فرض سلطته لأنه شاب محارب ومن ورائه قوة عسكرية من الشباب المتحمس للقتال، ففي نهاية سنة 1901م قام بغزو قبائل البرابيش بالأزواد لأنها خضعت للسلطات الفرنسية في تمبكتو، وهذا بطلب من قبائل أخرى من البرابيش لم تسلم بعد للسلطات الفرنسية، واتخذ "أتيسي" القرار بعد مشاورة أهم أشرف كمال أهقار ومنهم: أخوه أنابا، سيدي أق أكاراجي، وموسى أق أمستان، الذين شاركوا كلهم في الغزوة².

ربما اقتنعت معظم كمال أهقار بأن "أتيسي" هو الملائم ليكون معه طبل كمال أهقار، كما أنها سئمت من هذا الانقسام الداخلي الذي أثر على عيشها، فأرادت أن تمارس من جديد تجارتها مع التديكلت وتربط علاقات ودية مع السلطات الفرنسية وأيضا مع طوارق الآبير (كال تيدلي Kel Tédélé خاصة) ومع قبائل الإيفوغاس بالأداغ³، ولكن "محمد أق أرزيق" كان له أمر آخر يخطط له، فلا يمكن التنازل بسهولة لـ "أتيسي"، ولم يرض بسياسة التهميش أو البقاء في الظل، بل عمل على إعتاب "أتيسي" بجعله يواجه مبدأه في الحكم الذي ينادي به، لذلك أرسل "محمد أق أرزيق" ثلاثة رجال على رأسهم المدعو "بابا أق تامكلاست Baba ag Tamaklast" للإعتداء وسلب أملاك "محمد بن بسيس Basis"⁴ وأخته "فاطمة" من التيديكلت، بحجة أن أسواق الأهقار مغلقة في وجه القوافل التي تتعامل مع الفرنسيين⁵.

¹ ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Général Servièrre Commandant la Division d'Alger à M. le Gouverneur Ggénéral de l'Algérie, «Mort d'Aitaghel chef des Hoggar», Alger, le 31 janvier 1901, 1p

² نقل الملازم الأول كوتنست Lieutenant Cottenest أحداث هذه الغزوة في تقريره. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H26

³ Bourgeot A. : Les sociétés, Op. Cit., p. 302

⁴ ولد "محمد بن علي بن بسيس" حوالي سنة 1870م، يعرف عند كمال أهقار بـ"أق الشعانبي" أيضا، ملم بالثقافتين العربية والطارقية للصحراء، لأن والده من الشعانبة وأمه من طوارق كمال آجر (الأوراغن)، عرف بقربه وخدماته للفرنسيين، من خلال التأثير على الشعانبة بقبول الإدارة الاستعمارية، كما أنه شغل منصب المترجم والدليل في فرقة "القوم" لعين صالح،

معركة تيت 1902م:

فهمت السلطات الفرنسية في عين صالح أن هذا الفعل هو استفزاز صريح من طرف كمال أهقار¹، ولا يمكن أن يسكت عنه رغم موقفهم السابق بعدم التعرض لكال أهقار الآن، ولكن هذا الفعل أغضب أهل التيديكلت الموالين ويجب رد الاعتبار لهم بغزو مضاد، وكلف النقيب "كوفي Cauvet" حاكم مركز عين صالح الملازم الأول "كوتنست Cottenest" على رأس كتيبة من فيلق الجمالة (المهاريست) المتطوعين والتي لا يوجد بينها أي جندي فرنسي²، ليقود غزوة مضادة ضد كمال أهقار، وبعد عدة أسابيع مشوها في الأهقار وفي رحلة العودة في المكان المسمى "تيت" في يوم 7 ماي 1902م هوجمت الكتيبة من طرف عدد كبير من الطوارق، ولكن لعامل التفوق العسكري والتنظيم المحكم لرجال "كوتنست" استطاعت أن ترد هذا الهجوم المفاجئ وتلحق أضرارا كبيرة في صفوف محاربي كمال أهقار قدرت بين 100 و150 شهيد³.

وعرف عند الطوارق بأنه خائن وعميل، والده "علي بن بسيس" المقيم في سوف متزوج أيضا بامرأة من طوارق الأهقار وله معها ولد، وعمل هو نفسه دليلا للضابط المستكشف "فرناند فورو F. Foureau" في عدة مناسبات. أنظر للمزيد: P. Fariou (Capt.): «Contribution à l'Etude du Transsaharien, Itinéraire du Khanguet-El-Hadid au pays d'Adar, par M'Hammed ould Ali ben Besis, ¾ sang Targui». **B.S.G.A.**, 2^{em} Tri., 1899, pp. 180-187 ; E. F. Gautier: La conquête, Op. Cit., p. 32

⁵ ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Général Servièrre Commandant la Division d'Alger à M. le Général Commandant le 19^e Corps d'Armée à Alger, «A. S. d'un rezzou Touareg», Alger, le 05 avril 1902,3p.

¹ ذكر المقدم "لابيرين Laperrine": "... إن هذا الاعتداء على "بن بسيس" وأخته هو موجه لنا خصيصا"، أنظر للمزيد: Henri Laperrine (génl.): «La pacification des Touaregs : Notes et Souvenirs», **Questions Diplomatiques et Coloniales**, N° 35, 1913, p.395

² تكونت هذه الكتيبة من متطوعين من قبائل: أولاد باحمو، أولاد المختار، الزوا، أولاد يحي، أولاد دهان، وكان عدد المخازنية والقوم بقيادة الملازم الأول "كوتنست" في مهاجمة كمال أهقار 135 رجلا، وانطلقت الحملة يوم 23 مارس 1902م، وسلبت الحملة لما وصلت مكان "حاسي أسكسم Aceksem" 510 عنزة و53 حمار من كمال موبدير التي شاركت في الغزوة على قافلة "إن غار In-Rhar"، وأرسلت إلى عين صالح لبيعها، لتتم المعركة الحاسمة في تيت يوم 07 ماي 1902م، على كمال غلا وقبائلها التابعة بـ 300 مهري بقيادة "محمد بن عثمان" حفيد الشيخ عثمان، الذين فروا بعد هزيمتهم لتعود الحملة إلى عين صالح يوم 23 ماي 1902م. أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H30, 19^e Corps d'Armée, Division d'Alger, Note au sujet de contre-rezzou du lieutenant Cottenest, et des tournées du commandant Laperrine et du Caïd Kaddour Ben M'hamed, Alger le 24 juillet 1902, 5p. ; Cauvet G. : **Le raid du Lieutenant Cottenest au Hoggar**. Ed. R. et J. Brunon, Marseille, 1945,p. 34

³ أحصى "كوتنست Cottenest" 71 ضحية في ساحة المعركة، وقتل 22 آخرين في عملية الملاحقة ليكون المجموع 93 ضحية، في حين ذكر الطوارق رقم 61 ضحية فقط، ولكن الأب دوفوكو *de Foucauld* ذكر أنه من توفوا بعدها بسبب

كان هذا رقما كبيرا بالنسبة لكال أهقار فلم يسبق في كامل حروبها أن وصل إلى هذا العدد، وتكبدت قبيلة داق غالي النسبة الأكبر كما فقدت رئيسها الأمغار "محمد أق بسا" وحسب "دوفوكو" منحت القبيلة 150 محاربا رجع منهم النصف فقط¹، وأثار هذا صدمة نفسية قوية لكال أهقار فقد زالت الأسطورة أنهم أشداء ولا يغلبون في الحروب، على الرغم أنهم يصرحون إلى اليوم بأنها ليست فرنسا التي غلبتهم، ولكن قبائل الشعانية التي شكلت كامل الكتيبة والمزودة بالأسلحة التي صنعت الفارق، وفق العداء القديم بين كال أهقار والشعانية، إضافة للدور الحاسم الذي لعبه "محمد بن بسيس" في تأليب الشعانية والفرنسيين لخوض الحملة².

وحمل كال أهقار هذا الرجل هزيمة وفاجعة "تيت"، في حين كان يجب أن يحملوا "محمد أق أرزيق" الذي خطط لجلب الفرنسيين، ليجعل مزاحمه في السلطة "أتيسي" يواجه الأمر وفق نهجه ومبدئه في السلطة، ومع أن الفرنسيين كانوا تقريبا مقتنعين بأن الاعتداء على "محمد بن بسيس" كان ورائه "محمد أق أرزيق" في سياسة لي الأذرع مع منافسه "أتيسي"³، لكنهم أرادوا أن يستفيدوا من الفرصة لكبح غرور الطوارق أولا، والعمل على التدخل في شؤونهم الداخلية ثانيا، من خلال الاستفادة من هذا الصراع، فقد أوعزوا إليهم برسائل قبل المعركة تقيد منعهم من ارتياد أسواق التيديكلت وتوات، وبأنهم لن يتعاملوا مع الأمنوكال الحالي (يقصدون أتيسي)، ولا حتى مع أشرف الطوارق الذين تورطوا في مقتل العقيد "فلاتر"، والوحيدون المسموح لهم إجراء اتصالات وعلاقات معهم هو "خيار أق أجير *Khiair ag Agüier*" وابن أخيه موسى أق أمستان⁴.

الجراح يفوق 150 ضحية، ومن جانب الحملة تم تسجيل 3 وفيات و11 جريح بينهم الملازم "كوتتسنت" أنظر للمزيد: Cauvet G. : Op. Cit., p. 100 ; Laperrine H. (génl.): Op. Cit., p. 396

¹ Foucauld Ch. de : Poésies Touaregues, T. 1, Op. Cit., p. 29

² Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 91

³ ذكر "بنهازيرا Benhazera": "بأن بابا أق تامكلاست دفع به محمد أق أرزيق ليضع منافسه أتيسي في مأزق"، وذكر المقدم "لابيرين Laperrine": "لقد كان الاعتداء على بن بسيس هو استهدافنا نحن،...لقد كان وراء معركة تيت محمد أق أرزيق الذي فضل الاستعمار على أن يتنازل لأتيسي". أنظر للمزيد: Benhazera M. : Op. Cit., p. 127 ; André Bourgeot: « Les mouvements de résistance et de collaboration en Ahaggar de 1880 à 1920 », A.A.N., N° XXII, 1984, p. 489

⁴ Cauvet G. : Op. Cit., p. 41 ; Benhazera M. : Op. Cit., p. 124

لم يكن الفرنسيون يدركون أسماء من كان وراء حادثة فلاتر¹، ولا دور الأمنوكال "أتيسي" فيها، وإنما أرادوا فقط أن يذكروا كمال أهقار أنهم لم ينسوا أفعالهم السابقة ضدهم، حتى يضيفوا عليها اعتداءات جديدة أخرى على مصالحهم ورعاياهم، كما أنهم كانوا ملمين بحقيقة التنافس على السلطة بين أربعة مرشحين لخلافة "أهيتاغل"، فزيادة على "أتيسي" و"محمد أق أرزيق" يوجد أيضا "سيدي محمد أق عثمان" حفيد الأمنوكال الأسبق "الحاج أحمد"، وكذلك يوجد "موسى أق أمستان"، وهذا من خلال عديد مراسلات "النقيب ميتوا Métois" حينها².

إزداد تأثير موسى أق أمستان بعد معركة "تيت" أكثر، فهو وعمه "خيار" من رضيت فرنسا أن تتعامل معهم من كمال أهقار فحسب، فبعد الفاجعة أصبح كمال أهقار بحاجة إلى الصلح مع السلطات الفرنسية في عين صالح، ومن خلالها تفتح لهم أسواق التديكلت والوادي وتمبكتو، فما وراء "موسى أق أمستان...؟". هو من مواليد عام 1867م، توفي والده وهو صغير ليتكفل به خاله "آمدر أق أمو Amdar ag Ammou" الذي يقطن بالأداغ إيفوغاس، وعاش حياة مغمورة وبائسة يرعى فيها إبل أقاربه، شارك في معظم غزوات كمال أهقار في شبابه على قبائل الجنوب والجنوب الغربي للأهقار، أظهر خلالها شجاعته وذكائه وقوته وفطنته، الأمر الذي جعل منه في قمة صف المحاربين الغازين، وأحد رموز أشرف كمال أهقار³.

¹ في تقريره حينها كتب العقيد كوفي *Cauvet*: "بأنه لم يكن يعرف أي واحد من الذين شاركوا في إبادة البعثة، ومعلوماتهم الشحيحة أفادت أن العقيد هوجم من طرف متمردين من الطوارق فقط، وكانوا أبعد من أن يشكروا في دور "أتيسي" فيها"، في حين ذكر العقيد لابيرين *Laperrine* في مراسلته لكوفي (07-04-1902م): " بالنسبة لحادثة فلاتر فإنها تعتبر بالنسبة لي حدث من التاريخ، فأنا أمسكت بـ 16 أو 17 شخصا كان معهم بنادق تعود لتلك البعثة، وقمت بقطع رؤوسهم جميعا، كان هذا قبل ست سنوات (في 1896م)، وأنا أعتبره انتقاما كافيا بالنسبة لي...". أنظر للمزيد: ANOM., Carton 14X2

² ANOM., Carton 22H30, correspondances Métois

³ Benhazera M. : Op. Cit., pp. 134-135 ; Foucauld Ch. de : Poésies Touarègues..T. 1, Op. Cit., p. 277 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 69

لكن بعد سن الثلاثين تغيرت حياته وأصبح أكثر هدوءاً، لوقوعه تحت تأثير رجل الدين المرابط "باي الكنتي"¹، المشهور وصاحب التأثير القوي في كامل الصحراء الوسطى والمسالم للتوغل الفرنسي، وأصبح ملازماً له في منطقة الأداغ، ولكن يعود الفضل الكبير لعمه "خيار" الذي جعله ينافس على منصب الأمانوكال، ف"خيار أوق أجير" مثل أخيه "أمستان" هما ولدا السيدة "تيجنت *Tigent*" من الزواج الأول، ولما تزوجها الأمانوكال الأسبق "الحاج أحمد" تربي "خيار" على يديه وتبناه، وكان قريباً من السلطة لولا أن إفتكها منه "أهيتاغل" بحكم عرف انتقال السلطة الذي كان لصالحه (ابن خالته)، الشيء الذي أغضبه وأصبح معارضا له، ولكن وجد عزائه في ابن أخيه "موسى أوق أمستان" ليكون خلفاً لأهيتاغل بدلاً من "أتيسي"².

على الرغم أن موسى أوق أمستان نفسه كان مرشحاً لخلافة الأمانوكال "الحاج أحمد"، لأنه ابن أخته ولكنه استبعد بحكم صغر سنه وقتها³، وبالنظر لتراجع دور موسى أوق أمستان في الحياة السياسية والعسكرية خاصة، -التي لها وزنها أيضاً في تولي السلطة- لإقامته المتقطعة بين الأهقار والأداغ، ليفسح المجال لأتيسي "بأن يكون المحارب والقائد الأول لكال أهقار خاصة بعد حادثة فلاتر. إلا أن موسى أيضاً هو صاحب "معركة إزروان 1898م" الشهيرة⁴، التي ألحق فيها كال أهقار هزيمة مدوية ضد طوارق الإولييمن (كال دينيك) والتي

¹ إسمه الكامل هو "سيدي محمد بن سيدي عمر بن سيدي المختار باي الكنتي" (1865-1929م)، هو ابن حفيد "سيدي المختار الكبير الوافي" (1729-1811م) "مؤسس سلطة الكنتة القوية، أجاد "باي الكنتي" اللغتين العربية والتماهق بحكم الموقع الجغرافي الذي أقام به في "تيليا *Téleya*" في الأداغ يرأ □ زاويتها القادرية التي أسسها والده "سيدي عمر" في واد "عين تلابيت *In Tellabit*"، نقطة التقاء تأثير زوايا بلاد المغرب ورجال الدين الإنسلمين الطوارق، لكن شهرته وتأثيره انتشر في كامل الصحراء وهو ما جعله يصبح الأب الروحي لموسى أوق أمستان، الذي أصبح يقيم أكثر بالأداغ منه في الأهقار، ولم يحد توجهه عن توجه الطريقة التيجانية والقادرية خاصة في التعامل والتعاون مع الفرنسيين، فقد كان "باي" مسالماً جداً للتوغل الفرنسي في الصحراء، على عكس ابن عمه "عابدين الكنتي" الذي قاوم الفرنسيين طيلة حياته، وهو من أفتع قبائل الإفوغا □ بأن تسلم لسلطات عين صالح. أنظر للمزيد: Métois: Paul Marty: Op. Cit., pp. 116-118; (Capt.): **La soumission des Touareg du Nord 1900-1904.** (1^{er} Ed. Challamel, 1906,) Ed. Jacques Gandini, Paris, 1995, p. 25

² Benhazera M. : Op. Cit., p. 124 ; Bourgeot A. : «Les mouvement, Op. Cit., p. 490

³ Lhote H.: les Touaregs. Op. Cit., p. 39

⁴ حدثت معركة إزروان لما أراد موسى أوق أمستان أن ينتقم لمقتل أخيه "بلو *Bello*" في غارة السلب الأولى على كال دينيك، جمعت خلالها كال أهقار أحلافها من كال أبيير وكال غرس، والتقى الطرفان في المكان المسمى إزروان جنوب

خلدت في شعر الطرفين، ولم يستطع طوارق الإولييمن الرد عليها ضمن سلسلة الصراع القبلي الدامي بين الطوارق، جعلت من موسى المحارب الأول، ووجد عمه "خيار" السلوى في دعم نفوذ ابن أخيه أكثر عند كمال أهقار.

لم يرغب على السلطات الفرنسية الصراع الأول بين "خيار" و"أهيتاغل"، كما لم يفتها التنافس المتجدد بين "موسى" و"أتيسي"، وكانت تدرك جيدا علاقة "موسى أقمستان" بالمرابط المسالم "باي الكنتي"، لذا رأت أنه من مصلحتها لو يتولى "موسى أقمستان" أمر كمال أهقار، ومنذ أوت 1902م بدأ موسى يتصل ممثلا عن كمال أهقار بالسلطات الفرنسية في عين صالح، طالبا السلم وفتح أسواق التديكلت لهم، ورأى الفرنسيون أن الأمر قد حان لمد نفوذ موسى أكثر لدى كمال أهقار، فوافقوا على التماسه هذا وطلبوا منه الحضور إلى عين صالح لإمضاء وثيقة الخضوع والسلم معهم¹.

تبين لكال أهقار أن موسى أقمستان هو من سيجنبهم الخطر القادم من الفرنسيين، لذلك تم إبعاد "أتيسي" من الواجهة السياسية لكال أهقار لأنه المتورط الأول في حادثة فلاتر، إلى غاية أن يقتنع الجميع بأحقية موسى أقمستان كرجل المرحلة الراهنة، وكانت تدرك السلطات الفرنسية هذا الأمر²، فأرادت تعزيزه بتوظيف رجال الدين في منطقة التديكلت، التي كان بها المرابط "الحاج أحمد بلو" من قبائل "أهل عزي"، والمرابط الآخر "سي مولاي عمار"

"تاوا Tawa" وهلك عدد كبير من الإولييمن كمال دينيك (أكثر من 120 قتيل) نتيجة حيازة كمال أهقار على الأسلحة النارية التي أخرجت المعركة عن نطاقها التقليدي القديم، أنظر للمزيد: إبراهيم بتقة: المرجع السابق، ص 101-102

¹ ANOM., Carton 22H49

² في عديد المراسلات بين الضباط الفرنسيين تبين علم هؤلاء تطور الأحداث داخل كمال أهقار لحساب ترجيح موسى أقمستان خلافا لـ "أتيسي" الذي تبين لهم أنه متورط في مقتل فلاتر. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 14X2, correspondance le Commandant Laperrine le 2 Octobre 1902 ; ANOM., Carton 22H49, correspondance le Général Servières le 14 septembre 1902 ; ANOM., Carton 22H30, correspondance du Gouvernement Général en date du 28 février 1903

من قبائل الشرفة بـ"أقبلي"، وكان بين الرجلين تنافسا لصراع قديم بين القبيلتين¹، كما كان لهما كلمتهما المسموعة عند كمال أهقار².

في شهر جوان من سنة 1903م وبعد طلب من "موسى أقي أمستان" نزل "الحاج أحمد بلو" إلى الأهقار وبعد إذن من النقيب "ميتوا Métois" في عين صالح³، ولمدة 9 أشهر فاوض وناقش خلالها مع كمال أهقار أهمية الاصطفاف وراء موسى أقي أمستان⁴، والذي بدوره لن يخشى أي شيء بالنزول لعين صالح وإمضاء اتفاقية السلم مع الفرنسيين، هؤلاء الأخيرين الذين لا يزالون يهددون كمال أهقار بدورياتهم المتكررة في الأهقار، حتى أنهم وصلوا مرة إلى قلب الأتاكور بحملة الملازم "غيلو-لوهان Guillo-Lohan" ضمت 150 مهابيست في نهاية سنة 1902م، وفق التنظيم الجديد للحملات الصحراوية، الذي وضعه العميد لابيرين لما أصبح يشغل منصب "القائد الأعلى للوحدات" منذ تاريخ 06 جويلية 1901م.

¹ في رسالة من العميد "لابيرين Laperrine" إلى النقيب "كوفي Couvet" يخبره على أن يستفيد النقيب "ميتوا Métois" من صراع "الحاج بلو" مولاي" لصالح نفوذ موسى أقي أمستان. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 14X2, Lettre du commandant Laperrine au capitaine Cauvet en date du 02 décembre 1903, ² استعان موسى كثيرا بالمرايط "سي مولاي عمار" الصديق المقرب كثيرا من قبيلة التايطوق، لكبح جماح هؤلاء ضد الفرنسيين، كما قدم مولاي عمار خدمات مهمة للفرنسيين بعد توليته "قايد"، فهو من أقنع قبائل الإيفوغاس بالتسليم للفرنسيين حتى لا يطلب منهم، حظر الأمغار "يخي Yakhia" ليقابل النقيب "متوا" في جهة "أقبلي Aqabli"، يسلمه رسالة الخضوع شهر فيفري 1904م، ثم أصبح دليل القائد "لابيرين" في الأداغ لما كان يريد أن يصل حتى تمبكتو، قبل أن يوقفه النقيب "ثيفينيو Théveniau" القادم من الجنوب... كان قد تم تكريم "مولاي عمار" قايد الأقبلي بوسام الصليب في النجمة السوداء لبورتو نوفو، تعيين كبير أهل عزي "الحاج أحمد بن محمد بلو" قايد في المنطقة مع ختم شخصي، تقليده بنفس سام مولاي عمار، تم تكليف صنع هذا الختم يوم 02 ماي 1904م أرسل للمعني يوم 8 جويلية أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Chef d'Escadrons Laperrine Commandant Militaire Supérieur des Oasis Sahariennes à M. le Général Commandant la Subdivision d'Ain Sefra, «Relations avec les Touareg», Adrar, le 17 février 1905, 9p. ; Métois (Capt.): 1906, Op. Cit., p. 3

³ في تقرير زيارته هاته كتب الحاج بلو أنه بعد تلقي مجموعة من الرسائل في بداية شهر ماي من طرف موسى أقي أمستان بواسطة أحد حراطينه المدعو "شرناش Chernach" يدعو فيه للالتقاء بغرض مساعدته على مسالمة الفرنسيين. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30 كما ذكر النقيب "ميتوا Métois": "أن موسى طلب منه إرسال القايد الحاج أحمد بن محمد بلو، بحكم أنه من أهل عزي قد يساعد على طمأنة كمال أهقار مع الفرنسيين إذا نزلوا لعين صالح بغرض الاتفاق على عقد السلم". أنظر للمزيد: Métois (Capt.): 1906, Op. Cit., p. 17

⁴ «Rapport du Caïd El Hadj Ahmed Bilou des Ahl Azzi sur son voyage dans l'Ahaggar à M. le Capitaine, chef d'annexe à In Salah», pour traduction conforme l'officier interprète: Durand, **B.C.A.F., Renseignements coloniaux**, N° 4, 1905, pp. 183-187

هذا الأخير الذي قاد بنفسه دورية كبيرة في شهر أبريل 1903م عبر خلالها "مويدير *Mouydir*" و"الآهنت *Ahnet*" حتى وصل إلى "عين زيزة *In-Ziza*"، وهي كلها حملات لإثبات القوة لكال أهقار وبأن أقاليمهم أصبحت مستباحة عند الفرنسيين، وهذا لإرغامهم على الخضوع والتسليم، وهي سياسة أتت أكلها فكترة هذه الحملات ونصائح "الحاج بلو" دعت جزءا كبيرا من كمال أهقار ينظمون وراء "موسى أق أمستان"، الأمر الذي أدى بـ"أتيسي" وأتباعه المعارضين إلى التخييم والاستقرار في الجنوب الشرقي "لأمغيد"، لكن السلطات الاستعمارية كانت له بالمرصاد لما أرسلت الملازم الأول "بيسي *Besset*" في حملة إلى قمعهم في جوان 1903م¹.

كما هاجم عديد مخيمات الموالين لأتيسي من قبائل الهقار والتايطوق خاصة في جهة الشرق، ولم يجد هؤلاء منفذا يلجؤون إليه بعيدا عن أعين الفرنسيين، مما اضطر الكثير من المنشقين الموالين لأتيسي للعودة لقبائلهم الأصلية، ومنها مجموع قبائل الإيسقمارن *Isaqqamaren* (كال تافيداست *Kel-Tefedest*، كال أمغيد *Kel-Amguid*، كال إنغر *Kel-Inguer*) والقبول بسلطة موسى أق أمستان عليهم².

هذا الأخير وعلى رأس وفد مهم من كمال أهقار، وفد إلى عين صالح مطلع شهر جانفي 1904م ليطلب الأمان والسلم مع الفرنسيين³، وتم قبول طلبه من طرف النقيب "ميتوا *Métois*" الذي اعترف به حاكما للأهقار وأمضيا على اتفاقية من عشر بنود⁴، ومن يومها

¹ ANOM., Carton 22H49, Rapport du Lieutenant Besset, 1903

² ANOM., Carton 22H49.

³ حسب "لابيرين"؛ طلب موسى بدوره الأمان حتى لمنافسه "أتيسي أق أملال" وأخوه أنابا، وجماعته المناهضين لفرنسا، هذه الأخيرة التي كانت تعلم أن موسى لا يريد إقالة الدم مع من يخلفونه بعدها من أبناء أخته الكبرى وزوجها أنابا، وفي نفس الوقت من أجل دعم معسكر المسالمين لفرنسا أكثر،... هذه الأمور هي التي كانت وراء دورية لابيرين لمنطقة الأهقار والوقوف بنفسه على قوة وتأثير أتيسي وأنصاره في المنطقة. أنظر للمزيد: SHT., Carton 1H1036, Rapport du Chef d'Escadron Laperrine Commandant Militaire des Oasis Sahariennes sur sa tournée dans le sud de l'annexe du Tidikelt du 14 mars au 3 juillet 1904, Adrar, le 23 juillet 1904, 43 p.

⁴ ضمت الاتفاقية 10 بنود يلتزم بها الطرفان: 01- حكم وتسيير كل إقليم الأهقار والتابعة له يعود لموسى أق أمستان، الذي يصون حرية وأمان التجار القادمين من فرنسا أو البلاد الخاضعة لها (حتى لو كان عبدا يحمل الذهب فوق رأسه فإنه يجتاز الأهقار بأمان.. "عبارة أضافها موسى).

بدأت السلطات الفرنسية تتدخل مباشرة في شؤون كمال أهقار حتى قبل أن تستقر في البلد، مع العلم أن هذا الاتفاق الذي أبرمه "ميتوا" لم يرح الضباط الآخرين، خاصة "لابيرين" الذي أعاب عليه عدم فرض ضريبة ولو رمزية كمؤشر على الخضوع، لكن "ميتوا" شرح له الأمر في مراسلته على أن وضع موسى أق أمستان صعب، ولا يجب الضغط عليه أكثر ليستغلها مناوئوه على السلطة، لأنه لم ينصب بعد كأمنوكال لكال أهقار¹.

كانت إذن سياسة حذرة من طرف السلطات الفرنسية تجاه خضوع كمال أهقار، وحتى موسى نفسه كان دائما يتحاشى ويؤجل موضوع الضريبة لما يفتحه فيها النقيب "دينو Dinaux" الذي قاد عدة دوريات في الأهقار²، وكان هو من نصب موسى أق أمستان أمنوكالا على كمال أهقار بتاريخ 25 أوت 1905م، في حفل تنصيب بالمكان المسمى "واد سرسوف" بحضور قرابة 60 رجلا من أشرف كمال أهقار، وحضور نبلاء آخرين مثل "محمد أق عثمان"، و"أخاموك أق إيهما" (الأمنوكال القادم)، إضافة لعديد مشايخ القبائل (أمغار)

02- يستلم موسى أق أمستان برنوس وختم التنصيب كباقي القياد الخاضعين في المنطقة، كما يحتفظ بمنصب الأمنوكال ويمارس كل سلطته المعتادة رفقة جماعته.
03- يعتبر رئيس ملحق عين صالح هو الوسيط بين السلطات الفرنسية في تبليغ أوامرها لكال أهقار، والعكس في طلبات موسى أو كمال أهقار لدى السلطات الفرنسية.
04- يلتزم موسى بإرسال القائمة الكاملة لرعاياه من قبائل وعشائر وفرق إلى رئيس مركز عين صالح وأماكن تواجد مخيماتها، وهذا حتى يمكن لهذه القبائل أن تتقرب من مخيمات العسكرين بشكل ودي ويستطيعون بيع منتوجاتهم للجنود.
05- أي خرق للبلد السابق يجب أن يعلم به موسى أق أمستان رئيس مركز عين صالح والعكس، والمخالف يعاقب.
06- في حالة ما إذا أحد الإيموهار تجاهل سلطة موسى أق أمستان، يعلم رئيس المركز بالأمر حتى تتم معاقبته.
07- يراقب موسى أق أمستان ورجاله الإقليم بشكل عام ويحفظون أمنه، وفي حالة وجود عدو يشكل خطرا حقيقيا يجب إعلام رئيس المركز الذي سيقدم المساعدات المرجوة المتوفرة.
08- الأشخاص الذين يعينهم موسى لمراقبة الأمن وحماية التجارة ووسطاء مع رئيس المركز، يستفيدون من منحة شهرية مقدرة بـ15 فرنك من الحكومة الفرنسية، يقدر عددهم لاحقا، مع زيادة منح بندقية وذخيرتها للذين يبذلون وفاء وحماسا للعمل مع رئيس المركز.

09- يُستقبل الإيموهار بكل ود من طرف الأقاليم المجاورة للأهقار والخاضعة للفرنسيين، كما يجب عليهم الامتناع عن أي عمل عدائي، وسيعلم رئيس المركز موسى أق أمستان بالتعديلات الجديدة نتيجة الوضع السياسي للبلد، كما سيعلم زملائه في كل من تمبوكتو، غاو، تاوا، وزندر، بأن الأهقار في سلم مع فرنسا، وبأن سكانه مرحب بهم عندهم حينئذ.
10- لتسهيل العلاقات بين الأهقار والتديكلت، سيعمل رئيس مركز عين صالح على إنشاء قرية في "تاجموت Tadjemoute" تمكن حراطين الأهقار من ممارسة نشاطهم الفلاحي، تتبع بأعمال تخطيط وتهيئة فلاحية (هذا بند طلبه موسى). أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30 ; Métois (Capt.) : 1906, Op. Cit., p. 33

¹ قام موسى أق أمستان بتعيين "أخموك أق إيهما" و"سوعي أق شيكات" كخلفاء له إذا ما تعذر أو طرأ عليه هو أمر ما. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Lettre adressée par Moussa ag Amastan à M. le Capitaine Métois au Métois chef de l'annexe d'In Salah, le 1 février 1904, 3p. ; Lettre du Capitaine Métois au Commandant Laperrine en date du 10-02-1904

² ANOM., Carton 22H68, Rapport de tournée du capitaine Dinaux (25/06/1905-5/07/1905)

يقودون وفودا ممثلة للقبائل ومنها(داق غالي، أجهي-نتالي، كال تازولت، آيت لاواين، غلايدين)، كما تم إقلام الجميع بدفع ضريبة رمزية من كمال أهقار لم تحدد حينها، كدلالة على الخضوع للفرنسيين¹.

كان هذا النقيب "دينو *Dinaux*" قد نصب شيخ قبيلة التايطوق الأمغار "سيدي أوق غراجي" بتاريخ 24 ماي 1905م، إضافة لتعيين "أزيوال أوق سرادا *Aziouel ag Serada*" و"باجلود *Badjeloud*" على سلطة طبل ضم التايطوق وكال أهنت²، ولإضعاف دور "التايطوق" لحساب كمال غلا قام النقيب "دينو" في سنة 1907م باقتطاع قبيلتي الأتباع "الإيكسيمادن *Ikecemaden*" و"الإيكيتيزن *Ikuttisen*" (وهما فرجان من داق غالي) من طبل التايطوق وألحقهما بطبل كمال غلا، أي تدفع ضريبة "التويسي *twisé*" لهذه الأخيرة،

¹ طالب موسى بختم مكتوب بالتماشاغ والعربية لأنهم لا يعرفون الفرنسية ومختلفا عن ختم "سيدي أوق غراجي" للتايطوق، (إقترح لابيرين ختم كبير مكتوب في الوسط بالتماشاغ، وعلى الحواف بالعربية والفرنسية). أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Lieutenant-colonel Laperrine Commandant Militaire des Oasis à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Organisation des Touaregs Hoggars et Taitoqs», In Salah, le 15 septembre 1905, 4p
² تم ضبط القيادة عند التايطوق على الشكل التالي؛ سمي "سيدي أوق غراجي" أمنوكال على التايطوق كال أهنت واستلم برنوس التنصيب، ووضع تحت أمره شيخا القبيلتين؛ الأمغار "أزيوال أوق سرادا" على النبلاء، والأمغار "باجلود" على كال أهنت، وقد يضاف لهم أمغار ثالث مستقبلا عن تايطوق الأمغي *Amghi*، وبذلك يعتبر التايطوق رعايا فرنسيون، ويدفعون ضريبة الخضوع السنوية والمقدرة بـ 7 جمال بعمر سنتين، أو تقديمها نقدا 500 فرنك، وحصل "سيدي أوق غراجي" على ختم ووكيل بحماية طريق القوافل في منطقتهم مع أخذ ضريبة المرور المعتادة، وتوفير 10 رجال لمهمة حفظ الأمن في منطقتهم مسلحين ببنادق صغيرة (carabines 1874) براتب سنوي يصل 150 فرنك (أي 12,5 فرنك شهريا للفرد)، وهذه 1500 فرنك ستقتطع من ميزانية الجنوب المقدرة بـ 4800 فرنك لتسيير مخزن الطوارق... في حين ستكون ضريبة الأهقار أرفع قليلا وتقدر بـ 750 فرنك، كما يرفع عدد الحراس وحفظ الأمن (المخازنية) إلى 15 فرد (براتب سنوي إجمالي مقدر بـ 2250 فرنك)، والمبلغ المتبقي المقدر 1050 فرنك يوزع للمخازنية الطوارق الملحقين بالمركز، وكذا للأدلاء والمترجمين... لكن لاحقا وبغرض تأكيد خضوع كال أقر التي خضعت حديثا (1909م) كان عليها دفع الضريبة والتي حددها الحاكم العام بأن تدفع كال أهقار وكال أقر والتايطوق ضريبة مجملة قدرها 3000 فرنك، تترك كامل الحرية لحاكم إقليم الجنوب والواحات في كيفية تقسيمها على هؤلاء وكذا آخر موعد لتسليمها. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Lieutenant-colonel Laperrine Commandant Militaire Supérieur des Oasis Sahariennes à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Organisation du commandement chez les Taitoq», Adrar, le 06 mai 1905, 3p. ; La Dépêche Algérienne, N° 7410, le 09 novembre 1905, article «Soumission de Touaregs», 1p. ; ANOM., Carton 1H1086, Correspondance de M. Jonnart Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Commandant Militaire du Territoire des Oasis, «Impôt à payer par les Touareg» Alger, le 23 mai 1909, 1p.

وهذا لتقوية نفوذ "موسى أق أمستان"¹، وما كادت سنة 1905م أن تنتهي، حتى اغتم هذا الأخير موقعه كأمنوكال مُنصب من طرف الفرنسيين ليجمع إليه كامل قبائل كمال أهقار إليه. كما تم إلحاق قبائل الإفوغاس (بالأداغ) لمستعمرة إفريقيا الغربية الفرنسية (AOF)، رغم طلب موسى بضمها إليه وكذلك رغبة الإفوغاس بالانضمام تحت سلطة موسى وليس تمبكتو²، لكن الأمر كان قد اتخذ إلى مستوى أعلى الهيئات نتيجة الصراع بين الضباط الفرنسيين في مستعمرة الجزائر ومستعمرة إفريقيا الغربية الفرنسية، الذي كاد يؤدي بحياة "لابيرين"³.

3-3 علاقة الأمنوكال موسى أق أمستان بالسلطات الفرنسية:

ما من شك أن "موسى أق أمستان" لن ينسى فضل فرنسا في أن جعلته السيد الأول في الأهقار، بعدما كاد يميل لحياة الزهد والتعبد مع المرابط "باي الكنتي" الذي لازمه في

¹ ANOM., Carton 22H73

² كتب لابيرين خلال زيارته لقبائل الإفوغاس بالأدرار في سنة 1904م، أن هذه القبائل تفضل إلحاقها بالإدارة الفرنسية للتديكالت عوض التي في تمبكتو لعدة أسباب منها:

- أنهم لا يحبون القايد "حاموادي Hammouadi" قائد قبائل الكنتة الذي له تأثير في منطقة تمبكتو، ويلعب الدور نفسه الذي يلعبه القايد "مولاي عمار" في الأقبالي، والقايد "بلو" كبير أهل عزي في منطقة عين صالح، هذا القايد الذي أغار عليهم في الكثير من المرات سابقا، وهددهم من مغبة الالتحاق بالفرنسيين في عين صالح،
 - أنهم يدفعون ضريبة الحماية (تويسي) لموسى أق أمستان وأزيوال، الذين هم أنفسهم يخضعون لإدارة التديكالت.
 - أنهم يتزودون بحاجتهم من التمر من منطقة التديكالت، ولا يريدون الدخول في مشاكل مع أهل سلطات هذه المنطقة
- أنظر للمزيد: SHT., Carton 1H1036, Lettre du Chef d'Escadron Laperrine Commandant Militaire des Oasis Sahariennes à M. le Général Commandant la subdivision Ain Sefra, Ait el Kha, le 28 mars 1904, 3p.

³ في خضم التنافس الشديد بين ضباط مستعمرة إفريقيا الغربية الفرنسية (AOF) فيما بينهم أولا، ثم مع ضباط جنوب الجزائر ثانيا حول توسيع مناطق نفوذهم، قرر العميد "لابيرين Laperrine" إجراء دورية ضخمة بين التديكالت والأداغ يصل بها حتى تمبكتو (مارس-جويلية 1904م) وكان معه في هذه الدورية صديقه "الأب شارل دوفوكو Le Père de Foucauld" ليعرفه على المنطقة قبل أن يستقر بها (1905م)، ولكن لما وصل إلى منطقة "تيمياوين Timiawine" يوم 16 أبريل، إلتقى بدورية من فيلق الجمالة (المهاريست) التابعة لسلطات تمبكتو يقودها النقيب "تيفينيو Théveniaut"، وحين أراد لابيرين وجنوده النزول أكثر باتجاه الجنوب، عارضه "تيفينو" وأطلق النار، منبها إياه أنه ينفذ أوامر سادته بمنعه مهما كلف الأمر، (كان يعلم ضباط تمبكتو مسبقا بدورية لابيرين وهدفها النهائي) فتراجع لابيرين ورفع الأمر لأعلى الهيئات. أنظر للمزيد: Laperrine et Niéger: « Une tournée dans le sud de l'annexe du Tidikelt ». **BCAF/ Renseignements coloniaux**, 2, 1905, pp. 37-63 ; Bougetaia B.: **Les frontières méridionales de l'Algerie** (de l'hinterland à l'ultipossidetis). Ed. SNED, Alger, 1981; Niéger (Gén): « L'affaire du puits de Timiaouine ». **Le Saharien**, 50, 1968, pp. 3-8 ; Foucauld Ch. de: *Carnet de beni Abbès (1901-1905). Oeuvres spirituelles*, T. XIII, Ed. Nouvelle Cité, Paris, 1993.

الأداع، لذلك قَرَّتْ أعين الفرنسيين بأنه لا يمكن انتظار إلا الطاعة والولاء منه، كما هو الحال لما استطاع احتواء جميع قبائل كمال أهقار في صفه لمصالحة الفرنسيين، ثم ضيق على جميع مناوئي الوجود الفرنسي في الصحراء، مما جعله يحظى بوسام "فارس جوقة الشرف" في بداية سنة 1907م قلده إياه القائد العسكري لإقليم توات¹، لكن هذا الشعور تجاه موسى سيوضع على المحك أكثر لما تعرف المنطقة موجة التمردات والعصيان خاصة من طوارق الجنوب، الذين شرعوا في سلسلة من الثورات تجاه الإدارة الاستعمارية مع اندلاع الحرب العالمية الأولى.

اندلعت هذه الثورات نتيجة تزايد الضغط على قبائل الطوارق خاصة لما ضرب الجفاف المنطقة منذ سنة 1912م، وأصبحت مجاعة مهلكة في سنتي 1913م-1914م، زيادة على ارتفاع ضريبة الخضوع التي تفرضها السلطات الفرنسية عليهم، مع تراجع عائدات التجارة العابرة للصحراء بعد أن أحكمت عليها السلطة الاستعمارية، التي أصبحت تستغل إبل الطوارق بالقوة ودون مراعاة صحتها حتى هلك منها الكثير، وكذلك لانتشار دعاية السنوسية ضد المستعمرين ككل، بضرورة طردهم من المنطقة مع الفرصة التي منحتها الحرب العالمية الأولى².

بعد فشل ثورة المرابط "محمد أحمد"³ في استنهاض قبائل الطوارق لثنية نهر النيجر (اللوغوماتن، التنغيريغيدش، كمال أودالة، كمال غوسي...) في أقل من سبعة أشهر

¹ Dinaux (Capt.): «Une mission dans l'Adrar du Niger 8 mars-25 juillet 1907, Rapport de tournée du Capitaine Dinaux, Chef de l'annexe d'In-Salah», **B.C.A.F., Renseignements coloniaux**, N° 3, mars 1908, pp. 76-85

² للإطلاع أكثر على ثورات طوارق الجنوب (في ثنية نهر النيجر، والإيوليمدن، والأبير) وعوامل قيامها ونتائجها. أنظر: إبراهيم بنقاه: المرجع السابق، ص ص 175-241

³ محمد أحمد ابن الجنيدى أق أونتيهي Ag Alentihai ولد نحو 1850م، من إحدى فروع القبائل الشريفة التي أقامت منذ زمن طويل عند كمال السوق، درس على يدي محمد هوغينات Houguinet الشيخ الكبير ومرابط كمال السوق لجهة غورما Gourma، كان منذ صغره في الأحداث التي تعرفها منطقة ثنية النهر حتى تمبكتو، شارك رفقة نديوغي N'Diougui (رئيس أودالن) المتعاون مع بوكار وانزايدو لمراقبة طريق دورو Doro لقطع طريق حامية كراف Crave (نة 1898م)، ثم التحق بماديدو أموكال الإيوليمدن كمال دينيك، و□ جن عدة مرات لتحريره الناس ضد المستعمر. حضر مع فيرهون الثورة والتحق ابتداءً من نوفمبر 1916م بـ محمد أوتام رئيس الأودالن وجمعا أزيد من 2000 محارب. أنظر للمزيد: Mangeot (C) et Paul Marty: **les Touareg de la Boucle du Niger**. Emil Larose, Paris, 1919, pp 172-175

(ديسمبر 1915م-جويلية 1916م)، إلتحق بثورة الإيوليمدن *Iwllimeden* (كال أتارام *Kel-Ataram*) تحت قيادة الأمنوكال "فيرهون أقي الإنصار *Firhun ag El-Insar*" التي انطلقت في أبريل 1916م، هذا الأخير الذي فرض حصارا على المركز الفرنسي بالفيلانج *Filingué* لكنه تكبد خسائر مهمة جدا كسرت ظهر ثورته بفقدانه قرابة 800 محارب، لتعقبها هزيمة أخرى في معركة "آدر نبوكار *Ader-n-bukar*"¹.

كما قدر للأمنوكال "فيرهون" أن يلقي مصيره على أيدي كمال أهقار لموسى أقي أمستان في رحلة الفرار يوم 16 جوان 1916م على بعد 150 كم غرب "مناكا *Menaka*"، فقد شارك رجال "موسى أقي أمستان" كما هو الحال مع قبائل الكنتة² إلى جانب الفرنسيين لقمع ثورة "فيرهون" خاصة في المعركة الأخيرة "آدر نبوكار"، لأن "موسى" لم يكن مؤيدا لثورة "فيرهون"، حينما وصلت رسالته منه قبل انطلاق ثورته للانضمام إليه مع كامل الطوارق لطرده الفرنسيين، لكن "موسى" لم يبال بالأمر وأحال الرسالة للفرنسيين أيضا³.

- دور موسى في القضاء على ثورة الطوارق 1916-1920م:

لم تقتصر عمالة "موسى أقي أمستان" مع الفرنسيين ضد الأمنوكال "فيرهون" فقط⁴، بل اتخذ موقفا معاديا لثورة الطوارق الكبرى التي أشعلها سلطان أغدس *Agades* "عبد الرحيم تاغاما *Tagama*" رفقة المحارب الشهير "كاوسن *Kaoussen*" في كامل منطقة

¹ فقد الطوارق في هذه المعركة، قطعانا كبيرة جدا تمثلت في 2500 جمل، 15 ألف بقرة، 30 ألف خروف، بالإضافة إلى أسر 700 شخصا (نساء وأطفال). انظر: Maurice Abadie: **La colonie du Niger**. société d'éditions géographiques maritimes et coloniales, Paris, 1927, p 328

² سيطرت على منطقة الأزواغ رفقة الأويوليمدن في النصف الثاني من القرن 19م، وتنقسم قبائل الكنتة إلى عدة فروع منها: بياجيراتان *Biajirtan*، الطرشان، تآقار *Tagar*، أشارك *Echark*، الموساكارس، وغيرها وبلغت سيطرة الكنتة الأوج عند مطلع القرن 18م وسيطرت على الكابي *Kabbi*، الغوبر، الأدر، الدوتشي، والغولبي، وأخذت الكنتة البدو كعبيد وكان سلطان الأيبر يرسل بانتظام الضريبة التي فرضتها عليه الكنتة، مع فرض ضريبة (04 آلاف كوري *Couris*) للعائلة. أنظر للمزيد: Nicolas (F.) : Op. Cit., p. 50

³ Fin Fuglestad: « les révoltes des Touareg du Niger (1916-17) ». **C.E.A.**, vol. 13, N° 49, 1973, Mouton & Co, Paris, p. 90.

⁴ هناك من فسر أن وقوف موسى أقي أمستان ضد ثورة "فيرهون" يعود لسنة 1905م، لما فسدت العلاقات بينهما حينما ألحقت قبائل الإيفوغاس (بالأدغ) بإفريقيا الغربية الفرنسية، بعد أن كانت تابعة لإقليم موسى، هذا الأخير الذي اعتبره دسيسة ونصرا لفيرهون. أنظر للمزيد: Idrissa kimba: **la formation de la colonie du Niger 1880-1922**. Thèse de Doctorat D'Etats, lettre et science humaine, Université de Paris VII, 1987, p. 1484

الأيير والآجر بالتعاون مع الطريقة السنوسية، وذلك ابتداء من مارس 1916م إلى غاية جويلية 1920م، التي انضم إليها جميع طوارق الجنوب (كامل قبائل كال أيير والدمرغو، كال وي، الإيوليدن بفرعيها)، ومن الآجر إنضم إليها السلطان "أمود" رئيس قبائل "الإيمان" الذي كان في علاقة مع السنوسية.

منذ بداية سنة 1916م اشتعلت بلاد الأيير والآجر، وتمت مهاجمة حصون الفرنسيين في كل مكان الذين أجبروا على ترك مركز "جانت" بالآجر شهر مارس¹، في نفس الوقت الذي أطبق حصار لمدة ثلاث أشهر على مركز أغداس بالأيير (13 ديسمبر 1916م-03 مارس 1917م)، وأهلكت كل فرق الإنقاذ الفرنسية له، كما تم مهاجمة كل قوافل الفرنسيين في المنطقة ومصادرتها، واشتعل كامل الأيير ضد التواجد الفرنسي، في هذه الأثناء كان الأهقار بعيدا عن الأحداث وفي حالة ترقب من الأمر، رغم مشاركة الأمنوكال المخلوع "أيسي أوق أمال" وجماعته مع الثوار².

عمل "موسى أوق أمستان" على أن لا يزج بكال أهقار في هذه الثورة، وحرص جميع القبائل التي تنتمي إليه وأمرها بأن تبقى بعيدة عن هذا الأمر، من خلال رسالته التي أرسلها لهم في بداية سنة 1917م والتي جاء فيها: "أريد أن أقول لكم أنني لما زرت فرنسا في ذلك العام، ولما زرت مدينة باريس رأيت قوة وعظمة فرنسا³، أيها الناس لا تغتروا وراء من يريد أن يقوم بالجهاد كذبا ولا تسمعوا لهم لأنهم بدون هدف، لذلك أحذر جميع من يسمع لهؤلاء الذين يدعون الجهاد ويلبوهم بالعقاب وسيلومون أنفسهم، لذلك التزموا بعهدكم وابقوا أوفياء

¹ SHT., Carton 1H1073, Rapport du Maréchal des Logis Lapierre sur le Combat de Djanet, Mai 1916. 17p.

² André Salifou: **Kaoussen, ou la révoltes Sénoussite**. Etude Nigérienne, N°33, éd. Copedit, Paris, 1973. p. 90

³ زار موسى أوق أمستان وبعض أتباعه فرنسا في سنة 1910م، ونقلت جريدة "الوقت" *Le Temps* حينها زيارته لباريس أين حضر لمناورات عسكرية، رفقة المقدم "لابيرين" *Laperrine* والعقيد "ناجر" *Nieger* وكان في استقبالهم الجنرال "مارتينو" *Martineau* وذلك في مسرح العمليات "إسي لي مولينو" *Issy-les-Moulineaux* شاهدوا خلالها عرض عسكري للمشاة والخيالة بمختلف الأسلحة، ثم عرض للطيران العسكري. أنظر للمزيد: (Le Temps (Journal), Samedi 13 aout 1910, pp. 1 et 4

لفرنسا، لأنكم علمتم ما حل بالإوليميدن فكل رجالهم ونسائهم وأطفالهم وعبيدهم ماتوا وسلب من بقي منهم وأصبح الجميع مثل الرماد، لذلك على كل من له قلب يجب أن يستمع لهذا الحديث لأنه سينجيه(...). لا تستمعوا للذين يريدون لكم الشر ويقولون عن أنفسهم أنهم مجاهدون، لأنهم فتحوا بابا كبيرا ولا يستطيعون غلقه أبدا"¹.

هذا السلوك من موسى أق أمستان المطمئن فرح به الفرنسيون وتناولوه في جميع مراسلاتهم حينئذ، لعل أهمها من "لابيرين *Laperrine*" الذي صرح: "...في هذه الفوضى الشيء الذي أسعدني هو موقف موسى ومن ورائه كمال أهقار الذين أصبحوا مخزن فرنسا في الصحراء"²، لكن رغم ذلك هناك بعضا من قبائل كمال أهقار التي عارضت ودخلت مع الثوار في نهاية سنة 1916م ويتعلق الأمر بقبيلة "آيت لاواين" التي معظمها ترك الأهقار والتحقوا بالآجر، كما أعلن "التايطوق" العصيان أيضا، لذلك أمام تزايد الضغط على موسى أق أمستان من بعض رؤساء القبائل، وبعد حادثة اغتيال المخبر "الأب شارل دو فوكو" في 01 ديسمبر 1916م³، نزل موسى إلى أغداس (مركز المقاومة) شهر فيفري 1917م، ومكث

¹ SHAT. 1H1086 ; ANOM., Carton OA41, Lettre de Moussa au Capitaine Meynier, Fevrier 1917.

² ANOM., 14X2, Lettre du Général Laperrine au Commandant Cauvet le 21-12-1916

³ عندما رفض موسى أق أمستان طلب كاوسن بالإنضمام إلى الثورة أول الأمر ، والإبتعاد عن الفرنسيين، بحث كاوسن عن وسيلة لبث الشكوك لدى الفرنسيين تجاه حليفهم أمستان، وخطط لقتل الأب دوفوكو الزعيم الروحي وقتئذ لجنود الإستعمار، الذي جلبه صديقه لابيرين من بني عباس (حصن بولينياك) إلى تمراسست سنة 1905م، حتى يعاونه في استمالة السكان ونشر المسيحية بينهم وإخضاع قبائل الطوارق، فعلاوة على أن مهمة الأب دوفوكو في الجزائر هي استمرار مشروع الكاردينال لافيغري التبشيري (التنصيري)، الذي بدأه خلال منتصف القرن 19م بالجزائر، إستعان به لابيرين كمخبر عسكري وجاسوس في هذه المنطقة (كونه رجل عسكري في البداية)، ويقف على سير الأحداث على التخوم الجزائرية اللببية خاصة ما بين سنتي 1915 و1916م، ففي خلال هاتين السنتين أرسل دوفوكو إلى صديقه لابيرين حوالي 41 رسالة يخبره فيها بأحداث الصحراء، وهو الأمر الذي جعله يلقي حتفه في 01 ديسمبر 1916م على أيدي رجال السنوسية، وبتخطيط من كاوسن، ليفقد ثقة الفرنسيين بحليفهم موسى أق أمستان، الذي لم يصل في الحنكة السياسية لما وصله سلفه الأموكال "أهيتاغل أق محمد". أنظر للمزيد: أحمد مريوش : " التوسع الإستعماري في الجنوب الجزائري وردود فعل الهوقار 1916م". مجلة المصادر. عدد 11، سداسي I، سنة 2005م، ص (112-147)؛ شاوش حباسي: " من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 10، سنة 1997، ص 99 ANOM., Carton OA41, Le Capitaine Commandant la Région Tidikelt Hoggar ؛ 99 Depommier «Rapport mensuel, Situation en région Hoggar au 1^{er} février 1917», Fort Motylinski, le 1 février 1917, 4p.

بها قرابة 20 يوما بجانب "كاوسن والسلطان تاغاما"، قبل أن يفر قافلا إلى الشمال ويلتحق بالفرنسيين¹.

ظن حينها الضباط الفرنسيون أن موسى قد خانهم والتحق بالثوار في لديد مراسلاتهم، ولكن موسى صرح لهم فيما بعد أنه قد حبس من طرف "كاوسن وتاغاما"، وهي رواية قد تكون أقرب للحقيقة، لأنه بتاريخ 10 فيفري 1917م وفي أهم أيام حصار مركز أغداس الفرنسي (يبعد 1,5 كم عن المدينة) من طرف رجال كاوسن، أرسل هذا الأخير رسالة للسلطان "تاغاما" جاء فيها: "أبلغ سلامي لأخونا موسى بن أمستان، ولا تتركه لا ليلا ولا نهارا،... إحذر أن يفر موسى منا، لا تتعد لأنه لحظة واحدة كي لا يفر، يجب الحذر منه"²، وهو ما يؤكد أن كاوسن لم يكن يثق في موسى لعلمه بصداقته للفرنسيين.

كما زالت شكوك الضباط الفرنسيين من خيانة موسى لهم، وظهر ذلك خاصة في تقرير النقيب "ديبومي *Depommier*" الذي التقى موسى في طريق رحلة لودته من أغداس وذكر: "أنه لا يمكن أن يشك في إخلاص موسى ووفائه للفرنسيين، الذي يعمل جاهدا على إخماد هذه الثورة سواء بالقوة أو بإبعاد جميع الطوارق من الولوج فيها أو مناصرتها، لذا يبقى موسى أق أمستان رئيس الحزب الموالي للقضية للفرنسية بامتياز، الذي قدم خدمات جليلة لإفريقيا الغربية الفرنسية كما للجزائر، وبالتالي يجب دعم سلطته أكثر للوقوف في وجه أعداء فرنسا"³.

¹ Yves Riou: *la révolte de kaocen et le siege d'Agades 1916-1917*. Niamey, 1968, p. 85

² Idem.

³ نزل موسى أق أمستان إلى أغداس لما انطلقت الثورة فيه بحجة استعادة جمال قافلة الأهقار من البشنة في رحلة عودتها من زندر والتي احتجزت السلطات الفرنسية في تاوا جزءا منها (400 جمل) واحتجز كاوسن جزءا آخر في أغداس (600 جمل)، وطلب كاوسن حضور موسى لاسترجاعها، ومع تزايد إلحاح قبائل الإمراد على استعادتها نزل إلى أغداس التي تم إبقاؤه فيها كرهينة من أجل فك ارتباطه بالفرنسيين وتعاونهم معهم طول الوقت، إلى أن تمكن من الفرار (مكث من 11 فيفري إلى 8 مارس في أغداس). أنظر للمزيد: SHAT., Carton 1H1086, Rapport du Capitaine Dépommier Commandant le Groupe Mobile du Hoggar sur la conduite de Moussa ag Amastane pendant la période de décembre 1916 à aout 1917, In-Salah, le 20 octobre 1917, 10p.

وكرر فعل منه لإثبات وفائه للفرنسيين شارك معهم في حملة قمع وملاحقة الثوار في الأيبر والآجر، بعد فك الحصار على مركز أغداس، وهذا وفقا لنصائح المرابط "باي الكنتي" أيضا والشديد التأثير عليه بعد عدة مراسلات بينهما، والتي منها: "عليك أن تحرص أن لا يخرج الناس عن طاعة أوامر السلطة الفرنسية، وكل من تسول له نفسه مخالفتها بدد وضيق حياته حاضرا ومستقبلا، لأنه إذا شنت الحرب على الضعفاء، فإنها ستكون هلاك من تسبب فيها، كمثل الأشياء التي جربت ماضيا ونعيشها حاضرا، إخضع للفرنسيين وانصحبهم وأعنهم بكل قواك، دلهم على الأشياء التي نسوها والتي يمكن أن تحسن الوضع"¹، هذا التحريض من "باي الكنتي" هو لاشك يندرج ضمن الصراع بين الطريقتين السنوسية والقادرية، هذه الأخيرة التي كان موسى أحد مقدميها منذ سنة 1904م عندما ذهب لعين صالح لطلب السلم مع الفرنسيين²، تم توليته حينها مقدا للطريقة من شيوخ القادرية فيها (ربما بوساطة من القايد بلو)، وهذا لتضاف لسلطته السياسية هالة مرابطية أيضا.

أخذ موسى أق أمستان بنصائح شيخه "باي الكنتي" وشارك رفقة حملة النقيب "ديبومي *Depommier*" في سلسلة الهجمات على القبائل المتمردة ورجال كاوسن الفارين في صحراء "التنيري" بالأيبر، وربما بدا لموسى أن كاوسن قد نافسه في طموحه القديم بأن يجمع كامل قبائل الطوارق تحت سلطته، ولكن بوجهة نظر مختلفة عند كل واحد منهما ونهج مختلف في سبيل الوصول إلى ذلك، فموسى كان قد أبدى للسلطات الفرنسية رغبته في ضم طوارق الأداغ تحت سلطته، ولما ضاعت منه وألحقت بسلطات إفريقيا الغربية الفرنسية (*AOF*) في سنة 1905م أراد أن يضم إليه طوارق الآجر وربما بعدها طوارق الأيبر³.

¹ ANOM., 22H80, Rapport de tournée au Sahara en 1917 du M. Bonamy

² Métois (Capt.) : 1906, Op. Cit., p. 34

³ عمل موسى كثيرا لتقدم كال أجر خضوعها للفرنسيين بالطرق السلمية في الكثير من لقاءات وسلطته ومفاوضاته معهم، ولكن أمام عنادهم أصبح يد فرنسا القوية عليهم لدحر أي مقاومة أو عصيان من طرفهم، وشكل قوم الهقار لضبط أمن الصحراء، فقد تمكن 80 رجلا من الأهقار بقيادة "محمد أق عثمان" نائب موسى أق أمستان، من القضاء على المعارض

وهي الرغبة التي عبر عنها المقدم "لابيرين" يتوسط له فيها عند الحاكم العام بالجزائر قائلاً: "...لي الشرف أن أتقدم إلى سيادتكم العليا طلب إحقاق بلاد الآجر لمركز التيديكلت، وبأن تلحق القبائل المشكلة له التي سلّمت لفرنسا بواسطة موسى أوق أمستان إلى سلطة هذا الأخير، لأن هذا ما وعده به القائد "كوفي *Cauvet*"، والتي ستكون بالنسبة له تعويضاً عن خسارته لقبائل الإفوغاس بالأداغ"¹، التي كثير من قبائلها كانت تميل لسلطة الأهقار عليها².

لم يُقدر "موسى أوق أمستان" الذي ذهب رفقة حملة النقيب "ديبومي" لسحق الثوار جنوباً، أن الثورة ستشتعل بالأهقار نفسه، لتعرض قبائله للعقاب والقمع من طرف قبائل كمال آجر والتايطوق وبعض من كمال غلاً، خاصة على القبائل التي كانت في علاقة مع الفرنسيين في مركز عين صالح مثل: كمال أهنت، وكال إيدير، وكال إنغر *Kel-Ingher*، هذه الأخيرة التي فقدت الكثير من رجالها وقتل شيخها الأماغار "الحاج عثمان"، وسلبت كل حيواناتهم خاصة خلال الهجوم الذي قاده عليهم "أفلان أوق ديا *Aflane ag Dua*" من كمال غلاً وزوج "داسين *Dassine*" الشهيرة التي كانت تحرض الطوارق على

"رزقو أوق يحي" أحد كبار قادة الأزجر في جانفي 1907م، والذي ضل لمدة 5 سنوات يغير على حلفاء الفرنسيين من قبائل التيديكلت والفرنسيين في زندر وتوات، ووصلوا في ملاحقته حتى المكان المسمى "تادرارت *Tadrart*"، بين غات والفران، خاصة لما قتلوا جنود من القوم المكلفين بحراسة بعثة "موتلنسكي *Motyliniski*"، لذا رأى الجنرال حاكم مقاطعة وهران أنه يجب شكر محمد أوق عثمان الذي عمل لصالحهم، فهو أول عمل من قوم الطوارق لخدمة مصالحهم، ووجب تكريمه بالميدالية العسكرية، أو منحه بندقية (نموذج 1890م). أنظر للمزيد: ANOM., 22H74, Correspondance du Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Résident Général de France à Tunis «A. S. du meurtre de Rezkou ould Yahia», Alger, le 27 avril 1907, 2p. ; Télégramme du Général Commandant la Division d'Oran à M. le Gouverneur Général -Cabinet- Alger, Oran, le 07 février 1907.

¹ ANOM., 22H67, ; ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Lieutenant-colonel Laperrine Commandant Militaire des Oasis à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Au sujet des Azdjer», In Salah, le 9 septembre 1905, 4p.

² فمثلاً تعتبر قبيلة "كال تنيري *Kel Ténéré*" المقيمة في الأداغ تبدو في وضعية معقدة في طريقة انتمائها بين الأداغ والأهقار، فهي رغم ولائها للإفوغاس إلا أنها في علاقة متقدمة أيضاً مع كمال أهقار وتدخل معها في حروبها، وهو ما جعلها تحسب على كمال أهقار في أحيان كثيرة، وينطبق هذا الأمر على قبائل أخرى مقيمة في الأداغ مثل "شاكاتلام *Shakatlam*"، و"إيتاكاياتاكاين *Itakayatakayan*"، و"كال أهلوات *Kel Ahelwet*". أنظر للمزيد: Charles Grémont, Op. Cit., pp. 121-125

الحرب بأشعارها¹، لذلك رأت القبائل الأخرى أن تعلن عصيانها وتمردتها ضد الفرنسيين، ومنها الإيسقمارنفي جهة "تاظروك"، ودأق غالي، وحتى القبيلة الصغيرة "أجيه نتاهالي

¹ قصة داسين ولت إيها *Dassin out Ihemma* (أخت الأموكال أخاموك بعد موسى) تعود لحوالي سنة 1894م، عندما كانت داسين في أوج شبابها وحنفوان جمالها (16 سنة)، زوجها والديها من شيخ ثري من الأشراف، لكن انفصلت عنه، ورغم أنها تزوجت يعلم الكل أنها بقيت عذراء منتظرة من يهواه قلبها، وزيادة على جمالها الفائق فهي متمرسه جدا في العزف على "الإمزاد"، ولا أحد يتخلف عن أمسيته الموسيقية (أهال *Ahal*) التي يستمع لها ولأغانيتها في خشوع تام، باثة كل روحها في موسيقى "الإمزاد" نائية عن كل طلبات الرجال لها لمدة سنتين، ورغم وله كل الشباب بها إلا أن المنافسة إنحسرت في شخصيتين فقط كانا مضرب الشباب بهما، الأول يدعى "أفلان أوق دوا *Aflan ag Doua*" يعرف أنه أحسن الشباب أخلاقا، زيادة على جماله وأناقته وشجاعته، والثاني يدعى "سوقي أوق شيكات *Soughi ag Chikat*" أقل أناقة وجمالا، وأقل مرونة لكنه أمهر واحد في استعمال البندقية وله مفاخر كثيرة في المعارك، جعلته مثل إعجاب الشباب في الأهقار، ومرة تأخر "أفلان" عن موعد "الأهال" وانطلقت الموسيقى بدونه وظهر خلالها "سوقي" متألقا، ولكن دقائق فقط وحظر "أفلان" ممتطيا نجيبه (مهري) الأبيض الذي اشتراه، مرتديا أجمل لباس ويتمشى بجملة بخطوات ثابتة زادتته وقارا وهيبة ولقت إليه كل الأنظار، مما أغاض "سوقي" كثيرا ولمح بعينه فقط لأخيه الجالس بجانبه، وقبل أن يصل "أفلان" مكانه حتى كان جملة ساقطا أرضا برصاصتين، ولكن عند الطوارق من العيب والعار أن يتشاجر رجلان في حضرة امرأة، لذلك وصل "أفلان" إلى الجلسة وحيا "داسين" وكل الحضور، وهنا نادى "داسين" خادمها بإحضار جملة الخاص وتوجهت به نحو جملة "أفلان" الذي انتزعت منه بيدها راحته المملخة بالدم، ووضعته على جملة أمام صمت الجميع، ثم تكلمت قائلة "لأفلان": "هذا تعويض جملة الجميل الذي لا يمكن تعويضه بهذا، ولكن أنا منحتك لك، وطلبت من الجميع الانصراف لأنها تريد البقاء بمفردها هذا المساء"، هذا الفعل أفرح كثيرا "أفلان" رغم مصيبتة وجعله يضحك، ويمازح "سوقي" أيضا وكأن شيئا لم يحدث. وفي موعد "أهال داسين" في الغد كان هناك حشد كبير من الناس وكان هناك أمرا سيحدث، ولما اقترب موعد العزف خرجت "داسين" وتوجهت نحو "أفلان" وقالت له: "أفلان.. لحسن سيرتك وهودتك يوم أمس، وللاحترام الذي أبديته تجاه امرأة، أنا أحبك ولا أريد زوجا غيرك"، ثم جلست وعزفت على الإمزاد وغنت بابتهاج لم يسبق لها من قبل، ولم يكن لـ"سوقي" أن يتجرع الأمر وصرح: "أن زواج مثل هذا عار، كيف لفتاة شريفة نبيلة تترك رجلا نبيلًا وتزوج برجل أفاغيس (أي من قبيلة الإيفوغاس).. رغم أن أفلان أبوه من الأشراف وأمه فقط من الإيفوغاس)، وحتى إن تم الزواج فإنه لن يكون هناك عرس "إيلوجان *Iloudjan*" وهدد بقتل من يجراً على القيام بحفل العرس" وتم نقل المشكل لمجلس الأموكال وأخذت القضية مدة طويلة لإيجاد الحل وانقسم المجتمعون لفريقيين متناقضين، وهنا تدخل "موسى أوق أمستان" الصديق الحميم لـ"سوقي" ورغم صغر سنه معروف برجاحة عقله وقال: "الزواج سيتم ولكن بدون أفراح في العرس، كما يجب على سوقي تقديم أربع جمال لأفلان تعويضا له على المهري" ولقي هذا التصريح استحسان الجميع وزادت به سمعة موسى خاصة أمام الأموكال "أهيتاغل"، ولكن في المقابل جلب له عداوة "أهل دوا *Dag Doua*" وحلفائهم، وأيضا حسد "أنتيسي أوق أملال" وأخوه "أنايا"، هذا الأخير المتزوج أخت موسى، وارتفعت أسهم موسى أوق أمستان في صف الطبقة الحاكمة حتى أن "داسين" ذهبت له هو في مراجعة الحكم وليس الأموكال "أهيتاغل"، وبقيت هذه الحادثة مضمرة في نفوس الكثيرين لسنوات، فبعد أكثر من عشر سنوات لما قرر موسى أن يذهب إلى عين صالح ليصالح الفرنسيين وبمضي عقد الخضوع، أرسل من يشتري له لباسا جديدا من غات ليبدو بمظهر لائق أمام الفرنسيين، لكن في طريق عودة مبعوثه هذا تعرض له "أما أوق دوا *Amma ag Doua*" أخ "أفلان" وحليف المعارض "أنتيسي" وسلبه حاجاته، مما أغضب كثيرا موسى... نقلت التقارير الفرنسية لاحقا وفاة "أفلان" شهر جوان 1918م في معركة في الأدرار، كما نقلت وفاة الشاعرة "داسين" أخت الأموكال "أخاموك أوق إيها" يوم 14 ماي 1935م بعد فترة مرض قصيرة. أنظر للمزيد: Métois (Capt.): 1906, Op. Cit., pp. 29-32 ; SHAT., Carton 1H1086, Service des Affaire Indigènes et du Personnel Militaire, «Notice sur Aflan, Targui Hoggar», Alger, le 24 juin 1918, 2p.

"Adjouh-n-Tahali" المخيمة في واد "فوتس *Foutes*" جنوب حصن "موتيلينسكي *Motyliniski*" سلبت إبل (مهارى) هذا الحصن¹.

وتحت قيادة المحارب "آبا أق أقابلي *Abbeuh ag Agabelli*" وقع الأهقار وخاصة مرتفعات الأتاكور لسيطرته ومراقبته، وتعرضت كل دوريات الفرنسيين في المنطقة للهجوم، خاصة التي كان يقودها الملازم الأول "كونستان *Constant*" شهر فيفري 1917م، وتأزم الوضع في الأهقار حتى اضطر الأمر بـ"لابيرين" بأن يفكر في ترك الهقار وإجلائه إذا ما استمر الوضع هكذا²، فقد شهد الأهقار خلال هذه السنة 1917م معارك طاحنة ضد الفرنسيين، لعل أهمها معركة "إلامان *Ilaman*" في أبريل 1917م، لما تعرضت كتيبة النقيب "ماسون *Masson*" في واد إلامان القريب بضع كيلومترات من "ترهنانت" لهجوم من الطوارق بقيادة "آبا أق أقابلي" وبعض من كمال غلا بينهم "أنابا أق شيكات" وألداد من داق غالي³.

كما جرت مواجهات أخرى في "إن إكر *In-Eker*" يوم 15 جوان، وفي "تیهي ناكلي *Tehi-n-Akli*" يوم 25 جويلية، ولكن بعودة "موسى أق أمستان" وحامية "ديبومي" إلى الأهقار (نهاية أبريل 1917م)، خف الضغط بعض الشيء خاصة بعد مخطط التنظيم الجديد من طرف الجنرال "لابيرين"⁴ الذي عين "حاكما إلى الأقاليم الصحراوية"⁵، إضافة

¹ ANOM., 23H1, Rapport mensuel sur la situation politique de mars 1917.

² ANOM., 14X2, lettre du Commandant Laperrine au Commandant Cauvet le 08 mars 1917.

³ ANOM., 23H1,

⁴ فرانسوا هنري دانبول لابيرين (*Laperrine D'Hanpoul (François Henry)*) من مواليد 1860م بـ كاستال نوداري *Castel naudary*، تخرج من سان سير *Saint Cyr* في سنة 1880م، وقاد عدة حملات في الجنوب الوهراني بالجزائر، وعمل بالسودان تحت إمرة الجنرال جوفر *Joffre* من سنة 1902 إلى 1910م، حكم الإقليم العسكري للوحدات غير بعيد عن صديقه شارل دوفوكو المقيم ببني عباس، وأنشأ السريات العسكرية الصحراوية، وبعد أن التحق بجبهة ح ع 1 (1914-1916م)، أستدعي لإفريقيا ثانية وعين حاكما للأقاليم الصحراوية (1917-1919م)، حضر أول رحلة جوية لإلحاق وربط ثانية الجزائر بإفريقيا السوداء، لكن في غضون اجتيازه لها اضطر لهبوط اضطراري إلى الأرض وأصيب إصابة بليغة، وأجبر رفقائه بتركه لإنقاذ حياتهم، وتوفي هو في الصحراء سنة 1920م. أنظر للمزيد: **Grand Dictionnaire**

Encyclopedique Larousse, Vol 6, 1984, p 6138.

⁵ طبقا للقرار الوزاري لـ 12 جانفي 1917م، تم إنشاء منطقة صحراوية بديلة من الناحية العسكرية، وتغطي هذه المنطقة الأقاليم العسكرية لوحدات الجنوب الجزائري، والجنوب التونسي ويضاف إليهما التخم الصحراوية لمناطق تمكنتو، تاوا، أغداس، بيلما وزوار *Zouar* لتكون قيادة ما بين الصحراء هذه في شكل مؤقت، عهدت رئاستها إلى الجنرال لابيرين، كانت مهمة هذه القيادة هو تنسيق وتنظيم العمل العسكري والسياسي لفرنسا في الصحراء أثناء الحرب العالمية الأولى، بغرض ضمان هذه الأقاليم أكثر وإحلال الأمن بها بأقل التكاليف. أنظر للمزيد: Nicolas (F) : Op. Cit., p 97.

لتجدد الصراع القبلي بين كمال آجر وكمال أهقار أدت بالتحاق "آبا أوق أقابلي" بالآجر، زيادة على الظروف الاقتصادية الصعبة بعد غلق أسواق التديكلت وحالة الحرب الأمر الذي جعل عددا من القبائل تخضع للسلطات الفرنسية، خاصة قبائل الأتباع لكمال أهقار فقد كان "أوقسم أوق أوراق Uksem ag Urag" رئيس داق غالي أول من عاد إلى مركز "موتيلينسكي" رفقة عدد من النبلاء لطلب السلم، كما تبعتهم قبيلة "أجيه-نتالي"، وبقيت الإيسقمارن مترددة لكن رئيسها "الحاج بابا" ذهب لموسى ليطلب لهم الأمان، في حين بقيت "آيت لاواين" الوحيدة المتحفظة¹.

عاد الأمن تدريجيا للأهقار بداية سنة 1918م، في حين ظل الأيبر ملجأ لمتبردي كاوسن وتأقاما، وهنا طلب موسى من الجنرال لابيرين بأن يسمح له بمطاردة كاوسن وأتباعه في الأيبر، ليثبت وفائه وخدماته للفرنسيين، وربما ليصفي حسابات مع كاوسن في إطار مشروعه السابق، وبشهادة الفرنسيين أنفسهم كان لموسى دورا كبيرا في القضاء على مقاومة رجال كاوسن في مرتفعات الأيبر، فرفقة 300 من رجاله على المهاري المتمرسين في حرب الصحراء، ألحق هزيمة كبيرة ضد كاوسن في معركة "أكاراو Akarao" يوم 01 مارس 1918م، التي أبعدت كاوسن ومن بقي معه خارج مرتفعات الأيبر، وهرعت إليه كل قبائل الأيبر ليؤمنها من عقوبة الفرنسيين وتسلم خضوعها من جديد، لذلك بفضل خدمات موسى ربحت السلطات الاستعمارية الوقت والجهد لإعادة المنطقة لطاعتها².

بعد أن عاد الأمن في الأيبر، توجه موسى في شهر جوان 1918م إلى منطقة الأجر ليقمع آخر العاصين ضد السلطة الفرنسية، ويتعلق الأمر بمن بقي حول السلطان أمود³،

¹ ANOM., 23H1, Rapport mensuel sur la situation politique de septembre 1917.

² Salifou: Kaoussen, Op. Cit. p. 139

³ جرت عديد الاتصالات بين موسى أوق أمستان والسلطان أمود وكذا مع طوارق الأزجر من أجل التسليم والخضوع للسلطات الفرنسية، كما توسط له في هذا القاييد "بلو" مرابط عين صالح الذي عمل على كسب خضوع هؤلاء الطوارق، تناولتها عديد النشرات الأسبوعية لسنوات 1818م، 1819م. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 14MIOM872 Série G 12G19 (A.O.F) Correspondance de M. le Colonel Dinaux à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Bulletin Hebdomadaire de Renseignements», Ouargla, le 14 mai 1918, 3p.

وبعض قبائل الأهقار التي لجأت هناك وأهمها التايطوق، هذه الأخيرة التي تم عزل رئيسها الأمغار "عمري أوق محمد" وعادت تحت سلطة موسى من جديد وانتزع منها كل حقوقها على أراضي الأهقار¹.

تحصل موسى وكال غلا على آلاف الإبل التي غنموها من ملاحقة أنصار كاوسن كمكافئة من الفرنسيين لجهودهم، والتي أبقوا عليها في مراعي إقليم التامسنة (شمال النيجر)، هذه المنطقة الخصبة مقارنة بمراعي الأهقار جلبت الكثير من كمال أهقار للاستقرار بها، وبعد إعادة احتلال مدينة جانت في 20 جويلية 1920م²، منح "موسى أوق أمستان" وسام قائد جوقة الشرف من طرف الفرنسيين نظير جهوده وبلائه معهم، كما مُنح كل أملاك السلطان "أمود" من بساتين وواحات كتعويض له عن خسارته واحة "البركات" التي أخذها الإيطاليون³، مع العلم أن هذه الامتيازات لموسى في إقليم الأجر أغضبت كمال أجر، الذين دخلوا في صراع مع خلفائه من كمال أهقار بعدها، وفي سنة 1933م قررت السلطات الاستعمارية إرجاعها لكامل أجر⁴، وبالأخص لابن السلطان "أمود" حتى تُثبت ولائهم لفرنسا⁵.

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 85

² بتاريخ 15 جويلية 1920م تم إعادة شغل مركز جانت وألحق تحت قيادة موسى أوق أمستان، كما أن قوم الهقار مدعين بـ 30 عنصرا من فرق المهاري الصحراوية، ألحقوا هزائم متتالية على أتباع السلطان أمود على بعد 50كم شمال جانت مخلفين ورائهم 15 قتيلًا من بينهم المدعو "الشبكي" أحد ضباط كاوسن، وقتل 10 رجال من قوم الهقار و14 جريحًا. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 14MIOM872, Le Lieutenant Colonel Mangeot «Rapport Trimestriel», Région de Tombouctou, Haut-Sénégal-Niger, 3^{em} Trimestre 1920, Tombouctou, le 30 octobre 1920, 3p.

³ كانت واحة "البركات" الواقعة على بعد قرابة 10 كم جنوب مدينة "غات" تابعة لكامل غلا، إذ كان أهلها يدفعون الضريبة السنوية لأمنوكال الأهقار، كما كانت قوافل الأهقار تنزود بحاجتها من التمر منها، ولكن في سنة 1913م لما وافقت فرنسا على طلب إيطاليا بتشكيل لجنة مختلطة لرسم الحدود بين "غدامس وتومو" كانت هذه الواحة من نصيب الفرنسيين، لكنها عادت للإيطاليين وفق اتفاقية 12 سبتمبر 1919م، أنظر للمزيد: Gardel G. : Op. Cit., 130

⁴ ANOM., Carton 1H58, Documents concernant les jardins de Djanet enlevés à Sultan Ahmud et attribués à Musa ag Amastan et ses successeurs ; Correspondance Le Capitaine Gay chef d'annexe des Ajjers à M. le Commandant Militaire du Territoires du Oasis Sahariennes, le 16 mars 1934.

⁵ عديدة هي التقارير الفرنسية التي كانت تتناول علاقة "شيخ أوق أمود" ابن السلطان "أمود أوق المختار Ahmoud"، الذي كان يستفيد من منحة إعانة سنوية قدرها 2000 فرنك منذ سنة 1934م، وأحيانا يتم رفعها إلى 5000 فرنك (1941م) أو 6000 فرنك، بحسب ظروف "شيخ أمود" الاجتماعية، وهذا ليظل وفيًا لخدماته للفرنسيين، وتعويضًا له على بساتين وواحات جانت التي تقدر عائداتها السنوية التي يستفيد منها الأمنوكال "أخامو" بين 2000 و3000 فرنك، أنظر للمزيد: ANOM., Carton 1H58, Correspondance du Capitaine Gay Commandant la Compagnie Saharienne des Ajjers Chef de l'Annexe des Ajjers à M. le Commandant Militaire du

لكن ليس قبل وفاة أمنوكال الأهقار الوفي "أخاموك أق إيها" (ت. 1941م)، وبعد أن تتأكد من حسن سيرة السلطان "الشيخ أق أمود" الذي عاد مع عائلته للأراضي الفرنسية عقب وفاة والده السلطان "أمود" بالفران في سنة 1928م، ولما ألحقت المنطقة الطرابلسية للإيطاليين أيضا، مع أن "الشيخ" هو الابن الوحيد للسلطان "أمود" (18 سنة) من بين عدة بنات¹.

ومنذ سنة 1920م تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية من إعادة فرض سيطرتها من جديد على ربوع الصحراء الوسطى، خاصة لما تخلصت نهائيا من قادة الثورة السابقين (كاوسن وتاغاما)²، مع أنها السنة نفسها التي توفي فيها "موسى أق أمستان" (27 ديسمبر) وخلفه الأمنوكال "أخاموك أق إيها" *Akhamuk ag Ihemma*، بقيت خلالها كمال أهقار محتقضة بسلطتها المحلية الشكلية فقط في خلافة الأمنوكال، وفقدت استقلالية سلطتها السياسية الحقيقية لصالح السلطات الاستعمارية صاحبة القرار النهائي في المنطقة³.

Territoire des Oasis Sahariennes à Ouargla, «Subvention à Cheikh ag Amoud», Polignac, le 16 mars 1934, 2p. et le 27 janvier 1936, 3p.

¹ ANOM., Carton OA34, Correspondance du Capitaine Duprez Chef d'Annexe d'Ajers à M. le Commandant Militaire du Territoire des Oasis à Ouargla, Djanet, le 29 avril 1933, 6p.

² بعد الهزيمة التي مني به كاوسن في معركة "أكاراو" *Akarao* في 01 مارس 1918م من طرف رجال موسى أق أمستان، خرج كاوسن وتأقاما والخورار (أمنوكال كال دينيك) وأنصارهم من الأبير نحو التيبستي، قتل الخورار بالقرب من غات *Ghat* لما فضل اللجوء إليها، من طرف قبائل الأوراغن لكال آجر في أكتوبر 1918م، ودخل كاوسن وتأقاما في خدمة السنوسية بزعامة "سيدي العابد"، وفي معركة ضد العثمانيين في الفران أسر كاوسن ونقل إلى مرزوق حيث تم شنقه فيها يوم 05 جانفي 1919م، أخذ حينها تأقاما ومن بقي معه طريق الجادو *Djado* باتجاه التيبستي ثانية لكنه ألقى عليه القبض من طرف كتيبة فرنسية بقيادة الملازم الأول "رايات" *Rayat* يوم 07 ماي 1919م بوشاية من رئيس قبائل التبو المدعو "كولوي" *Koloui*، ونقل تأقاما لسجن زندر *Zinder* يوم 24 أوت 1919م تمهيدا لمحاكمته، وكلف الضابط لوسيان لويس إدوارد *Lucien Louis Edouard* المدعو بوريان فيتالي *Bouriant Vitali* قائد دائرة أقداس بجمع جرائم تأقاما في ظرف 23 يوم لمحاكمته وتحويل تأقاما إلى أقداس يوم 17 أبريل 1920م، عمل النقيب فيتالي، على تصفية تأقاما الذي وجد ميتا في زنزانتة في 30 أبريل 1920م، وادعى أنه انتحر. أنظر للمزيد: Salifou A. : Kaoussen, Op. Cit., p. 139 ; Riou (Y.) : Op. Cit. p 117 ; Nicolas (F) : Op. Cit., p 99. ; Fin Fuglestad: révolte et mort de Tagama Sultan d'Agades, 1920, **Bulletin Notes Africaines**. N°152, Janvier, 1976, Université de Dakar, IFAN, pp 96-100.

³ حسب "لوت" توفي موسى أق أمستان بتاريخ 20 ديسمبر 1920م في ظروف تبقى غامضة جدا، ورغم كونه دائم المرض خاصة بالزهرري والربو، وفي المرة الأخيرة بقي أياما طريح الفراش على إثر سقوطه من على ظهر الحصان، لكن في اليوم السادس شعر بتحسن فقام وأدى الصلاة، وحينها كان الطابط الفرنسي المقيم بتمنراست في عيادته وكان قد طلبه موسى أيضا لتحذيره على أمر يقال، لكن موسى توفي أثناءها... واتهم أحد الرجال من كمال آجر الذي أقام بتمنراست لعدة أيام بتسميمه، ولكن الرجل أنكر ذلك مؤديا اليمين على المصحف، كما كان حاضرا لما توفي موسى، أحد مرابطي زاوية "تيليا" *Teleya* المدعو "سيدي محمد بن بادي مخدم"، مبعوث المرابط الكبير "باي الكنتي" الذي رأى وفاة موسى في المنام قبلها،

ووصل الأمر فيما بعد أنه حتى الأمنوكال أصبح يحدد من طرف الفرنسيين، "فأخاموك أق إيها" كان حليفا للفرنسيين رفقة موسى أق أمستان¹، وهو ما جعله يحظى بقبولهم في مقابل "بوخليل أق دوا" ابن أخت أنابا وأتيسي، وبوفاة "أخاموك أق إيها" في سنة 1941م فرضت السلطات الاستعمارية الممثلة بالنتقيب "فلوريمون *Florimond*" رئيس ملحق تمرست حينها الأمنوكال "مسلاغ أق أماياس *Meslah ag Amayas*" (ابن أخت أخاموك) رغم إجماع كل قبائل كمال أهقار على تولية "سيدي باي" ابن الأمنوكال السابق "أخاموك"، وهذا لخلافه مع فلوريمون²، وهو ما جعل الفتنة تشتعل بين الأسرتين طوال حكم "مسلاغ" وحتى بعد وفاته في سنة 1951م، ثم عادت من جديد لـ "سيدي باي"³، وخلال حكم الرجلين السابقين "أخاموك ومسلاغ" لم يسجل أي حادث أقلق الفرنسيين في الأهقار لمدة ثلاثين سنة.

الأمر الذي زاد من قيمة مرابطي زاوية "تيليا" كثيرا عند الطوارق.... والذي قد يفهم منه ربما أن السلطات الفرنسية تخلصت منه...انتهاء دوره في الأحداث وكبح أطماعه في سيادة كامل قبائل الطوارق ربما. أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 71

¹ في عدة مراسلات بين الإدارة الفرنسية تبين حصول الأمنوكال "موسى أق أمستان" على إعانة مالية قدرها 15.000 فرنك في سنة 1913م بغرض تسديد ديونه (تشكيل قوم الأهقار)م على 3000 فرنك كمنحة سنوية في سنة 1913م، م بمقررة من الحاكم العام بتاريخ 21 أوت 1914م تم منحه 2000 فرنك في سنة 1914م، وإعانة سنوية بـ3000 فرنك تقتطع من ميزانية أقاليم الجنوب بدءا من 1 جويلية 1914م، م مقررة أخرى تتم بموجبها رفع أجرة "موسى أق أمستان" من 3500 فرنك إلى 6000 فرنك وفق مقررة 21 جانفي 1916م. م مقررة أخرى عادت الإعانة إلى 2000 فرنك في السنة في سنة 1919م م مقررة أخرى رفعت إلى 2500 فرنك في جانفي 1920م،...ومع وفاة "موسى أق أمستان" كانت هنا عدة اقتراحات من الضباط الفرنسيين في مختلف المراكز على قيمة العلاوة التي ستمنح لعائلته وتم في الأخير الوقوف على مبلغ 1600 فرنك سنويا (600 فرنك لأرملته "تيدويت إيشت إيبيدي *Tidouit Ichet Ibedi*"، و1000 فرنك لابنتيه القاصرتين 12 و15 سنة)، بعد ما كان المبلغ المقترح في البداية 3600 فرنك م 2300 فرنك، بحجة أن حاجات العائلة الطارقية لا تكلف كثيرا، تتوقف هذه الإعانات بزواج كل واحدة... ولما خلفه "أخامو" أق إيها" حدد راتبه السنوي بـ 2000 فرنك. أنظر للمزيد: SHAT., Carton 1H1086, Correspondance de M. le Gouverneur Général de l'Algérie à m. le Commandant Militaire du Territoire des Oasis à Ouargla, «Augmentation du subside alloué à l'Aménokal Moussa ag Amstane», Alger, le 4 janvier 1921, 2p. ; Correspondance de M. le Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Commandant Militaire du Territoire des Oasis, «Allocation de subside à la famille de Moussa ag Amastane», Alger, le 15 mars 1921, 1p.

² هنا رواية تقول أنه في أحد المرات قام "سيدي باي" بالشد على عنق "فلوريمون" وكاد يخنقه في مكتبه لولا تدخل آخرين وفكوا بينهما، وهذا لما حدث عدم التوافق بين الرجلين مما ترك فلوريمون يحقد عليه ومنعه من تولي منصب الأمنوكال. أنظر للمزيد: مقابلة مع الشيخ "ناني أورزيق" (حفيد الأمنوكال محمد أورزيق) بتاريخ 2017-12-28م في بيته بتمنراست

³ ANOM., Carton 8X231, Important rapport annuel (1940) du Capitaine Florimond (ANOM., 8X217+ 8X231 Territoire militaire des oasis Annex du Hoggar 1951) ; SHAT., 1H1086

وفي خلال هذه الفترة شهد مجتمع كمال أهقار تفككا بطيئا في بنيته الاجتماعية التقليدية، خاصة لما استقر الوضع للسلطة الاستعمارية في كامل الصحراء، التي وضعت حدودا جغرافية قسمت عالم الطوارق وجزأته، وانتهت الصراعات القبلية بين كونفيدراليات الطوارق وحالات الإغارة والسلب، وعملت سلطات الاستعمار على إنشاء مراكز تعميم وإقامة بشكل مكثف وسريع، لإنهاء حالة البداوة والترحال عند قبائل الطوارق ليحل محلها التسيير الإداري وفق نمط المدينة، وأصبحت الإدارة الاستعمارية تدريجيا هي صاحبة السلطة والسيادة لتحكمها في وسائل الانتاج وإدارة السياسة المحلية¹.

وبتطور مدينة تمنراست كمركز عسكري وإداري²، جلبت إليها استقرار العديد من الناس من خارج الأهقار³، وبالأخص من التديكلت وتوات، فاستقر بها العسكريون المنخرطون ضمن فرق المهاري العسكرية الصحراوية من الشعانبة في أغلب الأحيان، وتجار من بلاد المزاب والتديكلت الذين فتحوا حوانيت لهم للمواد الغذائية خاصة، كما وفد إليها رجال الدين والمرابطين ويلقبون بـ"الإنسلمين" المهتمين بتحفيظ القرآن وأحكامه، في حين يلقبون بـ"الطلبة - الطالب" للذين أصولهم من توات والتديكلت ويتقنون اللغة العربية أفضل، ويحفظون القرآن - ويجيدون استعماله "كحروز" - وأحيانا يشتغلون بالتدريس والإمامة، وهو ما دفع إلى تعريب المنطقة بعض الشيء وإلى فهم تعاليم الدين الإسلامي أفضل لدى الطوارق،

¹ Marceau Gast: « Akhamouk, Op. Cit., p. 416

² كان أول مكان استقر فيه العسكريون الفرنسيون في الأهقار هو حصن "موتلينسكي *Motyliniski*" في منطقة "ترهاهاوت *Terhaouhaout*"، في سنة 1908م، ثم أقاموا برجا في تمنراست في سنة 1919م الذي تحول بعد مرسوم من الحاكم العام بتاريخ 1920/07/24م إلى عاصمة الأهقار (تمنراست)، وفي سنة 1929م نقل مقر الفرقة العسكرية الصحراوية التديكلت-الهقار من عين صالح إلى تمنراست. أنظر للمزيد: Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 111

³ يعتبر الرقيب "فيدماير *Feldmayer*" أول مستوطن في الأهقار، كان قد ساعد كثيرا المقدم "لابيرين" في رحلته إلى الأدرار لذا لقب "لابيرين" رفع رتبته قبل أن يحال على التقاعد ويستوطن الأهقار في مهمة أخرى. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Rapport du Chef d'Escadron Laperrine Commandant Militaire des Oasis Sahariennes sur sa tournée dans le sud de l'annexe du Tidikelt du 14 mars au 3 juillet 1904, Adrar, le 23 juillet 1904, 43 p.

الأمر الذي أقلق السلطات الاستعمارية بعض الشيء والتي سجلت في عديد تقاريرهم حينها¹.

ومثل باقي مناطق الوطن، عرف الأهقار انتشار أفكار الحركة الوطنية والدعوة للتخلص من الاستعمار الفرنسي، خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية، ويعتبر التاجران من متيلي أحدهم ممثل القايد قدور المدعو "عبد الله بن الطيب"، والثاني العامل بمرصد الراديو بتمنراست المدعو "عبد القادر دريش" هما اللذان كانا وراء بث الفكر الوطني في أوساط الطوارق من أجل تحرير الجزائر من الفرنسيين حسب تقرير النقيب "فلوريمون"²، ولما اندلعت ثورة التحرير كان النقيب "أحمد دراية *Draya*" (الذي كان تحت إمرة الرائد عبد العزيز بوتفليقة) هو ممثل الجيش التحرير في تمنراست والسيد "مولاي أحمد" الطارقي هو رئيس جبهة التحرير فيها، وكان حينها العقيد الفرنسي "نيفاجيوني *Nivaggioni*" هو حاكم إقليم تمنراست في سنة 1962م حتى الاستقلال³.

¹ جاء في تقرير النقيب "فلوريمون *Florimond*" لدحض الإشاعة القائلة بانتشار المد الإسلامي المضاد للتواجد الفرنسي والتي ورائها القومية العربية وتوغلها عند طوارق الأهقار، بالقول أن الطوارق أقل تدبنا وتطبيقا لتعاليم الدين الإسلامي، كما أن عدد المرابطين لم يزد، حتى أنهم في تحسن وقبول للمبادئ والثقافة الفرنسية ومع القضية الفرنسية بشكل عام، عكس ما كانوا عليه من تعصب وانشقاق قبل سنة 1903م... ويظهر نقص التدين عند الطوارق من خلال عدم صيام فئة كبيرة منهم لشهر رمضان، ويتعذرون بأثفه الأشياء، فمثلا الأموكال "أخاموك أق إيهما" لم يصم لمدة 15 سنة، بسبب أنه يعاني من نتوء في راحة يده اليمنى، كما أن "ميسلار" الأموكال الحالي في زيارة له عام 1940م رد على النقيب "فلوريمون" برد حاسم عندما اعتذر الضابط الفرنسي بأن يعذره بعدم دعوته لتناول الغذاء معه لأنه صائم شهر رمضان قائلا: "بطني أولاً *Mon ventre d'abord*"، وأكب على طبق الكسكسي بالكامل، كما أنه في مرة طلب منه الأمغار "أوكسم *Oukcem*" شيخ قبيلة "داق غالي" بأن يبعد أحد معلمي القرآن الذي يعلم أحد أولاده بحجة أنه يأكل كثيرا وأصبح يكلفه غالبا، فاحتال عليه الضابط بحيلة وأبعده لصحراء "تنيري تامايا"، كما أنه لم يستطع الكثير من الطوارق أن يتزوجوا امرأة ثانية رغم إباحة الشرع لهم ذلك، ويعتبر شيخ قبيلة "أحبه نتالي" الوحيد الذي له زوجتان. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 1H58, Correspondance du Capitaine Florimond Chef de l'Annexe de Djanet Fort-Charlet à M. le Commandant Militaire du Territoire des Oasis à Ouargla, «Propagande Islamique au Sahara» Ghat, le 15 janvier 1944, 8p.

² ANOM., Carton 1H58, Rapport du Capitaine Florimond du 15 janvier 1944.

³ Marceau Gast : Tikatoutin, Op. Cit., pp. 186-190

وذكر غاست أنه في سنة 1964م إلتقى النقيب "أحمد دراية"¹ في متحف البارود للمشاركة (شهادة) في فلم "Avoir vingt ans dans les Aurès" مع المخرج René Vauthier)، الذي أخبره أنهم وصلوا للأهقار قبل 15 شهرا من حدوث الاستقلال، واتصلوا بالأمونوكال، وعديد الطوارق الآخرين ومنهم "مولاي أحمد"، كما ساعدهم طوارق الإيفوغاس بنقل السلاح إلى الشمال عبر أدرار وتيميمون²، مع أن "باي أوق أخاموك" كان لا يزال مترددا، في حين كان "سيدي موسى" في اتصالات مستمرة معهم، واستقروا بادئ الأمر في ناحية "تاهارت Tahart"، التي كانت منطقة استراتيجية ومهمة بالنسبة لتمنراست (التابعة لتايتوق علو أوق عماري Ellou ag Amarei)، ومحطة عبور الطرق نحو الشمال والجنوب، وقدم الشيخ "علو" كل التسهيلات والمساعدات بغرض أن يحظى برئاسة كمال أهقار مكان "باي أوق أخاموك"، رغم أن "سيدي موسى أوق أخاموك" هو الأخ غير الشقيق

¹ بعد الاستقلال أصبح العقيد "أحمد دراية" رئيسا للفرقة الوطنية للأمن (CNS) بتمنراست والمشكلة كلها من الفرق الصحراوية السابقة، ثم تولى منصب مدير عام الأمن الوطني بين جوان 1965م إلى أفريل 1977م، ليشغل بعدها وزيرا للنقل، وتوفي سنة 1988م.

² لم تنقطع الاتصالات والتنقلات والهجرات مطلقا بين طوارق الأهقار (جنوب الجزائر) وطوارق الأدغاغ إيفوغاس (شمال مالي)، والحدود التي قسمت بين الطرفين وفق اتفاقية نيامي 1909م تعتبر وهمية بالنسبة لهم، وكانت السلطات الفرنسية تعلم بوجود على الأقل 440 شخص من الإيهقارن يقطنون الأدغاغ إيفوغاس ويتوزعون على 15 قبيلة قبيل اندلاع الثورة، وهي كتلة معتبرة جدا في هذا الإقليم، يمتنون تربية الإبل والماعز خاصة، وتكون هذه الهجرات في أربع مراحل عبر الفصول بحثا عن المراعي الجيدة أو بغرض الانتقال والتي تكون دائما وفق الاتجاه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي والعكس، وفي سنة 1958م تم إحصاء مواطنين من الأهقار أصبحوا يقيمون بشكل دائم في الأدغاغ وفق الأرقام التالية: 13 فرد من قبيلة التايطوق (5ذكور + 6إناث)، و12 فرد من قبيلة الإيرقناتن Irreguenaten (6ذ + 6إ) (يقطنون مع أناس منطقة تين زاواتين) + 95 فردا من الإيرقناتن أيضا (50ذ + 45إ) مجموعة منفصلة لوحدها تقطن الشمال الغربي للأدغاغ إيفوغاس، و33 فرد من قبيلة إيهنميدن Iohenmedien (21ذ + 12إ)، و68 من العرب (39ذ + 29إ)، و40 فردا من كمال أهنت Kel Ahnet (23ذ + 17إ)، ليكون مجموع هؤلاء الإيهقارن 261 فرد. أنظر للمزيد: Michel Vallet. (lieut.): «Cycle de migration des tribus Hoggar dans l'Adrar des Ifoghas (Zone Algérienne et confins saharo-soudanais)». **B.L.S.**, T. 11, N° 40, Décembre-1960, pp. 347-351 ; Michel Vallet. (lieut.): «Ressortissants Hoggar de l'Adrar des Ifoghas (Réctificatifs)». **B.L.S.**, T. 11, N° 40, Décembre-1960, p. 352

لباي أق أخاموك"، وأصبح يدعى فيما بعد "الحاج موسى"، الذي سيكون هو المحاور الرئيسي للحزب والجيش بمنطقة تمنراست¹.

وإذا كانت حرب التحرير لم تمس إقليم الأهقار كثيرا، إلا أنه بعد الاستقلال سعت الدولة الجزائرية بكل جهد من أجل دمج كمال أهقار مع بقية المجتمع الجزائري في الدولة الجديدة، فالأمنوكمال "باي أق أخاموك" (1950-1975م) زيادة على احتفاظه بمنصب الأمنوكمال، انتخب ليكون نائبا في المجلس الشعبي الوطني (البرلمان) وعين كذلك نائبا لرئيس المجلس، ولما توفي في سنة 1975م لم يعين خليفة له كأمنوكمال²، ولكن عوضه أخوه (من الأب) "الحاج موسى" نائبا عن ولاية تمنراست (أنشئت في جويلية 1974م) في المجلس الشعبي الوطني، وممثلا لمجتمع كمال أهقار في سلطة الدولة الجزائرية³.

ما من شك أن هذه الظروف السياسية التي شهدتها مجتمع كمال أهقار، وخاصة في نهاية القرن 19م وبداية القرن العشرين لما أحكم الفرنسيون قبضتهم على معظم الصحراء الكبرى شمالا وجنوبا، سيكون له أكبر الأثر على النمط الإقتصادي الذي كانوا يعيشونه، كما هي التجربة التي عاشتها معظم شعوب العالم لما تتعرض لهزات خارجية عنيفة، وربما كمثال على ذلك يذكر المؤرخ البلجيكي الكبير "هنري بيرين *Henri Pirenne*" (1862-1935م) في كتابه "محمد وشارلمان *Mohammed et Charlemagne*" (1937م): "أن سيادة المسلمين على حوض البحر الأبيض المتوسط خلال القرن 9م أثر على أحوال أوروبا

¹ Gast M. : Tikatoutin, Op. Cit., p. 192

² يمكن سرد أسماء عدد من تقلد منصب الأمنوكمال المتعاقبين على كمال أهقار كما يلي:
01- الحاج (منتصف القرن 18م)، 02- محمد الخير (النصف الثاني من القرن 18م)، 03- سيدي أق محمد الخير (نهاية القرن 18م)، 04- يونس أق سيدي (1790-1820م)، 05- أق ماما أق سيدي (1820-1860م)، 06- الحاج أحمد (1860-1877م)، 07- أهيتاغل أق محمد بيسكا (1877-1900م)، 08- محمد أق أرزيق (1900-1904م)، 08ب- أتيسي أق أملال (1904-1905م)، 09- موسى أق أمستان (1905-1920م)، 10- أخاموك أق إيها (1921-1941م)، 11- مسلاق أق أملايس (1941-1950م)، 12- باي أق أخاموك (1950-1977م)، أنظر للمزيد: Lhote H.: Les Touaregs. Op. Cit., p. 67 ; Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 111

³ مقابلة مع محمد أخاموك، أحد ممثلي ولاية تمنراست في المجلس الشعبي الوطني لعدة عهديات (ابن الحاج موسى أق أخاموك)، بتاريخ 27-12-2017م بتمنراست على الساعة 11:00 سا □ باحا.

الاقتصادية والاجتماعية، بحيث أقفلت أبواب أوروبا على العالم الخارجي فتم تحول المجتمع الأوربي إلى مجتمع زراعي مقفل¹. فكيف سيتعامل كمال أهقار مع هذا الوضع في ظروف وبيئة صعبة وقاسية، هذا ما سنراه مع الباب الموالي الذي يتناول الأوضاع الاقتصادية لمجتمع كمال أهقار خلال هذه الفترة الزمنية.

¹ حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون. دار المعارف، القاهرة، 1984، ص ص 159-160

المبابة الرابع

الأوضاع الاقتصادية لكال أهقار

الفصل الأول: النظام الاقتصادي من 1660م إلى نهاية القرن 19م

الفصل الثاني: إقتصاد كال أهقار خلال الفترة الاستعمارية

الفصل الثالث: تطور إقتصاد كال أهقار بتكوين مدينة تمنراست

الباب الرابع: الأوضاع الاقتصادية لكال أهقار.

الفصل الأول: النظام الاقتصادي من 1660م إلى نهاية القرن 19م

يعود تاريخ طوارق كال أهقار ككيان سياسي مستقل في منطقة الأهقار لمنتصف القرن السابع عشر فقط كما سبق ذكره، لما تم فك الارتباط مع إخوتهم من كال آجر بوصول قبيلة الأوراغن للحكم عندهم، منهية بذلك سلالة عرش سلاطين قبيلة الإيمنان التي كانت تجمع الفريقين في وحدة سياسية جامعة، لكن رغم انتظام الأمر عند كال آجر منذ البداية ككيان سياسي مهيكّل له بنيته الاجتماعية والاقتصادية التي يركز عليها أيضا، لم تعرف قبائل كال أهقار هذا الانتظام السياسي الموحد لاشتعال الصراع بين قبائله، وهو الأمر الذي أثر على تشكل بنية اقتصادية متينة كذلك، وظلت هذه القبائل مكتفية بما تدره عليها قطعان مواشيه من ألبانها ولحومها، والذي يضمن لها البقاء على قيد الحياة فقط كما جاء في كثير من كتب الرحالة والجغرافيين العرب.

1-1 تربية المواشي وقطعان الإبل:

إهتم طوارق كال أهقار بالنظر لنمط الحياة القائم على البدو والترحال بتربية قطعان الماشية كمورد أساسي لاقتصادهم، وخاصة من الإبل الملائمة لظروف البيئة الصحراوية الجافة والحارة والقليلة الكلاً داخل أقاليم صحراوية هائلة المساحة، والتي كانت تمثل في نفس الوقت وسيلة تنقلهم الأولى في قطع هذه الفيافي من الصحراء، لذلك لا غرابة في أن تجد قبيلة واحدة تملك آلاف الجمال ولكل فرد في القبيلة له إبله الخاصة التي يبدأ في تكوينها منذ ولادته لما يمنحونه هدايا الميلاد في اليوم السابع، لذلك تمثل قطعان الإبل الثروة الحقيقية عند الطوارق خاصة النبلاء منهم (الإيهقارن) التي تميزهم عن قبائل الأتباع (الإمغاد) الذين يملكون قطعان الماعز خاصة، وهم يسعون في زيادة أعدادها بشكل مستمر خاصة لما بدأ اهتمامهم بتجارة القوافل الصحراوية.

كما تمتلك بعض القبائل ماشية من الغنم الصحراوي والمعروفة أكثر بغنم "الدمان"، الذي يتميز بنحافة وطول السيقان وجمجمة ضيقة وطويلة، ويغطي جسمه الشعر (شبيه بالوبر) بدلا من الصوف لونها أسود في الغالب، أو بلون الجمال أو أسود ببقع بيضاء أو حمراء، ويعود أصلها من بلاد السودان تم استقدامه من طرف تجار توات والتديكلت، ثم تمت تربيته لما ظهر أنه مقاوم ويتكيف بشكل جيد مع الظروف الطبيعية الصحراوية القاسية والقدرة على المشي لمسافات بعيدة، خاصة وأن جهازه الهضمي يستطيع تخزين كميات معتبرة من الغذاء، تمكنه من العيش في المراعي الجافة والمجدبة، وانتشر هذا النوع من الغنم عند عديد القبائل الطوارق خاصة القريبة من التديكلت وتوات، رغم أن مظهره النحيف يوحي بقلته في تقديم اللحم، حيث يزن الكبش ذو السنيتين ونصف 41 كغ، والخروف ذو الخمسة أشهر 22 كغ، وأقصى وزن قد يصل 52 كغ لخروف بعمر 15 شهر (الثني)، وبين 35 و38 كغ عند الإناث (النعجة) هذه الأخيرة التي تلد من 2 إلى 3 خراف في السنة، كما أن إنتاجها للحليب معتبر جدا¹.

1-2 حركة تجارة القوافل في الصحراء الوسطى:

شهدت منطقة الأهقار عدة طرق تجارية للقوافل منذ فترات زمنية طويلة، وذلك بحكم موقعها الجغرافي المتوسط بين بلاد المغرب شمالا وبلاد السودان جنوبا، جعلها تكون مركز عبور مهم لحركة القوافل، هذه الفترات الزمنية الطويلة تعود لما قبل الميلاد لما كانت الحضارة القرطاجية والفرعونية في شمال إفريقيا، ثم الرومانية من بعدهم الذين كانوا يرسلون حملات لما وراء الصحراء، وجلب العبيد والذهب وريش النعام والعاج، ولم يكن الأهقار بمعزل عن طريق هذه الحملات، وهو ما تبرزه رسومات عربات الخيول على صخور جبال الأتاكور.

¹ Couput : «Communication sur le Mouton Targui ou du Soudan». **B.S.G.A.**, 1^{er} Tri., 1900, pp. 54-58

لكن تأكيد نشوء حركة القوافل بين المنطقتين كان متأخرا، ويعود أساسا لما عرفت منطقة شمال إفريقيا حركة انتشار الإسلام بها، وظهور ما يعرف بالممالك والدول، التي سعت لربط علاقات خارجية بهدف إقتصادي أولا ثم سياسي ثانيا، وكان التجار هم عربوا هذه العلاقات مع البلاد السودانية التي كانت تزخر بالذهب، ثم كانوا هم أساس انتشار الإسلام في البلاد السودانية، والتي بفضلها دخلت التاريخ بنشوء الممالك والامبراطوريات الإسلامية مثل غانة، ومالي، وصنغاي، التي كانت دافعا قويا لانتظام القوافل التجارية بين الشمال والجنوب، وربط علاقات أكثر متانة بينهما.

لذلك فالعلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء والمارة بطرق صحراوية عبر الأهقار قديمة في الزمن، وتم تسجيلها على الأقل منذ القرن العاشر الميلادي مع ازدهار الدولة الرستمية التي أرّخ لها حينها المؤرخ السني ابن الصغير الذي ذكر إرسال سفارة لبلاد السودان: "...وفي عهد الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب أن أرسل رسوله "محمد بن عرفة" بهدية إلى ملك السودان الذي أعجب بهذا الرسول لجماله وهيبته"¹، ثم جاء بعده عديد المؤرخين الإباضيين أمثال أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني² (ق 10م) الذين أثبتوا قدم العلاقات السياسية والتجارية بين تيهرت وممالك السودان.

هذه العلاقات التجارية للدولة الرستمية مع ممالك السودان سجلتها عديد المصادر العربية، حيث ذكرت أنه كان هناك طريقان يربطان مدينة "تیهرت" عاصمة الرستميين الإباضيين بمملكتي غانة وغاو *Gao*؛ الأول من تیهرت-سجلماسة-أودغست-غانة (كمبي صالح)، والثاني من تیهرت -وارجلان (ورقلة عبر المسيلة وبسكرة ووادي ريغ)-تادمكة

¹ ذكر عن تیهرت أيضا: " وعم الرخاء المدينة وأهلها...واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها وأنتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار...واستعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة ". أنظر للمزيد: ابن الصغير: المصدر السابق، ص ص 31-32، وص 62

² ذكر أنه: "بعد هزيمة الخوارج الإباضيون في معركة باغاي على يد جيش الخليفة الفاطمي المقيم بالقيروان أبو تميم (المعز لدين الله معد بن اسماعيل بن القائم بن المهدي الفاطمي)، وقبض على أحد شيوخ الإباضية ويدعى أبا نوح (سعيد بن زنجيل) سأله أبو تميم عن مكان صاحبه يغلى (أبي خزر يغلى بن زلتاف الوسياني) فأنكر، فقال له لو كان صاحبك بغانة لجلبته دراهمنا ". أنظر للمزيد: أبو زكرياء يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم المعروف بتاريخ أبي زكريا. تج: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 2، 1982م، ص 224

(السوق)-غاو(كوكو أو كوغة)، هذه الأخيرة التي كانت منذ القرن 9م عاصمة أو مملكة كبرى في بلاد السودان مثل ما ذكر اليعقوبي في تاريخه (نحو 891م)، الذي ذكر أن سلطة ملك (الكوكو) غاو يمتد إلى ثماني ممالك أخرى في السودان ذكر أسماءها وكلهم يعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة، ثم تليها مملكة غانة العظيمة الشأن لمعدن الذهب¹، وذكر الطريق الأول وهو ما أكده أيضا ابن حوقل لما زار المنطقة (نحو 951م)، أما الطريق الثاني العابر للصحراء من تيهرت عبر واحة وارجلان (ورقلة) إلى مدينة تادمكة (السوق)، فقد ذكر الإدريسي (1154م) أهمية ودور سوق ورقلة الكبير في التجارة العابرة للصحراء بين بلاد المغرب وبلاد السودان وضرب دنانير الذهب فيها القادم من وندارة وغانة²، وبالتأكيد مرورا بالسوق الكبير لتادمكة،

ولندما كانت هناك علاقات تجارية بين مدينة ورقلة ومدينة تادمكة (كال سوق)، فقد ذكر المؤرخ الإباضي "الدرجيني" (ت. 670هـ/1272م) مبايعة بين رجلين في مدينة ورقلة، لما اشترى رجل من ورقلة جملا من رجل يدعى "الشيخ أبو صالح الياجراني" (400هـ/1010م)، فلما أراد أن ينفقه الثمن (مساومة) قال له أن ثمن جملك في تادمكت (تادمكة)³، ما يدل على أن العلاقات التجارية بين المدينتين كانت معروفة ويتبادلان الذهب بالألبسة⁴. كما ذكر ابن حوقل (ق 10م) أن ملوك تادمكة (حينها "سهر بن الفاره" و"إيناو بن سبنزك" من بني تانماك 340هـ/952م) ترتبط بعلاقات تجارية مع إفريقيا الشمالية من

¹ اليعقوبي: المصدر السابق، ص ص 238-239.

² "وهي مدينة (وارقلان) فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد وندارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم باسم بلدهم وهم وهبية إباضية نكار خوارج في دين الإسلام، ومن وارقلان إلى غانة ثلاثون مرحلة ومن وارقلان إلى كوغة نحو شهر ونصف". أنظر للمزيد: الإدريسي: نزهة المشتاق، المصدر السابق، ص ص 24-25 وص 296.

³ "وكان له (أبو صالح) جمل أراد المسير عليه فقال له رجل من أهل وارجلان أتحملي لي على جملك هذا حمل متاع إلى تادمكت فتبعه لي هناك؟ فقال بكم أبيع جملك؟ فقال بكذا وكذا، وكان يعدد سماه له، فلما وصل تادمكت وسوق تلك الوديعة، نقص من العدد الذي سمى شيء يسير، قيل قدر ثلاثة أرباع قيراط، فقال لا يمكن البيع بدون ما سمى لي، فرجع بالحمل إلى وارجلان، قالوا فلم ير حمل رجع من تادمكت إلى وارجلان غيره، ولا سمعنا به..." أنظر للمزيد: أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: كتاب طبقات المشائخ بالمغرب. 2 ج. تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ط1، ج2، ص ص 374-375

⁴ وحسب البكري (ق 11م)، يقدر زمن سير القافلة بين تادمكة وارجلان ب 50 يوما. أنظر للمزيد: أبو عبيد عبد الله البكري: المغرب، المصدر السابق، ص 182

جهة ومع مدينة غاو (كوكو) وغانة من جهة أخرى¹، وذكر البكري (1068م) أن مدينة تادمكة تبعد عن واحة وارجلان بمسافة مقدرة بـ 50 يوما وبـ 9 أيام فقط عن غاو².

ومن خلال كتاب ابن حماد (ق 13م) يستشف أن مدينة تادمكة وجدت منذ القرن 9م على الأقل، لما روى قصة نزول "أبو يزيد مخلد بن كيداد" رفقة والده إلى غاو، وكان والده "كيداد" تاجرا من تقيوس من بلاد قسطنطينية (غير بعيدة عن توزر التونسية) اشترى جارية من تادمكة تسمى "سبيكة" التي ولدت له ابنه "أبا يزيد"، الذي كان أعرجا وفي لسانه شامة، وكان كيداد قد اعتاد النزول في تجارته من الشمال إلى السودان إلى غاو (كوكو) فقدم ولده إلى عراف في كوكو الذي أخبره بأنه سيكون له شأن وسيملك³، ودون شك فالمسار الذي يربط تونس بتادمكة وغاو يمر عبر ورقلة والأهقار، كما هو الحال مع تجار تيهرت لأن تادمكة الموجودة بالأدغاغ قريبة للأهقار بل ويتقايضون السلع مع بعض، فحسب البكري: "أن تجارة أهل بلد كوكوا (غاو) بالملح وهو نقدهم، والملح يحمل من بلاد البربر يقال لها توتك (التايطوق ربما) من معدن تحت الأرض إلى تادمكة، ومن تادمكة إلى كوكوا، وبين توتك وتادمكة ست مراحل" أي على مسافة 15 يوما من مدينة غاو مرورا بتادمكة⁴.

وظهر منذ القرن 12م طريقان يمران عبر بلاد الأدغاغ مرورا بتادمكة وصولا إلى تمبكتو وغاو، بدءا من محطة عين صالح ورقان، وكذلك من منطقة توات والتي تربط إليها أسواق المغرب، حيث أشار ابن بطوطة منذ منتصف القرن 14م بالطريق التجاري الذي يربط مناطق الأيبر-الأهقار-توات، انطلاقا من سلطنة تكدا، وكان يمثل هذا طريق الغرب بين بلاد السودان وبلاد المغرب، في حين كان طريق الشرق يمر عبر مدينة وارجلان

¹ ابن حوقل: صورة الأرض. دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص ص 101-103.

² البكري: المغرب، المصدر السابق، ص ص 181-183.

³ أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. ج: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1980م، ص ص 53-54.

⁴ البكري: المغرب، المصدر السابق، ص 183؛ Tadeusz Lewicki : «L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle », C.E.A., Vol. 2, N°8, 1962, pp. 513-535

(ورقلة) التي كانت مزدهرة أيضا حينها، وذكر الرحالة ابن بطوطة أنه في طريق عودتهم من مالي إلى المغرب مروا بمنطقة الأهقار (هكار) استوقف قافلته البربر الملتئمين لتحصيل إتاوة الطريق من الألبسة وسواها¹، ما يعني أن الأهقار كان به الطوارق ما قبل القرن 14م.

كما يؤكد ابن خلدون في هذه الفترة أيضا على التبادل التجاري بين بلاد المغرب وبلاد السودان²، وبعد ابن بطوطة بقرن ونصف أشار حسن الوزان (ليون الإفريقي) بثناء سكان مدينة وارجلان في تجارتهم مع "أغداس" التي خلفت "تكدا"، وفي القرن 16م ظهر طريق يربط عين صالح بأغداس³ وتكدا شرقا مرورا دائما بالأهقار، الذي استفاد من انزلاق المحور التجاري من طريق الغرب نحو طرق الشرق⁴، كما تم ربط أسواق غدامس بمنطقة تادمكة منذ القرن 15م أيضا، لمبادلة سلع الذهب والعاج والعبيد والتوابل بسلع الألبسة والمصنوعات الفضية والنحاسية والقمح والخيول والسكر والتمر والملح بالخصوص⁵.

إستفادت قبائل الطوارق بالصحراء الوسطى حتى إلى نهاية القرن 16م تقريبا، من عائدات وامتيازات طرق القوافل التجارية، وبالأخص تلك التي ربطت ورقلة بأغداس، ولكن بزوال سوق أغداس جر ورائه كذلك تخلي نفوذ الامبراطوريات الفاعلة حينها عن هذين

¹ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 713

² حيث يقول: "...وعلى هذا النيل مدينة سلا وتكرور وغانة وكلها في هذا العهد في مملكة ملك مالي من أمم السودان، وإلى بلادهم يسافر تجار المغرب الأقصى وبالقرب منها من شمالها بلاد لمتونة وسائر طوائف الملتئمين ومفاوز يجولون فيها... وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صحراء المغرب مثل توات وتكدارارين ووركلان...". أنظر للمزيد: مقدمة ابن

خلدون. ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م، ص ص. 69-70

³ في القرن 16م ظهر كتاب لحسن الوزان (ليون الإفريقي)؛ وهو أول من ذكر مدينة أغداس ومملكتها. وبأن ملكها يحصل على مورد هام من الإتاوات التي تؤدي على البضائع الأجنبية ومنتجات البلاد، لكنه يؤدي نحو مائة وخمسون ألف متقال كخراج لملك تنبكتو. أنظر للمزيد: الحسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا. تر: محمد حجي، محمد الأخضر. دار الغرب

الإسلامي، بيروت، 1983، ط. 2، ج 2، ص ص. 171-172

⁴ خلال القرنين 15م و16م نشط المحور التجاري القرارة وبنى ميزاب مرورا بالأهقار مع دولة صنغاي أكثر، لضعف نشاط المحور التجاري المار بتوات نحو تلمسان ووهران بحكم الصراع العثماني-الإسباني على مدن الساحل حينها، ثم لسيطرة الأسبانيين على ممالح تغازة الذي أدى لتشنج العلاقات مع المغرب وبالتالي تحول الطريق التجاري وازدهر أكثر مع مصر وتونس على حساب أسواق درعة وسجلماسة. أنظر للمزيد: Khaled Sabeur Cherif: «Dynamique des axes caravaniers au XV et XVI siècle»، *Annal of the Historian*, Vol. 6, Algerian Historian

Union, Algeria, July 2005, pp. 27-29 ; Devisse J. : Op. Cit., p. 393

⁵ Charles Grémont : Op. Cit., p. 76

المركزين المهمين¹، وخلف ورائه تفكك وحدة العالم البربري، وتغير اتجاه الحركة التجارية نحو الشرق ومس بالأخص مراكز الوادي، غات، غدامس، الأيير، وكاتسينة، إلى غاية نهاية القرن 17م، وما حفز الحركة التجارية أكثر ومن ورائها قبائل الشرق هو ظهور الطريق العابر للصحراء الممتد من طرابلس إلى السودان عبر غات، لذلك تأخر إقتصاد قبائل الوسط بالنسبة لجيرانهم من قبائل الشرق، لأن الجزء المهم من التجارة العابرة للصحراء ضاع منهم، وبقي لهم رغم ذلك المعاملات التجارية لجهة الغرب التي كانت وراء ازدهار مدينة تمبكتو والتي أعطت بدورها ميلاد مدينة عين صالح².

ولكن في هذا الوقت كان تمزق السلطة السياسية للأهقار مستمرا مع ضعف القبيلة النيلية الحاكمة حينها "تجهي-نسيدي *Tégéhé-n-Sidi*" والتي نتج عنها ظهور ثلاث "طبول" للسلطة في الأهقار تقاسمتها القبائل النيلية في نهاية القرن 18م، الأولى كال غلا التي سيطرت على كامل المنطقة الوسطى للأهقار والطرق المؤدية لتوات، في حين تحكمت قبيلة التايطوق على جهة الغرب والجنوب الغربي، وأقبضت قبيلة "تجهي-ملت" يدها على جهة الشرق وطرق الأيير المتاخمة للأهقار، ولكن يجب عليها المرور على مراقبة كال غلا إذا ما أرادت الوصول إلى منطقة توات، وهو ما أشعل الحرب بينهما مرات كثيرة وعادت الغلبة فيها دائما لكال غلا³.

ويبدو أن هذه الأخيرة وقبائلها التابعة استفادت من موقع مهم وسط الأهقار، مع ضمان حماية من جهة الشرق والغرب بواسطة "تجهي-ملت" و"التايطوق"، ولكنها في نفس الوقت خسرت عائدات ضريبة المرور لطرق القوافل التجارية لهاتين القبيلتين، فمسار طريق الغرب يمر عبر "تين زواتين" و"عين زيز" ليتصل بتوات مباشرة وأحيانا تنظم "سيلت" لهذا

¹ كان وراء زوال الطريق التجاري ورقلة-أغداس هو ظهور الطرق البحرية لما أسس البرتغاليون مراكز لهم على السواحل الغربية لإفريقيا منذ 1450م، متجاوزين بذلك حتى تجار البندقية وجنوة المضطلعين بالطرق البرية حينها، وبالتالي تم تحويل طريق تجارة تير الذهب نحو المحيط الأطلسي. أنظر للمزيد: Capot-Rey R.: Op. Cit., p. 290

² Emerit M.: «Les liaisons terrestres entre le Soudan et l'Afrique du Nord au XVIII^e et au début du XIX^e siècle», **T.I.R.S.**, T. XI, 1954, pp. 29-47

³ Benhazera M. : Op. Cit., pp. 107-111

الطريق. ومن جهة الشرق تجتاز القوافل القادمة من غات وجانت تخوم الجنوب الشرقي للأهقار عبر "عين أزوا *In-Azzaoua*"، وبالتالي لا تستفيد قبائل الوسط أي شيء من هذين الطريقين التجاريين المهمين في القرن 18م و19م خاصة، لذلك خلفت هذه الوضعية الحرجة أثارا سلبية على كال أهقار عموما، فبسببها تحولت عدة طرق تجارية للقوافل العابرة للصحراء في المنطقة، وزادت من تقسم القبائل فيما بينها، وخلقت نوعا من الولع بالقتال وعدم الانضباط، مما أدى إلى الفوضى وعدم الاستقرار لدى كال أهقار لتضاف إلى الفقر والتناقص الديمغرافي في إقليم شاسع جدا¹.

هذه المساحات الواسعة في جغرافيا الإقليم لم تعد محط إهتمام القوافل التجارية العابرة للصحراء مثل ما كانت عليه في السابق، وأصبحت تتجنبها تماما، فإن لم يتم الإغارة عليها وسلبها، فإنها تتعرض لضرائب مبالغ فيها من أجل المرور، وأحيانا تتعدد هذه الضرائب بتعدد القبائل التي على الطريق. لقد تضايق كال أهقار من هذا الوضع وتراجعت مواردهم، وفي كثير من الأحيان يدخلون في صراع مع جيرانهم من كال آجر لاحتكارهم موارد قوافل التجارة المارة بهم، والتي يريدون نصيبا منها أيضا، لذلك حاولوا مرارا جلب هذه القوافل من جهتهم بক্রاء جمالهم للقوافل أو تقديم خدمات الحماية والمرافقة إلى بلاد السودان، فقبيلة "آيت لاواين" مثلا كانت تقوم بক্রاء إبلها للتجار من غات إلى الأبير².

لكن رغم ذلك ظل كال آجر محتكرين تجارة قوافل طريق شرق الأهقار طرابلس-بلاد السودان، ولم يتبق لكال أهقار إلا تجارة "توات" و"التديكلت"، فقد كانت عين صالح أهم مركز عبور تجاري في الصحراء يربط مدينة تمبكتو بدول الشمال، ومنها يمكن تحصيل إتاوات مرور البضائع أو حتى كراء الجمال إن وجد، وبالطبع تعود عائدات إتاوات المرور للقبائل النبيلة "الإهقارن"، في حين قد يحصل قبائل الأتباع على بعض العائدات من خلال

¹ بوفيل: المرجع السابق، ص 391 ; 24 p. : Alimentation, Op. Cit., M. Gast

² بسعر 35 متقال (87,5 فرنك) للجمل الواحد حسب بنهازيرة في سنة 1908م، أنظر للمزيد: Benhazera M. : Op. Cit., p. 149

العمل أدلاء للقوافل، أو من نقل البضائع لما يقومون ببراء جمالهم، لكن تبقى هذه المداخل قليلة وغير كافية خلال القرن 18م و19م أين تراجعت وتحولت طرق القوافل التجارية لجهة الشرق¹.

لذلك يمكن اعتبار وسائل العيش لدى كال أهقار خلال القرنين 18م و19م وقبل إنشاء المراكز الفلاحية، كانت تقوم أساسا على المواد الأساسية المشتقة من تربية مواشيهم وأهمها الحليب، سواء حليب الماعز أو الإبل رغم ندرة هذا الأخير، ومشتقاته مثل الزبدة (دهان) واللبن والرائب، يؤكل مع تمر منطقة توات جيد الجودة، ويعتبر الحليب والتمر الأكلة الأساسية لمحاربي كال أهقار الذين هم في حركة دائمة، هذا بالإضافة إلى ما توفره مواشيهم من لحوم²، أما الحبوب مثل القمح أو الدخن (البشنة) فهي نادرة بندرة القوافل التجارية المارة بهم، مع تناولهم لكميات معتبرة من الشاي القادم من منطقة الفزان والخاضع لمراقبة كال أجز بالطبع، كما أنه ومنذ منتصف القرن 19م بدأ يجلب من توات عبر الشمال³.

- طرق القوافل المارة بالأهقار:

تعد حاضرة عين صالح هي المركز الصحراوي المهم التي كانت تقصده القوافل القادمة من الشمال، من خليج سرت بليبيا أو من تونس والجزائر عبر تقرت وتوزر وغدامس وغات، مرورا بعين صالح باتجاه بلاد السودان عبر "عين زيزة" *I-n-Ziza*⁴ (أنزيشا

¹ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 25

² Henri Barth : **Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale**. 4 T., Tr. Paul Ithier, 2 Ed. Firmin Didot Frères, Paris, 1863, T.1, p. 161. ; Lhote H. : Les Touaregs. T. 1, p. 135

³ Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 25

⁴ توجد بئر أو بركة "عين زيزا" في منتصف طريق صحراء التنزروفت الفاصلة بين إقليم التديكلت والأداغ إيفوغاس بمالي، وهي تابعة لأراضي طوارق "كال أهنت Ahnet" للأهقار، والقوافل القادمة من جهة الأداغ في طريقها إلى توات أو التديكلت يجب أن تتوقف في "عين زيزا" إذا ما أرادت أن تتجنب طريق بطول 350 كم من دون ماء، توجد على ارتفاع 1100م وهذه الهضبة تشغل مساحة 600 م² من صحراء التنزروفت، و"عين زيزا" هو الاسم المعرب لـ "عين زيزاو In Zizaou" المحرف عن التاماهاك من "عين هياهو In Hihau" وهو الاسم الذي يطلقه طوارق الأهقار على هذا المرتفع والمشتق من الفعل "هيوهيو héouhéou" (لتكن رمادية)، و"عين زيزا" بركة تمتد على طول 20م وعمق 3,5م ومياهها ثابتة على طول السنة ولا يمكن لها أن تجف إطلاقا وتبقى الملجأ الأخير للقوافل إذا ما فقدوا الماء في آبار أخرى التي

Anzicha في خرائط العصور الوسطى)¹، وعلى الرغم أن هذا الطريق يتحاشى طوارق الأهقار لفائدة طوارق الأجر، لكن انتعاش الواحات المار بها يخدم الجميع، مع أن ربط واحات توات والتديكلت بهذه الطرق المؤدية خاصة لمدينة أغداس كانت تتصل مباشرة بكال أهقار الذين كانوا يتزودون بحاجتهم من التمر ومختلف السلع الأخرى منها.

كان ارتياد هذا الطريق الأخير يلزم القافلة مسيرة 40 يوم من "أقبلي *Akabli*" إلى "أغداس"، والأهقار كان في منتصف الطريق تماما، ويعتبر الجبل الأسود الواقع قرب قرية "أوتول *Outoul*" على بعد 32 كم غرب تمنراست، والذي يسميه عرب التديكلت بجبل "النص" ويسميه الطوارق بجبل "تازوني *Tazouné*" تعرفه جميع القوافل على أنه منتصف الطريق²، هذا الطريق الذي كان يجذب كل تجار توات والتديكلت وغدامس نحو تجارة الساحل³، فهو مصدر الثراء إذا ما حالفك الحظ في تجنب سلب وإغارة قطاع الطرق أو فقدان إبلك لمهالك الطريق طبعاً.

تتطلق القافلة من عين صالح وتجتاز الأهقار عبر الممرات الضيقة "لأراك *Arak*" ثم تصل إلى حوض كدية "عين أمقل" وتمر بتمنراست، لتجتاز صحراء "التنزروفت" عبر "عين قزام" لتدخل منطقة الأراضي الساحلية عبر بئر "عين أبانغاريت *I-n-Abangarit*" أو عبر بئر "تاكنتوت *Taket-n-koutat*"، وهي الطريق التي كانت أساس طريق الربط بين

تجاورها مثل برك "أمسدال *Amessedel*"، وان إباق *Ouan Ibg'ag*، وان تاكليت... إلخ". أنظر للمزيد: Butaye P. (Capt.): «In Ziza». **B.L.S.**, T. 10, N° 30, juin-1958, pp. 111-115

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 210

² Idem.

³ كان يوجد الكثير من تجار التديكلت يقيمون بمدينة أغداس كوكلاء تجاريين، كما كان بها الكثير من الغدامسيين أيضا حتى سمي شارع باسمهم، هذا وكان طوارق الإيسقمارن يقومون بكراء إبلهم لتجار عين صالح، ويعتبرون الناقلون الأساسيون في هذه التجارة رفقة طوارق الإيفوغاس الذين كانوا يحتكرون مع بعض تجارة عين صالح مع غدامس أيضا لأنها تمر بأراضيهم. أنظر للمزيد: Henri Lhote : «Le cycle caravanier des Touaregs de l'Ahaggar et la saline d'Amadrour. leurs rapports avec les centres commerciaux du Soudan», **Bull. de l'IFAN.**, T. XXXI, N° 4, Octobre-1969, pp. 1014- 1027

الجزائر-زندر بالسيارة، وهي نفسها التي مشى عليها ابن بطوطة في طريق عودته من الأبير قافلا إلى مراكش¹.

ومن أجداس أو ما جاورها من واحات مثل "مارندي *Marandet*، تجيدة نتسوم، آزليك *Azelik*" تتجه بعدها القوافل عادة إلى مدن الهاوسا الكبرى؛ زندر، كانو، وسوكوتو. كما أن هناك طريق آخر أصبح أقل شهرة وارتدادا من الأول خلال الفترة الاستعمارية، لكنه كان ذو أهمية كبيرة قبلها، هو الذي ينطلق من واحة غدامس أو غات ويصل لتمبكتو أو غاو، وهو الطريق الذي كان يرتاده أهل صنغاي في ذهابهم لأداء مناسك الحج ويصلهم بمصر، وانطلاقا من غات يجتاز هذا الطريق سهل "الأدمر *Admer*" ويقطع "أدرار أنهف *Adrar Anahef*" ليصل إلى "أيتوكلان *Aitoklane*" ثم "أبلسة"، ثم "سيلت *Silet*" ثم يقطع صحراء التنزروفت عبر "تين رغور *Ti-n-Rerhor*" أو عبر "تيميساو *Ti-m-* *Missao*" لتصل لـ"تين زاواتين *Ti-n Zaouaten*" لتجتاز بعدها "أدرار إيفوغاس" باتجاه "غاو" أو "تمبكتو"، وهو طريق يتحاشى عراقيل الممرات الجبلية².

وكما سبقت الإشارة للطريق الذي ينطلق من واحة غات وغدامس مرورا بعين صالح ويتحاشى نهائيا الأهقار ليمر بأراضي الطاسيلي ناخر ليصل لتمبكتو، والذي يعتبر الطريق الأكثر أمنا للقوافل لأنه تحت الحماية الكاملة لطوارق كال آجر الذين تربطهم علاقات متينة بسكان واحات غات وغدامس، وتقدر مسيرته بـ 25 يوم من غات إلى عين صالح، ثم بـ 45 يوم من عين صالح إلى "غاو"، وظل يرتاد هذا الطريق الكثيرون سواء من عرب توات أو حتى من طوارق الأهقار والأدرار إيفوغاس، خاصة لما يتعلق الأمر بتسويق الماشية (خراف أو ماعز) لسهولة توريدها دون خسائر لسد حاجات واحات توات والتديكلت، وذلك لتوفر الآبار على طول الطريق خاصة بئر تيميساو وعين زيزة اللتان تساعدان على اجتياز

¹ الفاصل الحدودي الذي يفصل طوارق الشمال عن طوارق الأبير (كال وي) هو "وادي آسيو *Assiou*" والذي تكون فيه نقطة "عين أزوا *In Azawa*" هي نقطة ربط الطرق من جهة توات وغات ومصر من الشمال والأخرى إلى الجنوب عبر الأبير أين توجد محطة أجداس التي تتوقف عندها كل قوافل الشمال. أنظر للمزيد: Henri Barth : Op. Cit., p. 210

² Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 210

صحراء التنزروفت بشكل مريح، مع مراعاة الأشهر الملائمة للسفر والتي تكون من شهر أكتوبر إلى شهر أبريل¹، وهذا قبل أن تظهر الشاحنات لنقل هذه القطعان والسلع.

واضح أن الطرق الصحراوية صعبة المسالك وخطيرة، سواء في المناطق الجبلية الضيقة والوعرة، أو في الصحراء الرملية كالعرق التي عادة ما تختفي فيه آثار الطريق، لذا يبقى الأمل من خوف الضياع إلا في خبرة الأدلاء، ورغم ذلك هناك من يهلك من القوافل في أحيان كثيرة نتيجة ضياع الطريق خلال الزوابع الرملية الكبيرة، وفقدان مكان البئر للتزود من الماء، كما أنه أحيانا يعتمد كال أهقار إلى إخفاء معالم الطريق أمام الأجانب. ويمكن التمييز بين القوافل التي يشرف عليها العرب والأخرى للطوارق، حينما يمشي التجار العرب خلف إبلهم دون أن يمسكوا بها وفق خط أو اثنين متتابعين، في حين التجار الطوارق دائما ما يتقدم أحدهم القافلة ممسكا بجمله، والجمال الأخرى كلها متصلة ببعض، وربما هي لاختلاف طبيعة الأرض بين بلاد العرب (في التديكلت وتوات) السهلة، وبلاد الطوارق الصعبة خاصة في مضائق الجبال خوف السقوط ما خلف لديهم عادة الحذر هذه².

تدفع القوافل ضريبة المرور لأي أمنوكال تدخل القافلة أراضيها، مقابل توفير الحماية لها في حدوده، كما يستفيد الأدلاء من أرباح توجيه القافلة وتنتهي مهمتهم بانتهاء الحدود المتفق عليها مسبقا، كما تستفيد بعض القبائل حينما تمر القافلة بأراضيهم من عائدات كراء جمالهم للحمل إذا ما كانت القافلة بحاجة لذلك طبعاً، لأنه في العادة كانت قبائل كال آجر هي من تستفيد أكثر من عملية كراء الجمال، بحكم أن القافلة عادة ما تنطلق من أراضيهم سواء من غدامس أو غات³، وخاصة قبائل "الإيسقمارن" التي في أحيان كثيرة تتكفل بكراء

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 212 ; ANOM, Carton 22H26, Renseignements commerciaux sur le pays des Touaregs et le soudan, rapport de M. le Lieutenant Marty, Laghouat, le 8 avril 1858, 17 p.

² Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 214

³ كان يأخذ الطارقي الذي يقوم بكراء جمله من غات حتى كانوا، بحوالي 30 دورو عن الجمال، ويدفع التاجر نصف مبلغ الكراء فقط في غات، إلى أن يصل لكانو ويسدد كامل الدين (مع أن 1 دورو=5 فرنك). وفي سنة 1895م عانت قوافل السودان في الأبير لرفع طوارق الأجر سعر النقل إلى 90 فرنك للجمال بعدما كانت 60 فرنك فقط بين الأبير وخدامس.

جمالهم للنقل من عين صالح حتى أراضي النيجر¹، هذا الأمر الذي كان يزعج كال أهقار باحتكار كال أجر لكل عائدات هذه التجارة.

على الرغم من نقصان الأمن في الطرق الصحراوية لكن ما حير بعض الكتاب الفرنسيين، هو شيء من نزاهة الطوارق وعفتهم تجاه رجال القوافل إذا لم يكونوا أعداء لهم بالطبع، فأحيانا يترك رجال القافلة معاش طريق العودة في أماكن محددة في الأهقار دون أي رقيب، ويجدونها في مكانها دون أن يعتدي عليها أحد ويطمع فيها، كما أنهم لا يعتدون على أحمال جمل توفي في الطريق ولم يجد رجال القافلة تعويضه، ثم يحملونه في طريق عودتهم ولو بقي في مكانه ستة أشهر²، ونقل هذه المعلومة كثير من الرحالة مثل (هنري ديفاييري *Duveyrier H.* والنقيب بونمان *Bonnemain*، والضابط بوضربة، وهنري لوت *Lhote H.*).

هذا الأخير الذي صرح بأنه عاش لسنوات طويلة مع الطوارق³، ولكنه لم يتعرض لأشياء وحاجاته أحد يوما، ولم يشهد على سرقة داخل المخيم، وحتى وإن حدث مرة فإنها تكون من أفعال أحد العبيد أو الحراطين⁴، ولكنها لن تكون من طارقي نبيل أبدا، وهو بذلك يحاول أن يفهمنا أن فعل السرقة مذموم وقبيح عند الطوارق، ولكن ما لا يفهمه هو لماذا يحبذون الإغارة على القوافل وغزو المخيمات البعيدة، وهو ما يحدث في أوقات الاقتصاد الصعب والحياة العسيرة.

أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Correspondance du Gouverneur Général de l'Algérie J. Cambon à M. le Président du Conseil, Ministre de la Guerre, Ministre des Affaires Etrangères, Alger, le 20 avril 1895, 3p.

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 214

² ANOM, Carton 22H26, Renseignements commerciaux sur le pays des Touaregs et le soudan, rapport de M, le Lieutenant C. Marty, Laghouat, le 8 avril 1858, 17 p.

³ في بداية حرب سنة 1939م ألحق المستكشف "هنري لوت *Henri Lhote*" وأدرج ضمن الفرقة 34 للقوم بتمنراست. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 1H58.

⁴ Lhote H.: Les Touaregs. Op. Cit., p. 215

1-3 ظهور المراكز الفلاحية في الأهقار:

ربما سيشهد الأهقار منذ منتصف القرن 19م قفزة نوعية وتغيرا في البنية الاقتصادية التي كان يقوم عليها، تؤدي إلى تحسن وضعه المعيشي نوعا ما، وذلك من خلال السماح لمجموعات من الأفراد من خارج الأهقار بأن تستقر به، وتمارس مهنة فلاحية الأرض التي من شأنها أن تدعم موارد كال أهقار وتساهم في تنوعها.

وتشير الروايات الشفوية أن الأهقار لم يعرف الزراعة قبل القرن 19م، فالروايات السابقة تذكر أنه لما نزلت القبائل البربرية (مع تينهيان) وجدت الأتاكور خاليا إلا من بعض السكان البدائيين الوثنيين (الإيسيبين) على الرغم من وجود آثار للمساكن والفلاحة قريبة العهد ولا تعود لفترة ما قبل التاريخ، مثل أطلال "قصر سيلت *Silet*"، وقصر "تيت" المبني على تلة تطل على البساتين الحالية، وكذا أطلال قصر "الرواوت *Rouaouet*"¹ الموجود في منطقتي "تاظروك" و"إدلس"، مع أن كل سكان الأهقار يجمعون أن بعض أشجار الكروم في "تيت" كانت موجودة قبل أن يستقر المزارعون الحاليون، ويضيف آخرون أن القصر وهذه الأشجار في تيت كان ورائها "البوراميك *Boramik*"، وتعني البرامكة الذين حلوا بتوات نحو 1040م².

كما توجد في الأهقار عديد واحات النخيل منذ قديم الزمان، ولكن لا يذكر أي واحد من غرسها، وأوائل الفلاحين الذين استقروا بالأهقار تزيد مدتهم عن القرن تقريبا فقط، حينها

¹ هي قبيلة مسلمة حسب الروايات كانت قوية في السابق، وشغلت جزءا من الصحراء ضم كل من الأهقار وتوات والتديكلت، وكان مركزهم في مكان يدعى "برماطة *Bermata*" في توات، وإليها يعزى الفضل في ظهور العديد من المراكز الفلاحية والواحات في الصحراء سابقا ومنها التي في الأهقار، وكلمة "برماطة" هي كلمة محرفة وتعني "البرامكة"، وتتواجد عديد العشائر تدعى "برماكة" منتشرة في كل الصحراء الجزائرية حسب النقيب "لو *lo*"، بالأخص في "توات" أين يقيمون في قصر يلقبونه "بالمنصور" في واحة "سالي *Sali*"، ويبدو أنهم أحفاد البرامكة الذين كانوا في خدمة الخليفة الأموي "هارون الرشيد" بالشام ثم طردوا منها لخيانتهم ومحاولتهم الاستيلاء على الحكم، ولجئوا إلى صحراء شمال إفريقيا (بداية القرن 9م)، وهم من كان وراء تقنية حفر الأبار ومد السواقي التي تعرف "بالفقارة" الآن. أنظر للمزيد: Foucauld Ch. de: Dictionnaire. T. 3, p. 1115 ; Lo (Capt.): «Les Foggaras du Tidikelt», **T.I.R.S.**, T. X, 2^e semestre, 1953, pp. 139-179 (p. 143) ; Gast M. : Alimentation. Op. Cit., P. 29 ; A. G. P. Martin : **Les Oasis Sahariennes (Gourara-Touat-Tidikelt)**. Ed. Imprimerie Algérienne, Alger, 1908, pp. 61-75

² Lhote H.: Op. Cit., p. 59 ; Martin A.G.P. : Op. Cit., p. 65

لم يجدوا رحل الأهقار يجيدون فلاحا الأرض، فقد ذكر "دوفوكو *Foucauld CH. de*" في سنة 1904م لما زار واحة "سيلت *Silet*" أنها مهملة وبها حوالي 600 نخلة¹، وهي تملك اليوم آلاف أشجار النخيل المثمرة ولكن مصدرها يبقى مجهولا في من أوجدها، ونفس الشيء مع واحات النخيل في "الإينيد *Ennedid*" بالقرب من "أبلسة"، "تين فونس *Tin Founès*"، "تين تامدهت *Tin Tamodehet*" (ناحية إدلس)، "تيراسيوين *Terrassiouine*" (ناحية آراك)، "إينكلامان *Enkelamane*" (ناحية أمغيد)، "تافاراكراك *Tafarakrak*" (ناحية آسكسم *Asseksem*) كما توجد أيضا أشجار التين خاصة ناحية "تاظروك" وسط الوادي، والتي منها أخذت فسائل لتشكّل الأشجار الضخمة التي تزين بساتين هذه المدينة قبل قرن من الزمن².

لذلك يبدو الأمر أنه كانت هناك محاولة لفلاحا الأهقار قبل أكثر من ثلاثة قرون، من طرف أناس ملمين بطرق الفلاحا وربما اختفوا ورحلوا نتيجة نشوب الحروب وعدم استقرار الأمن في الأهقار، مع تسجيل أيضا أنه لم تكن هناك رابطة أو صلة وصل بين هؤلاء القدماء، والمزارعين الذين جاؤوا حديثا إلى "إدلس" و"تاظروك" نحو عام 1840م.

-وفود مُمتهني الفلاحا من التديكلت وتوات:

سبق القول أن طبقة الفلاحين في الأهقار والتي يلقبونها بـ"الإيزقاغن *Izeggayen sg.*" تشكلت أساسا من طرف مجموعة من الأفراد ذوي البشرة السوداء (السمراء) ويعرفون "بالحرطين" بالمصطلح العربي، ومن أفراد قبائل "أهل عزي" المرابطين، وهم في الحقيقة أناس فقراء ينحدرون من منطقة توات والتديكلت، يمتنون فلاحا الأرض مقابل كسب لقمة العيش، وتشير الروايات أن وصولهم إلى منطقة الأهقار كان منتصف القرن 19م، خاصة في فترة حكم الأمنوكال "الحاج أحمد"، الذي دعم أكثر فكرة السماح لأوائل

¹ Foucauld CH. de R. P. : «Chez les Touaregs. Op. Cit., p. 24

² Gast M. : Alimentation. Op. Cit., P. 29 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 135

الفلاحين الوافدين على الأهقار بالاستقرار، خاصة في واحات إدلس وتاظروك وأبلسة على إثر فشل تجربته الأولى باستعمال العبيد المحررين لفلاحة الأرض لنقص خبرتهم.

لم يكن هؤلاء الفلاحون يملكون الأرض التي يستغلونها وإنما كانت ملكا لطوارق الأهقار سواء من الأرستقراطيين، أو من الأتباع، لذلك حصل نوع من الاتفاق بين الإثنين (مثل ما هو معمول به في عدة مناطق من الفزان أو توات..) في كيفية استغلال هذه الأرض من خلال عقد كراء أو إيجار (شفوي) وفق نسبة الخمس من المحصول المعروف بـ "تاسموست *ta-s-semmuset*"، أي صاحب الأرض يأخذ $5/4$ من المحصول، في حين يأخذ المزارع الخمس فقط أي $5/1$ من ناتج المحصول، ويتكون هذه العقد من خمس بنود يلتزم خلالها مالك الأرض بتقديم: الأرض للفلاح لاستغلالها مع دفع إن اقتضى الأمر ثمن تهيئة الأرض للفلاحة إن لم يسبق استغلالها من قبل، ويوفر الفأس أو المجرفة وكل أدوات العمل، ويقدم كامل البذور، إضافة إلى توفير أنابيب السقي (الفقارة) وإصلاحها، ومنح الغذاء للفلاح وأسرته أو ما يعرف بالنفقة، في حين ما على الفلاح إلا الجهد العضلي فقط¹.

تمثل هذه البنود الخمسة التي يلتزم بها مالك الأرض مع الفلاح، نسبة الخمس لكل واحدة منها لذلك يأخذ مالك الأرض $5/4$ من محصول الأرض، ولكن إذا لم يلتزم ببند أو اثنين، تحمل الفلاح هذا النقص وعوضه ويضيف لنفسه الخمس أو الخمسين بحسب النقص، وقد يأخذ المالك الخمس فقط نظير كرائه للأرض إذا لم يوفر باقي بنود العقد، وهذه القاعدة تم الالتزام بها منذ سنة 1950م لما أقرها الأمنوكال "باي أق أخاموك" الذي خلف الأمنوكال "مسلاغ أق أماياس *Meslar ag Amayas*" لما نشب خلاف في واحة "هيرافوك *Hirafok*" لملاك من قبيلة "داق غالي *Dag Ghali*" ضد فلاحهم المستأجرين².

¹ SHAT., Carton 24H144 ; Barrere G.: « Correspondance sur le contrat agricole en Ahaggar ». **TIRS**, XXIV, 1964, p. 187 ; Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 30

² Barrere G. : Op. Cit., p. 188

ولما كانت الحبوب هي من تفتقد في المواد الغذائية لدى كال أهقار وحاجتهم في مبادلاتهم التجارية دائما، فإنها من الطبيعي أن تكون المنتج الأول الذي يلتزم به الفلاحون (الخماسة) أمام أصحاب الأرض، وخاصة منتوج القمح والشعير، مع أنها في نفس الوقت الغذاء الرئيسي لسكان الواحات في عموم الصحراء تقريبا، ومنذ سنة 1861م ذكر "ديفايري" أنه فيما عدا بعض البساتين في عين صالح وإدلس وتاظروك وبعض الحقول لزراعة الحبوب على ضفاف الوديان، فإن طوارق الأهقار لا يفلحون، ويوجد في تاظروك بعض محاولات لإنتاج الحبوب قد تصل لحدود 350 حمل من القمح في موسم الحصاد¹. ليتطور هذا الإنتاج في سنة 1872م حسب ما نقله الرحالة الفرنسي "دورنو ديبييري" *Dournaux Dupéré* حسب رواية المخبر الشعانبي "الشايب بالمداني" في تقرت أن أموكال الأهقار "الحاج أحمد" يحصد من واحة إدلس من 400 إلى 600 حمل من القمح والشعير على الرغم من فقر هذه القرية التي تبعد 20 يوما عن عين صالح².

إضافة لزراعة الدخن (البشنة) حيث يحصلون على بذورها (زريعة) من غات أو جانت أو الفران أو حتى من الآبير، وهي غذاء مهم لدى سكان الأهقار، فقليل من الحليب وما قيمته 250 كغ من "الدخن" *Mil* كفيل بسد حاجة جهد الفلاح (الخماس) لسنة كاملة³. ويعتبر الدخن الغذاء المنقذ ربما من بين المواد الغذائية الأخرى في المناطق الفقيرة، فيمكن أن يضاف إليه قليل من الحليب أو من الزبدة (دهان) حتى يكون الطبق جاهزا في شكل "عصيدة"، وهو بهذا غذاء كامل وكاف دون الحاجة إلى الخضروات أو اللحم لما يحتويه من عناصر معدنية، ويدرك عمال واحات الأهقار تماما أنه لا غذاء آخر متوفر يمنحهم القوة والصحة كالذخن.

¹ Duveyrier H. : Op. Cit., pp. 369-372

² Henri Duveyrier : Voyage au Sahara par Norbert Dournaux Dupéré (Rédigé d'après son journal et ses lettres). **Extrait du Bulletin de la Société de Géographie**. Aout 1874, p. 13 pp. (1-58)

³ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 31

لذلك عانى الفلاحون (الإيزقاغن) بعض الشيء أول عهد لهم في الأهقار، لأنه لم يكن متوفرا لدى كال أهقار حينها إلا الحليب وقليل من التمر، وهي لا تكفي لتعويض جهد الفلاح العامل طوال اليوم، الأمر الذي جعل حياة الفلاحين بائسة في البداية ولم يشجع على التحاق آخرين للعمل في الأهقار، فخلال ستين سنة تقريبا (1840-1900م) كان وفود الفلاحين بطيئا ومحتشما إلى الأهقار، ويبدو أن قوافل الحبوب لم تلج الأهقار حتى سنة 1896م¹.

زيادة على ممارسات بعض الملاك أصحاب الأرض المشينة، حينما يأتي للتخيم بجوار هذا الفلاح لمراقبة نشاط العمل والوقوف عليه، مما يلزم الخماس بأن يتكفل بإطعام أسرة المالك طيلة فترة التخيم على حسابه، والتي قد تمتد لأشهر خاصة في فصل الصيف وهو ما يزيد في عوز وفقر هذا الفلاح (الخماس) أكثر، ويضمر في نفسه الكره والمقت لهذا المالك، وربما يرحل عنه الموسم القادم بحثا عن مالك آخر، فملاك الأرض من الإيهقارن رغم ما أضافه لهم هؤلاء الفلاحين في تنويع مصادر عيشهم وتحسين وضعهم الاقتصادي من خلال إنشاء عديد البساتين والجنان، إلا أنهم أرادوا أن تبقى هذه الطبقة فقيرة معدمة.

ربما لم يفتنع وقتها الإيهقارن بأن تستقر في مجتمعهم هذه الفئة من الناس، لذلك سعوا أن يستفيدوا من خبرتهم فقط، ومن ثمة التضييق عليهم حتى لا يطيب لهم المقام في الأهقار، مع أن هؤلاء الفلاحين (الحراطين) من توات والتديكلت لم يحتكروا خبرتهم لأنفسهم فقط، وإنما ساهموا في تعليم عديد كال أهقار خاصة من العبيد المحررين، واشتهرت منهم عائلة "كرزبكة" *Karzika* وأبنائه²، وأصبحت هذه الفئة الجديدة (العبيد المحررين) مجتمعا

¹ تعتبر واحة إدلس ومزارعها أهم المراكز الفلاحية في الأهقار، لكنها لم تبلغ تكاملها الاقتصادي إلا في سنة 1957م بعد إنشاء المركز الإداري الصحراوي لإدلس، الذي استثمر في امكانياتها الفلاحية وأنفق ما بين (1958-1962م) ما يقارب

40 مليون فرنك فرنسي قديم. أنظر لمزيد: Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 32

² كان كرزبكة عبدا للأمينوكال "الحاج أحمد" عندما منحه هذا الأخير مسؤولية الإشراف وقيادة العبيد المحررين للاشتغال بالفلاحة في مركز "تاظروك" منذ سنة 1861م، ومن أبنائه الذين واصلوا الاهتمام بالفلاحة نجد "ماتادن" *Mataden* في تاظروك، و"كودبي" *Kodebbi* في إدلس، وصل بهما "غاست" *Gast* (بداية الستينيات) من القرن الماضي) كآخر أبناء رواد الفلاحة الذين كانوا وراء إنشاء البساتين والجنان في الأهقار، ونقلوا له ما كان يعانيه الفلاحون في نهاية القرن 19م.

أنظر للمزيد: Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 32

بعد ذاته من المزارعين خاصة في جهة تازروك، منذ أن منحها لهم الأموكال "الحاج أحمد" في سنة 1861م، كمحاولة أولى منه لاستغلال أرض هذه المنطقة زراعيًا وتنويع موارد كال أهقار الفقيرة.

واستهوى العمل بالزراعة عبيد كال أهقار بعد أن عرفت النجاح بفضل جهود حراطين توات والتديكلت وقبائل أهل عزي المرابطية، وفضلوها على العمل بالقوافل التجارية التي كانت تنطلق من الأهقار بأحمال الملح المستخرجة من ممالح "الأمدغور *Amadror*"، لمقايستها بمنتوج "الدخن *Mil*" المتوفر بعض الشيء ببلاد السودان خاصة بالقرب من نهر النيجر، وكان في الغالب يقود هذه القوافل هؤلاء العبيد الذين جلبوا صغارًا من هذه المناطق (الآبير، النيجر، التبستي...)، ونشئوا على عادات وتقاليد الطوارق المحاربين، وألغوا الحياة في مرتفعات الأهقار¹.

كما وجد الإيهقارن أن عمل هؤلاء الفلاحين الجدد قد وقر لهم سلعة جديدة للمبادلة تمثلت في القمح والشعير اللذان لا يروق لهم أكلهما، وإنما بمبادلتها بسلعة التمر ومختلف المواد الأخرى الموجودة بأسواق الشمال في التديكلت وتوات وغات... إلخ، على الرغم من أنها كميات قليلة ومحدودة بادئ الأمر لحدثة تجربة الفلاحة عندهم وقلة اهتمامهم بها في البداية، لكنها ستكون خلاصهم فيما بعد لما يحكم الفرنسيون قبضتهم على أسواق تموينهم في الشمال والجنوب، في عملية حصار إقتصادي مقصود لإرغامهم على الخضوع لهم دون مقاومة.

1-4 إهتمامات الفرنسيين بالتجارة العابرة للصحراء :

عرف الفرنسيون أهمية التجارة العابرة للصحراء وقيمتها في خضم التنافس مع الإنجليز لاحتلال مناطق نفوذ أكبر في إفريقيا جنوب الصحراء، وهذا بعد أن ثبتوا وجودهم

¹ Henri Lhote : « Les salines de l'Amadror ». **B.L.S.**, N° 14, Octobre 1953, pp. 54-56

في شمال الجزائر ولكي يواصلوا توسعاتهم جنوبا في عمق الصحراء، فقد كانت تقارير القنصل الفرنسي في طرابلس التي كانت تحت الحكم العثماني، تنقل لهم كثافة حجم السلع الإنجليزية الموردة عبر ميناء طرابلس في اتجاهها إلى أسواق السودان عبر وكلاء لهم في عديد المدن سواء في المنطقة الطرابلسية أو في بلاد السودان،

وعلمت السلطات الفرنسية في شهر مارس من سنة 1851م أن إنجلترا عينت نائب قنصل لها في مدينة غدامس، مع العلم أن هذه الوكالة القنصلية في غدامس كانت تنشط في المنطقة منذ ما يزيد عن 18 شهرا ومنتشرة في عدة مناطق في البلاد لتعيينها عدة نواب في مناطق مهمة مثل مرزوق، وبنغازي، ودرنة، وعديد المناطق التي تعتقد أنه يجب أن يكون لها ممثل فيها للعمل على دعم تجارة السودان¹، وكان الطريق العابر للصحراء من طرابلس إلى كانو وسوكوتو عبر مرزوق غدامس وغات وبيلمما هو الأكثر نشاطا حينها، لذلك سارعت فرنسا بأن يكون لها نصيب في هذا الطريق التجاري².

وبدأ الحاكم العام للجزائر الجنرال "راندون Jacques Louis Randon" (1851م-1858م) بالاتصال برؤساء الطوارق وسلطين إمارات إفريقيا ما وراء الصحراء، عن طريق رسائل مجاملة في سنة 1854م، فراسل الشيخ "أحمدو ابن أحمدو لوبو" سلطان إمارة ماسينا بغرض إبرام عقد التجارة بين بلاد السودان والجزائر³، كما هناك رسالة أخرى لرؤساء قبائل طوارق الإيولمدن الشيخ محمد كاوة، والشيخ النبيغ⁴، دائما بغرض إبرام اتفاقيات التجارة، وبالطبع دون أن ينسى مراسلة كل من السلطان "إخنوخن" أمنوكال كال آجر والسلطان "أق

¹ ANOM., Carton 22H33, Correspondance Ministère de la Guerre à M. le Ministre des Affaires Etrangères «Etablissement d'un Consul Anglais à Ghadamès», Paris, le 9 juillet 1851, 2p.

² Donald C Holsinger: "Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century". **ROMM**, N° 30, 1980, pp. 57-70

³ أرسل له رسالة أولى مع السيد الشريف الوزاني الحاج محمد بن أحمد ووجده غائبا عند أخوه في جني ومعه 3 إنجليز، واجتمع مع السيد البكاي، لذلك راسله من جديد مع التأكيد على المحافظة على علاقة الطوارق في هذه التجارة والمرور...الرسالة بتاريخ شهر محرم من سنة 1271هـ/1854م. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H26

⁴ مرسله من طرف العقيد دينفو نائب الحاكم العام للجزائر الجنرال راندون الرسالة مؤرخة بتاريخ 29 أكتوبر 1854م. أنظر: ANOM., Carton 22H26، (الملحق رقم 5-6-7)

ماما أق سيدي" أمنوكال الأهقار حينها، ويبدو أنه لم يتلق جوابات من طرف هؤلاء الذين لم يكلفوا أنفسهم حتى بالرد عليها ربما¹.

ومع ذلك اجتهد الفرنسيون في معرفة حيثيات هذه التجارة وأصبحوا يعلمون التفاصيل الدقيقة لها منذ أن زودهم بها التاجر الرحالة "عبد الرحمان"² لما جاء للتجارة إلى مدينة الأغواط في سنة 1858م، يمكن تلخيصها فيما يلي: "في أسواق بلاد السودان مثل تمبكتو وأغداس وكوكة بالبورنو، وبلاد الهوسا يتم البيع والشراء بالمقايضة، كما توجد عملة "الكوري Coris" وتسمى بالعربية الودع وهي نوع من الـدف أو المحار (Coquillage)، كما توجد عملة الدورو الإسبانية، ولكن في أسواق غات والشمال فتوجد عملة 5فرنك الفرنسية وكذلك الدورو الإسباني و يتعاملون إ بمها، والسلع المستوردة من بلاد السودان تتضاعف لمرتين أو ثلاث مرات في أسواق غات والعكس صحيح بالنسبة للسلع الأوربية المـمدرة لبلاد السودان وأحيانا ضعفها بكثير. ويدوم سوق غات لسبعة 7 أشهر من أبريل إلى غاية نوفمبر أين تتوقف القوافل بسبب موسم الأمطار في بلاد السودان، ويعتبر شهري ماي وجوان أكثر الأشهر لنشاط القوافل المـحراوية، ويزود تجار طرابلس والفران سوق غات بمختلف المنتجات الحربية والقطنية والزجاجية والخردوات والورق والكتب، الحلي والجواهر، إضافة لمختلف المنسوجات التقليدية من الحياك والزراي والبرانيس والقبعات، إضافة لمختلف أنواع الأسلحة البيضاء، ومنتجات الحبوب من القمح والشعير والذرة، إضافة للسكر، والتمر... إلخ وكذلك الأمر بالنسبة لتجار غدامس، الذين في كثير من المرات من يكونون الوسطاء لدى الطوارق.

¹ نجد رسالة ر من الأموكال "الحاج أحمد بن الحاج البكري" لطوارق الهقار ولكن للسيد حاكم الجزائر المارشال "بيليسي وك" و مالاكوف Pélissier Duc de Malakoff " بتاريخ شهر رمضان من عام 1279هـ / 1862م يخبره أن طريق السوان لا تمر من هته فطريق السوان الغربي (نحو تمبكتو) يمر عبر توات وطريق السوان القبلي (الشرقي، الهاوسا والبورنو) يمر عبر غات والفران، وبالتالي هم بعيدون عن هذه الطرق كما أن لهم أناس قطاع طرق يحسبون عليهم ولا يتحكمون فيهم، وبالتالي ما يستطيع القيام به تجاههم هو وفائه بالعهد معهم لتسهيل أمرهم قدر المستطاع... حمل رسالة الفرنسيين "الشيخ عثمان" أخوه، مع هدية ممثلة في مسدسين بست طلقات مطليان بالذهب والفضة. ومنقوش عليهما إسمه مقدمة من طرف نابليون الثالث، ... وربما تكون هذه المراسلة بعد إبرام عقد "إتفاقية غدامس". أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H26، (الملحق رقم 8)

² من مواليد "أولـة" بالفران، ترك موطنه منذ سنة 1843م ليهتم بالتجارة العابرة للصحراء، في سنة 1844م زار كامل إقليم الفران، بين سنتي 1845-1846م وصل إلى البورنو وعديد مدن الهاوسا مثل كانو سوكونتو، زندر، زار بحيرة التشيا في سنة 1847م، وزار عديد مدنها المجاورة ثم ذهب إلى مصر وأقام بالقاهرة والإسكندرية سنتي 49-1850م، ثم واصل رحلته حتى القسطنطينية ومكث بها ثلاث سنوات حتى 1853م، عا إلى وطنه ليستقر بعدها في مدينة "غات" في سنة 1955م ليواصل تجارته عبر الصحراء، قام برحلة أخرى إلى كوكة وكانو سنتي 56-1857م. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H26, Rapport de lieutenant adjoint M. C. Marty au bureau Arabe. Laghouat, le 8 avril 1858, 16p.

كما يزود الطوارق هذه الأسواق بقطعانهم من الإبل والماعز والغنم، وجلود هذه الحيوانات وصوفها وزيدتها، إضافة لصناعاتهم التقليدية من هذه الجلود من محفظات وأكياس وصنادل وأحذية وسروج، وراحلات الجمال والتي دائما ما تكون بألوان زاهية وشرائط متدلّية. أما تجار الشعامبة وأهل سوف فيزودون هذه الأسواق بالحيك والبرانيس ومنتجات التبغ، ويحملون معهم الكثير من النقود الفرنسية والتونسية لأجل الشراء من سوق غات كما يفعل كذلك أهل التديكلت من عين صالح وتوات والذين يزودون السوق بمنتجاتهم من ألبستهم وبعض من تبر الذهب الذين حملوه من تمبكتو سابقا، كما يقدم المصريون لهذه الأسواق الألبسة ومختلف المنتجات الأوروبية، أما اليهود فيقومون بتجارة الأدوات والخردوات المنزلية بأنواعها والزجاجية ومختلف السلع الغذائية الأخرى وبشكل معتبر فهم مهرة فيه".

هذه المعلومات أفادت كثيرا الفرنسيين في معرفة السلع المتاجر بها بين مناطق الشمال والجنوب، من خلال تقرير عبد الرحمان الذي قدم أسعار المواد وبيعها بين الأسواق بالتفصيل، وبناء على هذه المعلومات أوفدت السلطات الفرنسية عدة مستكشفين ورحالة إلى جهة مدينة "غات"، موطن طوارق كال آجر لعل أهمهم "إسماعيل بوضربة" و"هنري ديفاريي"¹، هذا الأخير الذي وجد حليفا مهما لهم في قضيتهم يتمثل في شخصية المرابط "الشيخ عثمان"، الذي أقنع فيما بعد أمنوكال كال آجر "إخنوخن" بإبرام اتفاق التجارة مع الفرنسيين، والمعروف بـ"اتفاقية غدامس" في يوم الأربعاء 26 نوفمبر 1862م، وكان عثمان من أمضى نيابة عن الأمينوكال².

مع العلم أن الشيخ عثمان نفسه كان قد زود المكتب العربي في الأغواط بالمعلومات، لما عاد من رحلته إلى الجزائر رفقة ابنه (12 سنة) وثلاثة من رفاقه في سنة 1855م، عن

¹ أول اتصال فرنسا بطوارق الأزجر كان في عهد الجنرال "مارغريت Marguerite" لما كان القائد الأعلى لمركز الأغواط، لما جهز مهمة اسماعيل بوضربة في سنة 1858م إلى ديارهم (من ورقلة إلى غات) وبالرغم من كونه مسلم إلا أن أهل غات منعه من دخولها طردوه وهددوه بالقتل رغم وصاية الأمنوكال "إخنوخن" والشيخ عثمان له، مع أنه كان قد تزامن تقريبا مع رحلة المستكشف "هنري ديفاريي" الذي كان بصحبة الشيخ عثمان وسهل عليه مهمته، ثم بعد إتفاقية التجارة بين الطرفين جاءت مهمة العقيد "ميركر Mircher" رفقة النقيب "دو بولنيك de Polignac" الذين وصلوا حتى غدامس في سنة 1863م لتفعيل بنود هذه الاتفاقية، لتأتي بعدها مهمة الضابطين "ميري Méry و أتانو Attanoux" اللذان حيا وتحقق هدفهما وعادى على الأقل سالمين بعد أن كلفا الخزينة حوالي 30 ألف فرنك، كما منع الضابط "فورو Fourreau" من اجتياز الصحراء للوصول إلى بلاد السودان. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H29

² ANOM., Carton 22H26, Traité de Ghadamès, 8p.

أهم قبائل الطوارق وتقسيماتها ومناطق نفوذها والطرق التجارية المارة بها، وحسبه¹: "يوجد أربعة طرق تجارية صحراوية إثنين من جهة الغرب نحو توات والمغرب باتجاه تمبكتو، واثنين جهة الشرق نحو البورنو والهاوسا وينطلقان من غات ومرزوق، وبين طريقي الشرق والغرب يوجد منطقة جبلية وعرة وشاسعة في جبل الأهقار.

الطريق الأول: تكون فيه مرزوق هي نقطة الوصول بالنسبة للقوافل التي انطلقت من البورنو ومدن ضواحي بحيرة التشاد، وتحمل بالخصوص مادة العاج، ويقوم بهذه التجارة تجار من طرابلس وأحيانا تجار من البورنو، ولكن هذه الطريق أصبحت خطيرة لوقوعها في قبضة قبيلة أولاد سليمان التي طردتها الإدارة التركية من إقليم طرابلس، واستقرت بين البورغو وقاسم وأصبحت تغير على القوافل المارة بها.

الطريق الثاني: القوافل القادمة من مدن الهاوسا تكون نقطة وصولها هي مدينة غات التي هي من تتزود بكثرة بمنتجات بلاد السودان تكون القافلة الواحدة فيها مكونة من ألف إلى 3 آلاف جمل، وتكون السلع في العادة: ألبسة قطنية زرقاء، جلود مدبوغة باللون الأحمر والأصفر المطلوبة في تونس وطرابلس، الزنجبيل، مصنوعات خشبية التي يجيدها الزنوج بمهارة، قماش من الكتان، راحلة الجمال، تروس ورماح، بقر كبير الحجم، خراف، أعواد البخور، الأرز والذرة والبشنة... في حين تصدر القوافل نحو بلاد السودان سلع من المواد الزجاجية، والألبسة الحريرية وقبعات حريرية بكميات كبيرة، الخيول التي تستبدل في مدن الهاوسا بالعبيد من 12 إلى 15 عبد للحصان الواحد، بعض التوابل، كميات من النحاس والحديد الأبيض ومختلف الأدوات والخردوات،

لكن أهم سلعة للقوافل في بلاد الهاوسا هي العبيد الزنج، الذي يورد بشكل كبير إلى أسواق غات وغدامس، ومنهما يحولون لأسواق تونس وطرابلس، على الرغم أن حاكمي هذين البلدين ضيقا على أصحاب القوافل وأوقفوا هذه التجارة، بسبب تدخل بعض قناصل الدول الأوروبية لوازع إنساني وعلى رأسهم الإنجليز بالأخ، وهذا ما دعى برؤساء القوافل بالبحث عن أسواق جديدة لبيع عبيدهم هنا في شمال الجزائر... (يعلق صاحب التقرير) وهو ما يجب أن نستغله نحن لربط علاقات جيدة مع أصحاب هذه القوافل لتسهيل ولوجنا لهذه التجارة إلى بلاد السودان، كما يمكن الاستفادة من هؤلاء العبيد لتجنيدهم في صفوفنا والذين لن يكلفونا كثيرا لأنهم عبيد لدى سيدهم ولا حاجة للباس لتمييزهم، لأنهم أجنب عن هذه الديار ويختلفون بلون بشرتهم ولغتهم

¹ ANOM., Carton 22H26, Renseignements recueillis par le bureau arabe de Laghouat près des Touaregs sur l'itinéraire de Ouargla à R'at et à Idelès. 1859. 13p.

ودينهم عن الأهالي، كما أنهم يجبون العمل معنا فالكثير من المحررين سابقا إنضموا عن طواعية لصفوفنا، ثم أنهم سيكونون عوننا لنا في الوصول لأسواق غات والبورنو والهاوسا.

لكن من جهة أخرى قوافل التجارة من الهاوسا لا تزودنا بتبر الذهب الذي يوجد بكثرة في تمبكتو، الذي يمر بطريق توات وتمبكتو على الرغم أن تجار غدامس في تمبكتو هم من يسيرون على هذه التجارة ويشكلون قوافل خاصة بهم قبل أهل غات وتوات، وطوارق كال أجرهم من يؤمنون لهم اللريق من غات نحو توات، ثم كال أهقار مع بعض القبائل العربية (المرزيق، الخنيشات) هم من يؤمنون لهم اللريق من توات نحو تمبكتو مع كراء جمالهم لهم أيضا، ونفس الحال في رحلة العودة،

أما الطريق الرابع: فهو من تمبكتو نحو الشمال الغربي أي ناحية "تافيالنت"، أو نحو "واد مون" ويسيلر على هذا اللريق قبائل "تاجكانت Tadjkanet" البربرية وبعض القبائل المغربية لواد مون، والتي لا يسلكها اللوارق.

سعت السلطات الفرنسية أمام وضوح الرؤية بقيمة التجارة العابرة للصحراء، أن تراجع قوانينها ومراسيمها خاصة الأمر الذي صدر في 16 ديسمبر 1843م بغلق الحدود البرية على كامل السلع ومنتجات إفريقيا الوسطى -الذي بقي غير معمول به-، وجاء مرسوم 25 جوان 1860م بفتح مكاتب الجمركة لمراقبة القوافل الصحراوية باتجاه الجنوب، مع ترك تحديد مكان تواجد هذه المكاتب لاحقا، بالاستشارة مع رؤساء المراكز والملاحق العسكرية في الجنوب¹. وبحكم أن مدينة غدامس تعتبر من بين أهم المراكز التجارية في الطريق العابر للصحراء، ولمنافسة الإنجليز أيضا عينت فرنسا "محمد الثني" كوكيل قنصلي لها في هذه المدينة في سنة 1861م، ورفض الباب العالي هذا الأمر بحجة أنه لا يمكن للرعايا أن

¹ أقترح رئيس مقاطعة المدية بأن تكون مكاتب الجمركة هذه في كل من مسعد(للذاهيين شرقا)، والأغواط (للذاهيين شمالا)، وعين ماضي (للذاهيين غربا). أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, «Rapport sur l'Établissement de Bureaux de Douane pour l'exécution du Décret Impérial du 25 juin 1860» le Colonel commandant la subdivision, Médéah, le 29 aout 1860, 11 p.

يمثلوا أجانب، وهو ما دعى الحاكم العام للجزائر "بيليسيبي دو ك دوما لاكوف" يتقدم حينها بمراسلة الباب العالي في هذا الشأن لتوضيح الأمر ومراجعة هذا القرار¹.

وحتى يلقي حكام مستعمرة الجزائر الدعم والقبول أكثر في إنشاء هذا المشروع، تم رفع تقرير إلى الإمبراطور نابليون الثالث في سنة 1862م جاء فيه²: "تقدر مساحة إفريقيا الغربية والوسطى الفرنسية بحوالي 12 مرة ضعف مساحة فرنسا، وبتعداد سكاني يقارب 40 مليون نسمة، وبتجارة بينية مقدرة بحوالي 30 مليون فرنك، وفيما يخص المبادلات بين مناطق الشمال مع مناطق الجنوب فإننا نجد: أن الجزائر تصدر نحو بلاد السودان حوالي 400 حمل جمل سنويا وتستورد مثلها أي بمجموع 800 حمل، في حين صادرات وواردات المغرب نحو بلاد السودان ضعفتها أي حوالي 1600 حمل جمل سنويا، أما منطقة الفزان فتزيد عنهما بكثير لتصل إلى حوالي 9600 حمل جمل سنويا.

لذلك من هذه المناطق الثلاثة تقدر حجم المبادلات بـ 11000 حمل جمل، وهو ما يعادل 1650 طن أي بقيمة 20 مليون فرنك، مع الأخذ أن حمل جمل³ واحد بمعدل 2000 فرنك، وهذا إذا زدنا تكاليف الطريق أين تتضاعف قيمة السلع بأضعاف كثيرة فسيكون الدخل كبير جدا، في حين تعد هذه قيمة بلاد السودان الاقتصادية وحجم مبادلاتها مع جهة واحدة فقط، ما بالك مع باقي الجهات خصوصا وأنها تضم كذلك سوق استهلاكية مقدرة بحوالي 40 مليون نسمة، (فمثلا يقدر عدد سكان مدينة كانو وكوكا ليس بأقل من 300 ألف نسمة لكل منهما، والمدن القريبة منهما لا تقل عن 20 ألف نسمة)

¹ تم تعيين "محمد الثاني Theni" كوكيل قنصلي لفرنسا في غدامس، منذ سنة 1861م وتوفي 1870م وبقيت فرنسا دون وكيل قنصلي في غدامس منذ ذلك التاريخ حتى أراد قنصل فرنسا في طرابلس السيد "فيرو Féraud" فتحها في سنة 1881م مقترحا أسم الحاج الطاهر با سيدي من تماسين ويتبع الطريقة التيجانية وله علاقات جيدة مع الطوارق كذلك. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Lettre de M. le Consul Général de France à Tripoli da Barbarie à M. le Maréchal Pélissier Duc de Malakoff, Vice président du sénat Gouverneur Général de l'Algérie, Tripoli, 6 juin 1861, 3p. ; Lettre du M. le Ministre des Affaires Etrangères à M. Albert Grévy Gouverneur Général Civil de l'Algérie, Paris, le 6 mai 1881, 3p.

² ANOM., Carton 22H26, Rapport adressé à sa Majesté l'Empereur Napoléon III par Gustave Sahler, Montbéliard (Doubs), le 16 novembre 1862. 15p.

³ يستطيع الجمل حمل 3 قناطير (القنطار العربي = 50 كغ)، وكان يأخذ الطارقي الذي يقوم بكراء جملة من 10 إلى 12 دورو للقنطار من غات حتى كانو، أي حوالي 30 دورو عن الجمل، ويدفع التاجر نصف مبلغ الكراء فقط في غات، إلى أن يصل لكانو ويسدد كامل الدين. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H28, Correspondance de M. Regnault: Chargé d'Affaires de France à Tunis à M. Ribot Ministre des Affaires Etrangères, «Renseignements sur les itinéraires du Soudan donnés par le Targui Mohamed El guima», Tunis, le 19 septembre 1891, 11p.

ولكن إذا علمنا أن حجم هذه المبادلات سيتأثر كثيرا لما يتم تطبيق إلغاء تجارة العبيد فعلا، فإن الحل هو استبدالها بكم هائل من المنتجات الأوربية لمبادلتها بتبر الذهب والمواد الثمينة، وهذا ما سيدعم أكثر مشروع مد خط سكة حديدية من الشمال نحو الجنوب عبر الصحراء الذي يضل حلما جميلا جدا.

وتمت الموافقة على هذا المقترح كما شكلت لجنة لدراسة مشروع إنشاء خط السكة الحديدية العابر للصحراء¹، وكلف فيما بعد العقيد "فلاتر" باستكشاف أقاليم الصحراء وبلاد الطوارق لمعرفة أصلح التضاريس التي يمكن أن يتم فيها مد خط هذه السكة الحديدية، ولكن المشروع قضي عليه في مهده لما قتل طوارق كال أهقار بعثة "فلاتر" في سنة 1881م، معانين بذلك رفضهم لأي تقارب مع الفرنسيين، وأدرك هؤلاء أن بعث التجارة الحقيقية لهم لن يكون إلا بعد إخضاع جميع قبائل الطوارق واحتلال أراضيهم وإحكام السيطرة عليها.

أ-الرهان على المركز التجاري لعين صالح:

أدرك الفرنسيون أنه لا يمكنهم الولوج إلى الطريق التجاري العابر للصحراء، إلا بالسيطرة على مركز تجاري كبير في عمق الصحراء أين تتزود منه القوافل، وفي نفس الوقت إرغام الطوارق على التعامل معهم، وهو ما يتيح السوق الكبير لمدينة عين صالح عاصمة إقليم التديكلت، فقد خاب ظنهم في محاولة جلب جزء من الحركة التجارية من مدينة غدامس إلى جهة وادي سوف رغم التسهيلات المقدمة والتشجيعات التي تلقاها التجار سواء من تجار وادي سوف أو تجار غدامس²، وهذا راجع بدرجة أولى لأوامر المقيم العثماني في

¹ في سنة 1880م تأسست في باريس اللجنة العليا لعبور الصحراء برئاسة وزير الأشغال العمومية، والعقيد "بولينيكاك" De Polignac والعقيد "فلاتر" "Flatters"، هذا الأخير لم يأخذ بنصائح "بولينيكاك" في عبور الصحراء في رحلته الثانية سنة 1881م التي هلك فيها. أظر للمزيد: ANOM., Carton 22H28, L. Morel 'La politique saharienne', Interview du Colonel de Polinac, Journal La Dépêche Algérienne, 8^e année, N^o 2653, vendredi, 9 décembre 1892.

² فيما يخص الحركة التجارية بين مركز الوادي و غدامس في سنة 1891م، بلغت صادرات الوادي مبلغ 246.610 فرّك، في حين بلغت قيمة الواردات 183,325 فرّك، لذا يقدم الميزان التجاري بين الصادرات والواردات ربح بقيمة 63.285 فرّك لتجار الوادي، كما يوضح رقم أعمال مقدر بـ 429.895 فرّك، أما فيما يخص التجارة مع الطوارق فهي منعدمة لأنهم لا تربطهم علاقة مباشرة معهم إلا عن طريق تجار غدامس، لذا يجب تعيين وكيل قنصلي (غير رسمي) بهذه المدينة يعمل على استمالة التجار منها إلى الوادي وليس إلى المنطقة الطرابلسية، والذي يمكن أن يكون أحد الأعيان المسلمين هناك أو من كبار التجار الجزائريين، وينسق مع رئيس ملحق الوادي. أظر للمزيد: ANOM., Carton

هذه المدينة الذي لا يريد للفرنسيين أن يكون لهم حظ في هذه التجارة على حساب أصدقائهم الإنجليز في طرابلس، والذي يقوم بمعاينة أي تاجر يعمل أو يتاجر مع الرعايا الفرنسيين¹.

كان يدرك الفرنسيون قيمة المركز التجاري لعين صالح الذي تمر به تجارة الذهب من خلال كتابات الرحالة "ديفاريي" الذي ذكر معلومات هامة عن تجارة الذهب التي كانت تمر من عين صالح إلى غدامس تحت حماية مرابطي زاوية تماسنين الإيفوغاس للشيخ عثمان ويجبون ضريبة الطريق والحماية أيضا، وذكر أن كل قافلة تتطلق من عين صالح إلى غدامس باتجاه أوربا كانت تحمل معها بين إثنين إلى ثلاثة وأحيانا أربعة أو خمسة أحمال من الذهب (تبر أو سبائك)، مع أن الحمل يقدر بحوالي 150 كغ، وباعتبار معدل رحلتين من القوافل في السنة فقط، ومعدل ثلاث أحمال في كل قافلة وحسب الشيخ عثمان تصدر عين

22H33, Lettre du Capitaine chef d'annexe Ricaud à M. le Commandant Subdivision du Cercle de Biskra, «Tableau du mouvement commercial de l'annexe d'El Oued avec Ghadamès», El Oued, le 15 mai 1891, 1P

¹ في شهر مارس من عام 1894م قررت مجموعة من تجار الواد الاستثمار في تجارة العاج التي تزخر بها مدينة غدامس لزيادة أرباحهم، خاصة وأن هؤلاء التجار قد لقوا الدعم والتشجيع من نقابة ورقلة -السودان الفرنسية (كعديد نقابات في بسكرة وقسنطينة، باتنة،...) للعمل لحسابها في تجارة هذه المادة، وبعد سماع توفر ما يزيد عن 250 حمل من العاج توجه التجار رفقة ممثل النقابة "بورجو Bergeaud" بقافلة بقصد شراء 10 أحمال بمجموع رأس مال يقدر بـ 20 ألف فرنك... لكن حاكم غدامس المقيم التركي الكايمان "محمد درباسي" استدعى الحاج بلقاسم موسى والحاج العربي، ومنع هذا البيع، بحجة أنه منع بيع العاج، وريش النعام، والجلود المدبوغة للرعايا الفرنسيين، لأنها محجوزة للتجار الإنجليز في طرابلس، وهدد الكايمان التاجر الغدامسي "إبراهيم بن إيلي" المصاعبي بالعمل مع تجار الأعشاش، واتهمهم بالتجسس لصالح الفرنسيين، والعمل على تحويل تجارة غدامس-طرابلس مع الإنجليز لصالح الوادي مع الفرنسيين، كما استدعى بعدها كل تجار غدامس وهددهم بالسجن إذا تجرأ واحد منهم ببيع العاج لتجار وادي سوف... وهو ما دعى السلطات الفرنسية تحتج لدى الباب العالي على تصرف المقيم التركي "محمد درباسي" في غدامس من طرف سفيرها هنا... وكرد فعل على هذا نصح الجنرال "دو لا رو" حاكم مقاطعة قسنطينة الحاكم العام في الجزائر على استغلال الفرصة، للضغط أكثر على الأتراك بالعزل الفوري لهذا الكايمان، وتعويض التجار الجزائريين، وتعيين فوري وكيل قنصلي لفرنسا في غدامس، وأخيرا تحصيل إقرار رسمي من الحكومة العثمانية على حرية التجارة... وقبل الباب العالي هذا الاعتراض وتم تغيير المقيم التركي بـ غدامس. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Correspondance du Général commandant la Division de Constantine De La Roque à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, Constantine, le 21 avril 1894, 3p. ; Rapport du Capitaine Ropert chef de l'annexe d'El Oued sur une enquête au sujet de la défense faite aux indigents du Souf par le Kaimakan Mohammed Derbassi d'acheter de l'Ivoire à Ghadamès, El Oued le 18 aout 1894, 11p ; Bureau d'Arabe d'El-Oued, Cercle de Tougourt, subdivision de Batna, Procès-verbal d'information du témoin nommé Belgacem Moussa, le 28 juillet 1894, 5p. ; «L'incident de Ghadamès », Journal La Dépêche Algérienne, du 11 septembre 1894, N° 3344.

صالح سنويا ما قيمته من 900 إلى 1000 كغ من الذهب أي ما يمثل قيمته حاليا (أوت 1863م) في باريس بـ 3.265.100 فرنك¹. كما أشار الشيخ عثمان بأن طريق الذهب هذا بدأ يتراجع لصالح طريق غرب إفريقيا باتجاه السنغال للأعمال التي قام بها الحاكم "فيدارب *Faidherbe*" لتأمين هذا الطريق الذي لم يعرف الإطمئنان مطلقا قبل اليوم، وتخوف الشيخ عثمان بتحول هذا الطريق نحو شمال إفريقيا إلى غرب إفريقيا².

يصل هذا الذهب لعين صالح عبر طريقين الأول من تمبكتو عبر الأهننت، والآخر عبر تجار ميزاب الذين يقطعون الهقار عبر شمال المويدير ثم ينزلون جنوب المرتفعات حتى يصلوا "أساوا *Assaoua*" التي تمثل نقطة إفتراق القوافل القادمة من بلاد السودان نحو الشمال سواء إلى غات أو غدامس أو توات أو التديكلت³، وتجدر الإشارة أن مصدر الذهب الذي كان يمر بأسواق أغداس في نهاية القرن 18م يأتي من منطقة "داغونبا *Dagonbah*" (مناجم بلاد الأكن *Akan* الذي كان يصدر أيضا نحو الشمال عبر "بيغو *Bighu*")⁴، ويشرف طوارق الأهقار على إيصاله إلى كل أسواق الشمال تقريبا (غدامس، سوف، تقرت، ورقلة) كما كانوا يجلبون العبيد أيضا لأسواق ورقلة⁵.

على الرغم من أن الفرنسيين أدركوا أن الطريق التجاري العابر للصحراء طرابلس-كانو النشط⁶، لا يمر عبر عين صالح حينها، فهو ينزل من غدامس مباشرة إلى غات، إلا

¹ Duveyrier H. : Les Touareg. Op. Cit., p. 360

² Ibid., pp. 360-361

³ Daumas A. et Chancel E. de : Op. Cit., p. 166

⁴ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 344

⁵ Daumas A. et Chancel E. de : Op. Cit., p. 142

⁶ التجارة العابرة للصحراء يكاد يستفيد منها ميناء طرابلس بشكل استثنائي، وفي تقرير للقنصل العام البريطاني في طرابلس وكذا للمعلومات التي حصلها الضابط "ريبيلي *Rebillet*" قدر رقم السلع الأوربية الواردة في سنة 1889م إلى السودان عن طريق بنغازي ارتفعت إلى حدود 2.500.000 فرنك، وفي المقابل السلع المصدرة من السودان قدرت بحدود 3 مليون فرنك، ومن جهة أخرى يقدم الطريق التجاري عبر غدامس بين الصادرات والواردات رقم 2 مليون فرنك، في حين يقدم الطريق المار بغات 1 مليون فرنك، وهو ما يعني في المجمل تجارة بـ 8.500,000 فرنك بين طرابلس وبلاد السودان،... كما تقدر تجارة القوافل بين طرابلس والسودان عبر بنغازي في سنة 1895م كانت في حدود 7 مليون فرنك. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Correspondance de M. Lacaury Consul Général de France à

أنه توجد قوافل صغيرة للشعامبة كانت تنتقل بين منطقة التديكلت وغدامس من جهة، ومن جهة أخرى توجد قوافل طوارق الأهقار التي تتزود بمؤونتها من التمر ومختلف السلع الأخرى من عين صالح، لذلك يمكن استغلال هذا المركز التجاري بتوسيعه وتزويده بمختلف السلع الأوروبية من فرنسا التي يجدها هؤلاء في أسواق غدامس وغات، وبشهرة هذا المركز قد تتطلق قوافل عابرة للصحراء نحو غات ومنها إلى بلاد السودان، وربما سيتيح حتى للقوافل السودانية بعدها أن تستوفي بضاعتها بيعا وشراء منه دون مواصلة المسير الطويل حتى طرابلس.

هكذا إذا كان يفكر الفرنسيون ويخططون في مستقبل التجارة العابرة للصحراء عبر عديد مراسلاتهم وتقاريرهم، كما أنهم كانوا يدركون أن "أولاد باجودة" أكبر عائلة بعين صالح والتي وجب على السلطات الفرنسية أن تكسب ودها، إذا ما أرادت الدخول في تجارة السودان مع الجزائر مرورا بعين صالح غات وتمبكتو وبلاد الطوارق¹، وهذا وفق منظور سلمي يرضي الجميع دون اللجوء للعنف والقوة والقسر، ولكن كان الأمر مختلفا على أرض الواقع، مما دفع القادة الفرنسيون دخولها بالقوة نهاية شهر ديسمبر من عام 1899م بقيادة النقيب "بان Pein" وجنوده الـ 130 من فرق القوم الشعامبة.

كان يدرك الفرنسيون أن سقوط عاصمة إقليم التديكلت بأيديهم ستؤثر على الحركة التجارية بشكل مباشر مع جميع المدن التي بجوارها وخاصة مع قبائل الطوارق. ففي الحركة التجارية في الصحراء، نجد منطقة التديكلت تلعب دور المعبر لكل الطرق التجارية التالية: القرارة-توات، قابس-ورقلة، المزاب-القولية، طرابلس-غدامس-بلاد السودان، وبعد فترة من انقطاع الاتصال نتيجة الصراع الذي نشب بين طوارق الأهقار وأهل التديكلت في سنة

Tripoli de la Barbarie à M. Hanotaux Ministre des Affaires Etrangère à paris, «Le mouvement commercial entre Tripoli et le centre Africain...» Tripoli de Barbarie, le 9 février 1898, 16 p.

¹ ANOM., Carton 22H26, Rapport de l'Agha de Touggourt Med ben Driss, Biskra, le 15 juin 1876. 5p.

1898م، وهزم فيه هؤلاء الأخيرين وسلبوا في عديد المرات، وتوقف نشاط تجارهم بالمرور في أراضي الأهقار، بل توقفت تجارة عين صالح - غدامس - السودان، كما كان لأحداث شتاء 1900م بتعليق نشاط التجارة من جهة القرارة وتوات أيضا، لكن على الرغم من ذلك ومنذ أن وضعت فرنسا يدها على المنطقة عادت هذه الحركة التجارية بشكل نشط أكثر، ومن بين أهم المراكز التجارية التي كانت تزود مركز عين صالح بالسلع والمنتجات نجد¹:

مركز القرارة: تشتهر بصناعة الألبسة من الصوف والقطن، ويذهب تجار عين صالح للتزود بها سواء لبيعها في عين صالح التي ليست بها صناعة محلية للنسيج، أو لنقلها إلى أسواق أخرى، ومنتجات الصوف تزوده قبائل بدو الخنافسة والشعانبة، في حين منتج القطن على قلته يأتي من توات، وخاصة من القولية والمزاب²، وفي الغالب تتمثل منتوجات القرارة في:

- الحولي (بـ30 فرنك في القرارة - 50 فرنك في عين صالح - 65 فرنك في غدامس)،
- الخابية (حولي داكن) (من 30-40 فرنك في القرارة، ومن 50-60 فرنك في عين صالح يشتره فقط الطوارق)
- الحايك (حولي خفيف) (10ف في القرارة، 15ف في عين صالح، 20-25ف في غدامس)
- دلاوية (قميص من صوف) (15ف في القرارة، 20-25ف في عين صالح يلبسه الطوارق فقط)
- دوكالي (بطانية من صوف وقطن) (25ف في القرارة، 40ف في عين صالح)
- تانفسا (سجاد من الصوف 5م/2م) (50ف في القرارة، 65-70ف في عين صالح)
- حنبل (سجاد صغير) (15ف في القرارة، 30ف في عين صالح)

¹ ANOM., Carton 22H59, Correspondance du Général Servièrre Commandant la Division d'Alger à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Rapport sur le mouvement commercial du Tidikelt fait par le chef d'annexe d'In Salah» Alger, le 20 novembre 1900, 14p.

² تتم المبادلات التجارية لأهل ميزاب مع كل من القرارة وتوات والتديكلت ويستثمرون رأس مال مقدر بـ 160 ألف فرنك في هذه التجارة. كما يعتبر الميزابيون من أقدم القبائل ممارسة للتجارة مع قبائل أقصى الجنوب في الصحراء حتى تمبكتو منذ زمن طويل، وبحسب المعلومات المقدمة من طرف "□الح بن محمد" من بيت "عيسى بن محمد" إخوة بني يزقن، هذه العائلة لها مراسلون في كل مكان؛ تمبكتو، عين □الح، الفقارة Fouggar،... يرسلون طلبات واحتياجات هذه الأسواق إلى بني يزقن، وقبل منع تجارة العبيد كانت التجارة بين بلاد السودان وبلاد ميزاب 10 أضعاف ما هي عليه اليوم (1891م). أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Departement, chef de la section 13 «Mouvement commercial entre le M'Zab et l'extrême sud pendant l'année 1890», Alger, le 27 juin 1891, 4p.

كل هذه السلع يشتريها تجار التديكلت في القرارة ولا يذهب بها تجار القرارة إلى عين صالح، ويقدر طريق الذهاب من عين صالح إلى تيميمون بـ12 يوما.

أما بالنسبة لمنتجات منطقة توات فنجد: القمح، التبغ، الحناء، السكر، الشاي، التوابل، وبعض المنسوجات التي تأتي من المزاب وورقلة وغدامس، ولكن الربح الأكبر يكون من بيع القمح والحنة، (حمل قمح من 150 كغ = 50 ف في توات يباع بـ125 ف في عين صالح)¹، في حين حمل من الحنة = 18 ف في توات يباع بـ75 ف في عين صالح، في وقت ما كان حمل القمح يباع بـ60-70 ف فقط في عين صالح، ونفس الشيء بالنسبة لسعر الحنة كان منخفضا أيضا عما هو عليه الآن، أما التبغ فحمل منه 150 كغ = 40 ف في توات يباع بـ75 ف في عين صالح، وطريق عين صالح توات يمر بقرى؛ إن غار، تيت، أولف، رسكو، سالي.

أما صادرات التديكلت لمنطقة الشمال من ورقلة والمزاب والقولية فنجد: الحنة، وريش النعام، وبعض الأسلحة والحلي التقليدية للطوارق، في حين تعود القوافل بمختلف المنسوجات، قطنيات زرقاء من أجل السراويل، السكر، الشاي، وبعض القهوة، الصابون، الشموع، وبعض المصنوعات الزجاجية، قضبان حديدية. وتجدر الإشارة أيضا أن العلاقات بين التديكلت وورقلة كانت الأكثر منذ تم احتلالها، واشتهرت ورقلة أكثر بتوريد السكر والشاي، والمنسوجات القطنية الواصلة إليها من الشمال، مثل البرانس والقبعات والمروحيات، وتبغ سوف، العطور، في حين يكون السعر مرتفعا:

1 كغ سكر = 0,5 ف في قابس، ويساوي 0,7 ف في ورقلة، ويباع 2 ف في عين صالح.

¹ حسب "دو فوكو" كان □ عر بيع قصعة قمح (2,25 كغ) في الأهقار (أبلسة) في □ نة 1904 م يقدر بـ 1,25 فر□ك، في حين قصعة شعير تباع بسعر 1 فر□ك. أظر للمزيد: Foucauld CH. de R. P. : «Chez les Touaregs. Op. Cit., p.

1كغ شاي = 3-5 ف في قابس، ويساوي 6-7 ف في ورقلة، ويبيع بـ 12 ف في عين صالح، وقبل الاحتلال كان سعر الشاي بـ 30 ف/1كغ في التديكلت¹.

أما القطنيات في ورقلة فهي من مصادر مختلفة، فبعض الأقمشة البيضاء (فينة) تأتي من قسنطينة، سعر المتر الواحد منها بـ 0,3 ف في قسنطينة، ويساوي 0,45 ف في ورقلة، ويبيع بـ 0,7 ف في عين صالح، وتقطع القوافل من 14 إلى 15 يوما بين المنطقتين،

أما مركز غدامس الذي يعتبر مركز عبور هو الآخر للتجارة العابرة للصحراء بين طرابلس وبلاد السودان عبر غات، فيزود عين صالح بمختلف السلع السودانية من جهة والسلع الأوربية القادمة من طرابلس من جهة أخرى، لكن الطريق بينهما خطر ومليء بالعصابات وقطاع الطرق، وتزود التديكلت مركز غدامس بالألبسة الصوفية للقرارة، وتبغ توات، ريش النعام، في حين تستورد - قطنيات بألوان غامقة من بلاد السودان - سكر وشاي قادم من طرابلس، - قطنيات بيضاء قادمة من طرابلس، - قطنيات زرقاء فاقعة التي يستعملها الطوارق وأهل توات والتديكلت لثامًا ولتغطية الرأس من بلاد السودان، وأخرى أقل زرقة تستعمل لصناعة السراويل من جهات مختلفة، وتباع الملحفة (شاش) بـ 12 ف في غدامس، وتباع في التديكلت بـ 30 فرنك.

هذه القطنيات البيضاء اللامعة تدعى "كتان محمودي"، كما أن نوع قطع القماش الموجود في عين صالح يحمل ماركة "بن يامينو عريبب- مانشستر - *Beniamino Arbib-Manchestre*"، يباع 1م من كتان محمودي بـ 0,6 ف في غدامس ويبيع بـ 0,8 ف في عين صالح وتوات، في حين سعر الشاي بحسب الجودة للكغ: شاي أخضر نوعية أولى بـ 3-5 ف في غدامس يبيع بـ 15 ف في عين صالح، ونوعية ثانية بـ 2,5 ف في غدامس

¹ ANOM., Carton 22H59, Correspondance du Général Servièrre Commandant la Division d'Alger à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Rapport sur le mouvement commercial du Tidikelt fait par le chef d'annexe d'In Salah», Alger, le 20 novembre 1900, 14p.

يباع في عين صالح بـ 9-10 ف ، في حين سعر السكر نفسه مع ورقلة وبيع بنفس الفارق، ومسافة الطريق بين عين صالح وغدامس تقدر بـ 18 إلى 20 يوما دون المرور بتماسنين، وهي الأقرب، في حين الثاني (مرورا بتماسنين) أطول¹.

ويعتبر الطريق الوحيد الذي لانتحكم فيه السلطات الاستعمارية هو طريق عين صالح-غدامس، رغم أن كل سلع غدامس يمكن تقديمها من ورقلة والمزاب، سوى القطنيات الزرقاء القادمة من السودان، التي يمكن أن تقدم من طريق الأهننت والأهقار أيضا، لذا رأى الفرنسيون أنه بإمكانهم أن يعوضوا كل تجار المنطقة بالمنتجات التي يحتاجونها من مراكزهم إذا فتحوا طرق تجارة جديدة ودعموها بسلعهم، والتي ستكون لهم أقرب وأضمن من المنطقة الطرابلسية.

ب- علاقة تجار الأهقار بالتديكت الفرنسي:

فيما يخص علاقات الفرنسيين مع قبائل الطوارق في الجنوب فإنه قد سجل منذ نهاية شهر جوان 1900م تاريخ الإستقرار النهائي للمركز الفرنسي بعين صالح، حراكا تجاريا بين عين صالح ونواحي بلاد الطوارق في الجنوب سواء مع الأهقار أو الطاسيلي ناجر، ويجدر الذكر أن قبائل الأتباع الإيسقمارن *Issakamaren* بالأهقار وكذا فرعها الآخر المقيم بالآجر مع أهل عزي، هم من باشروا هذه الحركة، ففي الفترة الممتدة من جوان إلى نهاية شهر سبتمبر كانت 10 قوافل لهؤلاء الطوارق قد قدمت لعين صالح، وكان أول اتصال لهؤلاء الإيسقمارن من الأهقار بتاريخ 20 سبتمبر 1900م بقافلتين تضمان 20 فردا و70 جملا بغرض المبادلة بالتمر ومنسوجات القرارة مقابل سلع سودانية أو مهاري، في حين لم يسجل خروج أي قافلة من عين صالح باتجاه بلاد الطوارق للمتاجرة خلال هذه الفترة.

¹ ANOM., Carton 22H59, Correspondance du Général Servièrre Commandant la Division d'Alger à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Rapport sur le mouvement commercial du Tidikelt fait par le chef d'annexe d'In Salah» Alger, le 20 novembre 1900, 14p.

الجدول التالي يقدم قيمة السلع في الأهقار وسعر بيعها في عين صالح¹:

المنتوج	السعر عند الطوارق	سعر البيع في عين صالح	فارق الربح	سبة الربح	ملاحظات
خروف	17,5 ف	27,5 ف	10 ف	57%	يعتمد أعلى سعر إذا كان فيه اختلاف بين الباعة
عنزة	10 ف	13 ف	3 ف	30%	//
مهري	250 ف	250 ف	0	0	قيمة المهري تختلف من 200 إلى 300 ف
جمل للنقل	150 ف	150 ف	0	0	تختلف القيمة من 100 إلى 200 ف
جمل للذبح	275 ف	275 ف	0	0	تختلف قيمته من 225 إلى 325 ف
حمير	42,5 ف	42,5 ف	0	0	//
زبدة (دهان)	3,5 كغ	5,5 كغ	2 كغ	57%	//
قمح	75 ف	150 ف	75 ف	100%	تم حسابها كما يلي: قصعة من القمح بـ 10 فصاع من التمر الجيد، أي 5 ف، أي 60 قصعة تمر بـ 30 ف، ومنه حمل 30 قصعة قمح $5 \times 30 = 150$ ف
الشعير	36 ف	؟	؟	؟	مع أن القمح يستجلب بقلّة جدا. ليس بالكثير حتى يكون سلعة للتصدير (سلعة الصيد ليس لها ثمن تجاري في هذا البلد) وفس الشيء مع المواد الملتقطة أو الأعشاب ليس لديها قيمة تجارية.
غزّ مدخن	15 ف	15 ف	0	0	مدبوغ بألوان حمراء وصفراء مثل جلد الفيلاي
جلد الماعز	5,5 ف	8,5 ف	3 ف	54%	وعية عادية مستقدمة من الأبير
الراحلة (سرج)	17,5 ف	17,5 ف	0	0	وعية جيدة من بلاد السودان
راحلة	35 ف	35 ف	0	0	حافضة لسيف الطوارق تعلق بالراحلة (من الأبير)
كراب Kreb	22,5 ف	25 ف	2,5 ف	11%	يسمى أريش Ariche مستقدم من جهة در
حربة (من حديد)	15 ف	22,5 ف	7,5 ف	50%	الجدع خشبي يشتريه طوارق التديكات فقط (در)
حربة (تاردا)	12,5 ف	12,5 ف	0	0	

قيمة السلع الموردة من عين صالح إلى بلاد الطوارق²:

المنتوج	السعر في عين صالح	سعر البيع في بلاد الطوارق	فارق الربح	سبة الربح	ملاحظات
تمر (حمل) 60 قصعة)	30 ف	75 ف	45 ف	150%	- القيمة في عين صالح شهر سبتمبر 1900م
سكر	1,75 ف/كغ	5 ف	3,25 ف	185%	- يشتري الطوارق كميات كبيرة في عين صالح
القمح	//	//	//	//	- كل أهقار يشتريه من غات
كالي Calé	//	//	//	//	- لا يستهلكه كل أهقار
التبغ	0,5 ف/كغ	5-10 ف	4,5 ف	900	- توفر يكون بـ 5 ف، و 10 ف در يصبح 10 ف
الحنة	//	//	//	//	ف، مع أن الأهقار لا يستهلكه بكثرة
قطنيات زرقاء	0,8 ف/المتر	1,35 ف	0,55 ف	68%	- لا تستعمل عند الأهقار
					- 1م ² تسمى شقة Chougga، و 7,5 شقة تباد

¹ ANOM., Carton 22H59, Rapport sur le mouvement commercial existant entre In Salah et les pays Touareg, le Lieutenant Clavery, In Salah, le 1 octobre 1900, 11p.

² Idem.

بعنزة قيمتها 10 فرنك، مطلوبة بكثرة في الهقار					حولي (خابية)
- مطلوب بكثرة بالهقار، لا يصنعونه	122 %	41,25 ف	75 ف	33,75 ف	حولي (أبيض)
- مطلوب في الهقار	140 %	43,25 ف	75 ف	31,25 ف	بنني فاتح)
- غير مطلوبة بكثرة	11 %	1,5 ف	15 ف	13,5 ف	دلاية (قميص صوف)
- غير مطلوبة كثيرا	114 %	40 ف	75 ف	35 ف	كالي
- غير مطلوبة كثيرا	15 %	10 ف	75 ف	65 ف	تافا

فيما يلي تم رصد عدد كل البضائع الموردة لسوق عين صالح خلال هذه الفترة من

قبل قوافل الطوارق (جوان - سبتمبر 1900م) وقيمة أرباحها¹:

السلعة	عددتها	سعرها في الهقار بالفرنك	قيمة رأس المال في الهقار بالفرنك	سعر البيع بعين صالح بالفرنك	قيمة الربح النهائية بالفرنك
غنم الدمان	58	17,5	1015	27,5	1595
ماعز	154	10	1540	13	2002
مهري	46	250	11500	250	11500
جمل للنقل	5	150	750	150	750
زبدة (كغ)	392	3,5	1372	5,5	2156
قمح (قصعة)	15	2,5	37,5	5	75
شعير	//	//	//	//	//
جمل للذبح	2	275	550	275	550
غزال مدخن	4	0	//	15	60
كلبو (مزاد)	4	0	//	8	32
تاكوك (قصعة)	15	0	//	1,5	22,5
ب Dob	200	0	//	0,25=2	25
جلد الماعز	58	5,5	319	8,5	493
راحلة (الأيير)	2	17,5	35	17,5	35
راحلة (السودان)	2	35	70	35	70
رسن Ressan	7	2	14	3	21
ملحفة	14	22,5	315	25	350
حربة Ariche	3	15	45	67,5	67,5
حربة Tarda	3	12,5	37,5	37,5	37,5
كرب Kreb	3	22,5	67,5	75	75
حمير	7	42,5	297,5	42,5	297,5
المجموع			17265		20214

أي بربح قدره: 2949 فرنك (في رحلة الذهاب من القافلة) وهو ما يعادل نسبة ربح

17% فقط. بالمقارنة ما يربحه تجار عين صالح لما ينزلون لبيع سلعهم في بلاد الطوارق،

¹ ANOM., Carton 22H59, Rapport sur le mouvement commercial existant entre In Salah et les pays Touareg, le Lieutenant Clavery, In Salah, le 1 octobre 1900, 11p.

هذا الفارق بين الصادرات والواردات يظهر عجزا ماليا يعوضه الطوارق بكثرة مواشيهم من إبل وخرقان وماعز، وما يلاحظ أيضا أن سعر البيع قريب جدا من سعر الشراء وفي أحيان كثيرة مساويه، خاصة في سعر الجمال الذي هو موردهم الأهم، ولا ندري سبب هذا؟ قد يعود لخوفهم من فقدانها موتا لانعدام المراعي خاصة في فترة الجفاف التي تصيب مرات كثيرة هذه المناطق، أو ربما قد يعود لأمر آخر وهو أن الطوارق يقومون ببيع سلعهم بالمقايضة، وبالتالي يعتمدون قيمة المواد بما تساويه في التديكلت دون حساب تكلفة النقل وإضافتها للسعر المرجعي، أو حتى لو استعملوا النقود فإنهم يعتمدون سعرها هناك لأنهم حديثي عهد بالنقود وما تساويه.

طريق هذه القوافل متغير وليس ثابت دائما، فهي عادة ما تنطلق من إدلس *Idelis* أو من وسط الأهقار مرورا بالتفيداست *Tefidest*، المويدير، تيراتيمين *Teratimine* لتقطع في المعدل 20 يوما من المشي للوصول مع مراعي تكاد تنعدم، والتزود بالماء كل يومين من المشي على الأرجح¹.

كان طوارق الأهقار في بداية احتلال التديكلت، يتربصون فقط دون فعل أي شيء مع أن صراعهم ضد "أولاد باحمو" لم ينته، والذين سلبوهم قافلة مهمة العام السابق وهم يخشون رد الفعل عليهم، ولم يأخذوا في حساباتهم ترحيب الفرنسيين لهم، لذلك كانت عودة قوافل جوان وأوت سالمة (قافلتان فقط بعدد محدود جدا من الجمال من 2 إلى 4 وكذلك الأشخاص)، أراحتهم وبعثت فيهم الطمأنينة بأن أولاد باحمو بيد الفرنسيين، وبالتالي لا يجرؤون بغزو القوافل، ولذلك نشطت كثيرا قوافل الأهقار خاصة منذ شهر سبتمبر 1900م، فالتديكلت سوق مهم لهم للتزود بمنتوج التمر الأساسي في غذائهم.

¹ ANOM., Carton 22H59, Rapport sur le mouvement commercial existant entre In Salah et les pays Touareg, le Lieutenant Clavery, In Salah, le 1 octobre 1900, 11p.

يعتبر طوارق الأهقار هم من يحتكر تجارة القوافل بين الأهقار والتديكلت لحاجتهم لذلك أولا ولمعرفتهم بالطرق وأمانها، في حين نادرا ما ينزل أهل التديكلت بقوافلهم للأهقار باستثناء قبائل أهل عزي لروابط أسرية بينهم ولجالية كبيرة لهم تعمل هناك بالفلاحة، كما أنهم يعتبرون أكبر مزود للأهقار بالطلبة (الأئمة)، وربما لأن الطوارق شديدي الحساسية مع الأجانب وغيورون على استقلال وطنهم يرفضون أي وافد إليهم، وإذا اقتضى الأمر فهم من يذهب في علاقاتهم مع جيرانهم، كما أنهم يعتمدون على قبائلهم التابعة، ومع العبيد في مباشرة هذه القوافل واستعمال جمالهم للنقل مع ربح حقوق النقل، فمثلا حمل التمر بـ 30 فرنك في عين صالح يباع بـ 75 فرنك في الأهقار و 45 فرنك هذه يأخذها صاحب الجمل المكلف بالنقل¹، كما أنه وبحكم قلة إبل أهل التديكلت (أولاد باحمو، أولاد المختار)، فإنهم يحتفظون بها للمتاجرة مع القرارة وورقلة، وبالتالي يبدو الأمر أن كل واحد راض بدوره في هذه التجارة.

1-5 تجارة قوافل كال أهقار نحو الجنوب:

كانت تذهب قوافل الأهقار بثلاث إتجاهات؛ نحو الجنوب (زندر-الدمرغو) بحثا عن حبوب الدخن، ونحو الشمال (توات والتديكلت) بحثا عن التزود بالتمر ومواد غذائية أخرى، ونحو الشرق باتجاه كال آجر (غات وغدامس) التي تتوفر في أسواقها كل شيء تقريبا، لارتباطها بالطريق التجاري العابرة للصحراء المهم جدا طرابلس-بلاد السودان (حتى كاتسينة، سوكتو..)، وهذا إذا كانت العلاقات جيدة بين الطرفين بالطبع، وسجل النقيب "فلوريمون *Florimond*" (حاكم ملحق تمناست بين 1938-1944م) في تقريره نقلا عن روايات شفوية بعض تواريخ هذه القوافل، فذكر أنه في سنة 1891م خرجت قافلة من ألف جمل من الأهقار باتجاه التديكلت بحثا عن التزود من التمر، وفي سنة 1896م خرجت أول

¹ ANOM., Carton 22H59, Rapport sur le mouvement commercial existant entre In Salah et les pays Touareg, le Lieutenant Clavery, In Salah, le 1 octobre 1900, 11p.

قافلة محملة بالملح من الأهقار إلى إقليم الدمرغو (جنوب النيجر) لمبادلتها بحبوب الدخن من طرف قبائل "أجهي-نتالي، وداق-غالي"¹.

وعلى الرغم من توفر منتج الأرز على ضفاف نهر النيجر، وكلفته أقل من الدخن (19 سنتيم/كغ) إلا أن كال أهقار لا يتزودون منه لحساسية مفرطة وعلاقات متوترة مع طوارق الإيوليمدن المسيطرين على ثنية نهر النيجر، خاصة عقب معركة "إزروان 1898م" سابقة الذكر، ولكن بتاريخ 1908م إضطر كال أهقار خاصة قبائل "الإيسقمارن" بأن ينزلوا إلى "غاو *Gao*" للتزود بالأرز بعد توجيهه من العقيد "لابيرين"، وهذا لما منعتهم الإضطرابات التي كان يعيشها الدمرغو حينها من التزود من الدخن، رغم أنها كانت المرة الأولى والأخيرة لأن كال أهقار لم يعتادوا من قبل على طبق الأرز، وكانت هذه القبائل نفسها "الإيسقمارن" في سنة 1903م قد ذهبت حتى الفزان للتزود بالتمر، لما منع كال أهقار من أسواق التديكلت حينها².

لقد كانت تتخلل هذه الفترة من الزمن سنوات قحط وجفاف (مثل سنوات 1882، 1893، 1897، 1900، 1910، 1914م، ...) أدت بهلاك الكثير من قطعان إبلهم، وأحيانا كانت متبوعة بأسراب الجراد الذي يفتك بالحقول والبساتين، لكن مع بداية سنة 1926م عرف كال أهقار انتظام قافلة التبادل مع الدمرغو (ملح-دخن)، كما أصبح محصول القمح جيدا ووجد طريقه للتصدير خاصة إلى أسواق التديكلت (عين صالح) لمبادلتها بالتمر³.

¹ ANOM., Carton 1H58, Rapport du Capitaine Florimond au Commandant militaire du territoire des oasis. ; Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 34

² Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 34

³ لقد حاولت السلطات الفرنسية أن تعمل على استغلال حركة القوافل هذه وتوجهها، فلما عقد مؤتمر نيامي *Niamey* في 20 جوان 1909م مثل مستعمرة الجزائر العقيد "لابيرين *Laperrine*" بأشراف الجنرال "مايني *Meynier*" مدير ديوان حاكم النيجر، وتم اقتراح إنشاء مركز تجاري للتبادل التجاري بين القوافل في المكان المسمى "أدرنيوكار *Ader-n-boukar*"، لأن بها بحيرة صغيرة توفر المياه ومراعيها جيدة للإبل زيادة على موقعها الوسط بالنسبة لـ "غاو *Gao*" و"كيدال *Kidal*" و"نيامي" والأهقار، لكن هذا المشروع فشل لأنه لم يرق للطوارق وليس من عاداتهم وتقاليدهم الاقتصادية، كما فشل مشروع آخر بفتح "سوق كبير *Foire*" بتمنراست في سنة 1930م لنفس الأسباب، وبقيت مدن

الفصل الثاني: إقتصاد كال أهقار خلال الفترة الاستعمارية:

لم يكد القرن 19م يشرف على الانتهاء، حتى عرف مجتمع الأهقار استقرار فئة جديدة اهتمت بزراعة الأرض، وساهمت في تلبية بعض حاجاته الغذائية -ولو قليلا-، لأنه كان يعتمد من قبل على ما تجود به قطعانهم فقط (حليب، زبدة، لحوم)، أو تحصيل بعض إتاوات القوافل التي تمر بأراضيهم على نقصها كذلك لشهرتهم بالسلب والنهب، إضافة إلى غزواتهم على البلاد السودانية وتحصيلهم للعبيد، الذي قد تعوض أرباحهم توفير بعض احتياجاتهم، لكن مع حضور قوات الاستعمار الفرنسي في الشمال والجنوب قلل من هذه الممارسات، خاصة مع تشكيل فرق المهاري لمركز التديكلت¹ من الشعانبة الذين يعتبرون الأعداء التقليديون حينها لكال أهقار، والذين كانوا وراء هزيمتهم في معركة "تيت 1902م" لعامل التفوق العسكري.

2-1 زيادة الاهتمام بالنشاط الفلاحي:

بدأت بوادر تحول إقتصاد كال أهقار في الظهور مع نهاية القرن 19م، وذلك بالاعتماد على هذه الفئة الجديدة من الفلاحين، التي يعود الفضل في مجيئها للأهقار أول الأمر ودعمها إلى الأمنوكال "الحاج أحمد" (1860-1877م) كما سبق ذكره، إلا أنه مع مطلع القرن العشرين إزداد نشاطها وأصبح اهتمام كال أهقار بالفلاحة أكثر، لتغير النمط الإقتصادي الناتج عن تغير الظرف السياسي في المنطقة، فحسب "هنري لوت" أنه لما

أغداس، وتانوت *Tanout*، وتاوا *Tahoua*، والدمرغو *Damergou*، هي الأقطاب التجارية التي تستهوي كال أهقار في التزود بالحبوب. أنظر للمزيد: Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 34
¹ تضم حامية التديكلت بعين صالح 58 عنصرا من رجال المهاري (بينهم ضباط فرنسيون ومن الأهالي) و222 رجلا من الجنود المشاة (بينهم ضباط فرنسيون ومن الأهالي)، واقترح النقيب "متوا Métois" بعد معركة "تيت" رفع عدد رجال فرقة المهاري إلى 158، والتقليص من عدد فرقة الجنود المشاة إلى 122 رجلا فقط، أي التركيز أكثر على فرق المهاري الملائمة في ظروف الصحراء، مع الحفاظ على عدد الحامية كما هو والتقليص من تكاليف الأجور التي ستكون بـ 36320 فرنك سنويا. أنظر للمزيد: SHAT., Carton 1H1036, Annexe d'In-Salah, « Rapport du Capitaine Métois chef de l'annexe d'In Salah commandant la compagnie des Oasis Sahariennes du Tidikelt sur la soumission des Ifoghas de l'Adrar », In Salah, le 9 novembre 1903, 21p

حضر الفرنسيون إلى منطقة الأهقار أمكنهم إحصاء قرابة 40 مركزا فلاحيا (أرض فلاحية ربما) مستغلا في الأهقار¹.

أ-تزايد المراكز الفلاحية بالأهقار:

يبدو أن هذا الرقم مبالغ فيه نوعا ما، ولعل أهم دراسة عن مجمل المراكز الفلاحية المتواجدة في الأهقار هي التي أقامها الملازم الأول "ديمان *Dumain*" في تقريره لعام 1932م، وخلص إلى القول أن منطقة الأهقار تضم 22 مركزا فلاحيا (حسب المناطق)²، تلتد كلها على مياه الأمطار وجريان الأودية في فصل الربيع والصيف، ولكن الوضعية تصبح أصعب في فصل الشتاء بتوقف هذه الأمطار. في حين قدر مجموع الأراضي التي يمكن استغلالها في الزراعة في الأهقار بحوالي 396.91 هكتار (تقريبا 400 هكتار)³.

وهي مساحة ضئيلة جدا مقارنة بشساعة الإقليم، ولكن الطابع الصحراوي لهذا الأخير هو ما يجعل حجم مساحة هذه الأراضي صغيرة، وزيادة على ذلك يمكن تمييز 6 مراكز فلاحية مهمة فقط من بين 22 مركزا فلاحيا في كامل الأهقار، يتلحق الأمر بمركز (تغهاووت (حصن موتيلنسكي)، تاظروك، إدلس، أبلسة، تيت، عين أمغل)، وفيما يتلحق بإمكانات هذه المراكز فنجد⁴:

1-مركز تغهاووت: به 5 فقارات تامل و 2 بحاجة لإصلاح مملظمها لصاحبها "وان الشيخ" أمغار قبيلة "أجهي نتالي"، كما أن عدد الآبار (تونين *Tounine*) المستغلا فهي 12 بئرا، و 8 آبار بحاجة لإصلاح، كما به ثلاث أشجار نخيل فقط وغير ولودة، وفيما يتلحق بمساحة الأرض المستغلا فلا فهي تقدر ب 20.68 هكتار، و 6.25 هكتار بقيت بور، لذلك

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 135

² جدول إحصاء الأراضي الصالحة للزراعة في الهقار (عبر 22 مركز): أنظر الملحق رقم 14

³ SHAT., Carton 22H144, Correspondance du Lieutenant Dumain Officier de Peloton à la Compagnie Saharienne du Hoggar à M. le Capitaine Lucchetti Chef de l'annexe du Hoggar «Inspection des arrens du Hoggar, été 1932», Tamanrasset, le 24 octobre 1932, 136p.

⁴ Idem

لو تم إصلاح الفقارتان وثمانى أبار الأخرى فإنه يمكن إستغلال مساحة 15.35 هكتار التي يمكن إستصلاحها، لتكون المساحة القابلة للاستغلال كاملة بهذا المركز الفلاحي قد تصل إلى 42.28 هكتار.

فيما يخص ملكية الأراضي الفلاحية لمركز تغهاوهاوت فإنها تلوود لقبيلة "أجهي-نتالي" (كما هو الحال لمركز إن ديلاق، تاهيفات)، وكبير (مسير) هذا المركز من الحرطين يدعى "غالي بن ياوي Yaoui" ينحدر من أهل عزي بالتديكلت، والحرطين اللاملين بهذا المركز ما هم إلا خماسين عند طوارق الإمغاد لهذه القبيلة،

2-المركز الفلاحي تاظروك: به 4 فقارات تامل و 2 بحاجة لإصلاح، في حين يقدر عدد الآبار المستغلا به إلى 21 بئر إضافة إلى 21 بئر أخرى قابلة للإصلاح واستغلالها فيما بلاد، لا يوجد به نخيل، أما مساحة الأراضي المستغلا فتقدر ب 23 هكتار و 87 آر (23.87 هكتار)، مع حساب مساحة 2.54 هكتار من الأراضي البور، لذلك مع زيادة إصلاح الفقارتان وإصلاح 21 بئر يمكن استغلال مساحة 17.71 هكتار من الأراضي القابلة للإصلاح، لتصل عدد إجمالي الأراضي المستغلا بهذا المركز إلى حدود 44.12 هكتار.

تلوود ملكية أراضي المركز الفلاحي "تاظروك" إلى قبيلة "كال غلا" و"كال تازولت"، والمالك الرئيسي لأراضي تاظروك هو "ملول أق سيدي محمد أق عثمان أق الحاج محمد"، كان والده "سيدي محمد" خليفة "موسى أق أمستان" في تاظروك، بنت له السلطات الفرنسية بيتا جميلا على تلال تاظروك، هذا البيت رغم ضلّفه وتهلهله اليوم (سنة 1932م) ما زالت تستغله عائلة "ملول"، عائدات أراضي تاظروك (التي تلوود الخماسة فيها أيضا لائللة كرزبكة وأبنائه وينسب تفوق الخمس إلى 5/2 و 5/3 في أحيان كثيرة)، يتقاسمها "ملول" مع عائلته الكبيرة؛ جدته "تتكانا Tenkana"، وعمته "فاطمة بنت عثمان"، وإخوته (ميشاو

Bai ag زوجة "تيها *Tiha*" زوجة "باي أق أخاموك *Bai ag* *Akhamouk*"، فاطمة (عزباء حينها 1932م)، و"لالة" الفتاة الصغيرة¹.

3-المركز الفلاحي إدلس: به 7 فقارات تعمل و 12 بئرا للسقي، يضم واحة صغيرة بها 69 نخلة، وتقدر مساحة الأراضي المستغلة بـ 22 هكتار و 33 آر (22.33 هكتار)، و 10,17 هكتار من الأراضي البور، في حين الأراضي التي يمكن استصلاحها فتصل إلى 4.06 هكتار، ليكون مجموع الأراضي التي يمكن أن تستثمر فيما بعد إلى 36.56 هكتار.

تعود ملكية أراضي مركز إدلس الفلاحي إلى كل من الأموكال "أخاموك أق إيهما"، وكال غلا (مارلي أق أماياس *Marly ag Amaiasse*، مسلار أق أماياس، ملول أق سيدي محمد) وإلى قبيلة داق غالي أيضا، وحسب الأهالي فإن بستان النخيل قديم ويزيد عمره عن 50 سنة².

4-المركز الفلاحي أبلسة: يحتوي على 5 فقارات في الخدمة، مع 4 أبار أيضا، يحتوي هذا المركز على 280 نخلة (منها 199 نخلة كبيرة منتجة، و 81 نخلة صغيرة غير منتجة)، وتقدر مساحة الأراضي المزروعة به بـ 27.72 هكتار، مع تسجيل 20.97 هكتار من الأراضي البور، التي بقيت كذلك بسبب نقص مياه السقي ولعدم الإثقال على الأرض، وإلا يكون مجموع الأراضي التي يمكن استغلالها بالكامل بـ 48.69 هكتار، لا يوجد مالك واضح لأراضي أبلسة (تتوزع على عديد الأشخاص والقبائل)، وكبير المركز من الحراطين يدعى "شكواتة بن أورديهين *Chekouata ben Ouredihine*"³.

¹ SHAT., Carton 24H144, «Inspection des arrens du Hoggar, été 1932», Op. Cit., 136p.

² لما زاره "دوفوكو" في سنة 1904م ذكر أن قرية إدلس بها 100 نخلة، ويزرع بها القمح والشعير والبشنة، ويقطن بها 20 عائلة. أظر للمزيد: Foucauld CH. de R. P. : «Chez les Touaregs, Op. Cit., p. 21

³ SHAT., Carton 24H144, «Inspection des arrens du Hoggar, été 1932», Op. Cit., 136p.

5-المركز الفلاحي تيت: به 10 فقارات وبئر وحيدة مستغلا، توجد به نخلة وحيدة فقط أما مساحة الأراضي المزروعة به فتقدر بـ 30.13 هكتار، والأراضي التي بقيت بور فتقدر بحوالي 8.42 هكتار، أما الأراضي التي يمكن استصلاحها فيمكن تقديرها بـ 4.56 هكتار إذا ما كان هناك فلاحون يريدون ذلك، ليكون مجموع الأراضي التي يمكن أن تستغل لاحقا وبشكل كامل في هذا المركز بحوالي 43.11 هكتار، وتلأود ملكية أراضي مركز تيت لقبائل "الإيكداين *Ikedaiene*" وأهل عزي، كما أن كثير من داق غالي مستثمرين في هذا المركز كحق الانتفاع فقط وليس ملكية للأرض، وكبير هذا المركز من الحراطين يدعى "علي بن محمد" وفي المجمل أراضي هذا المركز جيدة، ومياه السقي كافية وتقي بالغرض.

6-المركز الفلاحي عين أمقل: يلاتبر أهم مركز فلاحي في الأهقار يضم 10 فقارات كما يمكن إعادة تقليل إثنين آخرين، مع أنه لا يوجد به آبار للسقي ولكن بإمكان حفر عدد منها إذا اقتضى الأمر استغلال أراضي أكثر، يضم المركز حوالي 50 نخلة ولكنها صغيرة غير منتجة، وفيما يتللق بالمساحة المزروعة في هذا المركز فتقدر بـ 33.08 هكتار، مع وجود 9.38 هكتار من الأراضي البور، وبالإمكان كذلك إستصلاح ما يقدر بـ 15,17 هكتار من الأراضي التي تلاتبر بليدة المسافة نوعا ما عن استغلال الفلاحين، لذا يمكن لهذا المركز الفلاحي أن يمنح ما مجموعه 57.63 هكتار إذا ما أراد الفلاحون استغلال كامل أراضيهم.

يقع المركز الفلاحي للآين أمقل على ضفاف الوادي الذي يحمل نفس الإسم، ويمتد على طول من 7 إلى 8 كم، وتلأود ملكية ملاظم أراضيهم لقبيلة "كال غلا" و"داق غالي"، تغطي نباتات البردي ملاظم الوادي وروافده وهو ما يلائق الفلاحين في تهيئة الأرض للفلاحة أو في السقي، كما تنتشر ذبابة المسماة "خوخو *Khokho*" (أحيانا مجنحة وأحيانا على شكل دودة) التي تقضي على محاصيل البشنة (الحبوب بالأخص)، كما يربي حراطين هذا المركز مجموعة من البقر الإفريقي (*Zébus*) الذي يجلبونه من بلاد السودان والذي يجلبه خاصة

طوارق أدرار-إفوغاس. ويمكن اعتبار مياه السقي في هذا المركز كافية لعملية سقي الأراضي المزروعة.

ب- ملكية الأرض وأهم المحاصيل الزراعية:

تكاد تختص المحاصيل الزراعية في هذه المراكز الفلاحية في الأهقار -التي تقسم إلى قطع وحقول كثيرة تمتد في عدة مناطق وكيلومترات- فقط بزراعة القمح (وأحيانا الشعير) في فصل الشتاء، والبشنة (الدخن، سرغو) والتفست (ذرى)، في فصل الصيف، وأحيانا يزرع منتج واحد في الموسم وتبقى الأرض بوراً في الموسم الموالي، سواء لإراحتها أو لنقص مياه السقي حينها خاصة في مواسم الجفاف، وزراعة البشنة في الهقار تكون للاستهلاك المحلي، لذلك لا تزرع بكميات كبيرة كما أنها تختلف عن بشنة السودان الجيدة والكبيرة الحجم، ولا تكاد نجد محاصيل أخرى في هذه المراكز الفلاحية، فحتى الخضروات مثل؛ الطماطم، اليقطين (الكابوية)، الخيار فيكتفي الحراطين بزراعتها إلى حواف السواقي فقط وتكون لحسابهم الخاص لديهم غذائهم، أما الطوارق فلا حاجة لهم بهذه الخضروات، في حين توجد بعض الفواكه مثل: الشمام، الخوخ، التين، والعنب، ولكن بكميات قليلة جداً.

ما يلاحظ إلى ملكية الأراضي الفلاحية في الأهقار أنها تقسم بحسب تواجد القبائل فيها، ولا يهم إن كانت من الأتباع أو من الأشراف، لذا نجد مثلاً قبيلة الأتباع "داق غالي" هي الأكثر حظاً في الامتلاك، ربما لأنها الأكثر كثافة سكانية من باقي القبائل وتتنوع إلى مناطق كثيرة من جهة، ومن جهة ثانية أن الزراعة في الأهقار حديثة العهد وتعود لبدائيات القرن العشرين فقط، رغم أن قبائل الأشراف -المحاربون- كانوا يحرقون هذه النشاطات اليدوية، ما تركهم يعزفون عن استغلال مثل هذه الأراضي، والحديث هنا يدور إلى الأقل مع القبيلة الحاكمة "كال غلا" التي أهملت استغلال المركز الفلاحي التابع لها "بلومت Bloumet" منذ سنة 1908م.

- 1- داق غالي (أتباع): لها مركز ترهنانت، وإينديد، وتافاريت، وتين إمنسار، ودارمولي (تنازلت عنه لصالح المرابط الشريف مولاي لبد الرحمان بن مولاي لبد الله من الأولف)، وتتشارك مع كال غلا في مركز؛ ولين أمقل، وإدلس.
- 2- كال غلا (أشراف): لها مركز تاظروك، وإدلس، ولين أمقل، وبلومت، وتواقي (كلها بمشاركة الأتباع تقريبا).
- 3- كال تازولت (أتباع): لها مركز تيبيرير، وتين أزال، وتتشارك مع كال غلا في مراكز؛ تواقي، وتاظروك
- 4- أجهي نتالي (أتباع): لها مركز تغهاوهاوت (حصن بولينياك)، وإن دلاق، وتاهيفات.
- 5- تجهي ن-إفيس (أتباع): لها مركز تاهارت، وأمسال.
- 6- آيت لاوين (أتباع): لها مركز تين تاراين.
- 7- تايوق محمد أق أمغي (أشراف): لها مركز وحيد هو إيسيليسكين.
- 8- كما توجد مراكز فلاحية لا مالك محدد لها، وتتشارك فيها معظم القبائل مثل مركز هيرهافوك، ومركز تيت، ومركز أبلسة.

تجدر الإشارة أن المركز الفلاحي "تين تاراين *Tin Tarabine*" الذي تملكه قبائل "آيت لاوين" تم إهماله منذ أحداث سنة 1916م، وذلك لانعدام الأمن به حيث هجره الفلاحون الحراطين ولم يعودو إليه منذ ذلك الوقت (حتى 1933م) وأهملت مساحة تقدر بـ 4هكتار و 96 آر من الأراضي الفلاحية، كما تم إهمال مركز "بلومت *Bloumet*" التابع لأمالك كال غلا منذ سنة 1908م بمساحة تقدر 3.6 هكتار¹، ويعتبر المركز الفلاحي الصغير "أمسال *Amsel*" أقرب مركز يمكن أن يورد سلعه لمدينة تمنراست (سير 4 ساكات إلى المهاري)².

¹ من بين 68 مركز فلاحي التي تم إحصائها في سنة 1956م، 5 منها فقط التي لم يتوقف بها النشاط أو تهمل منذ سنة 1904م. أنظر للمزيد: **Revue de géographie de Lyon**, XXXII(4), 1957, p. 337

² SHAT., Carton 24H144, «Inspection des arrens du Hoggar, été 1932», Op. Cit., 136p.

يعد اهتمام كال أهقار بالفلاحة ليس بغرض تنويع مصادر عيشهم، وإنما لتوفير سلع للمبادلة بمنتجات أخرى، فهم لا يأكلون القمح أو الشعير (يرون أن القمح يزيد حرارة البطن) وإنما بغرض مبادلته بمنتجات التمر في أسواق التديكلت وتوات أو من الأجر أو حتى من المنطقة الطرابلسية، كما يبادلونه أيضا بالخراف والماعر (على قلتها)، أو الجمال كبيرة السن (لحوم الجزارة) مع العلم أن الطوارق لا يأكلون الجمال¹، وحتى محاصيل الدخن (البشنة) التي أصبحوا يزرعونها لم تكن تستهويهم مثل حبوب الدخن الجيد الذي يجلبونه من منطقة الدرغو وزندر (بالنيجر)، لذا إهتمامهم بزيادة هذه المحاصيل هو بغرض دعم قوافلهم التجارية بسلع للمبادلة.

2-2 بداية انتظام القوافل التجارية لأهقار:

تجدر الإشارة أن بعض قبائل كال أهقار كان لها دراية بالتجارة سابقا، سواء على محور طريق الشرق أو محور طريق الوسط بين عين صالح وتمبكتو حتى بلاد الهاوسا، فقد عرف إقليم الأهقار حركة نشطة للقوافل التجارية العابرة للصحراء والتي استقادت منها تقريبا فرعين قبليين من قبائل كال أهقار، يتعلق الأمر بالأولى بقبائل الإسقمارن الذين يقومون بالتجارة لمصلحتهم الخاصة كما ذكرهم هنري بارث في رحلته (1850م) على أنهم يقدمون الزبدة والجبن لكن بثمان باهض جدا وعديد المواشي (الماعر والخراف) للمبادلة مع القوافل المارة²، أما القبائل الثانية فهي الإيبوغلن *Iboglane* التي يرأسها "ولد بيسكا" الذين يقومون بتجارة لحسابهم الخاص نحو الجنوب وتعود لتصل حتى متليلي شمالا. والتي منها فرع "تجهي نايساكال" التي تتردد كثيرا على متليلي أيضا وذكر "ديفايري" لقائه مع شيخهم المدعو "أفينغان *Afinguenan*" في سنة 1860م.

¹ SHAT., Carton 24H144, Important Rapport du Lieutenant Dumain sur les centres de cultures de l'Ahaggar en 1932.

² Barth H. : Op. Cit., p. 188

لقد كان تزايد اهتمامات السلطات الفرنسية بالتجارة العابرة للصحراء¹، لا يغيب عن نظر كال أهقار، خاصة وأنها تمكنت من إحكام سيطرتها على كثير من المراكز التجارية التي يتزود منها الطوارق بحاجاتهم سواء في الجنوب (تمبكتو، غاو، زندر، أغدس...) أو في الشمال (التديكلت، الواد، توات، غات...)، وهو ما يعني سيطرتها بالتالي على الطرق التجارية أيضا²، وزوال ضريبة المرور التي كانوا يحصلونها من القوافل المارة مقابل ضمان أمنها، هذا الأمر هو ما دعى بكال أهقار يفكرون في تكوين قوافل خاصة بهم منذ نهاية القرن 19م، لتكون ضمن القوافل التجارية العابرة لصحراء حتى ولو أشرفت عليها السلطات الفرنسية³، ولكن الأمر الذي استوقفهم هو طبيعة السلع التي سيبدلون بها في أسواق الجنوب مقابل حبوب الدخن (البشنة)؟.

¹ حاولت السلطات الاستعمارية في نهاية القرن 19م، إعادة ربط علاقات تجارية مع بلاد السودان ومن ثمة التحكم في كل التجارة العابرة للصحراء، ففي سنة 1897م خرجت قافلة استكشاف نحو الجنوب متوجهة حتى تمبكتو، وتكونت من 1000 جمل و400 رجل من بينهم 200 مسلح، وكلفت الخزينة حوالي 800 ألف فرنك، وخلص تقرير قافلة الاستكشاف هذه أن سياسة فرنسا لبعث التجارة مع بلاد السودان ستكون فاشلة إذا واصلت مبدأها في تحرير العبيد وعدم الاستفادة منهم، لأن القوانين التي فرضت لفدية العبيد أنفسهم من أسيادهم لا تنفذ، وبقي الكثير منهم في خدمة أسيادهم. أنظر للمزيد: ANOM, Carton 22H26, Rapport de M. le Commandant Supérieur de Laghouat à M. Le Gouverneur Général de l'Algérie, le 22 juin 1897, 2p.

² بغرض فتح خط تجاري منافس تبني الحاكم العام للجزائر رأي القنصل العام لفرنسا في طرابلس البربر السيد "ريس Rais" في مراسلة له، والذي أكد أن التجارة العابرة للصحراء تزداد يوما بعد يوم بين طرابلس وزندر، وبأن القوافل في مرحلتها الأولى تكون في حماية القوم التابع لإفريقيا الغربية الفرنسية من زندر حتى الأبير، لذلك من الطبيعي أن نعمل على سحب هذه القوافل إلى الهقار ولا تتوجه مباشرة إلى غدامس وغات التي ليست من نفوذنا بل يستفيد منها أكثر التجار الإنجليز في طرابلس في علاقتهم الجيدة مع العثمانيين، حتى أصبح الطريق التجاري يمتد من مانشستر إلى زندر، ويحتكرها ممثلهم ونوابهم في كل من طرابلس وغدامس وأغداس، كما يشاع أيضا أنها حلت بطرابلس بعثة ألمانية لأغراض علمية وتجارية ستنزل السودان الفرنسي ومنه إلى الكامرون، لذا يجب أخذ الاحتياط في تأمين المراكز التجارية عبر الصحراء والسودان لمصالحنا قبل فوات الأوان، بإنشاء خط تجاري يمتد من فرنسا إلى إفريقيا الوسطى عبر ممتلكاتنا ومنه خلق محطات كبرى لتزويد القوافل بالمنتجات الفرنسية، مثل أغداس، الهقار، التديكلت، وورقلة، كما يجب فتح محطات على الساحل في الجزائر أو تونس بإمكانها منافسة طرابلس، ويمكن أن تكون "فيليب فيل" (سكيدة) أو قابس، ويبدو أن ميناء قابس هو الأنسب في هذه الحالة لتتعلق منه القوافل، على أنه عرف هذه التجارة سابقا مثل طرابلس، وهو ما يدعو لإعادة بعثه من جديد، كما أن السلطات التونسية تشجع الاستثمار الفرنسي وتفضله، وتجلى هذا الأمر في مرسوم البايك بتاريخ 2 ماي 1898م، الذي يعفي السلع الفرنسية من رسوم الجمركة، في حين تفرض على السلع المسماة أجنبية رسوم مرتفعة. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance de M. Le Gouverneur Général de l'Algérie Jonnart à M. le Ministre des Finances à paris, «Commerce de la France avec l'Afrique Centrale», Alger, le 6 avril 1906, 4p

³ في سنة 1903م أشرفت السلطات الفرنسية على حماية قافلة من 15 ألف جمل قادمة من بلاد السودان حتى منطقة الأبير، هذه القافلة التي ضمت كل جمال طرابلس وغدامس وغات كانت وجهتها غدامس ثم طرابلس، لكن تعرضت مقدمتها لهجوم من طرف قبائل الأهقار في الأبير بقيادة "بن قراجي" مما أجبرها على التوقف قليلا. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Correspondance du général Bailloud commandant la division d'Alger à M. le général

أ- سلع المبادلات:

قبل وصول الفرنسيين كانت السلع التي تنقلها القوافل من الشمال نحو بلاد السودان، تتمثل في المواد المصنعة مثل المنسوجات من القماش والحرير المطلوبين بكثرة لدى الطوارق وسكان الساحل، ومختلف أنواع الحلي، وحديد شفرات السيوف، والسكر والقهوة (قبل انتشار الشاي)، وتبغ توات، والعمطور، والمصنوعات النحاسية... إلخ، كل هذه السلع تباع أو تقايض بقيمة عشرة أضعاف ثمنها الأصلي، وتجلب القوافل السلع السودانية التالية؛ ريش النعام، تبر الذهب، العاج، العبيد، وهذه كلها تباع بأسعار عالية في المدن الجزائرية، إضافة لسروج الجمال والأحصنة المزركشة، الجلود المدبغة المطلوبة بكثرة أيضا، وبعض الأدوية من مستخلصات نباتية أو حيوانية (من شحوم النعام، أو الطباء) المطلوبة لدى صيادلة العرب¹.

لكن خلال الفترة الاستعمارية ظلت فقط سلعة الذهب والعاج نادرة، وتحولتا بأيدي التجار السنغاليين في معاملاتهم مع الأوربيين على الساحل الأطلسي، كما منعت التجارة بالعبيد، في حين بقيت باقي المعاملات جارية مع تسجيل حرية وأمن أكثر لطرق التجارة لما وضعت الإدارة الاستعمارية يدها عليها، ولم يعد حماية وضممان الطريق من اختصاص قبائل الطوارق، وبالتالي فقدوا موارد هامة من عائدات هذه التجارة ولم يبق لهم سوى تجهيز إبلهم وتنظيم قوافل خاصة بهم، رغم عدم اعتيادهم على هذا الأمر وقلة سلع المبادلات لديهم.

commandant le 19^e Corps d'Armée à Alger, «Nouvelles de Ghadamès», Alger, le 25 novembre 1903, 4p.

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 216 ; ANOM, Carton 22H26, Renseignements commerciaux sur le pays des Touaregs et le Soudan, Rapport de M. le Commandant Supérieur de Laghouat, le 22 avril 1897.

ب- إستغلال مادة الملح:

على خلاف سكان بلاد السودان، فإن سكان الصحراء عموماً يستطيعون تحصيل مادة الملح والوصول إليه بسهولة، من خلال انتشار عديد الممالح (السبخة) في الأراضي المنخفضة التي تتجمع فيها مياه الرعود والأمطار، مخلفة وراءها بعد تبخرها طبقات بلورية ملحية نتيجة ذوبان الأملاح التي كانت في التربة، وهو الأمر نفسه بالنسبة لكال أهقار الذين يقطنون مرتفعات الأتاكور البلورية العالية، ويحتكرون مقدرات كبيرة من هذه المادة من خلال استغلال محاجر ممالح "الأمدغور *Amadror*" الواقعة في الشمال الشرقي للأهقار، والتي على الرغم من جودته كان كال أهقار في السابق يفضلون عليه ملح ممالح "أبلسة" أو الملح المستورد من التديكلت، كما أن استهلاك البدو من كال أهقار لمادة الملح "تسمت *Tesemt*" ضعيفة مقارنة باستهلاك الفلاحين أو المقيمين بشكل عام¹.

ورغم وجود مناطق عديدة بها طبقات رسوبية ملحية بيضاء، ولكن كال أهقار لا يقدرونها لأن ملوحتها ناقصة، ويسمونها عدة تسميات مثل؛ "إيرير *Erir*، والجيفاف *Elgigaf*، وأهارة *Ahara*"، وهم محددین مناطقها على أنها غير صالحة، إلا في حالة تقديمها للحيوانات مرة على مرة مثل ماهو في الآداغ²، ولكنهم يحبذون ملح التديكلت "تيزاليت *Tezalit*"، المسحوق جيداً والمعروف بـ"ملح العيد" بالعربية.

تتوفر بأراضي الأهقار العديد من الممالح المنتشرة في كامل الإقليم وتتباعد فيما بينها³، وكل قبيلة ملمة بتضاريس مجالها الجغرافي والتي منها هذه الممالح (السبخة) للترود

¹ حسب "غاست" يتناول زوجين اثنين فقط من المقيمين خلال عام كمية 20 كغ من الملح بحسب زيارة الضيوف، وإلا 10 كغ لوحدما فقط، ويتناول 3 أفراد من المقيمين معدل 1 كغ من الملح كل شهر، في حين يقدر معدل استهلاك عائلة من البدو الرجل مكونة من عشرة أفراد بالغين بحمل جمل (100-120 كغ) في السنة بحسب الضيوف والمناسبات وإعانا للجيران. أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 170

² نوع من الملح لونه أسود يوجد بالتديكلت وتوا □ والأداغ ويقدمونه للحيوان □، وهناك ملح لونه أحمر يستخرج من ممالح التديكلت و"تجيدة نتسمت *Tedjidda-n-Tesemt*"، في حين الملح الأبيض هو ملح الأمدغور أو الملح البحري. أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 170

³ لعل أهمها في ناحية "أبلسة *Abalessa*" (طريق سيلت *Silet*): سلبراك *Selbourak*، إنغارن *Enraren* (تيفر □ الأعلى *Tiffert l'fougani*)، تين هينان (بالقر □ من تيفر □)، أسرمد *Asermed*، تيرجين *Teredjine*، ونجد في ناحية

منها عند الحاجة، ومن بين كثير الممالح الموجودة يفضل كال أهقار ملح سبخة "سلبوراك" *Selbourak* في ناحية أبلسة، ولكن أهم مخزون واحتياطي جهوي من الملح هو الموجود في جبل الأمدغور، هذه المنطقة التي يحدها شمالا منطقة الإيجيري *Egéré* والآهياكن *Ahellaken*، ومن الشرق الأجر، ومن الجنوب الأرشوم *Arechchoum*، ومن الغرب تورها *Tourha*، والإيجيري، ويخترقها واد الأمدغور من الجنوب إلى الشمال، ولذلك فحوض الأمدغور (المغلق) يغطي مساحة تقارب 18000 كم²، يتصل بالواد الرئيسي الأمدغور رافدان هما واد "وادنكي *Ouadenki*" و"إميري *Imereri*"¹.

لم يكن كال أهقار يستغلون الملح الصخري للأمدارور كسلعة تجارية قبل بداية القرن العشرين، فالذاكرة الجماعية لكال أهقار تقر بأنه لم يكن متداولاً على عهد الأمنوكال "أهيتاغل" الذي توفي سنة 1900م، رغم تسجيل خروج أول قافلة ملح نحو الدرغو سنة 1896م كتجربة ربما، ولا يعلم السبب لما تأخر استغلال ممالح "الأمدغور" حتى هذه السنة؟، فقد كان الملح مطلوباً بكثرة في بلاد السودان ويبلغ سعر وحدة واحدة من الملح بـ20 وزنة من الدخن في بداية القرن العشرين، قبل أن تعرف بلاد السودان الملح البحري (القادم من جهة البحر) خاصة من طرف تجار إفريقيا الغربية الفرنسية (*AOF*) ومن "لاغوس *Lagos*" و"كانو *Kano*" لينافس ملح القوافل الصحراوية²، لذلك قد تكون الظروف السياسية التي لحقت بالمنطقة جراء حصار الفرنسيين لكال أهقار شمالاً (التديكلت) وجنوباً (تمبكتو)، والجفاف الذي ضرب المنطقة حينها، هو ما جعل كال أهقار تفكر في استغلال موارد

إدلس *Idelès* الممالح الآتية: إيغيج *Egig* (بالقرب من هرهافك *Herhafek*)، تيماسينين (بالقرب من هيرهافك) على بعد 40 كم شمال إدلس، تيزومين *Tizoumine* (بين هرهافك ومرتوتق)، زرزواة *Zerzaoua*، تابجيت *Tabeggit*، عين تاويت *In Taouit* (بالقرب من تيلازيت *Telazit*)، تان جيوين *Tan giouin*، وممالح أكثر بعداً مثل تين أمبالا *Tin Embela* (بالقرب من الأمدغور)، السماغة *Samaqa* (في عين قزام). أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 171

¹ Jean Dubièf : **Essai sur l'hydrologie superficielle du Sahara**, Service des études scientifiques, Ed. Clairbois Birmandreis, Alger, 1953, pp. 315-316

² Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 218

الأمدغور كسلعة تقايض بها دُخن بلاد النيجر بالدمرغو، أي استعماله كعملة لشراء ما يلزمها من حبوب.

وفيما يخص ملح سبخة الأمدغور وتاريخ استغلاله هناك من يرى أنه قديم جدا، فحسب "ديفاريي" فإن أهل ورقلة هم من كان يستغل سبخة الأمدغور لاستخراج الملح الذي يبادلته بالتجارة بين ورقلة وأعداس وبلاد السودان¹. والتي تعود لقرون سابقة لما كانت التجارة مزدهرة بين وارجلان وبلاد السودان فيما بين القرن 14م ونهاية القرن 18م (مثلا تحدث عنها ابن خلدون وابن بطوطة وحسن الوزان والعايشي)، وهو ما أكدته التقرير الذي قدمه النقيب "رينيي *C. Regnier*" عقب رحلته مع قافلة قبيلة "آيت لاواين" في سنة 1961م على أن استغلال سبخة الأمدغور تعود من 300 إلى 500 سنة من قبل، خاصة في الجزء المتعلق بالمكان الذي يدعى "عين طاوية *In Taouia*" الذي يعتبر أقدم جزء مستغل في سبخة الأمدغور في حين الجزء الثاني المسمى "أعاجر *Agajer*" فهو حديث ويعود لحوالي 70 سنة فقط².

هذا ولم يذكر "ديفاريي" الذي زار المنطقة في سنة 1860م أن سبخة الأمدغور كانت مستغلة في وقته، وربما يعود هذا لانقطاع التجارة بين ورقلة وأعداس منذ زمن، ولكن يبدو أنه تم إعادة استغلالها في سنة 1881م كما يعتقد "هنري لوت *Lhote H.*" استنادا للمعلومات التي حصلها الفرنسيون في التحقيق حول حادثة بعثة فلاتر مع بعض رجال "أولاد المسعود" (اللقب الذي يطلقه العرب على قبيلة "كال إهن ملن *Kel Ahen- Mellen*"، أو تجهي-ملت *Tdjéhé-Mellet*)، الذين يذهبون بقوافلهم مزودين بالملح المستخرج من المنطقة إلى لبلاد السودان ليبادلونه بالألبسة وحبوب الدخن، لذلك هناك من يعرض أزمة استغلال السبخة كما يلي:

¹ H. Duveyrier : Les Touareg, Op. Cit., p. 18

² Régnier J. (Capt.) : « Les salines, Op. Cit., p. 258

-من القرن 14م إلى نهاية القرن 18م كانت سبخة الأمدغور في خضم الطريق التجاري الرابط بين ورقلة وأغداس، والذي كان وراء نشوء المركز التجاري تكادا/آزليك في الأبير أيضا.

-توقف استغلال هذه السبخة منذ نهاية القرن 18م إلى غاية سنة 1877م تاريخ وفاة الأمنوكال "الحاج أحمد"، وذلك بناء على التحالف بين سلالة صالح وقبائل الكنتة وضغوطهم على قبيلة "كال إهن ملن" المالكة لسبخة الأمدغور. وكذلك لتوقف النشاط التجاري بين ورقلة وأغداس وبلاد السودان لانعدام الأمن نتيجة الصراع حول السلطة عند كال أهقار عقب سقوط حكم الإيمنان من جهة، والحرب الأهلية التي عرفتها أغداس للصراع على السلطة أيضا منذ 1602م. كما فقدت ورقلة أهم تجارها الأثرياء الإباضيين لنشوب الصراع بين "بنو ابراهيم" و"بنو واجين *Wagin*" منذ سنة 1630م وظل مستمرا في الزمن.

-عودة القوافل باتجاه السودان مستغلة السبخة منذ سنة 1877م بوصول الأمنوكال "أهيتاغل" وتحالفه مع قبيلة "كال إهن ملن"، وربما كانت بداية محتشمة لم تسترع الانتباه¹.

لكن الباحث "هنري لوت *Lhote*" الذي قام برحلة قافلة الملح مع طوارق الأهقار في سنة 1929م يرى أن استغلال ملح سبخة الأمدغور لم يكن منذ القرن 14م فقط وإنما يعود إلى ألف سنة إلى الوراء على الأقل، حيث أخبره الطوارق أن تاريخ استغلال ملح الأمدغور قديم جدا وضارب في قدم الزمن، ويستند في طرحه هذا لما تتبه لنص أورده الرحالة البكري في القرن 11م في خلال رحلته في سنة 1068م لما نقل عن تاجر في تادمكة وصفا للطريق بين تادمكة (أوالسوق، في الأدغاغ إفوغاس) وغدامس²، وأشار لقبائل سغمارة

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., pp. 205-207

² "وطريق آخر من تادمكة إلى غدامس، تسير من تادمكة مسيرة ستة أيام في عمارة سغمارة، ثم في مجابة أربعة أيام إلى الماء ثم في مجابة ثانية أربعة أيام أيضا وفي هذه المجابة الثانية معدن لحجارة تسمى تاسي التسمت وهي حجارة تشبه العقيق، وربما كان في الحجر الواحد ألوان من الحمرة والصفرة والبياض وربما وجد فيها في النادر الحجر الجليل الكبير فإذا وصل به إلى أهل غانة غالوا فيه وبذلوا فيه الرغائب وهو أجل عندهم من كل علق يفتنى...". أنظر للمزيد: المغرب، المصدر السابق، ص 182

(الإيسقمارن) واستخراجهم لألواح حجارة الملح أو "تيسمت" التي حرف نطقها ب (تاسي نسمت)¹.

لقد كان يستخرج عبيد كال أهقار ملح الأمدغور على شكل ألواح كبيرة، يحمل الجمل منها لوحين على طرفي ظهره (80سم×30سم×15سم)، ويعود الربح لصاحب الجمل (أو القبيلة)، كما يستطيع الموكلون بالقافلة زيادة كتل صغيرة على ظهر الجمل لفائدتهم تسمى "أبيلر وان تيسمت *pl. Ibelleren, Abeller Ouan Tesemt*" بأبعاد (40سم×20سم×15سم)، مع إضافة كتل صغيرة أخرى وفق قدرة تحمل الجمل لتقدم للسكان الذين يضيفون القافلة، أو بعض المتسولين في الطريق، وتسمى بـ"تيكينات *Tekeinat pl. Tikeinatin*"².

ج- مواقيت القوافل التجارية لكال أهقار:

يمكن القول أن النظام الإقتصادي لكال أهقار في مطلع القرن 20م كان يعتمد أساسا على المبادلات التجارية، التي كانت تتولاها حركة القوافل في عديد الجهات من الأهقار، بدءا باستخراج ملح مناجم الأمدغور في الفترة المحددة بنهاية شهر جويلية بعد نهاية كل محاصيل فصل الربيع، ويتم الإسراع في استخلاص الملح قبل أن تجف مياه سهل الأمدغور ومراعيه، كما يعتقدون أنها مأهولة بعالم الجن، لتعود القوافل محملة بالملح نهاية شهر أوت وبداية شهر سبتمبر، ويخلد الجميع للاستمتاع بفاكهة الصيف وأولى محاصيل التمر مع تزامنها بالشهر المفضل لدى كال أهقار للزواج والذي يمتد من منتصف شهر سبتمبر إلى منتصف شهر أكتوبر³.

¹ Henri Lhote : «La saline, Op. Cit., pp. 54-56

² Régnier J. (Capt.) : « Les salines. Op. Cit., p. 243 ; Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 170
³ أحيانا يضطر كال أهقار إلى استخلاص ملح الأمدغور شهري جويلية وأوت وفق فترات متقطعة، لأن منجم الأمدغور معزول وجاف ولا تستطيع القافلة أن تزيد عن 10 أيام متتالية فيه لنقص المياه ومراعي الإبل، وهذا لتنتقل القافلة شهر سبتمبر، على الرغم أنه شهر الأمطار في النيجر وفي أحيان كثيرة ما تذوب ألواح الملح، ولكن تعرف القوافل أنه من يصل أولا فسيجني أرباحا كبيرة لارتفاع السعر وتحصيل منتج الدخن الجيد، لذلك يغامر كال أهقار أحيانا بالذهاب شهر سبتمبر.

بعدها تنطلق القافلة (التي تضم ما بين 100 إلى 150 جمل) محملة بالملح نحو الجنوب، تتوقف في مراعي إقليم التامسنة لمدة شهر، لتصل في شهر نوفمبر وديسمبر لأماكن بيع الملح (تاوا *Tahoua*، إن غال *In Gal*، الدمرغو، زندر)¹، لينتهي موسم البيع والمبادلة في النصف الثاني من شهر جانفي، وفي طريق العودة ترتاح الجمال من جديد في مراعي التامسنة لمدة شهر كامل لتستعيد قوتها، ثم تواصل السير نحو الأهقار لمدة شهر كامل حتى تدخله شهر مارس وأفريل، ويطلق سراح الجمال لترتاح مدة أربعة إلى ستة أشهر، وأحيانا لسنة كاملة للتي أدمتها أحمال السفر بإصابات².

أما قوافل القبائل التي تريد التزود من التمر من التديكلت، فإن انطلاقها يكون شهر ماي والعودة تكون شهر جوان أو حتى بداية شهر جويلية، وفي نهاية هذا الشهر تنطلق قوافل أخرى لممالح الأمدغور وتبدأ الدورة من جديد لسنة كاملة، لذلك يتم توظيف كل إحتياطي الجمال للمناوبة في النقل، حتى تبقى في صحة جيدة ولا يفقد منها الكثير، في حين يتشكل الرجال المصاحبين للقافلة في الغالب من الخدم والأتباع، ويختارون شبابا لمراقبة الأسواق بدقة، بحيث تشكل فرصة ومغامرة طيبة للذين يذهبون أول مرة لبلاد السودان.

في هذه الأثناء يتابع كل أهل البلد تقدم القافلة عبر الجوابات المرسله، مسجلة مختلف الأحداث التي واجهتها، عن كمية المبادلات، عن تواريخ العودة، وخاصة هذه الأخيرة التي يتطلع إليها القوم على أنها الخلاص من جحيم الموت، الذي أودى بالأطفال وكبار السن في

أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 172 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 217

¹ تقدر المسافة من سبخة الأمدغور لتمنراست بحوالي 352 كم، ثم من تمنراست إلى تاوا 949 كم، ومن تمنراست إلى زندر مرورا بأغداس تقدر بحوالي (763+400=1163 كم)، ومن ممالح الأمدغور إلى أغداس مباشرة تقدر بحوالي 1020 كم.

أنظر للمزيد: Régnier J. (Capt.) : « Les salines. Op. Cit., pp. 244-245

² كامل قبيلة داق غالي تملك إبل خاصة بها في مراعي التامسنة، لذلك تعتبر قافلة الملح نحو الجنوب فرصة لهم لزيارة قطعانهم أيضا، أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 217 ; Régnier J. (Capt.) : « Les salines. Op. Cit., p. 246

زمن المجاعات، وتسأل العجائز حتى الأضرحة لتسرح عودة القافلة بسرعة، هذه الأخيرة تستقبل بفرح عارم عند عودتها، ويسرع بأحمال الدُخن لتخزن وتخبأ في أماكن سرية بالجبال لأنها قد تكون مؤونة سنة كاملة.

كانت قافلة التجارة نحو إقليم الدرغو (النيجر) مفضلة عند كال أهقار، ورغم انطلاقها البطيئة وصل تجار كال غلا حتى منطقة الدرغو أين يكون سعر الدخن أفضل منه في أغداس، ووصلوا حتى الدماغارام *Damagaram* نحو 1905م، مع أن هذه التجارة لم تعرف الانتظام في بداياتها الأولى للقرن 20م، (قافلة كل سنة إلى أغداس في سنة 1904 و1906م وإلى زندر في سنة 1905 و1908م) لأنه كان يمكن تعويض الحاجة للملح من سبخة "بيلما *Bilma*" عبر قافلة الآزلاي لبيلما التي ضمت لوحدها 22000 جمل في سنة 1909م، إضافة لممالح "تاودني *Taoudeni*" أو "الفاشي *Fashi*"¹.

بقيت تجارة القوافل هذه مستمرة إلى غاية سنة 1950م²، فبعد هذا التاريخ تراجع حجم المبادلات كثيرا ولم تعرف الصعود، ربما لأن البلاد السودانية عرفت مصادر أخرى للتمون من الملح، وعلى الرغم من أن قوافل التمر والمبادلات التجارية مع التديكلت، عرفت تراجعا لحساب وسائل النقل الحديثة التي حلت محلها، إلا أن قوافل الملح تجاه الدرغو ظلت مستمرة رغم تراجع دخلها بحيث أصبح حمل من الملح يبادل بحمل من الدُخن في منتصف القرن 20م، وليس بـ10 أو 15 أو حتى 20 كما في السابق، وربما يرجع هذا لزيادة الإنتاج أيضا، حيث تم تقدير كمية التصدير المراقبة من طرف السلطات الاستعمارية (برخصة) في الفترة من (1955-1960م) بمعدل سنوي يصل إلى 192 طن من بين الكمية المنتجة المقدرة سنويا بـ 295 طن (مع حساب أن نسبة 20% تهرب)³، وفي سنة

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 367

² في سنة 1950م وصل عدد الإبل التي كان يملكها كال أهقار إلى حوالي 10 آلاف. أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 119

³ Régnier J. (Capt.): « Les salines. Op. Cit., pp. 249-252 ; Butay L. : « Salines de l'Amador ». **B.L.S.**, N° 12, 1953, pp. 16-17 ; Denis P. : « Les salines de l'Amador en

1960م وحدها تم تسجيل تصدير 207 طن، و42 طن استهلاك محلي، و69 طن تم استخراجها واستغلاله من طرف قبائل بدو رحل من خارج الأهقار¹.

ورغم أن كال أهقار بدأوا يعرفون زراعة القمح والشعير لكنهم كانوا يفضلون عنها منتج الدخن، والكميات المنتجة كانت لا تلبى حتى حاجة أهالي تمنراست المستقرين وبعض الفلاحين الذين كانوا يميلون إلى منتج القمح والشعير عكس الرحل، ففي سنة 1940م لما ازدهرت القوافل التجارية لكال أهقار بعض الشيء، وصل حجم واردات منتج الدخن من النيجر (الدمرغو وتاوا خاصة) إلى 4000 حمل سنويا (الحمل يقارب 150 كغ) أي ما يعادل 600 طن، كما وصل حجم وارداتهم من تمر التديكلت إلى حوالي 400 حمل سنويا².

2-3 الرسوم والضرائب على سلع المبادلات بين الأهقار والآبير:

سبق القول في البداية أن سلع المبادلات كانت تتم عن طريق المقايضة ملح/دخن، وكانت تختلف مقادير المقايضة بحسب توفر وحاجة كل طرف للسلعة المراد الحصول عليها، ولكن بعد استقرار الإدارة الفرنسية في كل من تمنراست وأغداس جنوبا وعلى إثر تنظيم حركة القوافل بين الطرفين وبداية استعمال النقود، واستخلاص الضرائب رأى المجلس المحلي لسلطات النيجر بأغداس أن هذه الأخيرة متغاضية كثيرا لكال أهقار فيما يخص تجارة ملح/دخن، لأن كال أهقار لا خلاص لهم إلا بدخن النيجر الذي أصبح يشكل مادة رئيسية في غذائهم، في حين ليس العكس صحيحا بالنسبة للملح عند أهل النيجر، إذ يمكن استخلاصه محليا من سبخة "الكاوار" أو من الخارج أيضا من سبخة "تاودني".

1958 ». **B.L.S.**, N° 34, juin 1959, pp. 178-179 ; Bobo J. : « Les salines de l'Amador ». **T.I.R.S.**, T. XI, pp. 141-142

¹ منذ سنة 1960م بدأ استعمال النقود في الشراء والبيع وليس المقايضة ملح/دخن، فأصبح سعر 1 كغ ملح = 25 فرنك إفريقي CFA، وهو ما يسمح بشراء 1,3 كغ من الدخن. أنظر للمزيد: Régnier J. (Capt.) : « Les salines. Op. Cit., p. 249

² كان يقدر إستهلاك الفرد الواحد سنويا بحمل من الدخن وعشر الحمل من التمر أي ما يقارب تقريبا 187 كغ من الدخن و16 كغ من التمر، في حين كان الاستهلاك السنوي للفرد من عرب الصحراء يقدر بـ 180 كغ من القمح و75 كغ من التمر، وهذه النسب هي تقريبا معدل لسنوات متتالية فأحيانا ما ينقص الاستهلاك لدى كال أهقار إلى الثلثين وأحيانا إلى النصف. أنظر للمزيد: Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 110

لذلك يبقى ملح الأمدغور بالأهقار مفضلا عند أهل النيجر لجودته فقط، وبالعودة للقيمة الحقيقية التي أصبحت تمثلها هذه السلع، فإن قافلة ملح الهقار التي تزود أسواق النيجر بحوالي 350 إلى 500 حمل تقدر قيمتها بحوالي 500 ألف فرنك فقط، في حين تحمل هذه القافلة عند عودتها حوالي 600 طن من الدخن والتي تعادل قيمتها حوالي 6 مليون فرنك¹، لذلك ففرق الدخل كبير ويعتبر ضياع للخزينة بأغداس، كما أن عائدات استخراج ملح الأمدغور تعود للأمينوكال، في حين الإعفاء من الرسوم الجمركية لخروج البشنة تكبد خسارة هائلة لميزانية النيجر، ولكن رغم ذلك وتقديرا لظروف سكان الأهقار فإنه يتسامح مع كل هذه الأمور، فبحكم أن الدخن (البشنة) مادة أساسية لكال أهقار فإنه يتم التغاضي عن هذا البون الشاسع في اقتصاد المنطقتين لصالح الرعايا، ولا يفرض ضرائب باهظة أيضا على هذا المنتج، وربما هو ما دعاهم بتعويضه برسوم الرعي والانتجاع.

لقد كان لكال أهقار زيادة لسلع المبادلات التجارية للقوافل، مصدرا مكملا آخر يتمثل في المنتجات الفلاحية لأراضيهم، التي يشرف عليها طبقة الفلاحين (الخماسين)، وبدا الفرق واضحا بين مجتمع البدو الرحل ومجتمع الفلاحين المستقرين من الناحية الاقتصادية، فالبدو لديهم مصدرين للرزق من قوافل التجارة ومن عائدات أراضيهم الفلاحية، في حين لم يكن للمستقرين إلا ما يحصلونه من الأراضي التي يفلحونها ومع ذلك بنسبة الخمس (5/1) فقط، كما يدفعون ثمن حاجاتهم من الحبوب أو الدخن إذا ما اقترضوها من مالك الأرض².

¹ ANOM, Carton 1H58, Correspondance entre le Haut Commissaire de la République en Afrique occidentale Française, Commandeur de la Légion d'Honneur à M. Le Ministre Gouverneur Général de l'Algérie, « Relations commerciales entre le Hoggar et l'Air », Dakar le 10 aout 1948, p. 2

² أحيانا يدفع الفلاحون ثمن قروضهم مضاعفة حسب "غلات": فإذا قدم مالك الأرض عنزة للفلاح، فإنه يعرضه الفلاح عنها بـ 100 كغ من القمح عند الحصاد، وإذا كانت ناقة فإنه يعرضه بـ 3 إلى 4 أحمال من القمح (أي من 400 إلى 600 كغ)، وإذا أقرضه "وزنة" من الدخن فإنه يعرضه وزنها من القمح، ونقل غلات هذه المعلوما من فلاح منطقة "ألبسة" في سنة 1963م، وذكر أنه كان يقدر بـ "عر" وزنة (=2,5كغ) الدخن حينها بـ 150 فرنك قديم أي 1,5دج، ووزنة القمح بـ 2,5دج، ووزنة الشعير من 1دج إلى 1,25دج. أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 38

الفصل الثالث: تطور إقتصاد كال أهقار بتكوين مدينة تمناست.

سعى الفرنسيون منذ أن اطمأنوا لخضوع طوارق كال أهقار في بداية سنة 1904م، وتوليتهم للأمنوكال "موسى أق أمستان" بعدها، على مواصلة الجهود لربط مستعمرة الجزائر بمستعمرة إفريقيا الغربية الفرنسية، وتوسيع نفوذ هذين المستعمرتين لتشمل أكثر المناطق والمدن في عمق الصحراء، وخاصة تلك المعروفة بموقعها كمركز تجاري يمر به الطريق العابر للصحراء من طرابلس إلى كانو والذي يسيطر عليه الإنجليز، بنية تحويل جزء من هذا الطريق ضمن ممتلكاتهم¹، وهو ما يحتم عليهم في نفس الوقت إنشاء مراكز عسكرية ثابتة لتثبيت احتلالهم في المنطقة، والتي باسروها بمركز "تغهاوهاوت" (حصن موتيلنسكي) منذ سنة 1908م، ثم إنشاء مركز للقسم الإداري العسكري ليكون نواة مدينة تمناست في سنة 1919م²، ثم نقل الفرقة العسكرية الصحراوية للتديكلت إليه في سنة 1924م.

كما عمل الفرنسيون كثيرا وركزوا على توطين قبائل كل أهقار، وذلك من خلال تحويلهم من حياة الارتحال إلى حياة الاستقرار، في محاولة منهم لإنهاء نمط البداوة وتعويضها بنمط المدينة، مع ما يصحبها من تغيير في النظام الاجتماعي والاقتصادي بالطبع، الذي يتساوى فيه جميع الأفراد على الأقل بإزالة الفوارق الاجتماعية التي فرضها نظام الطبقات منذ عهود طويلة، وبغض النظر أيضا عن كون هؤلاء الأفراد من أبناء

¹ على الرغم من أن التجارة العابرة للصحراء عبر طريق غات وغدامس كانت تقدر بحوالي 2 مليون في كل عام، لكن أدرك الفرنسيون أنه عبر طريق طرابلس- بنغازي- كباو- التبو- الكانم، وعبر طريق الفزان هما الطريقان الأكثر أهمية، بقيمة يمكن تقديرها ما بين 4 إلى 5 ملايين فرنك بين الصادرات والواردات، وهذان الطريقان بعيدان عنهم، ولا يمكن تحويلها إلى ممتلكاتهم إلا في حالة تجذرهم بشكل أكيد في منطقة التشاد والكاوار وبيلمبا والكانم والواداي، وهو ما يدعو إلى تسريع احتلالها قبل أن تظهر أطماع الإنجليز فيها بعد أن يثبتوا أنفسهم في السودان المصري. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H33, Correspondance de M. Lacaury Consul Général de France à Tripoli de la Barbarie à M. Hanotaux Ministre des Affaires Etrangère à paris, «Le mouvement commercial entre Tripoli et le centre Africain...» Tripoli de Barbarie, le 9 février 1898, 16 p.

² في مشروع إعمار منطقة تمناست كمركز جديد، جاء في تقرير النقيب "دينو Dinaux" منذ سنة 1907م ما يلي: "يبدو أن "موسى أق أمستان" استقر نهائيا في الأهقار أين قام بحفر فقارتين، كما أمر أتباعه ببناء مسجد ومدرسة وإنشاء سوق في تمناست، وبذلك هو يسير على خطى رغباتنا ويواصل في أن يكون أهم مساعدنا في التطوير المستمر لاحتلالنا بلاد الطوارق". أنظر للمزيد: Dinaux (Capt.): «Une mission, Op. Cit., pp. 104-108

المنطقة أو وادون عليها من خارجها، ولن يتأتى ذلك إلا بفتح الدكاكين والمحلات واستعمال النقود، وانتظام شوارع المدينة وفتح المدارس والمستشفيات، مع مختلف المصالح الإدارية الأخرى.

3-1 تطور عائدات تجارة القوافل:

كان يدرك الفرنسيون أن عائدات التجارة العابرة للصحراء بيد الإنجليز المسيطرين على خط طرابلس-كانو، ومع أنه في بدايته يتحاشى مستعمرة الجزائر (غدامس، وغات في ليبيا) إلا أنه جنوبا يدخل ضمن مستعمراتها الجديدة في أعالي السنغال والنيجر (النيجر) وهو ما يتيح لهم الولوج لهذا الطريق التجاري، إلا أن الإنجليز كانوا أكثر ذكاء لما ألحقوا مدينة "كانو" ضمن مستعمرتهم في نيجيريا، وبالتالي احتكروا أهم مورد لهذه التجارة كونها عصب الصناعة في الهاوسا وخاصة لما افتتحوا خط السكة الحديدية (كانو-لاغوس) الذي دخل الخدمة منذ مارس 1911م، والذي نتج عنه تراجع تجارة الجلود المتجهة إلى الشمال بدءا من زندر إلى الصفر 0 في سنة 1912م، وهذا لما كانت أحمال الجلود في تزايد من 320 حمل في سنة 1905م ووصلت حتى 1312 حمل في الثلاثي الثاني من سنة 1908م. هذا ولم تعرف عودة تجارة الجلود باتجاه الشمال حتى سنة 1915م لأن التجار العرب في زندر وتجار كانو فضلوا طريق السكة الحديدية الآمن والسريع رغم محاولات الفرنسيين جلبهم للطريق القديم¹، وما زاد في انقطاع طريق الشمال أكثر هو الحرب التركية الإيطالية في سنة 1911م-1912م، ثم لهجومات أتباع السنوسية وحرب كاوسن 1916-

¹ لقد حاول كل من الفرنسيين المتمركزين في النيجر والإنجليز المتمركزون في نيجيريا السيطرة والاستفادة من عائدات مراقبة التجارة العابرة للصحراء وحاولوا توجيهها لصالحهم أيضا، لكن بافتتاح الإنجليز لخط السكة الحديدية هذا لربط مدينة كانو بميناء لاغوس وجهوا التيار التجاري لجهة الجنوب رغم محاولات الفرنسيين بتشجيع التجار بمواصلته قوافلهم نحو الشمال التي ستكون تحت حمايتهم، كما قامت السلطات الفرنسية بزندر بتخفيف الضرائب للقوافل المارة باتجاه أغداس شمالا وهذا لتشجيعهم، وحتى تنافس دباغي الجلود في كالو المقدرين بحوالي 2000 دباغ قامت سلطات زندر بتشجيع 44 دباغا في زندر وحوالي 200 دباغ آخرون في الضواحي، ومن جهة أخرى قام الإنجليز بفرض ضرائب باهضة على القوافل الخارجة من زندر باتجاه الشمال وفرضت مبلغ 18 شيلين shillings عن كل حمل من الجلود المدبوغة (أي 25% من قيمة السلعة) في حين أعفت الضرائب عن تلك الموجهة لتوبا، ثم ألغيت هذه الحقوق في سنة 1908م. أنظر للمزيد:

1917م، كلها أحداث شلت الطرق التجارية القديمة العابرة للصحراء نحو الشمال، وحتى مع انتهاء حرب الأيبر (1920م) لم تعرف عودة هذه التجارة سريعا باتجاه الشمال.

إلى ذلك الوقت تم تسجيل مباشرة القوافل إلى أغداس من الهقار منذ سنة 1919م تضم بين 50 إلى 150 جملا محملة بملح سبخة الأمدغور، لكن الطرق لم تكن آمنة مما دفع بالفرنسيين بالتدخل لتكون تحت حراسة الجنود الفرق الصحراوية، ورغم ذلك ظل التيار التجاري ضعيفا، ففي سنة 1924م تم تسجيل قافلتين فقط نزلتا إلى الأيبر وثلاث قوافل نزلت من طرابلس نحو كانو، وفي سنة 1925م تم توريد من جهة الأيبر حوالي 6,2 طن من الملح، و800 كغ من التمر، و3050 م من القماش الأبيض، و170 كغ من السكر، إضافة لبعض السجاد والتبغ ليتم مبادلتها بالقمح¹.

ولنقص المعلومات لم يتم تسجيل إحصاءات محددة لعقد من الزمن (1926-1935م)، لكن في منتصف سنة 1930م تم تشجيع الحركة التجارية من طرف السلطات العسكرية في الجزائر والنيجر لتصبح أكثر نشاطا، لحاجة الطرفين لبعضهما من الملح والدخن لسد حاجات رعاياهم وذلك بتحديد الطلب مسبقا، ففي سنة 1941م طلب مركز أغداس كمية 600 حمل من ملح الأمدغور، في حين وصلت قيمة الكمية المستوردة لسنة 1940م بـ 50 طن من الملح، (وكان قد وصل في سنة 1939م إلى 100 طن من الملح)، وتم تصدير 100 طن من الدخن عبر الأيبر نحو الشمال. واقتصرت صادرات النيجر على الحبوب من الدخن والقمح، المواشي، الجلود المدبوغة، الزبدة وبعض المصنوعات الجلدية، وبدأت تعرف هذه الحركة التجارية بعض الاستقرار والثبات وبدأت تعرف المراقبة ودفع الضريبة في إفران أو أغداس، ولكن وفق إحصاء سنة 1961م كانت نسبة 20% من تجار كال أهقار يتهربون من دفعها منذ تمناست².

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 368 citant Archives Nationales du Niger, cercle d'Agadès, année 1925.

² Régnier J. (Capt.) : « Les salines, Op. Cit., p. 252

تضاف لهذه الرسوم، حقوق الرعي في أراضي النيجر، لكن كان الكثير من كال أهقار ما يتحاشون المرور عبر المراكز المخصصة لإحصاء مواشهم حتى يتهربوا من دفع ضريبة الرعي، ليتم التركيز على القوافل التجارية التي أصبحت منتظمة بين المنطقتين، فبين سنتي 1941-1942م أحصى مركز "تاوا" *Tahoua* 104 قافلة للأهقار، وتم توريد 60 طنًا من الدخن في سنة 1944م¹. هذه السياسة ساهمت في تشجيع الفلاحين في إقليم النيجر على العمل أكثر في زرع الحبوب التي يحتاجها كال أهقار بالخصوص، ففي سنة 1937م ادخرت دائرة "تاوا" 75 طنًا من الدخن لتموين مركز تمنراست، وهي نفس الكمية التي تم طلبها للسنة المقبلة أيضا.

تطور وتنظيم الحركة التجارية الممتدة من سنة 1945م إلى سنة 1960م بخصوص الأهقار سجلها وحللها النقيب "ريني" *J. Régnier*، الذي ذكر أن سبب نجاحها يعود للسياسة المتبعة منذ سنة 1937م، وأقرت هذه التقارير على الحاجة الملحة لتكثيف العلاقات التجارية بين زندر والجزائر، كما قدم "رونيون" *Rognon* في سنة 1963م إحصاءً بعدد الجمال التي كانت تشكل القوافل التجارية؛ في سنة 1938م بين 50 ألف و60 ألف جمل، وفي سنة 1946م بين 40 ألف إلى 50 ألف جمل، وفي سنة 1963م بين 30 ألف إلى 40 ألف جمل².

يمكن القول أن استغلال ملح سبخة الأمدغور أصبح متاحا لكل قبائل كال أهقار خلال الفترة الاستعمارية، وذلك منذ أن شرع في استخراجها في عهد الأونوكال "أهيتاغل" في سنة 1881م. فحسب الباحثة "بلهاشمي" أنه منذ نهاية القرن 18م وإلى غاية سنة 1881م كان هناك صراع سياسي وعسكري بين سلالة "ساكال" *Sakkal* وسلالة "صالح" للسيطرة على الأهقار، وكان لتحالف قبائل الكنتة مع سلالة صالح هو من منع استغلال هذه المملحة

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 368 citant Archives Nationales du Niger, cercle de Tahoua.

² Rognon P. : «Problèmes, Op. Cit., p. 63

(الأمدغور)، وهذا ليستغل الكنتة سبحة "تاودني *Taoudeni*" المحكرين لها تجاريا حسب "كتاب الطرائف"¹، ليتم إعادة استغلال سبحة الأمدغور في عهد الأمموكال "أهيتاغل" ومجموعته لفترة وجيزة، ثم تغيرت الظروف السياسية مع مطلع القرن 20م لتتقلب لصالح قبائل الإيكروموين/كال غلا وحلفاؤهم من الكنتة، ولتصبح تحت مراقبة المستعمر الفرنسي أيضا ولم تعد كما كانت في السابق بيد الإباضيين².

ورغم ذلك لم ترق هذه التجارة لمستوى عالي بين المنطقتين وبقيت مجرد تجارة جهوية صغيرة تربط الأهقار بواحات توات، القرارة، التديكلت، أو بتجارة منظمة تحت مراقبة الإدارة الاستعمارية بين الهقار والنيجر، والتي تم وراثتها من محاور التجارة والأسواق القديمة التي تربط سواحل البحر الأبيض بغرب إفريقيا عبر الصحراء، ورغم مرحلة استغلال مادة الملح لسبحة الأمدغور نتيجة الظروف السياسية التي عرفتها المنطقة منذ احتلال فرنسا لمنطقة أعالي النيجر، وأحكموا قبضتهم على عائدات هذه التجارة، الأمر الذي كان له أثر على هذه الحركة التجارية في المنطقة، خاصة وأن هذه القوافل بقيت دائما تحت تهديد القبائل المتمردة ضد التواجد الفرنسي في كامل المنطقة، وذلك إلى غاية سنة 1920م أين تم القضاء على معظم الثورات والمتمردين وبدأت القوافل تعرف الانتظام أكثر. كما زاد حجم تجارة الملح بين سنتي 1920 و1940م، والتي تضاعفت لست 6 مرات في دائرة أغداس (بالنيجر) على الأقل، وحسب الأرقام التي قدمها *J Régnier* حول عقد الخمسينات قدر حجم الملح المورد

¹ مخطوط الطرائف والتلائد في ذكر كرامات الشيخين الوالدة والوالد"، تأليف محمد بن المختار الكنتي المتوفي سنة 1826م.
² فمذ سنة 1882م عرف الإباضيون في المزاب أول نكسة لهم على يد المستعمر الفرنسي الذي ألحق إقليمهم بالإدارة الإستعمارية منذ نوفمبر 1882م، فمذ الاتفاقية 29 أبريل 1853م ومنذ سنة 1857م وتحت رعاية الحاكم العام للجزائر "راندون" وبعد مفاوضات تم السماح بإعطاء أهل المزاب استقلالية سياسية مقابل ضريبة سنوية يقدمونها، وهي بذلك تمثل الاستثناء في تاريخ استعمار الجزائر، هذا الوضع هو ما سمح للإباضيين بانشاء خطوط تجارية عبر الصحراء خلال هذه الفترة ونجد كثافة هذه التجارة والنفوذ الإباضي في أسواق إفريقيا الغربية حتى سنة 1953م، ففي التقرير السنوي لهذه السنة لشبكة العلاقات التي أقامها خلفاء الإباضيين في مناطق قبائل الهاوسا والديولا: "حققت المستعمرة الصغيرة المزابية رقم أعمال جيد من خلال ما تقدمه الحوالات البريدية والصكوك الصادرة، والتي ترتفع لعدد العشرات من الملايين (C F A) فحوانيتهم الـ 11 العاملة في "تاوا" وردت خلال سنة 1953م 47 طن من القماش الذي خضع للرسوم الجمركية في أغداس، وتعتبر هذه الكمية قليلة بالنسبة للسنوات السابقة، فالميزابيون أصبحوا حذرين لعدة تجارب فاشلة في بلاد الهاوسا، مفضلين البيع القليل لكن نقدا وليس دينا كما في السابق، وقلصوا من زبائنهم الذين يدينونهم، وفضلوا عليهم تجار الديولا الذين يقدمون ضمانات حقيقية وشخصية. أنظر للمزيد: Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., p. 368
citant Archives Nationales du Niger,

سنويا للجنوب بحوالي 295 طن ما يدل على أهمية وازدهار تجارة الملح. وهو ما دعى إلى ظهور تغيرات إجتماعية أيضا بتحول قبائل "كال أولي *Kel Ulli*" خلال هذه الفترة الاستعمارية إلى ناقلين وتجار بعدما كانوا من قبل مربي ماشية من الماعز فقط¹.

3-2 سياسة دعم الفلاحين المستقرين:

رأت السلطات الفرنسية أن فئة الفلاحين "الإيزغايين" من قبائل أهل عزي والحراطين الوافدين من منطقة التديكلت، هم من سيخدم مشروعها أكثر بحكم استقرارهم في مراكز عملهم بالبساتين والمزارع والحقول، لكن هذه الفئة تظل فقيرة ومعدمة في الأهقار بحكم عدم ملكيتها للأراضي التي تشتغل بها، والذين لا يأخذون إلا الخمس 5/1 من المحصول بعد موسم شاق جدا، والكارثة أن هذا الخمس في أحيان كثيرة يضيع منهم أيضا، لما تتعرض المنطقة للجفاف والقحط²، وأحيانا لهجومات أسراب الجراد على هذه المحاصيل.

لقد سجلت التقارير الفرنسية منذ مطلع القرن 20م، سنوات عجاف كثيرة تعرضت لها منطقة الأهقار وما جاورها خاصة سنوات؛ 1900م، 1903م، 1907م، 1910م، 1914م، 1918م... إلخ، أدى في كثير من الأحيان إلى هلاك الكثير من قطعان الماشية والإبل، وانتشرت المجاعة، واضطر الكثيرون للهجرة إلى المناطق الآمنة سواء في الشمال أو في الجنوب³، مما يضطر السلطات الفرنسية في أن تخفض من ضريبة الخضوع على هاته القبائل أو حتى إلغائها في بعض السنوات، كما حدث بناء على طلب حاكم الواحات نفسه بتخفيض حجم الضرائب الباهضة على أهالي الواحات المفروضة عليهم منذ سنة 1903م

¹ Belhachemi F. : Anthropologie, Op. Cit., pp. 371-373 ; Régnier J. (Capt.) : « Les salines. Op. Cit., p. 252

² ينتج الفلاح في السنة، في حقله الذي لا تزيد مساحته عن نصف هكتار ما مقداره 500 كغ من القمح أو 200 كغ من الدخن و50 كغ من الطماطم، وهي غير كافية لعائلة واحدة، في حين عائدات هكتار في المناطق الجيدة يقدر بـ 6 أو 7 قنطار من القمح، وإذا كان الموسم سيئا فيصاب معظم السكان بالنقص الغذائي، الذي يعد أحد أسباب الوفاة التي تقدر بين 10 إلى 100 وفاة في السنة بسبب الجوع. أنظر للمزيد: Sanlaville P. : Op. Cit., p. 341

³ في سنة 1904م وبالنظر لحالة الجفاف التي ضربت منطقة الأهقار وخاصة في "الآهنت"، مما جعلت منها مكانا غير صالح للسكن وطلب أهلها الإذن بالارتحال للأدراة التي بها مراعي أحسن حالاً. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 22H30, Annexe d'In-Salah, le Capitaine chef d'annexe Métoi, «Rapport mensuel, période du 21 aout au 20 septembre 1904», In Salah, le 24 septembre 1904, 5p.

والمقدرة بـ 270.000 فرنك (لزمة سنة) بحساب كل الأقاليم، مثلما تم تخفيض ضرائب سنة 1905م لأقل من 6 آلاف فرنك، وتم التنازل عن أكثر من 90 ألف فرنك عن لزمة سنة 1905م¹.

والحال نفسه لما أوعز الحاكم العام للجزائر الجنرال "جونار *Jonnart*" برقية إلى حاكم الواحات العقيد لابيرين شهر مارس 1907م، ينصحه فيها بالتريث في تحصيل ضرائب التديكلت الباقية والمقدرة بـ 6092 فرنك عن لزمة سنة 1906م إلى إشعار آخر، حتى أنه تم تخفيضها إلى أقل من النصف بسبب الخراب الذي أحدثه الجراد في المنطقة. وفي سنة 1906م تم تخفيف الضرائب عن كل القصور التي عدت بأئسة وفقيرة، كما تم رفع الإعانات المالية في ميزانية بلديات التديكلت لتزيد عن 62 ألف فرنك بغرض إصلاح الفقارات وحفر الآبار الارتوازية والعادية، وكذا إنشاء عديد المراكز الخيرية²، كما كانت تفتح جمعية الإدخار مخازنها من التمور للبيع في عين صالح للتقليل من سعر المضاربة في هذه الأوقات.

ولو أنه في بعض الأحيان لا يجد طوارق كال أهقار الإبل الكافية لتشكيل قافلة باتجاه عين صالح لجلب التمور بسبب ضعفها وهزالها من الجوع والعطش، كما حدث في سنة 1914م لما امتنعت قبائل الإمغاد من إرسال قوافلها إلى الأيير والدمرغو للتزود بحبوب الدخن، ولحسن حظهم كانت عائدات مراكزهم الفلاحية قد أنتجت بعض الشيء من الخضر والبشنة أمكنتهم من تجاوز تهديدات المجاعة³، وفي أحيان كثيرة كان يضطر كال أهقار إلى الإبقاء على قطعان إبلهم لفترة طويلة في مراعي إقليم التامسنة بالنيجر حتى لا تهلك لو

¹ ANOM., Carton 22H30

² ANOM., Carton 22H30, Correspondance du Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Général Commandant la Division d'Oran, « Au sujet de l'impôt du Tidikelt », Alger, le 12 mars 1907,3p

³ ANOM., Carton 22H30, Rapport mensuel du moi de septembre 1914.

تركت في الأهقار كما حدث في مجاعة سنة 1917م، والتي تجاوزها السكان بجمعهم وتخزينهم لكميات كبيرة من الجراد كمؤونة وإلا كان مات الكثير من الجوع¹.

هذه الوضعية الحرجة التي كانت تصيب اقتصاد كال أهقار، جعلت السلطات الفرنسية تفكر في دعم الفلاحة أكثر من خلال تخصيص ميزانية أكبر، فمثلا ووفق الطلبات المتكررة للحاكم العسكري لإقليم الواحات لتحسين ظروف عيش سكان إقليم الجنوب ودعم الفلاحة به في سنة 1938م، تم إعلامه من طرف المصالح الفلاحية أن ميزانية الإقليم تتزايد كل سنة فيما يخص دعم الفلاحة وتربية المواشي (1936م=34420 فرنك، 1937م=39220 فرنك، 1938م=48380 فرنك)، كما رصد مبلغ خاص لسنة (1938م) لدعم سكان جانت بـ6500 فرنك (4000 فرنك لشراء أبقار السقي + 2500 فرنك لشراء أدوات الفلاحة لبساتين الطاسيلي)، كما تم رصد مبلغ 5500 فرنك لدعم مربي المهاري في كامل الإقليم (منها 1000 فرنك للأهقار)، وأعلموه بأنهم سيعملون على اقتطاع مبلغ 15000 فرنك من ميزانيات أخرى وإضافتها لميزانية إقليم الجنوب لسنة 1939م بغرض مواصلة البرامج الضرورية لتحسين الفلاحة وتربية المواشي فيه، وكانت قيمة المبالغ المخصصة لملاحق الأهقار في هذه السنوات كما يلي: (مقارنة بملحق ورقلة، عين صالح، جانت)².

السنة	لدعم الفلاحة (فرنك)	لدعم تربية المواشي (فرنك)	المجموع (فرنك)
1936	6.720	2.300	9.020
1937	7.320	2.300	9.620
1938	7.950	3.300	11.250
المجموع	21.990	7.900	29.890

¹ ANOM., Carton OA 41, Le Capitaine Commandant la Région Tidikelt Hoggar Depommier «Rapport mensuel, situation en région Hoggar au 1^{er} février 1917», Fort Motylinski, le 1 février 1917, 4p.

² SHAT., Carton 24H144, Service Agricole, le Secrétaire Général du Gouverneur Marcel Grégoire-Guiselin à M. le Commandant Militaire du Territoire des Oasis à Ouargla, Alger, le 17 septembre 1938, 2p.

وفي سنة 1939م أمر الحاكم العسكري لإقليم الواحات بصرف مبلغ 1500 فرنك لصالح رئيس ملحق الأهقار، بغرض دعم إستغلال الأراضي الفلاحية به والمقدرة بحدود 500 هكتار، وهذا لتكثيف سقي زراعة الحبوب والمحاصيل المعاشية خاصة، بالنظر لندرة الأمطار هذه السنة، وخوفا من فقدان كل هذه المساحات الزراعية، هذا المبلغ يستغل خاصة في استخراج المياه لسقي المزارع وإحياء الأراضي البور.

وذكر أنه بالنظر للظروف الصعبة التي يعيشها الأهقار، وجب التفكير في تمويل معظم مراكز الصحراء بالحبوب إذا ما كان المنتج قليلا، وهذا ليس فقط لدعم السكان ولكن أيضا من أجل الفرقة العسكرية الصحراوية في الأهقار، الذين يجب تزويدهم بكميات معتبرة من القمح، ومن جهة أخرى أمر بمواصلة العمل على إعادة إحياء واحة "سيلت" ¹، التي بها حوالي 6000 نخلة مهمة والتي يمكن استغلالها لاحقا زيادة على التمور حتى في فلاحية البذور والخضروات، لأن المياه في جوفها على عمق قليل وحتى مناخها ملائم جدا، وإذا اقتضى الأمر جلب المزارعين الحراطين من التديكلت الذين لهم الخبرة في الاعتناء بالنخيل وزراعة البساتين، لذا تم رصد مبلغ 3000 فرنك لمواصلة تأهيلها من قبل رئيس ملحق الهقار ².

¹ في سنة 1928م أرادت شركة قسنطينة الخاصة، شراء واحة سيلت في الأهقار (التي تعتبر مع واحة تبيجهين Tbedjehine أهم واحات الأهقار)، وباشرت السلطات الفرنسية بسية جس النبض مع كال أهقار بغرض البيع، لكن يبدو أن هناك غموض في ملكيتها، على الرغم من أن كال أهقار ينسبونها لهم بشكل عام لأهم كل سنة يجنون منها التمور في شهر أوت، لكن هاتان الواحات المتجاورتان تم إهمالهما من قبل كال أهقار ربما لبعدهما على حدود الأهقار في أطراف صحراء التنزروفت والتي تعتبر غير آمنة من اللصوص، وبالتالي لا أحد غامر بفلاحتها رغم توفر المياه بها، وذكر التقرير أنه لا يمكن تقييم ملكية الواحة لأنها ملكية عامة لكال أهقار وتشغل أهمية كبرى لهم في الصحراء الوسطى، ولا يمكن تقسيم المبلغ على كامل القبائل وبالتالي يجب تفادي خلق اضطرابات في الأهقار الأمن، في حين يمكن للسلطات أن تستثمرها لعدة سنوات مقابل حاصل الإنتاج الذي سيقبل به الطوارق لا شك، لكنه أهمل الموضوع من وقتها. أظر للمزيد: SHAT., Carton 24H144, Note pour Monsieur le S/Directeur des Territoires du Sud «A/S. de l'Oasis de Silet», Alger, le 6 septembre 1928, 5p.

² SHAT., Carton 24H144, Correspondance du Commandant Militaire du Territoire des Oasis au Service Agricole, «Intensification des Cultures au Hoggar», Fort-Flatters, le 16 novembre 1939, 3p.

لم يكن هذا الإهتمام بدعم الفلاحة في إقليم الأهقار وأقاليم الجنوب عموماً بغرض تحسين معيشة حياة السكان فيه، وإنما هو دائماً لتنفيذ مشروع توطين البدو الرحل من الطوارق، فاستقرار الإنسان وإقامته يكون باستغلاله وممارسته للزراعة، لذلك نجد في أغلب تقاريرهم تظهر معادلة مقيمين/رحل في إحصاءاتهم للسكان (مثلما تم تناوله في الباب الثاني) كما هو الحال في سنة 1936م حيث تم إحصاء عدد سكان إقليم الواحات (كل عرش على حدة في الجدول الأصلي) والذي قدم الأرقام التالية:

البلدية	العدد الإجمالي (نسمة)	عدد المقيمين	عدد الرحل
بلدية ورقلة (14 عرش)	22.247	11.735	10.512
بلدية تديكلت الهقار (18 عرش)	17.328	12.080	5.248
المجموع	39.575	23.815	15.760

وكان عدد سكان الأهقار منها هو 4.865 نسمة (منها 2.103 من المقيمين، و2.762 من الرحل)¹.

هذه النسب كانت ترتفع لصالح المقيمين في كل إحصاء تقريبا وهو ما يشجع على نجاح مشروع التوطين، لكن الأمر الذي ظل يؤرق الفرنسيين أن معظم هؤلاء المستقرين والذين يشتغلون بالفلاحة على الأخص (الإيزقاغن)، جلهم من جالية التديكلت وتوات (أهل عزي والحراطين) أو من العبيد الذين تم تحريرهم، وبالتالي لا يملكون الأرض التي يفلحونها ويتعبون من أجلها طوال السنة، لأنهم يستغلونها بنظام الخمس فقط من مالكيها من كال أهقار الرحل، وهو ما يجعل هؤلاء الفلاحين غير مطمئنين في استقرارهم هذا، لذا سعت السلطات الفرنسية على إيجاد حل لهذا المشكل بتحريض الفلاحين من جهة، ومن جهة أخرى بالتأثير على الأمنوكال المعين من طرفهم لأخذ قرارات لصالحهم².

¹ SHAT., Carton 24H144.

² كان من أسباب تأخر الفلاحة في الأهقار هو عدم استقرار الفلاحين في مركز واحد بل ينتقلون باستمرار بحثاً عن عروض جيدة، وبالتالي هم لا يقدمون كل ما عندهم في استصلاح الأراضي أو حفر الفقارات كون الأرض ليست ملكهم. أنظر للمزيد: Sanlaville P. : Op. Cit., p. 339

فلقد ظل عقد استغلال الأرض بنسبة الخمس والمعروف عند الطوارق بـ"تاساموست *Ta-s-sammusat*" - جاري العمل به حتى منتصف القرن العشرين، لكن دائما ما كانت هناك محاولات من الفلاحين "الإيزاغين" لتعديله منذ بداية القرن العشرين وإيجاد عقد استغلال الأرض بالثلث 3/1 والمعروف بـ"تاسكارادت *Ta-s-karadet*"، أو العمل بالعقد المسمى بـ"تاساناتت *Ta-s-sanatet*" أي تقاسم المحصول بين الفلاح والمالك بالنصف 2/1، ونتج هذا التطور في عقود استغلال الأرض نتيجة الضغط الذي كان يمارسه الفلاحون "الإيزاغين"، الذين أظهروا أنفسهم كزبائن لدى الطوارق وليس كخدم عندهم أو عبيدهم المحررين، لذلك دائما ما ينتقلون من واحة إلى أخرى ومن مالك إلى آخر عقب كل فصل من السنة، وهذا بغرض كسب إمتياز استغلال الأرض بعرض أحسن، وإيجاد منافسة بين الملاك، وكسر الاحتكار الاقتصادي الذي يفرضه الملاك الطوارق من كال أهقار، أو حتى محاولة إيجاد استغلال للأرض بشكل مباشر لوحدهم فقط، مع أنهم يبررون تنقلهم وترحالهم هذا بنقص المياه، أو عدم صلاحية الأرض... الخ¹.

تمكن الإيزاغين بهذه المخططات والضغط الممارس بأن يحققوا عقود استغلال بثلاث المحصول وحتى بالنصف كذلك أحيانا، بل وصل الأمر بأن استغلوا أراضي لوحدهم دون مالك، وهذا ما أقره الملازم "دومان *Dumain*" في سنة 1932م في تقرير له حول المراكز الفلاحية في الأهقار، وذكر بأن بعض الإيزاغين استغلوا أراضي لحسابهم الخاص في بعض الأماكن ومنها "أسليسكين *Asliskine*"، و"إينديد *Ennedid*"، وخاصة في "تازروك *Tazruk*" وهذا نتيجة للصراع الذي وقع بينهم وبين ملاكهم من كال أهقار، ولكن هؤلاء الأخيرين أهملوا الأرض وتركوها للإيزاغين لاستغلالها².

¹ Pandolfi P.: Op. Cit., p. 65 ; Eydoux H. P.: Op. Cit., p. 94

² SHAT., Carton 24H144, : Important Rapport du Lieutenant Dumain sur les centres de cultures de l'Ahaggar en 1932.

لقد حقق الإيزقاغن نتيجة هذا الضغط المستمر بأن فرضوا أنفسهم في تركيب النسيج الاجتماعي لكال أهقار، فلم يعد ينظر لهم بأنهم أجانب جاؤوا بغرض كراء أراضي فلاحية من ملاكها، لأنه منذ سنة 1950م إنتهى واختفى عقد استغلال الأرض بالخمس وتم تعويضه بعقد الثلث والنصف من المحصول بين المالك والفلاح وهذا بأوامر من الأمنوكال "باي أق أحموك"¹، بل وصل الأمر ببعض من الإيزقاغن أن استقادوا من امتيازات هامة، ويتعلق الأمر هنا بـ"أهل عزي *Ahl' Azzi*" الذين أصبحوا ملاكا للأرض في كال أهقار وهذا منذ سنة 1930م لما قرر الأمنوكال "أخاموك أق إيها" أنه بإمكان أي شخص يستغل ويزرع أرضا لم تستغل من قبل (عذراء) أحقية استغلالها كاملة له دون النظر لأي أراضي قبيلة تتبع، وبالتالي وجد "أهل عزي خاصة" أنفسهم ملاكا بعد أن كانوا مستأجرين فقط في أراضي كال أهقار²، وتقريبا منذ سنة 1950م حدث تطور لهذه الفئة من الفلاحين والمزارعين، باعتبارهم جزءاً مركبا لبنية المجتمع الطارقي، لأن العلاقة مالك/مستأجر بدأت في الانحسار، ففي سنة 1956م كانت نسبة الأراضي المستأجرة من طرف هؤلاء تقدر بـ 32% من كامل الأراضي المزروعة، لتتنزل في سنة 1962م إلى 23% فقط³.

3-3 دعم تربية المواشي في فترات الاقتصاد الصعب:

أظهرت أرقام ميزانيات دعم الفلاحة في أقاليم الجنوب السالفة الذكر، أرقاما أخرى لدعم تربية المواشي تعويضا عن التي هلكت زمن القحط والمجاعات، رغم أن هذه الحيوانات المدعمة كانت بغرض خدمة الفلاحة أيضا، كدعم شراء أبقار بلاد السودان الضخمة التي تستغل في استخراج الماء من الآبار، ففي السنوات الثلاث (36-37-1938م) مثلا تم

¹ Bourgeot A. : Les sociétés. Op. Cit., p. 66

² هناك عامل آخر ساهم في هذا التطور، هو حدوث جفاف وقحط في سنة 1940م أدى بقبائل مثل الإيسقمارن *Isaqqamaren* بأن يرتحلوا إلى إقليم التامسنة (شمال النيجر) أين توجد إبلهم ونوقهم هناك، وبالتالي تركوا مزارعهم وعبيدهم في هذه الأراضي مثل مرتوتق *Mertutek* أو تيفيداست *Tefedest* ووجد المزارعون أنفسهم بدون ملاك يطالبونهم بنصيبيهم. أنظر للمزيد: Marceau Gast : « L'ancêtre féminin, clé de l'organisation sociale des Touaregs ? L'exemple de Mertutek ». in Le fils et le neveu, 1986, pp. 159-205

³ Pandolfi P. : Les Touaregs, Op. Cit., p. 66

رصد ميزانية مقدرة بـ 7.900 فرنك لدعم تربية الماشية في الأهقار، ورُصد مبلغ 1000 فرنك في سنة 1938م لدعم مربي المهاري في الأهقار، هذا وقد أمضى الحاكم العام للجزائر بتاريخ 31 ديسمبر 1940م على إعانة مقدرة بـ 4000 فرنك بتوصية من الحاكم العسكري لإقليم الواحات، لفائدة بلدية ورقلة بغرض شراء الجمال والأبقار الضرورية، وكذا لتحسين ظروف سكان إقليم الواحات¹.

تجدر الإشارة أنه في العقدين الأخيرين من الفترة الاستعمارية إزدهرت تجارة الأغنام والخرفان، والتي كان يشرف عليها أكثر تجار عرب توات الذين كانوا ينزلون بسلعهم (من التمر، والتبغ، والأقمشة، والأغطية...) إلى إقليمي الآداغ والأزواغ (مالي)، ويقومون بمبادلتها -في المخيمات وليس في الأسواق- بالماشية من الأغنام والخرفان، كما كان ينقل في نفس الوقت طوارق أداغ إيفوغاس وعرب الكنتة مواشيهم ليبادلونها في توات والتديكلت، وكان يقدر ثمن الخروف في سنة 1939م ويبيع في عين صالح بسعر من 75-100 فرنك، في حين كان يتراوح ثمنه في الآداغ من 35-45 فرنك فقط، وكان السعر المرجعي يقاس بالجمال، فسعر الجمل الواحد في الآداغ يعوض بـ 120 خروف، وكان يستبدل الخروف الواحد بقيمة من 12-15 ذراع من القماش أو بـ 10 قصعات من التمر².

¹ في بداية سنة 1940م طلب رئيس مركز جانث النقيب "بروننس Brenans" من الحاكم العام للجزائر إعانة مقدرة بـ 20.000 فرنك لتقديمها لكال جلات الذين فقدوا الكثير من مواشيهم من البقر والجمال، بغرض شراء 30 بقرة (لاستعمالها في استخراج الماء من الآبار بغرض السقي) بقيمة 12000 فرنك (400 فرنك للواحدة) من بلاد السودان، كما يتم توزيع 8 آلاف الباقية على الفقراء لشراء الجمال التي فقدوها، وكل هذا من أجل تشجيع تربية الحيوانات في منطقة جانث ودعم سكان حصن شارلي، مع العلم أن منطقة جنوب غات تم دعم واحاتها (فهوت Fehouet، غات Ghat، إيسيان Isseyen، وأريكين Arrikine) بقيمة 25 ألف ليرة من طرف السلطات الإيطالية في سنة 1939م. أنظر للمزيد: SHAT., Carton: 22H144, Correspondance du Capitaine Brenans Chef de l'Annexe de Djanet Fort Charlet à M. le Gouverneur Général de l'Algérie, «Budget supplémentaire. Encouragement de l'élevage à Djanet», Djanet, le 15 avril 1940, 2p.

² في سنة 1939م كانت المبادلات في الشمال حسب Augustin Berque كما يلي؛ قنطار من القمح = خروف = 20 لتر من الزيت = قنطارين من العنب أو البرقوق = قنطار من التين = 300 كغ من الفحم = قنطار وثلاث قنطار من الشعير، وهكذا كان نضام الخماسة في منطقة القبائل حتى بعد الحرب العالمية الثانية، وكل المهين كانت تدفع بالحبوب أنظر للمزيد Pierre Bourdieu : **Algérie 60**, structures économiques et structures temporelles. Ed. Minuit, Paris, 1977, p. 22 ; Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 216

كما كان يستبدل نوع من الغطاء الكبير من توات المسمى "دوكالي *Doukkali*"، والمحبيب جدا عند الطوارق بقيمة 10 خرفان في منطقة "غاو" و"مناكا" وبقيمة 7 خرفان في الأداغ. إذ لم يكن يعرف بدو الطوارق استعمال النقود إلا لوقت متأخر يعود إلى الحضور الاستعماري في المنطقة، على الرغم من انتشار بعض النقود الأوربية القديمة في منطقة الساحل كالتالر الفضي الجرمانى *thaler*، والدورو الإسباني، والليرة التركية المنتشرة في الفزان، وعملة الودع المنتشرة بكثرة عند قبائل الساحل، إلى أن انتشر الفرنك الفرنسي في الأهقار بإنشاء المركز الفرنسي في تمنراست، وفتح بعض الميزابيين وعرب التديكلت لدكاكين صغيرة في تمنراست لبيع المواد الغذائية¹.

رسوم الرعي والانتجاع في إقليم التامسنة:

تعتبر أراضي إقليم التامسنة الواقعة شمال دولة النيجر من بين أهم المراعي التي كان يسوق إليها كال أهقار مواشيهم وقطعانهم، وبحكم أنها واقعة تحت حكم الإدارة الفرنسية لإفريقيا الغربية الفرنسية (*AOF*)، فإنها أصبحت تفرض رسوما وضرائب على هذه القطعان، وذلك منذ ما يعرف بـ "إتفاقية نيامي"، المبرمة بتاريخ 20 جوان 1909م بين المقدم "لابيرين" قائد الإقليم العسكري للوحدات الجزائرية، والمقدم "فونال *Venel*" قائد إقليم النيجر²، وتم الاتفاق في معاهدة نيامي على تحديد الأراضي التي تدخل في نطاق رعي القبائل الموالية

¹ Lhote H. : Les Touaregs. Op. Cit., p. 217

² والتي لم يوافق عليها الحاكم العام لغرب إفريقيا الفرنسية حتى تاريخ 29 جوان 1911م مع بعض التعديلات خاصة لما تعلق الأمر بأبار منطقة عين قزام، التي طالب بها الإقليمين ولم تحل، على اعتبار أنها أبار تعود لقبيلة كال تادال التي تنتمي لقبائل الأبيير والتي ترسل جمالها شتاء كل سنة للمعالجة هناك، كما أنها أبار مهمة تربط الطريق المار بين إفران لأدرار إفوغاس، ثم أمضى عليها الوزير بتاريخ 6 أوت 1911م،... كما أن قضية الربط بين الإقليمين كان محط مراسلات عديدة بين الطرفين منذ 1907م و1908م و1909م. أنظر للمزيد: ANOM., Carton 14MIOM870 ; Carton 14MIOM872 Série G 12G19 (A.O.F)

لكل إقليم وأخذها بعين الاعتبار، كما تم تحديد قواعد الانتجاع وحقوق المرور بتاريخ 27 أكتوبر 1911م تكملة لبنود اتفاقية نيامي، إذ اقترح لابيرين حقوق المرور كما يلي¹:

-75 فرنك لكل 200 جمل

-40 فرنك لكل 200 ناقة

-20 فرنك لكل 200 جمل صغير (مهري)

ويمكن لهذه الأسعار أن تتغير بحسب الظروف، على الرغم أن المقدم "لابيرين" كان يرى حينها أنه يجب أن يلغى هذا القانون بحكم أن البدو كانوا يمرون بين المنطقتين مجاناً مما يؤثر على حركة التجارة²، وثانياً أن كل الأقاليم هي تابعة لفرنسا لذا لا داعي لهذا الأمر، كما أنه أحياناً لما يصيب الجفاف والقحط العام، فإن كال أهقار ينزلون بقطعانهم إلى الجنوب والتي تعتبر أمراً ضرورياً بالنسبة لهم لإنقاذ مواشيهم وإبلهم. لكن حتى مع هذه

¹ ANOM., Carton 14MIOM870, Correspondance du Général Commandant supérieur des Territoires M. Ponty au groupe de l'Afrique Occidentale Française «Convention dite de Niamey du 20 juin 1909», Dakar, le 09 décembre 1912, 3p ; Correspondance du Colonel Hocquart Commissaire du Gouvernement Général au Territoire du Niger à M. le Gouverneur Général de l'Afrique Occidentale Française Zinder, le 9 aout 1912, 27p.

² لم تتوقف اهتمامات المقدم "لابيرين" في ذلك الوقت بفتح طريق تجاري صحراوي جديد مع عين صالح، الذي اقترح إنشاء نقطة تموين للقوافل (محطة تجارية) في قرية "ترهاهاها" Trhaouhaout في جنوب الأهقار، لتجنب القوافل سير كامل المسافة بين أغداس وعين صالح، بل يتم التبادل في هذه النقطة فقط. كما اقترح بأن يكون هناك سوق سنوي تعرض فيه السلع لمدة 15 يوماً (من 1 إلى 15) من شهر مارس إلى شهر أكتوبر، حسب اقتراح لابيرين دائماً؛ يعتبر طريق طرابلس-غات-أغداس أنشط طريق تجاري حالياً (1912) ليس لأنه الأقصر، وإنما لأن القوافل تنزل فيه في كل مرة من هذه النقاط التجارية، حتى يمكن منافسة هذا الطريق يجب أن يكون هناك طريقان هما؛ الأول قصير: عبر تقرت-تماسين لكن مسالكه صعبة خطر طوارق الأزجر قائم فيه بالغز والسلب، الثاني طويل: من رقلة-عين صالح-الأهقار لكنه مقدمة مرحلة إلى لطريق آمن مضمون سهل، يعتبر هذا الأخير أحسن طريق تجاري يمكن إختياره، من الأمور التي كانت دافعا لإنشاء خط تموين للمراكز الفرنسية في بلاد السودان عبر الجزائر منذ سنة 1908، هو ذلك الصراع الذي قاده بين الأتراك الإيطاليين في ليبيا أثر على سير الخط التجاري بين طرابلس-غات إلى الجنوب، تحول لصالح قابس في تونس. يعتبر الطريق من طرابلس-غدامس-غات-جانت-تادنت-عين أز-إيفر-ان-أغداس-زندر-كانو أطول طريق تجاري بين سواحل البحر الأبيض وسط إفريقيا، يسلكه أكثر التجار الطرابلسيين، أما طوارق الهقار كال في فهم الناقلون الرئيسيون لهذه القوافل، يقدر عدد أحمال الجمال التي تعبر هذا الطريق سنويا بـ 2000 حمل جمل (سنة 1912)، الذي يبيد ضعيفا ربما نتيجة الصراع التركي-الإيطالي الذي عطل كثيرا التجارة العابرة للصحراء). أنظر للمزيد:

الإجراءات المتبعة يبدو أن كال أهقار لم يأخذوها بمحمل الجد حيث أنهم لم يلتزموا بدفع ضريبة الإنتاج، التي أقرتها إتفاقية نيامي منذ سنة 1912م حتى سنة 1918م، لما ظهر خلاف بين الأهقار وبين الإيفوغاس عليها، أين تدخل حاكم منطقة تمبكتو ودعى بأن يلتزم بدو الأهقار ببنود هذه الإتفاقية بين الطرفين¹.

ومن هذه الحادثة بدأت السلطات الفرنسية لغرب إفريقيا تجبر طوارق كال أهقار على دفع ضريبة المرور والانتجاع وتكون حازمة معهم، ففي كل سنة يتم إحصاء مواشي وقطعان كال أهقار التي تنزل إلى إقليم التامسنة للرعي من طرف دائرة أغداس بمعية ملحق تمزاست، هذا الأخير الذي يتولى جباية الضرائب من أصحابها لتقدم لسلطات النيجر بدائرة أغداس، وكانت ترتفع هذه الرسوم كل سنة، فمثلا من 20 فرنك على الرأس في سنة 1945م إلى 68 فرنك في سنة 1948م، وخلال سنة 1945م دفع كال أهقار مجمل ضريبة السنة بحدود 60 ألف فرنك، لترتفع سنة 1948م إلى حدود 400 ألف فرنك، صاحبها زيادة قطعان إبلهم من 3000 جمل إلى حدود 5900 جمل²، هذه الضرائب التي أثقلت كاهل طوارق الأهقار وخلقت لديهم نوعا من الامتعاض، لذلك استأذن حاكم الجزائر حاكم مستعمرة إفريقيا الغربية الفرنسية بداكار بمراجعة هذه الأسعار، على أن يتم احتساب رسم رمزي سنوي بقيمة 200 ألف فرنك الذي يعتبر أكثر عقلانية، مقابل ما معدله 5000 رأس من الإبل التي يمكنها أن ترد مراعي التامسنة، واعتماد ضريبة 40 فرنك كحد أقصى على الرأس الواحد³.

لقي هذا الإلتماس من الحاكم العام للجزائر القبول عند الحاكم العام لغرب إفريقيا الفرنسية، مبينا له في نفس الوقت أنه كان كريما مع كال أهقار فيما يخص إلغاء رسوم

¹ ANOM., Carton 14MIOM872 Série G 12G19 (A.O.F), Le Général Laperrine «Bulletin Hebdomadaire de Renseignements», Ouargla, le 22 octobre 1918, 3p.

² ANOM, Carton 1H58, Correspondance entre Le Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Haut Commissaire de la République en Afrique occidentale Française à Dakar, « Relations commerciales entre le Hoggar et l'Air », Alger, le 9 avril 1948 , 2p.

³ Idem

الجمركة على قوافل الدخن الهائلة التي يخرج بها كل هذه السنين من إقليم النيجر كما سبقت الإشارة لذلك، وتم إعلامه بتنظيم رسوم الانتجاع وكيفية دفعها على الرأس الواحد ابتداء من تاريخ 01 جانفي 1948م كما يلي¹:

الجمال.....40 فرنك فرنسي قديم (C.F.A.)

الخيول.....40 فرنك

الأبقار.....30فرنك

الحمير.....10 فرنك

الأغنام والماعز...5 فرنك

مع العلم أن السلطات في أغداس تجبي فقط الضريبة على الجمال، وتتنازل عن ضريبة الحيوانات الأخرى كامتياز لطوارق كال أهقار، الذين لا حل لهم إلا الانتجاع في هذه الأقاليم.

3-4 فتح الدكاكين واستعمال العملة:

لقد ساعد استقرار الإدارة الفرنسية في الأهقار على تشجيع بعض التجار من خارج الأهقار ليجربوا حظهم في المنطقة، منذ أن أنشئ أول مركز عسكري فرنسي في منطقة "تغهاوهاوت *Tarhaouhaout*"، وسمي كذلك بحصن "موتيلنسكي *Motyliniski*" نحو 1916م، حيث كان هذا التاجر (أو ربما تاجرين اثنين فقط) يبيع بعض الأقمشة، والقمح، والسكر، والشاي، والقهوة، وسجائر التبغ، ولما تم نقل مقر هذا المركز إلى تمنراست، ثم نقل على إثره مقر الفرقة العسكرية الصحراوية من عين صالح إلى تمنراست، عرفت هذه

¹ ANOM, Carton 1H58, Correspondance entre le Haut Commissaire de la République en Afrique occidentale Française, commandeur de la Légion d'Honneur à M. Le Ministre Gouverneur Général de l'Algérie, « Relations commerciales entre le Hoggar et l'Air », Dakar, le 10 aout 1948, 3p.

الحوانيت إزدهارها ونموها، ففي سنة 1929م كان عددها ستة فقط، وفي سنة 1964م وصلت إلى حدود ستين دكانا¹.

تجدر الإشارة أن كال أهقار لم يكونوا يتعاملون بالنقود، وكل تعاملاتهم التجارية كانت تتم بالمقايضة، لذلك كانت هذه الحوانيت في البداية تتعامل أكثر مع عمال الإدارة الفرنسية من جنود وضباط، وكذلك مع الأفراد المكونة لفيلق الجمّالة (المهاريست) بعد تحصيل رواتبهم الشهرية، في حين لم يكن يعرف كال أهقار (بدو أو مقيمين) قيمة هذه النقود وكم تساوي، وظلوا بعيدين عن هذه الحوانيت التي لايقبل أصحابها النقود العينية (وزنة قمح، أو رأس غنم أو جمل)، لأن هؤلاء التجار القادمين من أماكن بعيدة (شعانة من متليلي، عين صالح، أولف... إلخ) يريدون تحصيل النقود لا شيء آخر.

كما أن حاجات كال أهقار من المواد الغذائية محدودة جدا، تتمثل في الشاي والسكر الحديثي العهد بهما أيضا، وبعض الألبسة المصنعة الرخيصة الثمن بالمقارنة بالألبسة التقليدية المصنعة من طرف حرفيي النيجر، وبدأوا يُحصلون بعض النقود من خلال بيع منتجاتهم (من حليب، زبدة، جبن، قمح، دُخن...) لجنود فيلق الجمّالة (المهاريست) أو حتى لموظفي المركز الفرنسي، وكذلك من خلال كراء جمالهم للمركز الفرنسي لجلب المؤونة، أو من خلال العمل كأدلاء، أو حتى إنخراط بعض من الشباب في صفوف فرق المهاري وأصبحوا يحصلون دخلا شهريا، لذلك شيئا فشيئا بدأ كال أهقار يعتادون على نمط تجاري آخر².

وبدأ يظهر نوع من التحول الاقتصادي عندهم الذي لا يقوم على تحصيل سلعهم من خلال تجارة القوافل إلى أسواق الشمال فقط، وإنما أصبح بإمكانهم الحصول عليها في عين المكان، خاصة لما أصبحوا يبيعون معظم قمحهم إلى الفرقة العسكرية الصحراوية ولم يعد

¹ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 39

² Idem.

القمح من بين سلع المبادلة، بل أصبحت نقود القمح تستغل في شراء حاجياتهم من تجار تمنراست من الشاي والسكر، ومختلف المواد المصنعة كالعجائن والأواني المنزلية، والأقمشة والحلي النسائية¹.

وتعتبر قبيلة كال غلا أكثر قبائل كال أهقار من القادت إلى هذا النمط التجاري الجديد في تمنراست بعد سنوات 1940-1945م، بسبب الزيارات المتكررة للأمنوكال وأتبا لها بحكم منصبه والتنسيق مع الفرنسيين، وتأثر هؤلاء الأشراف المحاربون الذين هم منظري هذه الأمة وقادتها، بأهمية هذه الدكاكين واستعمال النقود في البيع والشراء، ووفرت لهم بعض الجهد لمسافات أطول في السابق، وتبعتها بعض القبائل الأخرى في ولوج هذا النمط التجاري الجديد، رغم قلة حاجاتهم إليها إلا من قمح، دخن، شاي، سكر، وبعض الأدوات والخردوات للاستعمال اليومي، وأواني معدنية وزجاجية، طور، وألبسة ملونة... إلخ².

3-5 ظهور الطبقة الشغيلة (العاملة):

وقف اقتصاد مدينة تمنراست "الحديث" يراوح مكانه لعقدين من الزمن تقريبا، فحتى سنة 1950م ظلت تمنراست مدينة معزولة ونائية، وكل الطرق المؤدية إليها صعبة وغير معبدة، تستغرق أياما جديدة للوصول إليها بحسب الظروف المناخية أحيانا، ومهارة السائق أحيانا أخرى، ومع ذلك رفرت افتتاح خط جوي بها يربطها بالجزائر، وافتتحت بها مدرسة ابتدائية (سنة 1947م)، ربما لتلبي رغبات أطفال القائلات العسكريين رغم قلتهم أكثر منها لأبناء الأهالي، كما عمل النقيب "فلوريمون Florimond" في سنة 1940م إلى غرس بعض أشجار الطرفاء والصفصاف، لكسر طابع المدينة الصحراوي الأجرد إلى بعض

¹ SHAT., Carton 24H144, Important Rapport du Lieutenant Dumain sur les centres de cultures de l'Ahaggar en 1932.

² Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 40

الخضرة، رغم أن المدينة عرفت انحسارا للمياه الجوفية منذ سنة 1945م، مما أثر على تراجع الفلاحة والغطاء النباتي وخاصة مياه الشرب¹.

إلا أن المدينة ستشهد نوعا من الحراك منذ سنة 1953م لما أصبح اهتمام كل الرأي العام بموارد الصحراء من المحروقات، وبالتالي زادت حدة الاستكشافات الجيولوجية في كامل الصحراء الجزائرية، ولم يكن الأهقار بمعزل عنها، فقد عرف نزول عدة شركات في البحث الجيولوجي (مثل مكتب الأبحاث في الجيولوجيا والتعدين *BRGM*، والشركة العامة للجيوفيزياء *CGG*)، ومحطات فضاء بأجهزة تصوير فوقية، ومحطات للأرصاد الجوية، كما تم فتح مكتب مختص بشؤون البنية التحتية لتلبية حاجيات السكن لعدد التقنيين، وتم تركيب مركزين لتوليد الكهرباء لاستخراج المياه الجوفية، خاصة لتوفير الماء الذي كانت تعاني منه المنطقة، كما عملت مصالح الهندسة المدنية العسكرية على شق الطرق وبناء الجسور لتسهيل مهام شركات التنقيب، وتم فتح مطار آخر وتهيئة عديد المساحات للطوارئ، وتم إصلاح جل الطرق المؤدية للأتاكور والمراكز الفلاحية، وفتحت مراكز صحية، وتحولت المصالح الإدارية العسكرية إلى مدنية وأنشئت بلديتين واحدة خاصة بالرحل وأخرى في تمنراست².

لذلك استلزمت كل هذه النشاطات توفير أعداد كبيرة من اليد العاملة المحلية، الذين سيصبحون أصحاب مهن في (البناء، الميكانيك، سائقين، طبّاخين، حراس...)، ولكن أغلب الذين استفادوا من فرص العمل هذه، هم في العموم من السود المقيمين في تمنراست وضواحيها، أما البدو الرحل لكال أهقار فلم يهتموا بالأمر، ولم يقدرُوا معنى فرصة العمل³ حتى بدأوا يرون سكان تمنراست المقيمين أحسن منهم حالا، يلبسون ثيابا أنيقة، ويأكلون طعاما جيدا، لذلك أدركوا خطأهم وأصبحت مشاركتهم فعالة في هذه الميادين، ففي سنة

¹ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 40

² Idem.

³ حسب "غاست" لا يوجد فعل "يعمل *Travailler*" في لغة التاماهاك، ولا حتى في جميع اللهجات البربرية الأخرى.

Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 41

1961م سجلت مصلحة اليد العاملة لمركز النشاط الاجتماعي بتمنراست وأحصت (من جانفي إلى أكتوبر): 681 من البدو، 250 من أبناء المراكز الفلاحية، 302 من سكان تمنراست، زيادة على تسجيل 144 فردا انضموا لفرق المهاري، ووصلت مصاريف كل عمال الأهقار هؤلاء (من جانفي إلى أكتوبر 1961م) إلى 2.700.000 فرنك (أي 270 مليون فرنك قديم)¹.

ساهمت هذه المكاسب المالية في رفع مستوى معيشة السكان وبدأ شباب كال أهقار يقبلون على الوظيفة وتراجع العمل في تجارة القوافل نحو الجنوب²، وازدهرت تجارة الدكاكين أكثر، واشترى أصحابها شاحنات كبيرة لتوريد السلع وتنويعها أكثر، وانتشرت جميع السلع الغذائية المصنعة (العجائن، الأرز، الكعك، الزيوت النباتية، السمك المعلب،...)، ولكن بقي الشاي والسكر يحتلان الصدارة في سلم المشتريات، وتجب الإشارة أن هذه الفئة من اليد العاملة بقيت مجزأة، فالبدو لم يستقروا وواصلوا حياتهم المألوفة وبالتالي هم عمالة غير دائمة، ونفس الشيء بالنسبة للفلاحين الذين لم يتخلوا عن فلاحتهم، وبقي فقط سكان مدينة تمنراست يمثلون اليد العاملة الحقيقية المتخصصة، ساهمت بشكل كبير في ازدهار تجارة الدكاكين بازدياد نموها طبعاً، لذلك يعتبر العقد الأخير قبل الاستقلال (1950-1962م) مرحلة تجذر الحركة التجارية في تمنراست، التي ساهم فيها خاصة إستثمارات لتجار من خارج تمنراست.

ويبدو أن الانفتاح على العالم الخارجي كان يتم بوتيرة متسارعة رغم تقاليد الطوارق الخاصة وشديدة الحساسية التي بقيت تراوح مكانها، وأصبح الشاي والسكر ضروريان في

¹ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 41

² بفتح ورشات العمل لم يعد الطوارق يحبذون التجارة العابرة للصحراء التي يعمل فيها الفرد لمدة 4 أشهر، فمع 7 جمال يكسب 7 أحمال من الدخن ومنتجات أخرى يمكن أن تقدر بـ 3 أحمال أخرى ليكون مجموع أرباحه تقريبا 1,5 طن من الدخن، ومع أخذ أن 1 كغ = 0,90 فرنك فإن مجموع أرباحه تقدر بحوالي 1350 فرنك، في حين أن طارقي آخر يعمل بجمالين فقط في ورشة طريق يأخذ 8,30 فرنك له و5 فرنك عن كل جمل تدفع له في كامل الأيام (حتى العطل) ليكون مجموع أرباحه خلال أربعة أشهر (122 يوم) هو 2232,60 فرنك، فمإذا لو تم حساب أجر 5 جمال الأخرى، فمع جمل واحد إضافي فقط يمكن أن يحصل في أربع أشهر على 600 فرنك ليكون المجموع الكلي 2832,6 فرنك أي ضعف الأجر المحصل من القافلة. أنظر للمزيد : Régnier J. (Capt.) : « Les salines. Op. Cit., p. 261

حياة الطوارق كالماء، كما أضافت الألبسة الصوفية والجلدية المصنعة تحولا آخر، وربما هذه التحولات جاءت نتيجة تشكل مجتمع مستقر جلب معه بُنى اجتماعية أخرى بدأت تأخذ طريقها لعالم البدو الرحل شيئا فشيئا، مع أن حياة الاستقرار والإقامة هذه لم ترق للطوارق ربما واستقطبت عددا قليلا جدا منهم في البداية¹، وبدا الأمر وكأن هناك مجتمعين مختلفين يسيران جنب، مع أن الأغلبية تنتمي لحياة البدو والترحال، التي بقيت محافظة على امتيازاتها وسلطتها وسط مجتمع طبقي، المرسخة بعمق عاداتها وتقاليدها التي أصبحت بمثابة قوانين (عرفية) لا يجب أن يتعدها أحد، لكن مجتمع المستقرين والمقيمين كان يتطور وينمو سريعا أيضا.

بعد الاستقلال سيعرف مجتمع الأهقار نوعا من التغير في بعض خصوصياته، فالأمنوكال أصبح ممثلا لمجتمع الأهقار في المجلس الشعبي الوطني وفق الديمقراطية الجديدة الناشئة، وأصبح له راتبا شهريا وسقطت بذلك ضريبة "التويسي *Touissé*" التي كانت تدفعها القبائل للأمينوكال، ولكن تمت المحافظة على احترام مكانة الأمنوكال من قبل رؤساء القبائل (الأمغار)، الذين يقدمون له الإتاوات وفق القواعد التقليدية المعروفة تعبيراً للولاء والطاعة، ولم يعد الفلاحون يقدمون مداخيل نصف أو 5/4 المحصول للملاك كما في السابق، واعتبروا أنفسهم مستقلين من أي وصاية عليهم، خاصة منذ أن أقر الأمنوكال"باي أق أخموك" لما تولى قيادة كال أهقار في سنة 1951م، أنه يجب على الفلاح دفع الخمس فقط للمالك إذا استصلح واستغل أرضا جديدة²، عقب الأحداث التي نشبت بين الطرفين.

لذلك بدا أن سمعة واحترام هؤلاء البدو (الإيهقارن النبلاء) وكأنه في تراجع، فالفلاحون تمردوا عليهم وأصبحت عائدات إنتاجهم لهم وحدهم، زيادة على هذا لما هزلت قطعان إبلهم ومات الكثير منها جراء القحط الذي ضرب المنطقة (بداية الستينات)، لم يعد

¹ يذكر غاست أنه في سنة 1956م كان هناك إلا أربعة أو خمسة من عائلات البدو إستقر □، ووصل العدد بحدود المئة في سنة 1966م، أنظر للمزيد: Gast M. : Alimentation. Op. Cit., p. 37

² Némo J. : «Le régime juridique des terres du Hoggar». **T.I.R.S.**, T. XXII, 1963, p. 40

بإمكانهم الاستفادة من قطاع نوقهم الكثيرة في مراعي التامسنة، لأنها لم تعد تابعة سياسيا لأراضي الدولة الجزائرية وإنما لسلطات دولة النيجر، والقبائل التي لم تعد قبل الاستقلال أصبح صعبا عليها الآن الرجوع، مع أن هذه القطعان التي ربما هي المورد الوحيد لبعض القبائل لم تعد كافية مطلقاً¹، وحتى الأعمال التي كان يقوم بها خدمهم تركت لرحيل هؤلاء من المخيمات إلى المدن شيئاً فشيئاً، لذا سار كال أهقار وكأنهم ينهارون على جميع الأصعدة، وأصبحوا عاجزين على مواكبة التطورات الاقتصادية والاجتماعية الحاصلة، وبدا لهم أن بنية المجتمع البدوي الذي منحهم السيادة والشأن والجاه هو إلى زوال اليوم.

لقد زاد من تطور هذه لتحولات الاجتماعية والاقتصادية هو تخلي الشباب عن حياة البداوة والترحال، ودخولهم عالم الشغل في عديد ورشات العمل التي كانت تظهر في المنطقة، ومن بينها ورشات البحث المنجمي الذي شرع فيه مع مطلع الستينات في الأهقار، على الرغم أنها لم تقدم نتيجة مرضية لأن كمية المعادن في هذه المناجم (من "ولفرام Wolfram"، و"لاوني Laouni" بمنطقة "تيت-ن-أنير Tit-n-Enir" 200 كم جنوب غرب تمنراست) كانت متواضعة، ولا تغطي حتى تكاليف إنتاجها زيادة على بعد المسافة، كما تجدر الإشارة أنه ظهر مورد آخر يستقطب اليد العاملة منذ سنة 1959م ويتعلق الأمر بقاعدة التجارب الذرية في "إينكر Iniker"، ففي عام 1964م وظفت ورشتي C.E.A. و C.E.M.O. بمعدل 350 و 750 عامل، وهذه الـ 1100 منصب شغل تمثل نسبة عمالة

¹ واصلت العلاقات التجارية التقليدية بين كال أهقار وبلاد السودان (النيجر) إلى غاية سنة 1977م، أين توقفت التجارة الجهوية أو العابرة للصحراء بشكل نهائي فيما يخص قوافل الجمال. وهذا لتطور النقل عبر الشاحنات الميكانيكية منذ سنة 1970م، ولدعم العلاقات التجارية في المنطقة قامت السلطات المحلية لبلدية تمنراست بتنظيم معرض (سوق) سنوي سمي "الأسيهار Assihar" ويعني "الموعد rendez-vous" بلغة التاماهاك، يفد إليه كل تجار الدول المجاورة في الساحل والصحراء، والذي يتم فيه البيع والشراء بالمقايضة على النمط القديم. أنظر للمزيد: Dida Badi : «La ville de Tamanrasset (Sahara algérien): Lieu d'interactions culturelles des populations saharo-sahéliennes», In *l'Algérie Sociologique : Hommage à Pierre Bourdieu (1930-2002)*, sous la direction de Kamel Chachoua, Travaux de CNRPAH, N° 16, CNRPAH. 2012, pp. 355-368

سنوية من ألفين إلى ثلاثة آلاف عامل، وكان يصل لمدينة تمنراست كل شهر 80 عاملا في إجازة ويعوضهم 80 آخرون¹.

كانت هاتان الورشتان تنفق في أقل تقدير 300.000 دج (30 مليون فرنك قديم) شهريا، هذه المبالغ المالية التي استفاد منها عمال "إينكر"، عوضت أكثر بكثير تلك المبالغ التي كان يحصل عليها العمال في عديد الورشات السابقة التي أغلقت (المناجم والمحروقات خاصة من الفترة 1956-1960م)، وهذه المرة كانت نسبة العمال من البدو الرحل أكبر، ففي سنة 1961م تم تسجيل 775 عامل من البدو في الورشات والمصالح الإدارية، كما هو الحال نفسه بالنسبة للفلاحين على حساب سكان تمنراست، واستفاد سكان عديد الواحات من هذه المداخل، خاصة سكان واحة "تاظروك" التي كان أهلها يعيشون حصريا على مداخل عمال "إينكر"².

لذلك حتى سنة 1966م كانت مداخل عمال إينكر وعائلات تجارة الملح نحو الدرغو، وحدها من تعيل حوالي 6 آلاف من البدو الرحل في الأهقار، في حين كانت طبقة الفلاحين أحسن حالا، فاستقلاليتهم بعائدت الأراضى أراحتهم أكثر، زيادة على الأجور التي حصلوها في العشر سنوات ساعدتهم على التخلص من كل ديونهم السابقة، ومكنتهم من شراء عتاد فلاحي حديث لتسهيل العمل وزيادة الإنتاج³، وبدأت كأنها مطمئنة وراضية بوضعها الآن، فمستوى معيشتها تحسن، وأولادهم يدرسون في المدارس، وهناك من تحصل على وظائف، وأبدت تجاوبا كبيرا مع التغيرات الحديثة في المجتمع، فهم يستمعون للراديو

¹ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 43

² Idem.

³ لقد عان الفلاحون كثيرا في الأهقار، فزيادة لنقص المياه كان هناك نقص للأراضى الفلاحية، حيث كانت زراعة القمح تتم في مساحات صغيرة مربعة (حولي ثلاث أمتار على ثلاثة) مُسبجة، ويتم سقيها كل 8 أيام تقريبا، ورغم عائدها الجيدة حوالي من 20 إلى 30 قنطارا، ولكن تكلفتها عالية، لذلك يباع الكيلوغرام الواحد من القمح بـ 1 دج، في حين يباع في الشمال بـ 0,3 دج (سنة 1966م)، وهو ما يُعرض أحيانا الفلاحين بخسارة أخرى إذا تم جلب قمح الشمال بغرض المنافسة. أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 43

كثيرا، ويدفعون حقوق الانتساب للحزب بانتظام، وبدأت تشكل ما يعرف بالطبقة العاملة المتفتحة على حياة عصرية.

فلقد تولى العديد من الخدم على أسيادهم القدامى بدعم من الإدارة وعناصر الدرك، ليلتحقوا بعمال الورشات التابعة للبلدية وتم إسكانهم في حي "الحفرة"، الذي يضم أيضا عمال الطبقة الحرة للحراطين، وسكن آخرون في بيوت قصديرية على مدخل المدينة (حي إميشون *Imechchouen*) إلى غاية أن تم إسكانهم في سنة 1965م، كما تم إنشاء 14 تعاونية فلاحية في سنة 1967م قدمت تجهيزات لدعم الفلاحة، خاصة مضخات الماء لسقي الأراضي الجديدة في جهة "أديان *Adériane*" و"أمسال *Amsel*" القريبتين من تمارست لتمثل تجربة إجتماعية واقتصادية جديدة، ولتحفيز الناس أكثر أطلق الرئيس "هوارى بومدين" من ورقة عند زيارته للجنوب يوم 24 نوفمبر 1966م، عن مشاريع إنمائية واعدة تشكل فيها الزراعة الأساس، وعلى تعبيد الطريق الممتد من القولية-عين صالح-تمارست، التي تعتبر شريانا جديدا للمنطقة إقتصاديا وسياحيا واستراتيجيا¹.

رغم ذلك ظل إقتصاد الأهقار ضعيفا، فزيادة على عزلته الجغرافية، وأرضه الفقيرة التي لم يتم اكتشاف بها أي مقدرات باطنية من المحروقات، أو معادن كافية لاستغلال مناجم بها، زيادة على أنه لا يتوفر على حركة تجارية مهمة تربطه بمناطق أخرى، مع كثافة سكانية ضعيفة، كلها عوامل زادت من مشاكل التنمية به، ولم تستطع المراكز الفلاحية أن توفر حاجة السكان بشكل كاف، فوحده مركز إدلس كان يعيش سكانه من مداخله فقط لأن أهله يشتغلون به طوال السنة، وليس لهم مداخل شهرية أخرى كباقي فلاحي المراكز الأخرى، وحتى اليد العاملة وجدت نفسها في بطالة بعد غلق ورشات "إينكر" نهاية سنة

¹ بتاريخ 26-29 ماي 1964م اجتمعت لجنة خبراء من أربعة دول المطلة على الصحراء (الجزائر، تونس، مالي، النيجر) بالجزائر، لدراسة وتحديد كيفية استغلال قرض من الأمم المتحدة لدعم المشاريع العابرة للصحراء، وأعلنت اللجنة في دورتها الرابعة في 26 أبريل 1967م في الجزائر، أنه تم تقدير المشروع بـ 480 مليون دينار جزائري. أنظر للمزيد: Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 44

1966م¹، لذلك بدا الخلاص لسلطات الولاية من هذا المأزق الاقتصادي، هو دعم الفلاحة أكثر وتطوير قطاع السياحة بما يستحق من منشآت ومرافق².

لقد شهدت الأوضاع الاقتصادية لدى قبائل كال أهقار تحولات بطيئة لكنها كانت عميقة الأثر، تأثرت بشكل مباشر بالسيطرة الاستعمارية الفرنسية في المنطقة، التي أقبضت سيطرتها على تجارة القوافل التي كانت أحد موارد هذه القبائل من خلال جباية الضرائب على القوافل المارة بها، وهو ما أدى في الوقت نفسه بتراجع عائداتها بتحول طرقها نحو الساحل الجنوبي، كما أنهت مظاهر الغزو والسلب التي كانت تعتمدها هذه القبائل وتلحقها على مخيمات جيرانها البعيدة حتى مطلع القرن 20م، ليلجأ كال أهقار بعدها لدعم النشاط الفلاحي والاهتمام به أكثر، رغم افتقارهم الأراضي الصالحة من جهة وفقدان الماء من جهة أخرى، وهذا بغرض دعم سلع مبادلاتهم فقط مع تجار الجنوب والشمال لا لسد حاجاتهم.

لكن التحولات الأهم كانت مع انتهاء الإدارة الاستعمارية سياسة توطين أكبر عدد من هذه القبائل وجعلها تستقر في المركز الحضري "تمنراست" الذي أنشئ لهذا الأساس، ورغم عدم اهتمام هؤلاء الطوارق به أول الأمر، لكن مع مرور الوقت لما بدأت تتفكك البنية الاجتماعية القديمة لكال أهقار، خاصة من طرف الفئات التي كانت تتقم على هذا النظام الاجتماعي كفئة الفلاحين وفئة العبيد، الذين وجدوا الفرصة ملائمة للتخلص من قيد طبقة الإيهقارن، هذه الأخيرة التي حاولت مرارا أن تبقى بعيدة عن نمط المدينة الجديد، لكن صدمتها كانت قوية في نهاية الخمسينات لما رآته من تميز وتحول اجتماعي طرأ على سكان المدينة، وما تحققه من نجاحات اقتصادية جعلها تسارع الزمن في اللحاق بهذا التحول خاصة مع فترة بداية الاستقلال.

¹ Gast M.: Alimentation. Op. Cit., p. 46

² عقب الجفاف والمجاعة التي مست سنوات 1970-1974م في الأهقار والأجر، ومن أجل إيجاد الحلول للمشاكل السوسيو-اقتصادية البائسة فيهما، أُقِم مع كل المسؤولين الذين زاروا منطقة تمنراست على أن الحل يكمن في تطوير قطاع السياحة ليكون هو محرك النشاطات الأخرى، وكلف مجموعة من السوسيوولوجيين (جامعة بروكسل Bruxelles) من قبل وزارة السياحة بإعداد دراسة حول فرص تطوير وتنمية السياحة في المنطقتين بتعداد سكاني يقارب 30 ألف نسمة. لكن هذا المشروع أصبح أولوية ثانية لما قرر المسؤولون ترقية مدينة تمنراست لتكون عاصمة الولاية في سنة 1975م وما يتبع ذلك من توفير عديد المناصب الإدارية. أنظر للمزيد: Rachid Bellil : «Les Touaregs de l'Ahaggar vus par la presse Algérienne (1971-1978)», **A.A.N.**, 1983, p. 523.

الختمة

أظهرت دراسة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لطوارق كمال أهقار في الفترة الممتدة من سنة 1861م إلى سنة 1962م، وجود تحولات عميقة في البنية الاقتصادية والاجتماعية لهذه القبائل، والتي تأثرت مباشرة بالأوضاع السياسية التي عرفت المنطقة خاصة لما فرض الفرنسيون سلطتهم على الصحراء الكبرى الإفريقية مع مطلع القرن العشرين، وذلك من التحول من النظام التقليدي القائم على البداوة والترحال إلى نظام شبه عصري قائم على الاستقرار وعمران المدينة، في سيرورة زمنية تزيد على نصف قرن والتي يمكن رصدها في النقاط التالية:

- إقتصرت موارد كمال أهقار الاقتصادية قبل القرن 20م على ما تجود به تربية المواشي من إبل وماعز، وبعض إتاوات القوافل العابرة للصحراء المارة بإقليمهم على ندرتها أيضا.
- أثرت حياة الصراع التي كان يعيشها طوارق الأهقار فيما بين قبائله على السلطة من جهة، ثم مع جيرانهم من طوارق كمال آجر بالخصوص على عائدات التجارة العابرة للصحراء من جهة أخرى، وسببت عدم وجود الاستقرار والأمن الضروريان لتطور أي مجتمع في بنيته الاقتصادية، وأبقى فقط على نمط إقتصاد الحرب.
- لم يساعد مناخ إقليم الأهقار الصحراوي والشاسع جدا، على توفر أراضي صالحة للزراعة زيادة على افتقارهم للمياه أيضا، على تشجيع كمال أهقار لامتهان فلاحية الأرض والبستنة مما زاد في ضعف قيمة الإقليم الاقتصادية. وقدرت مساحة الأراضي الزراعية والقابلة للاستصلاح في هذا الإقليم بحدود 500 هكتار فقط.
- العامل الاقتصادي هو الذي كان وراء تعيين شخصية المرابط "الحاج أحمد" أمينوكالا على الأهقار رغم كونه أجنبيا عن الأهقار، لكن يعود له الفضل أيضا في بعث أولى محاولات الزراعة مع العبيد المحررين، ثم مع فلاحي التديكلت وتوات المتمرسين الذي

- استنجد بهم وسمح لهم بالعمل والاستقرار في الأهقار وفق نظام الخماسة في العقود الأخيرة للقرن 19م.
- سيطرة الفرنسيين على المراكز التجارية في الشمال والجنوب هو ما دعى كمال أهقار إلى تشكيل قوافلهم الخاصة مع مطلع القرن 20م، بعد أن فقدوا ضريبة مرور القوافل وعائدات الحماية لصالح الفرنسيين، وشرعوا في استغلال مادة الملح لأول مرة كسلعة للمبادلة بحبوب الدخن في بلاد السودان، والتي ستتطور أكثر في نصف قرن كمورد بديل لكال أهقار بحجم مبادلات زاد عن 6 مليون فرنك.
 - ساعد نظام الخماسة كمال أهقار في ازدهار فلاحه الأرض التي احتكرتها طبقة الإيزقاغن، وزادت عن 22 مركزا فلاحيا حيث أصبحت عائداتها من القمح والشعير تستعمل كسلعة للمبادلة بسلعة تمر التديكلت وتوات الضروري في طعام كمال أهقار، لأن هذا النظام غير مكلف ومطمئن في نفس الوقت من جهة ملكية الأرض.
 - كان لاستقرار الفرق العسكرية الصحراوية للتديكلت بالأهقار (ترهاوهاوت، تمنراست) مطلع القرن العشرين، العامل المباشر في دفع حياة الاستقرار وإنشاء اقتصاد المدينة من خلال فتح الحوانيت واستعمال النقود، التي أصبح يحصل عليها الطوارق ببيع منتوجاتهم الغذائية والحيوانية لهذه المراكز الفرنسية، ويشترون بهذه النقود حاجياتهم الضرورية من هذه الحوانيت.
 - عمل الفرنسيون من خلال هذه المراكز العسكرية على تحويل نمط حياة كمال أهقار من البداوة والترحال إلى المدنية والاستقرار، وذلك من خلال التأثير على البنية الاجتماعية بالقضاء على النظام الطبقي تدريجيا، ودعم الوافدين من خارج الأهقار بالاستقرار فيه لتكوين مجتمع مستقر يجذب إليه قبائل الأهقار شيئا فشيئا مع الزمن، خاصة من قبائل الأتباع التي ركز عليها كثيرا وأهمها قبائل "داق غالي" الأكثر تملكا للأراضي.

- تأثر مجتمع كال أهقار بالسياسة الفرنسية في دعم السكان من خارج الأهقار خاصة من التديكلت وتوات، ثم لسياسة تحريض العبيد على ترك أسيادهم والالتحاق بفرق المهاري أو الورشات التي فتحت في تمارست، ثم للحقوق التي أستقادت منها طبقة الفلاحيين الإزقاغن بالقضاء على نظام الخمس إلى نصف أو إلى 5/4 المنتج، بل وصل الأمر إلى تملكهم للأراضي في منتصف القرن 20م بموافقة الأمنوكال الخاضع والمعين من طرف الفرنسيين.
- بدأ مجتمع كال أهقار في التفكك ويفقد بنيته الطبقية التي كان عليها نظير هذه السياسة، وظهر مجتمعان يسيران جنبا إلى جنب، مجتمع البدو الرحل للطوارق التقليديين من الأشراف المحاربين، ومجتمع من المستقرين سواء من الأجانب أو الفلاحين والعبيد المحررين، والذي جذب إليه الكثير من أفراد المجتمع الأول الذين أصبحت تستهويهم حياة المدينة، خاصة من الشباب الباحثين عن العمل في الفرق العسكرية أو الورشات التي فتحت فيما بعد.
- تشكلت البنية الاجتماعية لمدينة تمارست منذ عشرينات القرن 20م بتنوع الأجناس والأعراق، فنجد سكان من منطقة التديكلت وتوات خاصة قبائل أهل عزي والمرابطين، الذين لهم أهالي يشتغلون بالفلاحة في الأهقار، إضافة لتجار من منقطة المزاب والقولية، ومجموعات من الشعانبة والصبايحية، الذين كانوا ضمن فرق المهاري لمركز التديكلت والأهقار وفضلوا المكوث في الأهقار بعدها، إضافة لمجموعات العبيد التي حررتهم السلطات الفرنسية من أسيادهم، مع وجود حتى مستوطنين فرنسيين فضلوا البقاء في الأهقار بعد حصولهم على التقاعد من الخدمة العسكرية، ثم استقطبت هذه المدينة الطوارق شيئا فشيئا ليقدر عدد المقيمين بها مع بداية الاستقلال بحوالي 10 آلاف نسمة.

- أصبحت حياة الرفاه والنظام والدخل الثابت وسهولة العيش في المدينة، محل اهتمام طوارق البدو الرحل الذين رأوا أنفسهم أن الزمن بدأ يتجاوزهم وبأنهم قريبون من هامش الحياة، فالاقتصاد والسياسة يتجهان إلى المدينة من خلال فتح الدكاكين ومحلات الحرف والمؤسسات والورشات والمدارس والإدارات، في مقابل انحسار مواردهم من التجارة أو تربية الماشية، خاصة لما عرفت نشوء الدول الوطنية بعد الاستقلال، وفقدانهم لأعداد هائلة من إبلهم في إقليم التامسنة بالنيجر وإقليم الأداغ بمالي التي كانت تابعة كلها للحكم الفرنسي سابقا.
- بعد الاستقلال فقد طوارق كال أهقار العديد من قبائلها التي كانت تنتجع بمواشيها في منطقة الأدرار إيفوغاس، وأهمها من قبائل الإيفوغاس وبعض طوارق التايطوق الذين نزلوا فيما بعد حتى تادمكة (مناكا)، كما هو حال القبائل التي كانت تنتجع مواشيها في إقليم التامسنة بالنيجر حاليا مثل قبائل الإيرجناتن المنحدرة من الإيبوتناتن، وكذلك معظم قبائل التايطوق التي استقرت في الآبير.
- ظل العامل النفسي لأشراف كال أهقار على الأقل هو الذي يمنعهم من قبول فكرة الاستقرار في المدينة، فمخيال الرجل الأرسقراطي ظل جاثما على فكرهم بعدم التساوي حتى مع أتباعهم فكيف مع من كانوا عبيدهم، ولو أن الشباب المتعلم بدأ يتجاوز هذه العقدة شيئا فشيئا بمرور الزمن، وبدأت فئة البدو الرحل تتآكل وتنقص لصالح فئة المستقرين والمقيمين.
- كانت حياة الإقامة والاستقرار في المدن تتزايد فترة بعد فترة على حساب البداوة والترحال في مجتمع كال أهقار، لكنها توقفت قليلا بعد النصف الثاني للقرن 20م لما بدأت تعرف هذه المدن انتشار البطالة بغلق المؤسسات وعدم فتح أخرى لتوفير وظائف والحصول على دخل للأفراد، خاصة في فترة الاستقلال الأولى على الأقل،

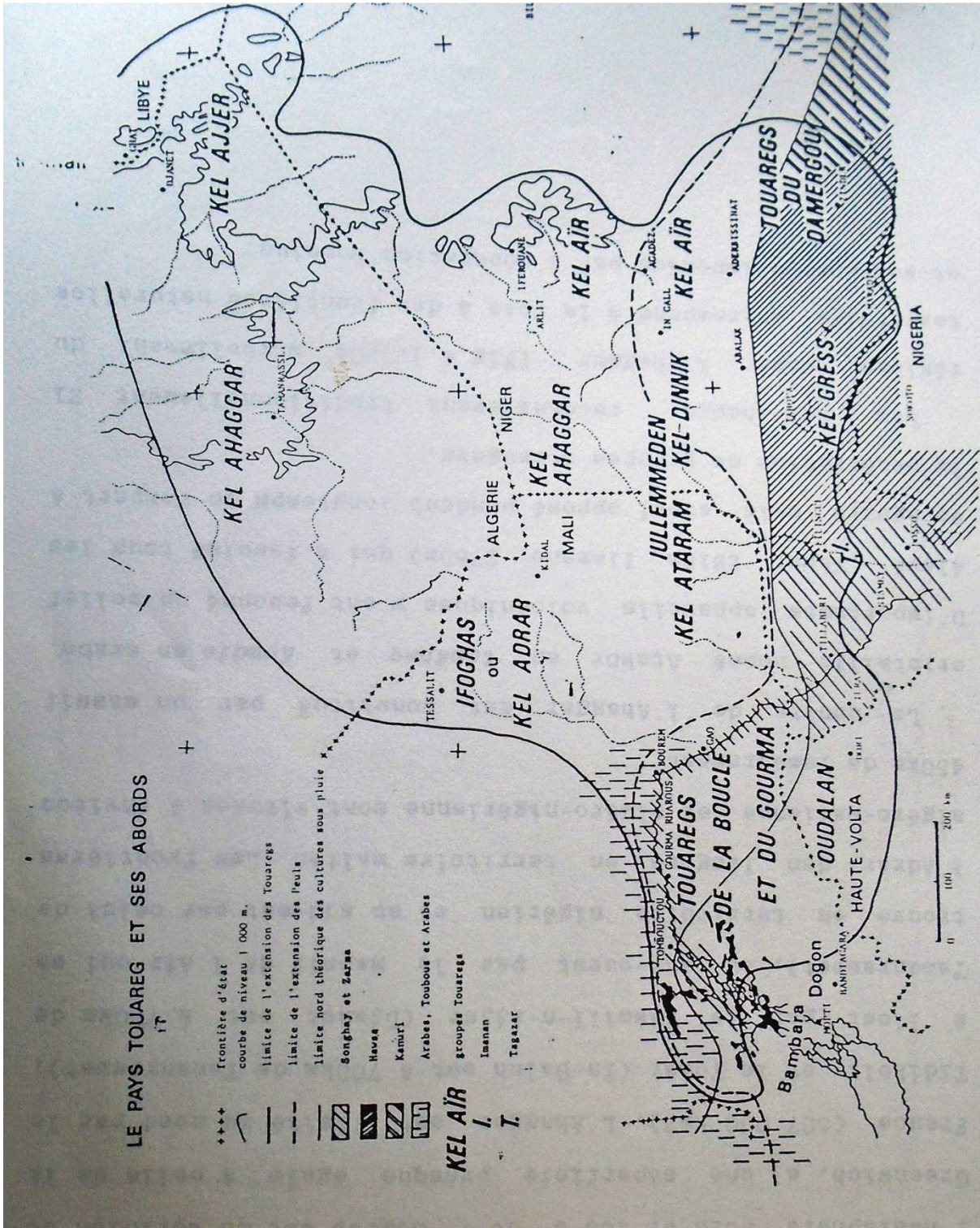
وهو ما استوجب البحث عن مشاريع أخرى لدعم إقتصاد هذه المنطقة الفقيرة الموارد سواء الطبيعية منها أو الطاقوية في باطن الأرض.

- مساهمة الاستعمار الفرنسي في توطين واستقرار كمال أهقار بعض الشيء، لم يكن بغرض توفير حياة أفضل من أجل هذه القبائل في عمق الصحراء، وإنما كان بدافع التحكم أكثر في هذه القبائل الثائرة بخلخلة بنيتها الاجتماعية، وتهميش سلطة الأشراف الإيهقارن لصالح سلطة إدارتها، في نوع من الحقد عليهم، والتي تظهر في عديد كتاباتهم وتقاريرهم في أن يبقى هؤلاء مجرد فلكلور يتمتع بمشاهدته زوار الصحراء.

- عملت السلطات الجزائرية بعد الاستقلال على دعم سياسة التوطين والاستقرار هذه بفتح عديد المؤسسات والشركات وشق الطرقات وبناء المدارس، وإبرام الاتفاقيات التجارية والاقتصادية مع كل دول الجوار، لتنشيط التجارة والاقتصاد وفق ما تمليه ظروف هذه المناطق، كما قامت بتدعيم السياحة في المنطقة التي أصبح يستفيد منها أكثر هؤلاء الطوارق بإظهار عاداتهم وتقاليدهم الضاربة في عمق التاريخ كمكون أساسي في تنوع الثقافة الجزائرية وليس مجرد فلكلور كما كان يخطط الإستعمار، وفي نفس الوقت عمل هؤلاء الطوارق على تجاوز عقدهم القديمة حتى يتسنى لهم الإنسجام في نسيج المجتمع الواحد المتعدد.

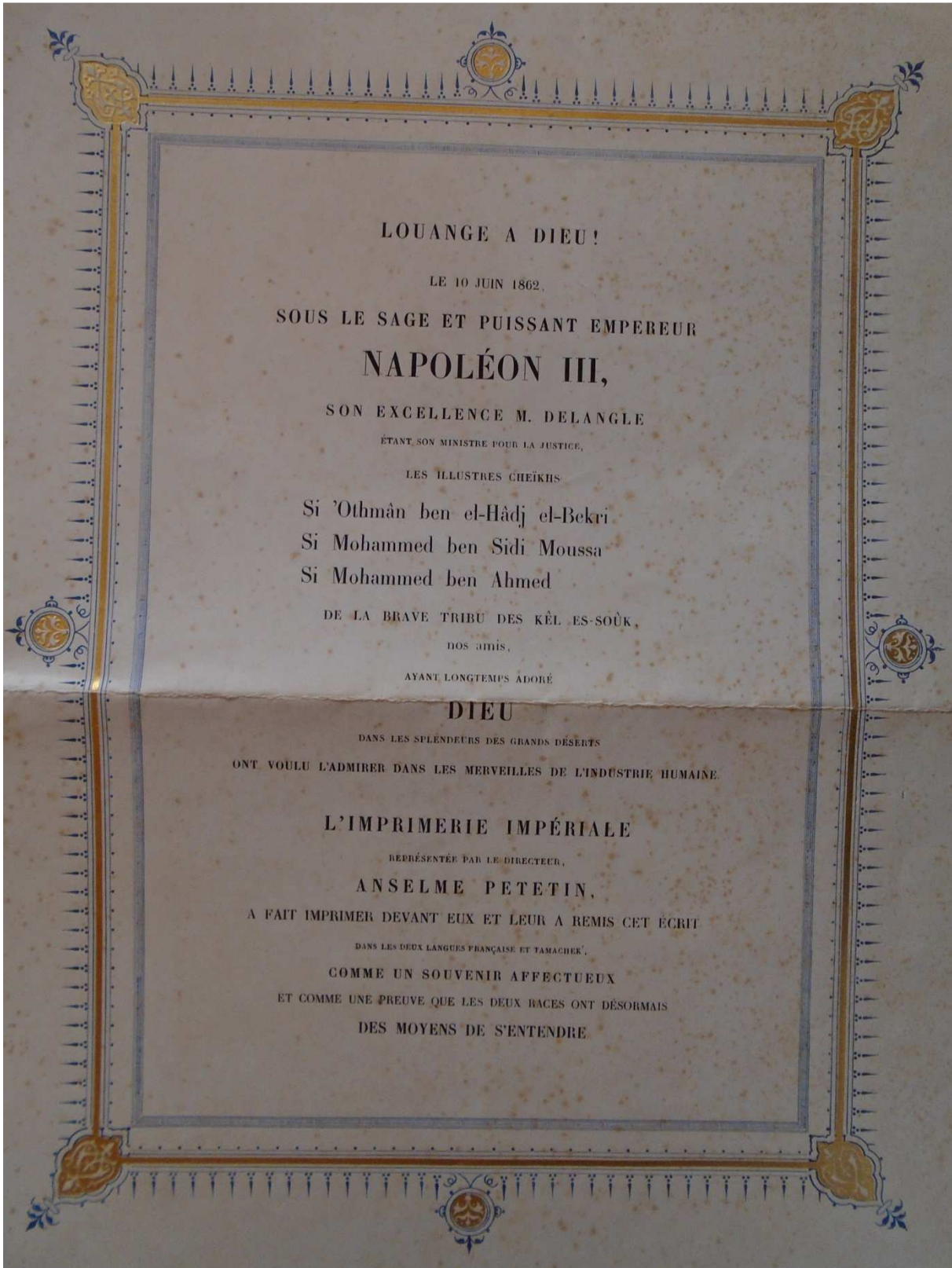
قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: خارطة توزع قبائل الطوارق في الصحراء الوسطى لإفريقيا.



المصدر: Edmond Bernus : **Touaregs Nigériens**, Unité culturelle et diversité régionale d'un peuple pasteur. Ed. ORSTOM, Paris, 1981, p. 7

الملحق رقم 03: شهادة شرفية من نابليون الثالث للشيخ عثمان




المصدر: ANOM, Carton 22H26

الملحق رقم 05: رسالة ثانية من الوالي العام للجزائر (راندون) إلى ملك الماسينا أحمدو الثالث.

الحمد لله وحده

ولامعونه وسواه




حفظه الله بيمينه وعم بيمينه ستره العالی بالله السلطان المعظم السيد حميد بن
 السيد احمد لياح الله عز وجل آمين وبعد من به السلام عليك والرحمة والبركة اما بعد كيف
 انت وكيفية احوال المرصية في هذه الساعة المباركة التي قل شرها وكثير خيرها
 الله يطومها علينا وعليكم والبراء الذي نعليك به خير ان شاء الله على سبب بعثنا لك
 جوابا مع الشرف والرياء الحاج محمد احمد وحيطاطا عايبا عند اخوتنا في جنسنا مع
 ثلاثه ناس نصارى انقلين واجتمع مع السيد البكاي وانما رسولنا اليك لاجل
 تحبان يكون الخير بيننا في البيع والشرا وتكون الشرا في جوارنا جميعا ومناسبتهم
 انما نريد سلعتكم قدام الينا وسلعتنا قدام اليكم وترغبوا انتم في العادة التي
 بينكم وبين التوارق في الاخوة والعصم فقبلها كذا مثل الشيخ محمد والذ القفاري
 والشيخ النيع وطاعة ما يصلح لك لاجل ان تعرف ان عندنا الهنالك الهنالك الهنالك
 من بينه من اب الى الجزائر هو الثلث اربعة الذهب على راسه لا يهبط احد واسئل على
 ذلك ولكن تحبان تبعت لنا ناس من جنسنا يتكلم معهم وتكون الامور على الاصح
 ويكونوا خضوعا اليه بيننا على جميع ما يكون فيه صلاحنا وصلاحكم وجميع ما
 تستحقونه ويذكره اللسان من عندنا ياتي اليكم واذا ظهر لك نعل البيع والشرا
 في بينه الاغوا لاجل الفرب اليكم يكون في ذلك الخير واذا ظهر لك نسل تجارا الى
 تنبكتوا وانتم ترسلوا تجارا كم الى الجزائر ويكون في ذلك الصواب فلما تبعت لنا
 ناس من طم بكم لنعفة وامعهم العفة الصحيح على امر التجارة تكون بيدهم جواب
 بطابعكم جو الله ثم والله ما نبعول الا الخير والعافية والبيع والشرا ان مملكتنا واسعة
 وكبانا الله عن كل صمم وما مملكتنا الله افلح الجزائر لاجل صيانة بيتنا ووفورنا
 على الحق تركنا كل واحد في دينه واكر منا البراهين وعزيناهم وكل حاجة باقية
 على حالها كالجوامع والمساجد وجميع ما يناسب امور المسلمين ولا تشوب
 من ان شاء الله الاماير فيك ويسرط وعليك السلام التام كتب بامر سعادة
 المعظم الاربع الجنرال راندون سلطان مملكة الجزائر في اول شهر محرم سنة 1280هـ

Pour le Gouverneur general
 et par son ordre.
 Le Lt. Colonel Chef du Bureau politique
 G. D. R.

وتبلغت بانى قد بعثت لك
 حكمة الموزين بركة وزينة جميلة
 العلية هدية لك

الملحق رقم 06: رسالة أولى من الوالي العام للجزائر (راندون) إلى ملك الماسينا أحمدو الثالث

الحمد لله وحده
ولامعبوء سواه



الى السيد الذي اشرفت بشعاع الشمس شهانها وار تجعت بالعزيز والمجد فخارها
مقام البرع السلطان الاعظم الارجع السيد احمد بن السلطان الاعظم احمد
ليت نصرك الله واعانك السلام عليا والرحمة الله اياها امانه
ما عرفنا بك الا افعالكم الحميدة وفلوبكم الحميدة وان النام كلهم يذكر ونكم
بالخير واتم اهل اليه وزعت محبتكم في قلوبنا بلا جلاء لك واننا نجعل البيع
والشرايينا وينكم كما جعلناه من مدة فديمة مع سلطان تونس وكما بلس
وسلطان الغرب وكافة سلاطين المسلمين تاتيكم سلعتنا وتاتينا سلعتكم
ويكون الاخف والعظم بيننا على وجه المحبة والصبر وبشروط معينة
على حسب العوايه بلا شط ان الرعية تنا انزل لنا الرخ والهناء وسع الحال
وانت ماشاء الله في عقل وجمع وسياسة ولا تخفي على حمرط السعيدة
المصابا الحميدة التي تنتج من تلك الحال فتر لنا الجواب بها بعد الشريب
لنعرفوا مقالنا في الشروك وغيره فنطلب من الله ان يلمد على التوفيق
ويكون لنا في زيادة عز ورفعة واستحرام عند كافة الجنود والسلام
كتب بامر سعاده المعظم الارجع الانبع حرة الجنرال رانن وزسلطان
مملكة الجزائر امنه الله ونعمه امين في اول شهر محرم ١٢٧١ م

Pour le Gouverneur Général
 en son ordre
 Le Colonel Chef du Bureau politique
 Ledenonney

ونبغدا نعم السيد الذي اشرفت على
 مملكة الموريتانية وزينة جميلة
 هدية لك

الملحق رقم 07: رسالة من الوالي العام للجزائر إلى سلطان طوارق الإيولمدن

ولا معبود سواة

الحمد لله وحده



محمد بن كلوة شيخ اولمدن

بن
الى احبابنا الشيخ محمد بن كلوة والشيخ النبيغ السلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركته كيف انتم وكيف احوالكم المرضية جعلها الله علي حسب
مراءكم اما بعد اننا اردنا بحببتكم ومعرفتكم والبيع والشرايع نواحيكم
وتكون علينا العادة المعلومة ببلادكم وترفضوا التجارنا وتجاركم
المزارق ليفع الامن والامان على الصراف المراء في ملافتكم والمتطالبة
معكم ليوقع التوفيق التام بيننا ولا فيكم بالعز والشان كما هي عادة
الملوط فده سمعنا بكم انكم اهل كلمة صحيحة وعهه جميل وتفرح
فلوينا بحببتكم والان تبعثوا لنا ناس من عندكم ليوقع الاتفاق بيننا
وبينكم وتبلحوا وترحوا في جرتنا ولا يخفواكم ان ثلث المسافة التي بيننا
وبينكم عمت فيها العاقبة من نبي مزاب الى الجزائر ارض الذهب على
راسها لا يتعرض لها احد وتخبركم ان الشعائبة كانوا في السابق خايين
منا لانهم ما كانوا يعرفوا حالنا وحين وصلوا الينا وعرفونا جرحوا
غاية البرح بنا وتراهم الخين ومهنيين وكبرنا منهم ناس واما في امر
الايديان نترط كل واحد على دينه ولا نبغوا الا الخير والهدا والعاقبة
لجميع العباء وحين ترفع الملافة بيننا يكون ان شاء الله ما تحبوه ويسركم
والسلام كتب بامر سعادة المعظم السيد الطلون في فجو خليفة
حضرة الاعظم الازرع الانفع الجنرال رانفون سلطان مملطة الجزائر
في اواخر محرم سنة ١٢٧١

مؤيد بن عبد الرحمن بن زروق شيخ
محمد بن كلوة والشيخ النبيغ

Alger le 29 octobre 1854
Le Délégué Chef du Bureau politique
Edouard...

الملحق رقم 08: رسالة رد من أمينوكال الأهقار الحاج أحمد للوالي العام للجزائر (بيليسي)

الحمد لله وحده وجل جلاله وعز كبرياءه وصلى الله على سيدنا
 محمد نبيه ورسوله من المكرم الشيخ سيده الحاج احمد بن المرحوم
 السيد الحاج البكر شيخ اتوارفا هكار النازل منزلة
 خاله الشيخ يونس و ابي خالته الشيخ يونس الملقب
 شتا غل بن الشيخ بسك الي سلطان الجزائر المسم
 قارشان بلوس السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته
 عليك انت الذي كنهت لنا منك العبة قبل المعاينة وقد ورد
 علينا ما كرمكم اخينا السيد عثمان وبيده اجودتكم مع الهدية وهي
 الكبوسية ستة وجوه المذهب والمفكنا وكل واحد مفكوش
 عليه صاحبه من عند السلطان بليون الثالث سلطان الجزائر
 كآفة واسرنا ذلك واستبدنا ما مولكم فيه من العاكمة بنتاج واسبال
 الكروف وهذا امر غريب ومهم وصلح ولا افول لكم فيه لا ولا انعم
 بانه اذا قلت لا قسم عداوة واننا حاشا ان يكون عندنا لعبد الله
 الا الخير ولا نشتري احد عنده الا من واصلت به ومع هذا ما نحن
 اهل المسبب ولا علينا كريف اية للسواد يرعان السودان الغرب
 اية تنبكتنا على اتوات والسودان القبلي على غات وجزائر هادون
 الطروف المعده وديروا نتم ناس ابعاد وامرهم ثقيل وعظموكم
 مضبوكة وحالكم ضيق واحنا ما نحن محصورين في بلاد واحد مرة بارضنا
 ومرة بغيرها ولنا الطراب فاسديق ينسب اليها عبيهم علينا وحكمهم
 خلا لنا الا الوسع ليكثر لمشاخي واذا قلت نعم لم نفعه نستعمل الخليل
 وعبيهم اما العيب فكذب على نفسه وكذب على الغير واما
 الحف ا لوجا بالعهد كما امر الله به ومنفعة للرجال لفلته
 وهذا حق ما عذر والسلام وجزاكم الله خيرا على ما جعلتم في اخينا
 من الاحسان والسلم بتاريخ شهر الله رمضان عام تسلا وسبعين
 بعد المائتين والف عبيد ربه الطالب تادم بن عبد الله بن محمد بن
 احمد العزاوني خاتمة الحف

الملحق رقم 09: رسالة من الشيخ عثمان للقائدين الفرنسيين ميرشر وبولينياك

الحمد لله وحده ولا يده وملا ملكه والملاحة والسلام ^{على} من لا نبي بعده
ثم الكتاب مؤلفه عبد ربه عثمان بن البركة السيد الحاج البكوة المتروك
الذي حضرة المكرمين الأجناء الذين جارات العجبة والمعرفة مع الأندلس منهم
البيدك سعدت الكماريات مرثرو سعدت الفبطان بلنيك
أبنة الأيزليله مدينة انزابرة الأولة والسلام عليكم ورحمة تعالى
وبركاته فأما بعد التسلام وان كنتم علينا بالسؤال كما فسدال عنكم
فاننا نغير انما كنتم بده وتعلم ان الاحوال يتغير والافعال وانا اعهد لكم
ان ياتكم الاوجاب من اعين هكار الكتابينع اليهم الوجاب للعدم
السابق ووفقة عليهم معاينة بعد ما كانوا متبرفون وحيت
بهم حتى يجتمعوا علي ومكنوا بي اوجاب من عندهم اليكم كما
عاهدتكم والله امر به فاء العهد ولا يتهدوا من ثيوالا الخيار
والله لا يحب الخائنين وبعدت الوجبات الي ان واصلوا الفصر
ولا اجم من يوصلهم اليكم وانا بنفسه تعدر علي الحاج بالعرض
وتغيره من احوال النجس التي لا بد منهم واليوم مكنتهم من اجل صلافة
ما موم وهو الحاج محمد بكر بن كرتية فتم توقيتهم معه في بلاد غير اتصال
يمكنهم للفايد في بلاد غرداية في شهر الله شعبان عام سنة ثمانين و...
بعد الفاتين والى عبيد ربه فاجم بر عجة الله بن محمد بر احمية
ناحية كمين اتصال.

المصدر: ANOM, Carton 22H26

الملحق رقم 10: رسالة الشيخ محمد العروسي التيجاني إلى أمينوكال الأهقار.

الحمد لله
 وحلى الله على سيدنا محمد وسلم

اشهد الله اوقات الاجل العاقل الصبر ولا وقافة
 جماعتكم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وابراز
 وادفامه وبعد المسؤال منا عن الزكية احوالكم ادامها
 الله في الهنا وادفافية وهادنا وحبنا نحوكم السير في يامه
 ليجدد الوعد بكم ويعرف بكم محبتنا لكم وادفاد في جلب
 الخير وادفافية لكم وتماز ذلك اجتماعتنا بكم ونرجوا
 منكم تتعرفوا على رجال غفلة ترسلوهم لنا لينظر والى
 الوطن وما فيه من المصلحة لكم فصورنا اناس الواد
 حيوتكم وحيوا فحالكتم لتتم ادفافية بكم وبنيتهم ودرعوا
 صدق محبتنا بكم باخبار الودع السير عبر السبع واخوانه
 والسير التبير واخوافه وعلني هذا الوجه نستنوا
 ميعادكم ونرجعوا بهم كما يرجعنا باخوانهم فيلسم وجميع
 ما نجدنا من المحبة اما فيد عن فيوكم بها اخوانكم المذكورين
 وفد ومنهم ريدنا مع السير في يامه حامل الخراب واوصينا
 لكم على ان يسهل لكم الامر في نحونا هذا ما عليه
 الامل والسلاحة من الداعية لكم في خبر اذار في المكتوب
 عن اذنه السير محمد الامروسي جل السير محمد الدير
 الجاني في سؤال

الملحق رقم 11: رسالة استنجد الإيفوغاس بالفرنسيين ضد الباشا العثماني 22 ديسمبر 1893م

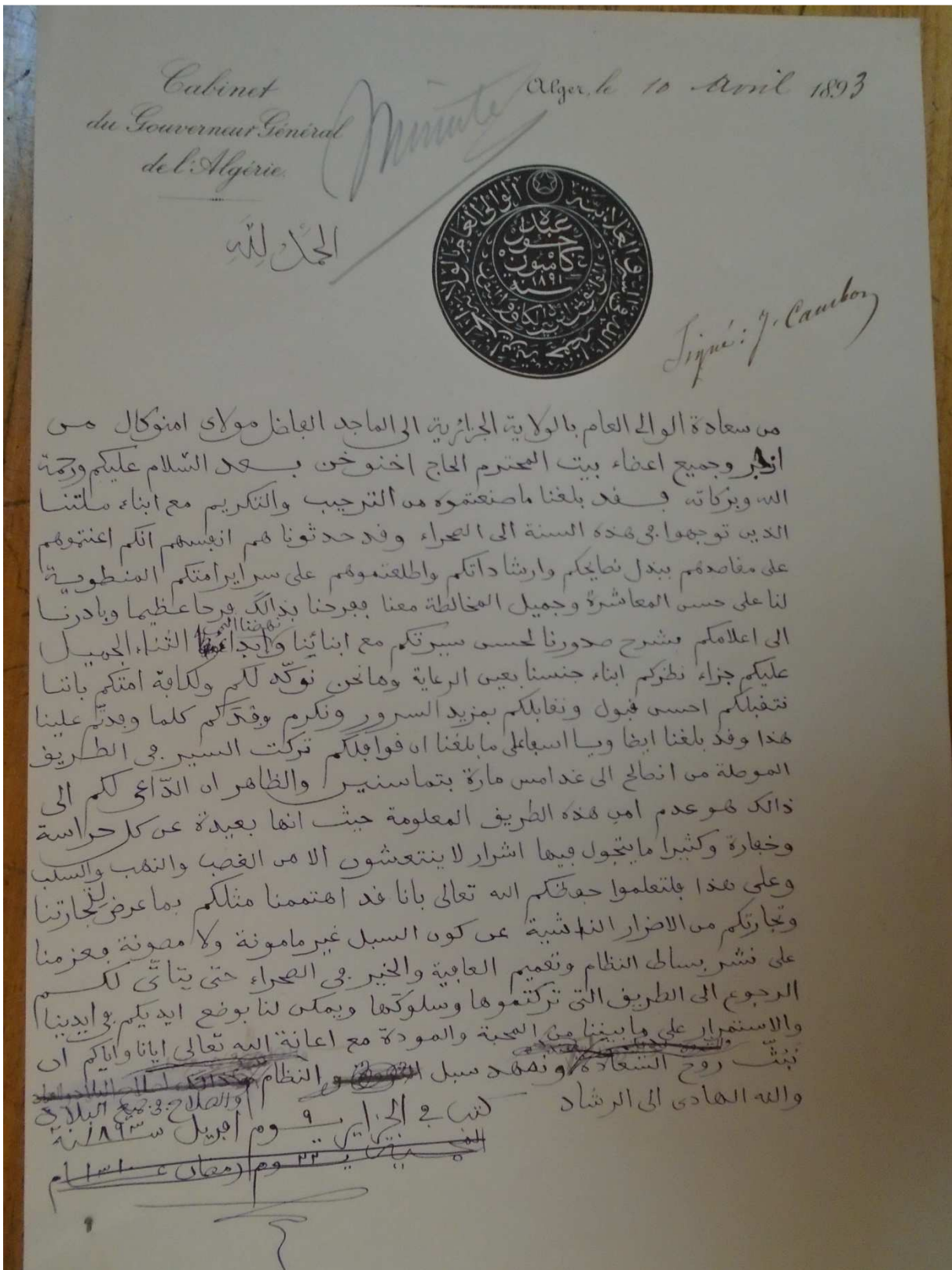
الحمد لله

وهد

إلى صاحب الفذ والحكم السيد الجنرال الحاكم افسطحييتنا وما يليها منى
 الحكمان مثل تفرق والواد السلام عليك ورحمت الله وبركاته وبعد حيث أنك
 تكرمنا علينا بانجاعتك وبعانتك فبما نأمن بك بالمصيبة التي وقعت لنا بنواحي
 انعامسروها نأمن بك ما وقع لنا من ناس من ان من فتك الرجال واخذك بلوشيب
 البيوت والكله في عن شنا اهل بغاس وبعض الانجار من مغساتي وكما يطلب منك
 اناس بغاس الذين ارسلونا واكلونا الاستجار بك في الاعانة على الوفوي على ترجيع البيل
 وتكلم عليها الدولة العرانية السلطان احسنبول لأنهم راعيته وهما عرش
 الحكمان والزوايد والمعنى يروا ولد بسيف وحيثما وقع لنا هذه النصير كنادا الكيزر في غدا
 في بلاد السلطان احسنبول ومؤمنين لأجل البلاد المذكورة حاكمها محمد الأرباس هو
 الباشا شايب السلطان عزنا من جيقتنا الامان او هو مغسور بنفسه نطلب من قدرتم العالي
 تذلوا جهودكم في تجميع بيلنا من عند الدولة العثمانية وتعاقب الدولة العثمانية اصحاب
 الغازية الذين نهضونا وادوا لنا خيامنا وجميع ما يقيم من ثلثا وتروا العيلة في الارض مكرمين
 بها نأمن رجوع الدولة العرانية تقبل منا هذه الكلمة التي هو على الصواب وتعاوننا
 فيها الانا مستجارين بها لتكون في عوننا اما بشي جيع زفنا بنفسه او عو كره من الذي غزوا
 علينا هذه اما نطلب منك وهانا ارسلنا اليك داخل جوانبا هذه اجريه كامين فيها اسماء ناس
 بغاس المصابين وما يتبعهم من ايقساتي وعدد الابل التي خذت لهم جملة والاسلام
 من المقدم عبد النبي بن اخيل الجغاسي وعنده بول بغاسي وشهاوي الجغاسي والمالي محمد
 بنباية على اعراشنا
 ردة الك ج ١٦
 جمادى الثاني سنة ١٢١٤

ص بيج عبيد النبي بر علي الجغاسي
 + ص بيج هنج بور الجغاسي
 + ص بيج بشملو الجغاسي
 حريمه الكالي محمد
 الجغاسي
 ٢٢٢

الملحق رقم 12: رسالة الحاكم العام للجزائر "جول كامبون" إلى مولاي أمينوكال كال أزر



المصدر: ANOM, Carton 22H28

الملحق رقم 13: رد الجنرال "دولا روك" على رسالة الاستغاثة لـ "فاطمة بنت الشيخ عثمان"

الحمد لله

الملى الحرة الجليلية حائزة السيادة والادب ورافعة الاصل والنسب المحظمة
 واطمة بنت المرحوم الشيخ عثمان حبيبنا كان السلام عليك مع التحيات ما حد
 العبد الله الذي احيا الانفس بالانفس من فرائس العبيث اصل بعد فديغند
 كتابك وفراناه وطمنا مضمونه وبرحنا ما استفدنا منه من انك لازلت متذكرة
 من عاشر والدك الشهير واحببنا له العظيم كما اسرنا ما رايناك منك من رجع
 امرك الينا عند العسرة والحجواب ان لنا لاهل الشيخ عثمان العلفة التامة
 والصحة الخالصة تراننا لا نساك ولا ننسى من يتخلف بك والحال ما اذنت
 الدولة البرنسلوية لناس يهوغاس الذين اتوا الينا طلبيننا بعد ما اصلهم
 الدهر بالنزول في وطنهم الا اكرامنا لذكر الشيخ عثمان ومودة لاعفاه ولكن ارشدك
 المولى ابعدت عن الصواب يا ايها الحرة الجليلية حيث اردت الانتقام من اعدائك
 ولولا انك الشيوخ المكرم في بيد الحياة لا شك انه لا يوافقك في هذا الرأي لان حرام
 صار باذن الله والامور كلها له يفعل في عبادة كما يشاء واما ما كان من الغدرة
 عند روكم حقا وضاف خاطرا من ذلك كما ضاف خواطركم غير اننا لا نوافقك فيما
 اردته من اخذ النار من عندكم ولا نعاونكم على اعدائكم ابدا وما اولاني رب
 العالمين على لاد فسنطينة وصحرائها من ثقت والسوب لنطلق فيها نار الحرب
 والبساد بل جعلني في ارضه لتفيم بالصلح ولنعمل الخير بيني خلايفه حتى نصير
 العداوة عدفا بيني والناس بحوله وفوته ولا يسكنك اليوم ان تاخذي النار من احدتك
 لانك لا تقدر على ذلك واذ سمعت في ذلك ما ينتج من فيامك الا الدهر ويكثر عدد
 اعدائكم ويصيبكم زيادة البلايا والشدايد والواشل والصواب هو ان تفوضي
 امرك للدولة المنصوية والدولة لا تعجز عنكم وتوصلكم الى حكمكم والصبر خير لكم والبرج
 قريب ولنزومك ان توهمي اناسك على المهل الى اليوم المبارك الذي تنالوا فيه العرج
 حيث قال رساله صلى الله عليه وسلم النصر من الله والفتح قريب هذا ما منا
 اليك وكوفي متحفنة ان لا يعاونك رجل من رجال رعيتي ابدا فيما اردته من اخذ نار
 اعدائكم ولا فيما فصدته من الهجوم على من فهدكم ووجعكم لان الدواء من عند الله
 تعالى وهو الشافي على كل داء ودمت كما رمت في امان الله وامنه والسلاح من كتب
 عن اذنه سعادة السيد الجنرال دولا روك حاكم ايبالة فسنطينة وصحرائها بتاريخ جوان
 ١٨٩٤ سنة الصواف لليوم الثامن من شهر محرم ١٣١٤ هـ

د. روك

المصدر: ANOM, Carton 22H29

الملحق رقم 14: جدول إحصاء الأراضي الصالحة للزراعة في الهقار (بالهكتار):

أراضي قابلة للإستصلاح		الأراضي البور		الأراضي المزروعة		المركز الفلاحي
أر	هكتار	أر	هكتار	أر	هكتار	
35	15	25	6	68	20	حصن موتيلنسكي (ترهاو هاوت)
50	1			00	4	إن ديلاق
00	1			20	5	تاهيفات
96	4					تين تارا بين
71	17	54	2	87	23	تاظروك
80	6	61	1	91	4	تيربر
67	4	53	1	14	3	تواقي
60	3					بلومت
00	1			61	7	تين إزال
06	4	17	10	33	22	إدلس
57	1	88	1	67	14	هير هافوك
05	1			12	6	ترهنانت
50	1			63	1	تاهارت
		60	3	65	1	إيسيليسيكين
35				14	3	إينديد
		76	2	77	6	تافاريت
		97	20	72	27	أبالسة
		59	1	59	4	تين إمنسار
		53	3	50	3	دار مولي
56	4	42	8	13	30	تيت
17	15	38	9	08	33	عين أمغل
69	5	80	2	60	4	أمسال
90.54 هكتار		77.03 هكتار		229.34 هكتار		مجموع (تمنراست)

المصدر: SHAT, Carton 24H144, Correspondance du Lieutenant Dumain Officier de Peloton à la Compagnie Saharienne du Hoggar à M. le Capitaine Lucchetti Chef de l'annexe du Hoggar «Inspection des arrens du Hoggar, été 1932», Tamanrasset, le 24 octobre 1932, 136p.

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع:

1- وثائق الأرشيف الفرنسي:

A-A.N.O.M. : Archives National d'Outre-mer (Aix-en-Provence).

- 1- Carton 1H58
- 2- Carton 1H1086
- 3- Carton 22H26
- 4- Carton 22H28
- 5- Carton 22H29
- 6- Carton 22H30
- 7- Carton 22H33
- 8- Carton 22H45
- 9- Carton 22H49
- 10- Carton 22H59
- 11- Carton 22H73
- 12- Carton 22H74
- 13- Carton 22H80
- 14- Carton 23H1
- 15- Carton 23H10
- 16- Carton OA34
- 17- Carton OA40
- 18- Carton OA41
- 19- Carton 14X2
- 20- Carton 8X231
- 21- Carton 8X217

Microfilm Carton

- 22- Carton 14MIOM869
- 23- Carton 14MIOM870
- 24- Carton 14MIOM872
- 25- Carton 117MIOM12
- 26- Carton 117MIOM176

B-S.H.A.T. : Service Historique de l'Armée de Terre (château de Vincennes).

- 27- Carton 1H1036
- 28- Carton 1H1073
- 29- Carton 24H144

وثائق إدارية:

- Wilaya de Tamanghasset : la Direction de la planification et des Statistiques, « l'Annuaire statistique de la Wilaya de Tamanghasset », Année 2016, 219 p.

2-المصادر الشفوية:

-مقابلة مع "شناني أورزيق" 80 سنة (حفيد محمد أورزيق) مجاهد ورئيس المجلس الشعبي البلدي لتمرناست سابقا، بتاريخ 28-12-2017م ببيته بحي سرسوف بتمرناست على الساعة 10:30 صباحا.

-مقابلة مع "حمزة محمد (فوفو)" 54 سنة (مفتش اللغة الأمازيغية في منطقة تمرناست) بتاريخ 27-12-2017م بالمكتبة المركزية للمطالعة العمومية "برادعي مولاي أحمد" على الساعة 17:00 سا.

- مقابلة مع محمد أخاموك، أحد ممثلي ولاية تمرناست في المجلس الشعبي الوطني لعدة عهديات (ابن الحاج موسى أق أخاموك)، بتاريخ 27-12-2017م بتمرناست على الساعة 11:00 سا صباحا.

3-المصادر والمراجع باللغة العربية:

- الإدريسي أبو عبيد الله: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس. تحقيق وتقديم إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983

- الإدريسي الشريف: وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق من إختراق الآفاق. تصحيح، هنري بيرس، دار الكتب، الجزائر، 1975.

-.....: كتاب نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، مجلدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، مج. 1.

- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة: 2 ج.، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط. 1، 1987م، ج. 2.

- البكري أبو عبيد: المسالك والممالك. جزءان، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992، ج 1

-: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- بوفيل (E. W. Bovill): تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير. منقحة ومزودة بقلم: روبن هاليت، تر.: الهادي أبو لقمة، محمد عزيز، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988، ط.2.
- بن حماد أبو عبد الله محمد بن علي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، القاهرة، 1980م.
- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي: صورة الأرض. دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م
- ابن الخطيب لسان الدين: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية. مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، 1911م
- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. 8 أجزاء، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م، ط. 1، ج.6، ج.7.
-: مقدمة ابن خلدون. ضبط ومراجعة: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2001م.
- الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب طبقات المشائخ بالمغرب. 2 ج. تح: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974م، ط.1، ج.2.
- أبو زكريا يحيى بن أبي بكر: كتاب سير الأئمة وأخبارهم الماروف بتاريخ أبي زكريا. تح: إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، ط. 2، 1982م.
- الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر: كتاب الجغرافية. تح.: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.
- السويدي محمد: بدو التوارق بين الثبات والتغير. المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين. تح: محمد ناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. 4 ج. تح.: حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002م، ط. 1، ج. 4

- القشاط محمد سعيد: التوارق عرب الصحراء الكبرى. مطابع أديتار، سردينيا، ط2، 1989م.
-: أعلام من الصحراء. دار الملتقى، بيروت، 1997م.
- مؤنس حسين: التاريخ والمؤرخون. دار المعارف، القاهرة، 1984.
- مؤلف مجهول: مفاخر البربر. دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقرق، الرباط، ط. 1، 2005م
- مرموري حسن: التوارق، بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين. منشورات المجلس، الجزائر، 2010م.
- المسعودي أبو حسن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. 4 أجزاء، تقديم محمد السويدي، دار الأنيس، الجزائر، 2007، ج. 2.
- الوزان الفاسي الحسن بن محمد: وصف إفريقيا. تر: محمد حجي، محمد الأخضر. دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. 2، ج 2، 1983م.
- أبي يعقوب أحمد: تاريخ اليعقوبي. مجلدين، تح.: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 2010م، ط. 1، ج. 1.

3-المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

- Abadie Maurice: **La colonie du Niger**. Société d'éditions géographiques maritimes et coloniales, Paris, 1927
- Barth Henri: **Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale**. Tr. Paul Ithier, 2 Ed. Firmin Didot Frères, Paris, 1863, T.1
- Bary Erwin de : **Le dernier rapport d'un Européen sur Ghat et les Touaregs de l'Air** (traduit et annoté par H. Schirmer). Librairie Fischbacher, Paris, 1898
- Bellil Rachid: **Mutations Touarègues** (kel ahaggar et kel adagh). Ed. CNRPAH, N° 3, Alger, 2008
- Benhazera Maurice: **Six mois chez les Touaregs du Ahaggar**. Ed. Jordan, Alger, 1908
- Bernard (Capt.) : **Deuxième missions Flatters**, Historique et rapports rédigés au service central des Affaire Indigènes, Ed. Adolphe Jourdan, Alger, 1882

- Bernard A. et Lacroix N.: **La pénétration Saharienne (1830-1906)**. Imprimerie algérienne, Alger, 1906
- Bernier-Estrine E.: **Bibliographie Berbère annotée (1992-1993)**, Travaux et documents de l'IREMAM, Aix-en-Provence, 1994-1995, N° 16-17, 152p
- Bernus Edmond : **Touaregs Nigériens**, Unité culturelle et diversité régionale d'un peuple pasteur. Ed. ORSTOM, Paris, 1981.
- : **Quelques aspects de l'évolution des Touaregs de l'ouest de la république du Niger**. Etudes Nigériennes N° 9, IRSH, Niamey, 1982
- Bernus S. et autres: **Le fils et le neveu**, Ed. La maison des sciences de l'homme, Paris, 1986
- Boilley Pierre : **Les Touaregs Kel Adagh**. Dépendances et révoltes : du Soudan français au Mali contemporain. Karthala, Paris, 1999
- Bonté Pierre : « l'organisation économique des Touareg Kel Gress », In R. Cresswell (Ed.), **Elements d'ethnologie 1**, Huits terrains, 1975, pp 166-215
- Boubo Hama: **Recherches sur l'histoire des touareg sahariens et soudanais**. Ed. Présence Africaine, Paris, 1967
- Bouguetaia Boualem.: **Les frontières méridionales de l'Algérie** (de l'hinterland à l'ultipossiditis). Ed. SNED, Alger, 1981
- Bourdieu Pierre: **Algérie 60, structures économiques et structures temporelles**. Ed. Minuit. Paris. 1977
- Bourgeot André: **Les sociétés Touarègues**. Nomadisme, identité, résistances. Ed. Karthala, Paris, 1995
- Brosselard Henri: **Les deux missions Flatters au pays des Touaregs**, Librairie Furne, Paris, 1896
- Capot-Rey R.: **Le Sahara Français**, PUF, Paris, 1953
- Cauvet G. : **Le raid du Lieutenant Cottenest au Hoggar**. Ed. R. et J. Brunon, Marseille, 1945
- Chachoua Kamel: **l'Algérie Sociologique Hommage à Pierre Bourdieu (1930-2002)**. Travaux de CNRPAH, N° 16, CNRPAH., Alger, 2012
- Chaker Salem : **Etudes Touarègues**, bilan des recherches en sciences sociales, Edisud, Aix-en-provence, 1988, 192p
- Chatelier A. Le: **l'islam dans l'Afrique occidentale**. Ed. G. Steinheil, Paris, 1899
- Chaventré André : **Evolution anthro-biologique d'une population Touarègue**. Les Kel Kummer et leurs apparentés, PUF. Paris, 1983

- Claudot H el ene: **La s emantique au service de l'Anthropologie**. Recherche m ethodologique et application   l' tude de la parent  chez lez Touaregs de l'Ahaggar, CNRS, Paris, 1982
- Claudot-Hawad H el ene: **Les Touaregs, portrait en fragments**, Aix-en-provence, Edisud, 1993, 204p
- Clauzel (Jean) : **Administrateur de la France d'Outre-Mer**. Ed. Jeanne Laffitte et Avignon, Marseille, 1989, 224p.
- Clauzel J. : «Un administrateur de la France d'Outre-Mer entre pass  et avenir», In Goutalier (R gine)  d. : **M moires de la colonisation. Relations colonisateurs-colonis s**. Colloque des 3 et 4 d cembre 1993, Aix-en-Provence, Paris, L'Harmattan, 1994, 231 p. pp. 217-221
- Cortier Maurice (Lieut.) : **D'une rive   l'autre du Sahara**. Ed. Emile Larose, Paris, 1908
- Daumas Eug ne (le colonel), Chancel Ausone de: **Le grand d sert ;** ou Itin raire d'une caravane du Sahara au pays des N gres. Imprimerie et librairie centrales de Napol on Chaix et C^{ie}, Paris, 1848.
- Dayak Mano: **Touaregs : La Trag die**. Latt s, Paris, 1992. 221p.
- Djibou Mallam Hamani: **Au carrefour du Soudan et de la Berb rie : le Sultanat Touareg de l'Ayar**. Etudes Nig riennes, N  55, Ed. IRSH, Niamey, 1989.
- Dubief Jean: **Essai sur l'hydrologie superficielle du Sahara**, Service des  tudes scientifiques, Ed. Clairbois Birmandreis, Alger, 1953
-: **Le climat du Sahara**. Institut de Recherche Sahariennes, T. 1, Alger, 1959, 312p.
- Duveyrier Henri: **Les Touareg du Nord**. Ed. Challamel, Paris, 1864
- El-Hachaichi : **Voyage au pays des Senoussia**,   travers la Tripolitaine et les pays touareg, par le cheikh Mohammed ben Otsmane El-Hachaichi, Tr. Serres V. et Lasram, Ed. Challamel A., Paris, 1903,
- Es-sa'di Abderrahman : **Tarikh Es-soudan**. Texte arabe  dit  par Houdas O., Librairie d'Am rique et d'Orient, Paris, 1981.
- Eydoux H. P.: **L'Homme et le Sahara**. Ed. Gallimard, Paris, 1943
- Foucauld Ch. De et Clalssanti-Motyliniski A. de : **Textes Touareg en prose**, Ed. Carbonel, Alger, N  154, 1922, pp. 119-120,
- Foucauld Ch. de : **Po sie touar gues-Dialecte de l'Ahaggar**, T. 1, Leroux, Paris, 1925, 658p
-: **Po sie touar gues-Dialecte de l'Ahaggar**, T. 2, Leroux, Paris, 1930, 461p

-: **Carnet de beni Abbès (1901-1905)**. Oeuvres spirituelles, T. XIII, Ed. Nouvelle Cité, Paris, 1993
- Foucauld Le père Ch. De et Calassanti-Motyliniski: **Textes Touaregs en prose (Dialecte de l'Ahaggar)**. Ed. critique par S. Chaker, H. Claudot et M. Gaste, Aix-en-Provence, Edisud , 1984
- Foureau F.: **Essai de catalogue des noms arabes et berbères de quelques plantes, arbustes et arbres Algériens et sahariens**. Chalamel, Paris, 1896
- Foureau Fernand: **D'Alger au Congo par le Tchad**. Ed. Masson, Paris, 1902
- Gast Marceau : **Alimentation des populations de l'Ahaggar**. Mémoire du CRAPE., VIII, AMG, Paris, 1968, 458p.
-: **Hériter en pays musulman**. Habus, Lait vivant, Manyahuli. CNRS. Paris, 1987
-: **Tikatoutin**. Ed. La Boussole, France, 2004.
-: «Les sandales du «cousin croisé» chez la mariée Touarègue et la loi rabbinique », 1982, pp. 69-79 Citant «**Communautés Juives des marges sahariennes du Maghreb**», Ed. Michel Abitbol, Institut Ben-Zvi, Jérusalem, 1982, 501p
- Gardel Gabriel (Lieut.): **Les Touaregs Ajjer**. Baconnier, Alger, 1961
- Gautier E. F. : **La conquête du Sahara-Essai de psychologie politique**. Ed. A. Colin, Paris, 1935
- Gellner E. (Ed.), **Islam, société et communauté**, Ed. CNRS, Paris, 1981
- Grémont Charles : **Les Touaregs Iwellemmedan (1647-1896)** Un ensemble politique de la boucle du Niger, Ed. Karthala, Paris, 2010
- Hureiki Jacque. : **Essai sur les origines des Touaregs**, Karthala, Paris, 2003, 766p
- Jean (Lieut.) : **Les Touareg du Sud-Est, l'Air**. Leur rôle dans la politique saharienne. Larose, Paris, 1909
- Keenan J.: **The Tuareg: People of Ahaggar**. Ed. Allen Lane, Londres, 1977
- Le Chatelier A.: **l'islam dans l'Afrique occidentale**. Ed. G. Steinheil, Paris, 1899.
- Lefèvre-Witier Philippe: **Idelès du Hoggar, Biologie et écologie d'une communauté saharienne**, Ed. CNRS, Paris, 1996
- Lehuraux Léon: **Au Sahara avec le commandant Charlet**. Ed. Librairie Plon, Paris, 1932.
- Lehuraux Léon: **Le conquérant des oasis : colonel Th. Pein**. Ed. librairie Plon, Paris, 1935

- Leupen A.H.A. : **Bibliographie des population Touarègues**, Africa-Studiecentrum, Leyde, 1987, 240p
- Lewiki T. : **Etudes Maghrébines et Soudanaises**, Académie Polonaise des Sciences, comités des études orientales, 1976,
- Lhote Henri: **Les Touaregs du Hoggar**, Ed. Armand Colin, Paris, 1984
-: **Dans les campements Touaregs**. Amiot-Dumont, Paris 1951,
- Mangeot (C) et Marty Paul: **les Touareg de la Boucle du Niger**. Emil Larose, Paris, 1919,
- Martin A. G. P.: **Les Oasis Sahariennes (Gourara-Touat-Tidikelt)**. Ed. Imprimerie Algérienne, Alger, 1908
- Martin A.G.P.: **Quatre siècles d'histoire Marocaine au Sahara**. Librairie Félix Alcan, Paris, 1923.
- Marty Paul: **Etudes sur l'Islam et les tribus du Soudan**. Ed. Leroux, Paris, 1920, T. 1
- Meillasoux C. (Ed). **L'esclavage en Afrique précoloniale**, Paris, Maspéro, 1975.
- Mercier Ernest : **Histoire de l'Afrique septentrionale (Béberie)**. 3T. Ed. Ernest Leroux, Paris, 1888, T. 1-2.
- Métois J.: **La soumission des Touaregs du Nord**. Challamel, Paris, 1906, 53p
- Métois (Capt.): **La soumission des Touareg du Nord 1900-1904**. (1^{er} Ed. Challamel, 1906,) Ed. Jacques Gandini, Paris, 1995
- Monod Th. (éd), **Pastoralism in Tropical Africa**, Oxford university press, U.S.A., 1975,
- Nicolaisen Johannes: **Ecology and Culture of pastoral Tuareg**. Ed. National Museum, Copenhagen, 1963
-: **Structures politiques et sociales des Touaregs de l'Air et de l'Ahaggar**. Tr. S. Bernus, Etudes Nigériennes N° 7, Ed. IRSH, Niamey, 1982
- Nicolas Francis: **Tamesna, Les Ioullemmeden de l'est ou touareg Kel-Dinnik**. Iprimerie National, Paris, 1950
- Oliel J. : **Les juifs au Sahara, Le Touat au moyen-âge**, CNRS, Paris, 1994, 188p.
- Pandolfi Paul: **Les Touaregs de l'Ahaggar**. Ed. Karthala, Paris, 1998, 473p.
- Pellat Ch. : « Emprunts arabe dans le parler ahaggar », in **Etudes d'orientalisme** dédiées à la mémoire de Levi-Provençal, T.1, Maisonneuve, Paris, 1962, pp. 239-259
- Pottier René: **Un prince saharien méconnu : H. Duveyrier**, Ed. Plon, Paris, 1938

- Quézel Pierre : **Contribution à l'étude de la flore et de la végétation du Hoggar.** IRS., Alger, 1954
- Richer A. : **Les Touaregs du Niger (Region de Tombouctou-Gao). Les Ouillimiden,** Larose, Paris, 1924
- Riou Yves : **la révolte de kaocen et le siege d'Agades 1916-1917.** Niamey, 1968
- Salifou André: **Kaoussen, ou la révoltes Sénoussite.** Etude Nigérienne, N°33, éd. Copedith, Paris, 1973
-: **La Question Touaregs au Niger.** Ed. Karthala, Paris, 1993, 203p.
- Survie Touarègue-Temoust: **Touaregs, un peuple menacé.** Ed. Temoust, lyon, 1994.
- Triaud Jean Louis: **La légende noire de la Sanusiyya.** Une confrérie musulmane saharienne sous le regard Français (1840-1930). Ed. de la M.S.H., 2 tomes, 1995, T. 1
- UNESCO, **Nomades et nomadisme au Sahara,** Oldenbourg R. Imp. Paris7, 1963
- Voinot L: **Le Tidikelt. Etude sur la géographie, l'histoire, les mœurs du pays.** (1Ed. L. Fouque, Oran , 1909), Ed. Jacques Gandini, Vallauris, 1995

4-الدوريات والمجلات باللغة العربية (المقالات):

- بوعزيز يحي: "إهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبه"، الأصالة، ع. 72، 1979م، الجزائر، ص ص، 51-68
- حباسي شاوش: " من مظاهر الروح الصليبية للإستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، مجلة الدراسات التاريخية، عدد 10، سنة 1997م.
- شعباني نور الدين: "التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة"، دورية كان التاريخية، ع. 18، ديسمبر 2012م، ص ص 35-42
- صاري الجيلالي: "الهقار والمرحلة الحاسمة"، الأصالة، ع. 72، 1979م، الجزائر، ص ص، 83-96
- العربي إسماعيل : "الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق أهجار"، الأصالة، ع. 72، 1979م، الجزائر، ص ص، 36-50

- مريوش أحمد : " التوسع الإستعماري في الجنوب الجزائري وردود فعل الهوقار 1916م".
مجلة المصادر. عدد 11، سداسي ا، سنة 2005م، ص ص (112-147)

5-الدوريات والمجلات باللغة الأجنبية:

- Abrous Dahbia, Claudot-Hawad Hélène: «Imazighen du nord au sud: des ripostes différentes à une même négation». A.A.N., 1999, T. 38, p.109 pp. 92-113
- Amselle Jean-Loup : «L'anthropologie, ça sert à qui ?». C.E.A., Vol. 17, N° 68, 1977. pp. 633-637
- Augier Pierre : «La Musique Populaire au Sahara Algérien» A.A.N., Ed., CNRS, Paris, 1973, pp. 169-179.
- Augustin Bernard, Lacroix N. : «L'Evolution du Nomadisme en Algérie». B.S.G.A., 1^{er} Tri., 1907, pp. 244-253
-: « Ifoghas (Ifughas, Ifoughas, Iforas)», Encyclopédie berbère, N° 24, 2001, pp. 3649-3657
- Badoual-Aouad: «le role de Abidine el Kounti dans la resistance nomade», Cahier IREMAM, N° 4, 1993, pp 35-48
- Barrere G.: « Correspondance sur le contrat agricole en Ahaggar ». TIRS, XXIV, 1964, pp. 187-188
- Belhachemi Faouzia : «Nouvelle interprétation du processus de peuplement dans le massif du Hoggar à partir des géographes arabes». Revue de géographie alpine, T. 79, N°1, 1991. pp. 142-166
- Bellil Rachid : «Les Touaregs de l'Ahaggar vus par la presse Algérienne (1971-1978)», A.A.N., 1983, pp. 523-531.
- Bilou El Hadj Ahmed : «Rapport du Caïd El Hadj Ahmed Bilou des Ahl Azzi sur son voyage dans l'Ahaggar à M. le Capitaine, chef d'annexe à In Salah», pour traduction conforme l'officier interprète: Durand, B.C.A.F., Renseignements coloniaux, N° 4, 1905, pp. 183-187
- Bobo J. : « Les salines de l'Amador ». TIRS. T. XI, pp. 141-142
- Bourgeot André: «Le contenu sociologique de l'appellation twareg (Kel Ahaggar). Histoire d'un nom », ROMM., N°11, 1972. pp. 71-79
-: « Idéologie et appellations ethniques. L'exemple twareg. Analyse des catégories sociales », C.E.A., vol. XII, 48(4), 1972, pp. 533-554
-: « La formation des classe sociales chez les Twareg de l'Ahaggar », Cahier du CERM, 121, 1975, pp 19-41

-: « Analyse des rapports de production chez les pasteurs et les agriculteurs de l'Ahaggar », In Th. Monod (éd.), **Pastoralism in Tropical Africa**, 1975, pp 263-283
-: « Rapports esclavagistes et conditions d'affranchissement chez les Imuhar » in C. Meillasoux Ed. **L'esclavage en Afrique précoloniale**, 1975, pp. 77-99
-: « Les échanges transsahariens, la senussiya et les révoltes Twareg de 1916-1917 », **C.E.A.**, XVIII, 69-70, 1978, pp 159-187
-: « Les mouvements de résistance et de collaboration en Ahaggar de 1880 à 1920 », **A.A.N.**, N° XXII, 1984, pp. 479-499
-: « L'Enjeu politique de l'histoire: vision idéologique des événements Touaregs 1990-1992 », **Politique africaine**, 1992, N° 48, 129-135.
-: « Le corps touareg désarticulé ou l'impensé politique ». **C.E.A.**, Vol. 34, N°136, 1994. pp. 659-671.
- Bourgeot André, Guillaume Henri : « Identité touarègue : de l'aristocratie à la révolution », **Études rurales**, N°120, 1990, pp. 129-162
- Bureau Roger (Lieut.) : « Manger du chien !... et du chat ? ». **B.L.S.**, T. 5, N° 16, Mars-1954, pp. 15-16
- Butay L. : « Salines de l'Amador » . **B.L.S.**, N° 12, 1953, pp. 16-17
- Butaye P. (Capt.): « Le droit au commandement chez les Kel Ahaggar, Essai sur la descendance de l'aménokal Sidi ». **B.L.S.**, T.8, N° 28, décembre-1955, pp. 250-256
-: « In Ziza ». **B.L.S.**, T. 10, N° 30, juin-1958, pp. 111-115
- Camps G.: « L'âge du tombeau de Tin Hinan, ancêtre des Touaregs du Hoggar » **Zephyrus**, N° XXV, 1974, pp.(497-516)
- Casajus Dominique: « Islam et noblesse chez les Touaregs » **Revue de L'Homme**, N° 115, 1990, pp. 7-30
-: « Les Amis Français de la cause Touarègs », **C.E.A.**, Vol.35, N°137, pp.237-250.
- Chaker Salem, Gaste Marceau: « Amenukal », **Encyclopédie berbère** IV, 1987, pp. 581-589
- Chaker Salem : « Etudes Touarègues, bilan des recherches en sciences sociales ». **Travaux et documents de l'IREMAM**, N° 5, Aix-en-Provence, 1988.
- Charlet E.: « Imar'assaten », **B.S.G.A.**, XVIII, 1913, pp. 634-671
- Claudot Hélène : « Le discours légaliste de la parenté chez les Touaregs ». **A.A.N.**, 1983, pp. 533-543

- Claudot-Hawad H l ne : «Adrar des Iforas» **Encyclop die Berb re**, N  2, 1985, pp. 147-153
- Claudot-Hawad H. et Hawad M.: « Am hay », **Encyclop die berb re**, N  4, 1986, pp. 554-555.
- Claudot-Hawad, H.: «Des  tats-nations contre un peuple: le cas des Touaregs», **ROMM.**, N  44, 1987, pp. 48-63
-: «Anthropologie Sociale», **A.A.N.**, 1992, T. 31, pp. 1163-1167
-: «L' volutionnisme bien-pensant ou l'ethnologie   sens unique». **C.E.A.**, Vol. 34, N  136, 1994. pp. 673-685.
-: «Anthropologie Sociale». **A.A.N.**, 1995, T. 34 p. 858
-: «Anthropologie Sociale». **A.A.N.**, 1997, T. 36, p. 432
- Clauzel J. : « Les hi rarchies sociales en pays Touareg ». **TIRS.**,T. XXI, 1^{er} semestre, 1962, pp. 120-175
-: «La situation en pays Touaregs», **l'Afrique et l'Asie**, 1962, N  58, 20p.
-: «L' volution contemporaine de l' conomie et de la soci t  chez les Touareg», **Actualit  d'Outre-mer**, Institut National de la Statistique et des  tudes  conomiques, N  24, juillet 1963, pp. 5-23
- Couput : «Communication sur le Mouton Targui ou du Soudan». **B.S.G.A.**, 1^{er} Tri., 1900, pp. 54-58
- Denis P. (Lieut.) : «A propos des salines et des pistes caravani res du Sahara Occidental». **B.L.S.**, N  10, Octobre-1952, pp. 26-32
- Denis P. (Capt.) : « Les salines de l'Amadrar en 1958 ». **B.L.S.**, N  34, juin 1959, pp. 178-179
- Deschamps (G n ral) : «M. le Gouverneur G n ral de l'Alg rie au Hoggar, au Tidikelt et dans le territoire de Ghardaia», **B.S.G.A.**, N  130 (2^{em}. Tri.), 1932, pp. 139-154
- Devisse Jean: «Routes de commerce et  changes en Afrique occidentale en relation avec la M diterran e. Un essai sur le commerce africain m di val du XI^e au XVI^e si cle », **Revue d'histoire  conomique et sociale** 50 (1) et (3), 1972, pp 42-73 et 357-397
- Dida Badi: « Tin Hinan : un mod le structural de la soci t  Touar ge ». **Etudes et Documents Berb res**, N  12, 1994, pp. 199-205
-: « Ifoghas (Ifughas, Ifoughas, Iforas)», **Encyclop die berb re**, N  24, 2001, pp. 3649-3657
- Dinaux (Capt.) : « Une mission dans l'Adrar du Niger ». **B.C.A.F.**, **Renseignements coloniaux**, N  4, avril 1908, pp. 104-108

- : «Une mission dans l'Adrar du Niger 8 mars-25 juillet 1907, Rapport de tournée du Capitaine Dinaux, Chef de l'annexe d'In-Salah», **B.C.A.F., Renseignements coloniaux**, N° 3, mars 1908, pp. 76-85 & N° 4, 1908, pp. 104-108
- Djibo Mamoudou: «Rébellion Touarègue et question saharienne au Niger». **Autrepart**, N° 23, 2002, pp. 135-156.
- Dubief Jean : « Notes sur les chronologies des Kel Ahaggar et des Taitoq ». **TIRS.** T. 1, 1942, pp. 87-132
-: «Notes préliminaire sur la pluviosité dans l'Atakor oua n Ahaggar». **B.L.S.**, T. 13, N° 46, Juin-1962, pp. 173-177
- Duveyrier Henri: Voyage au Sahara par Norbert Dournaux Dupéré (Rédigé d'après son journal et ses lettres). **Extrait du Bulletin de la Société de Géographie.** Aout 1874, pp. (1-58)
- Emerit M. : « Les liaisons terrestres entre le soudan et l'Afrique du Nord au XVIII^e et début de XIX^e siècle. **TIRS.**, T. XI, 1954, pp. 29-47
- Fariau P. (Capt.): «Contribution à l'Etude du Transsaharien, Itinéraire du Khanguet-El-Hadid au pays d'Adar, par M'Hammed ould Ali ben Besis, ¾ sang Targui». **B.S.G.A.**, 2^{em} Tri., 1899, pp. 180-187
- Foucauld CH. de R. P. : «Chez les Touaregs Taitoq, Iforas, Hoggar. (Journal de voyage du Père Charles de Foucauld, Mars-Septembre 1904) » **B.L.S.**, T. 11, N° 3, Février-1951, pp. 20-30 et N° 4, Avril-1951, pp. 19-32
- Foureau Fernand: «Une mission chez les Touareg Azdjer ». **Bulletin de la Société de Géographie**, XVI, 1895, pp. 10-74.
- Frémeaux Jacques : «Pouvoir Ottoman et Sahara Algérien à la veille de la conquête Française (1830)», **A.A.N.**, 1983, pp. 63-72.
- Fuglestad Fin: « les révoltes des Touareg du Niger (1916-17) ». **C.E.A.**, vol. 13, N° 49, 1973, Mouton & Co, Paris, pp. 82-120
-: révolte et mort de Tagama Sultan d'Agades, 1920, **Bulletin Notes Africaines**. N°152, Janvier, 1976, Université de Dakar, IFAN, pp 96-100.
- Gast Marceau : «Histoire de Moussa ag Amastane. Racontée par Khabti ag Abahadj, de la tribu des Dag Rali» **B.L.S.**, T. 12, N° 41, Mars-1961, pp. 70-76
-: « Les mesures en Ahaggar, I- les mesures de temps». **TIRS.**, T. XXI, 1962, pp. 207-214
-: « Mesures de capacités et de poids en Ahaggar ». **Journal de la société des Africanistes**, T. XXXIII, fasc. II, 1963, pp. 209-229
-: « Evolution de la vie économique et structures sociales en Ahaggar de 1660 à 1965 », **TIRS.**, XXIV, 1965, pp. 129-143.

-: « Temazlayt (Contrat de protection chez les Kel-Ahaggar) ». **Encyclopédie Berbère**, édit. Prov., Cahier N° 7, 1972, 2p.
-: “Les Kel-Rela: historique et essai d’analyse du groupe de commandement des Kel-Ahaggar”, **ROMM.**, N° 21, 1976, pp. 47-66
-: ”Histoire des Kel-Ahaggar”, **Encyclopédie Berbère**, N° 3 1986, pp. 282-303
-: « La société traditionnelle Kel-Ahaggar face aux problèmes contemporains » In E. Gellner (Ed.), **Islam, société et communauté**, 1981, pp. 106-139
-: « Ahl’ Azzi », **Encyclopédie Berbère III**, 1986, pp. 320-322
-: « Akhamouk ag Ihemma », **Encyclopédie Berbère**, III, 1986b, pp. 415-417
-: « L’ancêtre féminin, clé de l’organisation sociale des Touaregs ? L’exemple de Mertutek ». in **Le fils et le neveu**, 1986, pp. 159-205
-: « L’école nomade au Hoggar : une drôle d’histoire ». **ROMM.**, Touaregs, exil et résistance, N° 57, 1990, pp. 99-112
-: « Akli, (iklan au Sahara central) », **Encyclopédie Berbère**, Ed. Edisud, France, III, 1997 (2nd Ed.), pp. 424-425
- Gast M. et Chaker S. : « Azeggay (pl. izeggayen, fém. sing. tazeggaq, fém. plu. tizeggeyin) », **Encyclopédie Berbère**, Ed. Edisud, France, V. 8, 1990, p. 1209
- Gautier E. F. : « Le Moudir-Ahnet », **La Géographie**, T. 10, N° 2, 15 juillet 1904, pp. 85-102
- Hamet Ismael: « Les Kounta », **Revue du Monde Musulman**, V. 15, Paris, 1911, pp. 302-318.
- Hincker Catherine : « Identité et métier des ina?en », La valeur sociale des techniques chez les Touaregs de l’Ouest, **L’Homme**, N° 169, 2004/1, pp. 127-151.
- Holsinger Donald C: “Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century”. **ROMM**, N° 30, 1980, pp. 57-70
- Keenan Jeremy H.: “Some theoretical considerations on the "temazlayt" relationship”. **ROMM.**, N°21, 1976. pp. 33-46
- Labouesse F. et Rocland C.: Monographie socio-économique d’une implantation semi-sédentaire : Amguid (Hoggar) en 1978, Montpellier, INRA, **Notes et documents**, N° 40, 1980, 45p.
- Laperrine H. : « La pacification des Touaregs : Notes et souvenirs », **Questions diplomatiques et coloniales**, N° 35, 1913, P.(393-407 et 517-529 et 651-659) et N° 36, p.(74-81 et 137-146).
- Laperrine et Niéger: « Une tournée dans le sud de l’annexe du Tidikelt ». **BCAF., Renseignements coloniaux**, 2, 1905, pp. 37-63

- Lefèvre-Witier Philippe, Ruffié Jacques : «Notes sur l'hétérogénéité biologique des touaregs». **ROMM**, N°11, 1972, pp. 99-105
- Lefèvre-Witier Philippe : «Quelques aspects de l'anthropobiologie au Sahara». **ROMM**, N°12, 1972, pp. 63-68
- Lefort des Ylouse E : « Note sur Si Othman », **Le Saharien**, N° 134, 1995, p. 23.
- Lesourd M.: "Le voile de la honte" **B.L.S.**, N° 16, 1954, pp. 28-42
- Lesourd M. (Capt.) : «Mangeuses de chat à In Salah ». **B.L.S.**, N° 17, juin 1954, pp. 85-86
- Lewicki Tadeusz: «L'État nord-africain de Tāhert et ses relations avec le Soudan occidental à la fin du VIIIe et au IXe siècle », **C.E.A.**, Vol. 2, N°8, 1962. pp. 513-535
- Lhote Henri : « La fouille du sanctuaire des Tibaradin à Tazerouk (Ahaggar) ». **TIRS.**, T. VI, 1950, pp. 143-159
- : « La saline de l'Amador et le géographe El-Bakri ». **B.L.S.**, T. IV, N° 14, oct. 1953, pp. 54-56
- : «Le cycle caravanier des Touaregs de l'Ahaggar et la saline d'Amador. leurs rapports avec les centres commerciaux du Soudan», **Bull. de l'IFAN.**, T. XXXI, N° 4, Octobre-1969, pp. 1014- 1027
- Lo (Capt.): Les Foggaras du Tidikelt. **TIRS.**, T. X, 2^e semestre, 1953, pp. 139-179
- Maurie J. : « Touareg et Noirs au Hoggar, Aspect de la société actuelle ». **Annales économies, sociétés, civilisations**, N° VIII-3, Paris, pp. 338-346
- Masqueray E. M. : « La mission des Touareg », **BCAF.**, N° 12, 1892, pp. 5-7.
- Mécheri-Saada Nadia. : «Musique et société chez les Touaregs de l'Ahaggar », **REMMM**, N°58, 1990, pp.136-142
- Métois (Capt.) : «La Pénétration dans l'Afrique centrale par le Sahara». **B.S.G.A.**, N°1, 1902, p. 32 pp. 32-48
- Meynier O. (Général) :«Manifeste pour la Revue générale d'action Africaine EURAFRIQUE», **EurAfrique**, N°1, avril 1951, pp. 6-12
- Miege Jean Louis : « Le commerce transsaharien au XIX^e siècle », **ROMM.**, N° 12, 1981, pp. 93-120.
- Monod Th. : « Consommation d'eau au Sahara ». **B.L.S.**, N° 20, mai 1955, pp. 34-37
- Morel H. : « Essai sur la longévité et les causes de mortalité chez les Touaregs de l'Ahaggar ». **A.I.P.** Alger, 4, dec. 1941, pp. 434-466
- Museum M. : « Quelques aspects récents de l'économie sociale du Hoggar », **Revue de l'Institut de Sociologie**, N° 47, 1974, pp. 299-315.

- : « Un exemple spécifique d'économie caravanière : l'échange sel-mil », **Journal des Africanistes**, N° 47(2), 1977, pp. 49-80.
- : « La composition et la structure socio-économique des unités résidentielles des Touaregs de l'Ahaggar », **Revue de l'Institut de sociologie de Bruxelles**, 3-4, 1979, pp. 251-297.
- Nabal A. : «Rappel»,**EurAfrique**, N°32, avril 1963, pp. 3-8
- : «L'Association des Amis du Sahara» , **Le Saharien**, N° 37, 1964, pp. 1-3
- : «à propos de l'EURAFRIQUE », **Le Saharien**, N°38, 1965, pp. 1-3
- : «La Nouvelle Rahla, situation et projets», **Le Saharien**, N° 39, 1965, pp. 3-4
- : «Appel aux Sahariens», **Le Saharien**, N° 41, 1966, pp. 3-5
- Nemo J. : « Le régime juridique des terre au Hoggar »,**TIRS.**, XXII, 1963, pp. 123-144.
- Niéger (Gén): « L'affaire du puits de Timiaouine ». **Le Saharien**, 50, 1968, pp. 3-8
- Ould Cheikh Abdel Wedoud: «La caravane et la caravelle, Les deux âges du commerce de l'ouest saharien», **Cahiers de l'Ouest Saharien**, Vol. II., 2000, pp. 1-57
- Pandolfi Paul : «Takama, Debeinnu, yâli et les autres... ou la possible histoire d'un groupe tributaire de l'Ahaggar : les Dag-yâli», **Journal des africanistes**, T. 66, fascicule 1-2, 1996, pp. 203-224
- Péres H. : « Relations entre la Tafilelt et le soudan à travers le Sahara du XIII^e au XIV^e siècles », **Mélanges géographiques et orientalistes**, 1937, pp. 409-424.
- Quezel P. : «Contribution à l'étude de la flore et de la végétation du Hoggar». **TIRS.**, Alger, 1954, p. 49
- Régnier J. (Lieut.): «A propos du droit au commandement chez les Kel Ahaggar ». **B.L.S.**, T.12, N° 41, Mars-1961, pp. 55-65
- Régnier J. (Capt.) : « Les salines de l'Amador et le trafic caravanier », **B.L.S.**, T. 12, N° 43, Septembre-1961, pp. 234-261.
- Retailé D. : « Les oasis dans une géographie méridienne Sahara-Sahel », **Cahiers Géographiques de Rouen**, N° 26, 1986, pp. 1-17.
- Rimbaud (Off. Intr.) : «Le Chant chez les Imouhar». **B.S.G.A.** N° 4, 1902, pp.532-543
- Rognon P. : « La confédération des nomades Kel-Ahaggar », **Annales de géographie**, N° 71, 1962, pp. 604-619.

- : « Problèmes des Touaregs du Hoggar », In C. Bataillon (ed.), **Nomades et Nomadisme au Sahara**, 1963, pp. 59-66.
- : « Ahaggar », **Encyclopédie Berbère**, Ed. Edisud, France, III, 1997 (2nd Ed.), pp. 269-275
- Sabeur Cherif Khaled : « Dynamique des axes caravaniers au XV et XVI siècle », **Annal of the Historian**, Vol. 6, Algerian Historian Union, Algeria, July 2005, pp. 24-32
- Sanlaville Paul : « Les centres de cultures de l'Ahaggar », **Revue de géographie de Lyon**, XXXII(4), 1957, pp. 333-341.
- Thiriet R. (Col.) : « La cynophagie à Ouargla ». **B.L.S.**, T. 5, N° 16, Mars-1954, pp. 11-14
- Tillet Thierry : « Mano Dayak 1950-1995 », **Le Saharien**, N° 213, 2015, pp. 11-13
- Urvoy Y. (Le Capitaine) : « Chronique s d'Agadès ». **Journal de la Société des Africanniste**, T. 4, Fasc. 2, 1934, pp. 145-177
- Vallet Michel. (lieut.) : « Cycle de migration des tribus Hoggar dans l'Adrar des Ifoghas (Zone Algérienne et confins saharo-soudanais) ». **B.L.S.**, T. 11, N° 40, Décembre-1960, pp. 347-351
- : « Ressortissants Hoggar de l'Adrar des Ifoghas (Réctificatifs) ». **B.L.S.**, T. 11, N° 40, Décembre-1960, p. 352
- : « Les Touaregs et le développement ». (*Le développement des zones arides*, Paris), Ed. CIHEAM, **Options Méditerranéennes**, N° 28, 1975, pp. 43-55
- : « Les Touaregs du Hoggar entre décolonisation et indépendances (1954-1974) », **REMM.**, N°57, 1990, pp. 77-90.
- Vincent H. (Capt.) : « Voyage d'exploration dans l'Adrar, (Sahara Occidental) », **Revue Algérienne et Coloniale**, Octobre-1860, pp. 445-494.

6-القواميس والموسوعات:

- Foucauld Charle de: **Dictionnaire Touareg-français**. Dialecte de l'Ahaggar, Imprimerie nationale, Paris, 4vol, 1951.
- **Grand Dictionnaire Encyclopedique Larousse**, Vol 6, 1984.
- Hanoteau A. (Général) : **Essai de Grammaire de la langue Tamachek**. Librairie Adolphe Jordan, Alger, 2^{em} Ed., 1896.
- Masqueray Emile : **Dictionnaire Français-Touareg**. (Dialecte des Taitoq). Ed. Ernest Leroux, Paris, 1893.

7-الدراسات السابقة:

-بتقة إبراهيم: "مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م)", رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2010م، 270 ص.

- هاشمي آمال: "الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق الهقار من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر"، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2007-2008م، 164 ص.

- Belhachemi Faouzia: Anthropologie économique et historique des Touareg du Hoggar. **Thèse pour le doctorat d'anthropologie**, Université de Paris VIII, 2V. 1992,

- kimba Idrissa: la formation de la colonie du Niger 1880-1922. **Thèse de Doctorat D'Etats**, lettre et science humaine, Université de Paris VII, 1987

8-المواقع الإلكترونية:

-<http://www.Kidal.info>.

- Seun Opejobi : «Biafra : Nnamdi Kanu resurfaces, video/photos», Journal of **Daily Post**, published on October 19 2018, http://dailypost.ng/2018/10/19/biafra-nnamdi-kanu-resurfaces-video-photos/?fbclid=IwAR0-L21y_OsRJ0KqfPW3MLKp5rvkWcdJqldZviVpB6-d_9mnnUOUjGc30, consulted on October 20 2018.

- Abisola Olasupo: «IPOB leader Nnamdi Kanu spotted in Jerusalem», Journal of **The Guardian**, published on October 19 2018, <https://guardian.ng/news/ipob-leader-nnamdi-kanu-spotted-in-jerusalem/>, consulted on October 20 2018.

فهرس الموضوعات

01.....مقدمة.

الفصل التمهيدي: الدراسات الغربية حول مجتمع الطوارق بين المعرفة والإيديولوجيا.

- 1-إهتمامات الباحثين الغربيين بمجتمعات قبائل الطوارق.....13
- 2-تزايد كثافة الكتاب الغربيين لمجتمعات قبائل الطوارق.....14
- 3-علم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا في حقل الطوارق الخصب.....17
- 4-المنطلقات والتوجهات الإيديولوجية في دراسات الطوارق.....23
- 5-الاتجاهات الفكرية في دراسة موضوع الطوارق.....26
- 6-الباحثون الأفارقة في صلب موضوع الطوارق.....34

الباب الأول: مدخل عام عن إقليم الأهقار (الموقع والسكان).

الفصل الأول: خصائص السطح في إقليم الأهقار.....41

- 1-1 الموقع الجغرافي والفلكي.....41
- 2-1 خصائص المناخ.....43
- 3-1 خصائص الغطاء النباتي والحيواني في الأهقار.....45
- 4-1 فصول السنة ودورة المواسم عند كال أهقار.....49
- 5-1 تأثير خصائص السطح على غذاء كال أهقار.....53

الفصل الثاني: نظرة عامة عن طوارق الأهقار.....59

- 1-2 نسب كال أهقار بين الكتابات العربية والرواية الشفوية.....59
- 2-2 أهم القبائل الفاعلة عند كال أهقار وفي إقليمها.....62
- 3-2 مصطلحات التعريف عند كال أهقار.....68
- لغة الطوارق؛ التاماشاغ.....71

79..... الفصل الثالث: تاريخ وأصول طوارق كال أهقار

80..... 1-3 قبائل الهوارة وعلاقتها بكال أهقار والإيهقارن

82..... 2-3 كال أهقار وتاريخ قبيلة كال آهن ملن

84..... 3-3 علاقة كال أهقار بقبائل الكنتة

86..... التحالف الاستراتيجي بين آل صالح وقبائل الكنتة

90..... 4-3 إنقسام قبائل كال آهن ملن وبروز كال غَلا في الأهقار

93..... كال غَلا والتحول نحو الحكم بالنسب الأمومي

الباب الثاني: الأوضاع الاجتماعية لكال أهقار

101..... الفصل الأول: خصائص بنية المجتمع التقليدي لكال أهقار

101..... 1-1 التنظيم الاجتماعي الأفقي

103..... أ-خصائص القبيلة أو التاوسيت

104..... 2-1 البنية الهرمية لطبقات مجتمع كال أهقار

104..... 1-2-1 مجتمع ذو بنية هرمية

104..... أ- الأشراف الأرستقراطيون

106..... ب- الأتباع (الإيمغاد أو كال أولي *Kel-Ulli*)

108..... ج- العبيد (الإيكلن *Iklan*)

114..... د- الفلاحون

116..... هـ- الحرفيون الحدادون (الإينادن *Ianaden*)

118..... 3-1 رابطة الزواج وأثرها في السلم الاجتماعي

- 123.....الفصل الثاني: سلطة الأمنوكال وتوظيف التاريخ الاجتماعي
- 124.....1-2 خصائص الأمنوكال *Amenukel*
- 127.....2-2 علاقة منصب الأمنوكال بالجدة الأسطورة تينهينان
- 132.....3-2 علاقة السلطة بالنسب الأمومي
- 138.....الفصل الثالث: التحولات الاجتماعية لكال أهقار خلال الفترة الاستعمارية
- 139.....1-3 أسباب البداوة وغياب ثقافة العمران عند كال أهقار
- 141.....2-3 سياسة التوطين بمدينة تمنراست
- 148.....3-3 التحولات الاجتماعية التي صاحبت التواجد الاستعماري
- الباب الثالث: تاريخ طوارق كال أهقار السياسي.
- 156.....الفصل الأول: تاريخ كال أهقار قبل القرن 20م
- 156.....تاريخ العلاقات شمال-جنوب الصحراء
- 158.....1-1 تاريخ كال أهقار ضمن التاريخ الجيوسياسي للمنطقة
- 163.....2-1 كال أهقار من حكم الإيمنان إلى الحاج أحمد
- 168.....3-1 إصلاحات الأمنوكال الحاج أحمد في الأهقار
- 170.....4-1 قضية "الحاج أحمد" عند كال أهقار
- 182.....الفصل الثاني: تاريخ الاستعمار الفرنسي لكال أهقار
- 182.....1-2 فشل محاولات التوغل الأولى
- 183.....2-2 علاقة التيجانية بالاستعمار الفرنسي
- 190.....3-2 إستغلال الفرنسيين لقبائل الإيفوغاس في مد نفوذهم

- 196..... الفصل الثالث: الصراع على السلطة وأفول استقلال كال أهقار
- 196..... 1-3 الصراع على خلافة الأمنوكال "أهيتاغل"
- 200..... 2-3 معركة تيت Tit 1902م.....
- 209..... 3-3 علاقة الأمنوكال موسى أغ أمستان بالسلطات الفرنسية.....
- 211..... - دور موسى في القضاء على ثورة الطوارق 1916-1920م.....
- 229..... الباب الرابع: الأوضاع الاقتصادية لكال أهقار.....
- 229..... الفصل الأول: النظام الاقتصادي من 1660م إلى نهاية القرن 19م.....
- 229..... 1-1 تربية المواشي وقطعان الإبل.....
- 230..... 1-2 حركة تجارة القوافل في الصحراء الوسطى.....
- 237..... -طرق القوافل المارة بالأهقار.....
- 242..... 1-3 ظهور المراكز الفلاحية في الأهقار.....
- 243..... وفود مُمتني الفلاحة من التديكلت وتوات.....
- 247..... 1-4 إهتمامات الفرنسيين بالتجارة العابرة للصحراء.....
- 254..... أ-الرهان على المركز التجاري لعين صالح.....
- 261..... ب-علاقة تجار الأهقار بالتديكلت الفرنسي.....
- 265..... 1-5 تجارة قوافل كال أهقار نحو الجنوب.....
- 267..... الفصل الثاني: إقتصاد كال أهقار خلال الفترة الاستعمارية.....
- 267..... 1-2 زيادة الاهتمام بالنشاط الفلاحي.....
- 268..... أ-تزايد المراكز الفلاحية بالأهقار.....

272.....	ب- ملكية الأرض وأهم المحاصيل الزراعية.....
275.....	2-2 بداية انتظام القوافل التجارية للأهقار.....
277.....	أ- سلع المبادلات.....
278.....	ب- إستغلال مادة الملح.....
282.....	ج- مواقيت القوافل التجارية لكال أهقار.....
285.....	2-3 الرسوم والضرائب على سلع المبادلات بين الأهقار والآبير.....
287.....	الفصل الثالث: تطور إقتصاد كال أهقار بتكوين مدينة تمراسات.....
288.....	1-3 تطور عائدات تجارة القوافل.....
292.....	2-3 سياسة دعم الفلاحين المستقرين.....
298.....	3-3 دعم تربية المواشي في فترات الإقتصاد الصعب.....
300.....	رسوم الرعي والانتجاع في إقليم التامسنة.....
303.....	4-3 فتح الدكاكين واستعمال العملة.....
305.....	4-3 ظهور الطبقة الشغيلة (العاملة).....
314.....	الخاتمة:.....
320.....	قائمة الملاحق:.....
335.....	القائمة البيبليوغرافية:.....
354.....	فهرس الموضوعات:.....